

تَفْسِيرٌ  
حَدِيثُ الرَّسُولِ وَالرَّسَائِلِ  
فِي  
رَوَايَةِ عُلُومِ الْقُرْآنِ

تَأَلَّفَ الشَّيْخُ الْعَلَّامَةُ

مُحَمَّدُ الْأَمِينُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَرْمِيِّ الْعَلَوِيِّ الْمَهْرِيِّ الشَّافِعِيِّ  
الْمُدْرَسُ بِدَارِ الْحَدِيثِ الْحَيْرَتِيَّةِ فِي مَكَّةِ الْمُكَرَّمَةِ

إِشْرَافُ وَمُرَاجَعَةٌ

الدكتور هاشم محمد علي بن حسين عهدي  
خَيْرُ الدَّرَاسَاتِ بِرَابِطَةِ الْعَسَائِلِ الْإِسْلَامِيَّةِ  
مَكَّةُ الْمُكَرَّمَةِ

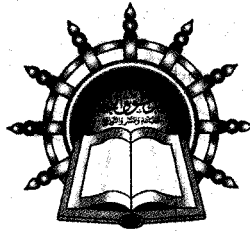
المجلد الرابع عشر

دار طوق النجاة

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م



دار تقوى للنجاة

بيروت - لبنان

تَفْسِيرُ  
حَدِيثِ الرَّسُولِ وَالرَّسَائِلِ  
فِي  
رَوَايَةِ عُلُومِ الْقُرْآنِ



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أنزل القرآن موعظة وشفاء لما في الصدور، وجعله منهلاً عذباً للورود والصدور، جمع فيه علوم الأولين والآخرين، فلا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين، والصلاة والسلام على من أوحى إليه ذلك القرآن، من لوح الوجوب والأمر والشأن، سيدنا محمد الذي أجرى من مسجله ما يحاكي السلسيل والرحيق، وأفحم ببلاغته كل متكلم منطيق، وفسر الآيات في الأنفس والآفاق على مراد الله الملك الخلاق، وعلى آله وأصحابه المقتبسين من مشكاة أنواره، المغترفين من بحار أسراره، ومن تبعهم بإحسان ممن تخلق بالقرآن في كل زمان.

أما بعد: فيقول العبد المعترف بذنبه وخطاه المنادي لربه في عفوه وعطاه، الراجي في إسبال سجاف الندى عليه، المناجي في إرسال رسول الهدى إليه، حفظه الله سبحانه وأخلاءه، وأعاذه وإياهم من الشيطان الرجيم، وجعل يومه خيراً من أمسه إلى الإيأس من حياة نفسه، سمي محمد الأمين الهري:

إني لما فرغت من تفسير الجزء الثاني عشر من القرآن الكريم.. عزمت - إن شاء الله سبحانه وتعالى - على الشروع في تفسير الجزء الثالث عشر، وإن كان علم التفسير لا يقحم في معاركه كل ذمير وإن كان أسداً، ولا يحمل لواءه كل أمير وإن مات حسداً، وذلك أظهر من أن يورد عليه دليل كالنيرين لغير كليل. ومع خطر هذا الأمر، فالأمد قصير وفي العبد تقصير، وكم ترى من تحرير كامل في التحرير والتقرير قد أصابه سهم القضاء قبل بلوغ الأمل، وذلك بحلول ريب المنون والأجل، أو بتناول يد الزمان، فإن الدنيا لا تصفو لشارب وإن كانت ماء

الحيوان، وأي وجود لا ينسج عليه عناكب العاهات؟ وأي نعيم لا يكدره الدهر؟ هيهات.

اللهم كما عودتني في الأول خيراً كثيراً، فيسر لي الأمر في الآخر تيسيراً، واجعل رقيمي هذا سبباً لبياض الوجه كما تبيض وجوه أولئك، وامح مسودات صحائف أعمالي بحق كتابك الكريم، واجعل قراري في جنات النعيم، ولم أكن بدعائك رب شقياً بكرةً وعشياً ما دمت حياً، فلك الحمد في الأولى والأخرى على عنايتك الكبرى، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.

والله أعلم

\*\*\*

قال الله سبحانه جلّ وعلا :

﴿وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنْ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَنْوِي بِهِ؟ اسْتَخْلَصَهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٣﴾ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ ﴿٥٤﴾ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ يُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا جُرْأَلٍ مِنَ الْأَخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ وَجَاءَ إِخْوَةَ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتُنُونِي بِأَنْعَامِكُمْ الَّتِي تَرَوْنَ أَمْ لَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٨﴾ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَتَرُوهُ عَنْهٗ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦٠﴾ وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَعْتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦١﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَكْتَلُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٣﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ وَجَدُوا بِضَعْتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَعْتَنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانًا وَتَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٤﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنِّي اللَّهُ لِتَأْتِنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا تَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٥﴾ وَقَالَ يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَجِدٍ وَادْخُلُوا مِن أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَلْحَمْتُمْ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَعْقُوبُ فَضَلَّهَا وَإِنَّهُ لَدُوٌّ عَلِيمٌ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾﴾

### المناسبة

قوله تعالى: ﴿وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنها من تنمة إقرار امرأة العزيز، كما اختاره أبو حيان في «البحر»، ويؤيده عطفه على ما قبله، وقد جُعِلت أول الجزء الثالث عشر؛ لأن تقسيم القرآن إلى الأجزاء الثلاثين قد لوحظ فيه مقادير الكلم العددي دون المعاني.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتُونِي بِهِ...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه بعد<sup>(١)</sup> انتهاء التحقيق في أمر النسوة، وظهور براءة يوسف عليه السلام من كل سوء.. طلب الملك إحضاره إليه من السجن بعد أن وفى له بما اشترط لمجيئه، فلما جاءه وسمع كلامه.. فهم من فحوى حديثه، ومن أمانته على مال العزيز وعرضه وحسن تصرفه، ومن سيرته الحسنة في السجن، ومن علمه وفهمه في تأويله للرؤيا، ومن حرصه على إظهار شرفه وكرامته في مسألة النسوة ما دل على أنه أهل لأن يرفع إلى أعلى المراتب، ويولى أسمى المناصب، وذلك هو ما فعله الملك لحصافة رأيه وبصره بأقدار الرجال، ولم يصرفه عن ذلك كونه غريباً أو فقيراً أو مملوكاً كما تشير إلى ذلك الآيتان.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ...﴾ الآيتين، مناسبتهما لما قبلهما: أنه سبحانه وتعالى لما<sup>(٢)</sup> ذكر إجابة الملك له بأنه أصبح لديه مكيئاً أميناً، وطلب يوسف منه أن يجعله على خزائن الأرض يصرفها بحسب ما يرى من التدبير والنظام والدراية والإحكام.. ذكر هنا أنه أجابه إلى مطلبه، وجعله وزيراً في دولته يتصرف في شؤونها لحسن تدبيره وثاقب رأيه، وذلك جارٍ على سنن الله في خلقه، فلن ينال الرياسات العليا والمناصب الرفيعة إلا من يؤتية الله من المواهب ما يجعله قادراً على ضبط الأعمال، وإقامة النظام، وحسن السياسة والكياسة في تصريف الأمور.

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةَ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ...﴾ الآيات، جاء<sup>(٣)</sup> في سفر التكوين من التوراة أن يوسف عليه السلام حين ولي الوزارة.. طفق يعد العدة، ويأخذ الأهبة لتنفيذ التدابير التي يقي بها البلاد من خطر المجاعة التي جاءت في تأويل رؤياه للملك، وكان من ذلك أن بنى الأهرام العظيمة، وخزن فيها الحبوب التي استكثر منها مدة سني الخصب السبع الأولى، فلما جاءت السبع الشداد، وعم القحط مصر وغيرها من الأقطار القريبة منها، ولا سيما

(٣) المراغي.

(٢) المراغي.

(١) المراغي.



أقربها إليها، وهي فلسطين من بلاد الشام، واشتهر لدى أهلها ما فعله يوسف في مصر من حسن التدبير حتى كثرت فيها الغلال، وأصبح يبيع ما زاد على حاجة أهلها للأقطار المجاورة لها.. أمر يعقوب عليه السلام أولاده أن يرحلوا إلى مصر، ويأخذوا معهم ما يوجد في بلادهم من بضاعة ونقد فضة، ويشترؤا به قمحاً؛ لأن المجاعة أوشكت أن تقضي عليهم، فنفذوا ما أراد، وكان بينهم وبين يوسف عليه السلام ما قصه الله سبحانه وتعالى علينا في كتابه الكريم.

### التفسير وأوجه القراءة

وقوله: ﴿وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي...﴾ الآية. إن كان من كلام زليخا كما هو الراجح والظاهر من السياق.. فمعناه أي: وما أبريء نفسي ولا أنزهها عن السوء، ولا أشهد لها بالبراءة الكلية بدعوى عدم خيانتني إياه بالغيب بعد أن وجهت إليه اعتراف الذنب، وقلت: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وأودعته السجن، وعرف الناس خاصتهم وعامتهم ذلك، وكأنها بذلك تريد التنصل مما كان. ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾؛ أي: إن<sup>(١)</sup> جنس النفس البشرية لكثيرة الأمر بعمل السوء؛ لما فيها من دواعي الشهوات الجسمية، والأهواء النفسية بما ركب فيها من القوى والآلات لتحصيل اللذات، وما يوسوس الشيطان ويزينه لها من النزغات، ومن ذلك أن حرضت زوجي على سجن يوسف، وقد كان ذلك مما يسوؤه، فالعفيف التزيه لا يرضى أن يزن بالريبة كما يسوء زوجي؛ إذ لا يرضى أن يكون عرضة مضغة للأفواه، وحديث الناس في أنديتهم وأسماهم ﴿إِلَّا مَا رَجِمَ رَبِّي﴾؛ أي: إلا نفساً رحمها ربي وعصمها، فصرف عنها السوء والفحشاء بعصمته كنفس يوسف عليه السلام.

ثم عللت ما سلف بقولها: ﴿إِنَّ رَبِّي﴾ سبحانه وتعالى ﴿عَفُورٌ﴾؛ أي: عظيم المغفرة وكثيرها، فيغفر ما يعتري النفوس البشرية بمقتضى طباعها؛ إذ ركب فيها الشهوات الجسمية، والأهواء النفسية ﴿رَجِيمٌ﴾؛ أي: مبالغ في الرحمة لها

(١) المراغي.

بعصمتها من الجريان بمقتضى ذلك.

وعلى القول بأنه من كلام يوسف عليه السلام، فمعنى ﴿وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي﴾؛ أي: (١) لا أنزهها عن السوء، ولا أشهد لها بالبراءة الكلية. قاله تواضعاً لله تعالى، وهضماً لنفسه الكريمة، لا تزكية لها وعجباً بحاله في الأمانة، ومن هذا القبيل قوله عليه السلام: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» أو تحدثاً بنعمة الله تعالى عليه في توفيقه وعصمته؛ أي: لا أنزهها عن السوء من حيث هي هي، ولا أسند هذه الفضيلة إليها بمقتضى طبعها من غير توفيق من الله تعالى. واللام في قوله: ﴿إِنَّ النَّفْسَ﴾ للجنس؛ أي: إن جنس النفوس التي من جملتها نفسي في حد ذاتها ﴿لَأَمَارَةٌ بِالسَّوِّءِ﴾ تأمر بالقبائح والمعاصي؛ أي: لأنها أشد استلذاذاً بالباطل والشهوات، وأميل إلى أنواع المنكرات، ولولا ذلك.. لما صارت نفوس أكثر الخلق مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل؛ لقضاء الشهوات وما صدرت منها الشرور أكثر.

ومن ههنا وجب القول بأن كل من كان أوفر عقلاً، وأجل قدراً عند الله.. كان أبصر بعيوب نفسه، ومن كان أبصر بعيوبها.. كان أعظم اتهاماً لنفسه، وأقل إعجاباً. ﴿إِلَّا مَا رَجَحَ رَبِّي﴾؛ أي: إلا نفساً رحمها ربي من النفوس التي يعصمها من الوقوع في المهالك، ومن جملتها نفسي ونفوس سائر الأنبياء ونفوس الملائكة. أما الملائكة فإنه لم تركب فيهم الشهوة. وأما الأنبياء فهم وإن ركبت هي فيهم، لكنهم محفوظون بتأييد الله تعالى معصومون. ف﴿مَا﴾ موصولة بمعنى من، وفيه إشارة إلى أن النفس من حيث هي كالبهائم. والاستثناء من ﴿النَّفْسَ﴾، أو من الضمير المستتر في ﴿أَمَارَةٌ﴾ كأنه قيل: إن النفس لأمارة هي بالسوء إلا نفساً رحمها ربي، فإنها لا تأمر بالسوء، أو بمعنى الوقت؛ أي: هي أمارة بالسوء في كل وقت إلا وقت رحمة ربي وعصمته لها، ودل على عموم الأوقات صيغة المبالغة في أمارة. يقال في اللغة: أمرت النفس بشيء فهي آمرة، وإذا أكثر

(١) روح البيان.

الأمر فهي أمانة ﴿إِنَّ رَبِّيَ غَفُورٌ﴾ للهّم الذي هممت به ﴿نَجِيمٌ﴾ لمن تاب إليه .

وقد قيل<sup>(١)</sup>: إن هذا من قول العزيز، وهو بعيد جداً، ومعناه: وما أبريء نفسي من سوء الظن بيوسف، والمساعدة على حبسه بعد أن علمت ببراءته .

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾ الريان بن الوليد بعد ما وفى ليوسف ما طلب من سؤال النسوة: ﴿أَتُؤْتِي بِهِ؟﴾؛ أي: بيوسف؛ أي: أحضروه إليّ من السجن ﴿أَسْتَخْلَصُهُ لِنَفْسِي﴾؛ أي: أجعله خالصاً لنفسي دون غيري، وقد كان قبل ذلك خالصاً للعزيز . والاستخلاص: طلب خلوص الشيء من شوائب الشركة؛ أي: اجعله خالصاً لي وموضع ثقتي، فلا يشاركه أحد في إدارة ملكي، ولا تكون وساطة بينه وبينني، وقد جرت عادة الملوك أن يجعلوا الأشياء النفيسة خالصة لهم دون غيرهم .

فجاءه الرسول، فقال: ألق عنك ثياب السجن، والبس ثياباً جدداً، وقم إلى الملك، فقام وودع أهل السجن، فدعا له أهل السجن، ودعا لهم، وقال في دعائه: اللهم عطف عليهم قلوب الأخيار، ولا تعم عنهم الأخبار، ثم اغتسل ولبس ثياباً حسناً، ولما خرج من السجن كتب على بابه: هذا بيت البلوى، وقبر الأحياء، وشماتة الأعداء، وتجربة الأصدقاء . فأتى الملك ودخل عليه فسلم عليه بالعربية، فقال له الملك: ما هذا اللسان؟ قال لسان عمي إسماعيل، ثم دعا له يوسف بالعبرانية، فقال له: وما هذا اللسان أيضاً؟ قال يوسف: هذا لسان آبائي . وكان الملك يتكلم بسبعين لساناً، ولم يعرف هذين اللسانين، وكان كلما تكلم بلسان أجابه يوسف به، وزاد عليه بالعربية والعبرانية، فأعجب الملك أمره مع صغر سنه؛ إذ كان عمره يومئذ ثلاثين سنة . فقال: أيعلم هذا رؤيائي ولم يعلمها السحرة والكهنة وأقعدته قدامه، وقال: لا تخف، وألبسه طوقاً من ذهب، ووثياباً من حرير، وأعطاه دابة مسرجة مزينة كدابة الملك، وضرب الطبل بمصر أن يوسف خليفة الملك .

وقوله: ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ﴾ مرتب على محذوف تقديره: فأتوه به، فلما كلمه؛

(١) الشوكاني .

أي: فلما كلم يوسف الملك، وشاهد منه الملك ما شاهد من الرشد والدهاء، وهو جودة الرأي ﴿قَالَ﴾ له الملك: ﴿إِنَّكَ﴾ أيها الصديق ﴿أَلْيَوْمَ لَدَيْنَا﴾؛ أي: عندنا وبحضرتنا ﴿مَكِينٌ﴾؛ أي: ذو مكانة سامية، ومنزلة رفيعة عالية ﴿أَمِينٌ﴾؛ أي: ذو أمانة تامة، فأنت غير منازع في تصرفك، ولا متهم في أمانتك، وأنت مؤتمن عندنا على كل شيء، واليوم<sup>(١)</sup> ليس بمعيار لمدة المكانة، بل هو آن التكلم. والمراد تحديد مبدئهما احترازاً عن احتمال كونهما بعد حين. وفي هذا إيحاء<sup>(٢)</sup> إلى أن الحوار بين المتخاطبين يظهر معارف الإنسان وأخلاقه وأدابه وجميع شمائله، فيقدره من يعرف أقدار الرجال، ويزنهم بفضائلهم ومزايهم. والظاهر أن الملك كلمه مشافهة بدون ترجمان؛ لأن يوسف كان قد عرف اللغة المصرية من العزيز وامراته بمحادثته إياهما، ومن حاشية الوزير من حين قدم مصر، ومن محادثته صاحبيه في السجن.

وقد تكون اللغة التي كان يتكلم بها يوسف لغة جده إبراهيم وأولاده وحفدته، وكانوا من العرب القحطانيين، ثم تفرعت من هذه العربية الإسماعيلية، فالمصرية والعبرانية والسريانية. وكان ملوك مصر وكبراء حكامها في ذلك العهد من أولئك العرب، وهم الذين يسمون بالرعاة، ويقول المؤرخون: إن ملك مصر في ذلك العهد كان يسمى الوليد بن الريان.

فلما سمع يوسف من الملك قوله: ﴿إِنَّكَ أَلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾. ﴿قَالَ﴾: يوسف للملك ﴿أَجْعَلْنِي﴾ أيها الملك والياً ﴿عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ وأموالها التي تخزن وتدخر فيها؛ أي: ولني أمر الأرض التي أمرها إليك، وهي أرض مصر، أو اجعلني على حفظ خزائن الأرض. والخزائن: جمع خزانة، وهي اسم للمكان الذي تخزن فيه غلات الأرض ونحوها. طلب<sup>(٣)</sup> يوسف عليه السلام منه ذلك ليتوصل به إلى نشر العدل ورفع الظلم، ويتوسل به إلى دعاء أهل مصر إلى

(٣) الشوكاني.

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

الإيمان بالله وترك عبادة الأوثان. وفيه دليل على أنه يجوز لمن وثق من نفسه إذا دخل في أمر من أمور السلطان أن يرفع منار الحق، ويهدم ما أمكنه من الباطل طلب ذلك لنفسه، ويجوز له أن يصف نفسه بالأوصاف التي لها ترغيباً فيما يرومه، وتشبيهاً لمن يخاطبه من الملوك بإلقاء مقاليد الأمور إليه، وجعلها منوطة به، ولكنه يعارض هذا الجواز ما ورد عن نبينا ﷺ من النهي عن طلب الولاية، والمنع من تولية من طلبها، أو حرص عليه.

وحاصل المعنى: فلما كلم الملك يوسف قال الملك في كلامه ليوسف: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾، فماذا<sup>(١)</sup> ترى أيها الصديق؟ ﴿قَالَ﴾ يوسف: أرى أن تزرع في هذه السنين المخصبة زرعاً كثيراً، وتبني الخزائن، وتجمع فيها الطعام، فإذا جاءت السنون المجذبة.. بعنا الغلات، فيحصل بهذا الطريق مال عظيم، فقال الملك، ومن لي بهذا الشغل؟ فقال: ﴿أَجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾؛ أي: ولني أمر خزائن أرض مصر ﴿إِنِّي حَفِيظٌ﴾ لما وليتني، ولجميع مصالح الناس ﴿عَلَيْمٌ﴾ بوجوه التصرف في الأموال، وبجميع ألسن الغرباء الذين يأتونني. وقيل معنى ﴿حَفِيظٌ﴾: كاتب ﴿عَلِيمٌ﴾: حاسب.

والخلاصة: <sup>(٢)</sup> ولّني خزائن أرضك كلها، واجعلني مشرفاً عليها لأنقذ البلاد من مجاعة مقبلة عليها تهلك الحرث والنسل.

ثم ذكر سبب طلبه، فقال: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ﴾؛ أي: شديد الحفظ لما يخزن فيها، فلا يضيع شيء منه، أو يوضع في غير موضعه ﴿عَلِيمٌ﴾ بوجوه تصريفه وحسن الانتفاع به. فإن قلت: كيف مدح يوسف عليه السلام نفسه بقوله: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾، والله تعالى يقول: ﴿فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ﴾.

قلت: إنما يكره تزكية النفس إذا قصد به الرجل التطاول والتفاخر والتوصل به إلى غير ما يحل، فهذا هو القدر المذموم في تزكية النفس. أما إذا قصد بتزكية النفس ومدحها إيصال الخير والنفعة إلى الغير.. فلا يكره ذلك ولا يحرم، بل

(٢) المراغي.

(١) المراح.

يجب عليه ذلك. مثاله أن يكون بعض الناس عنده علم نافع ولا يعرف به، فإنه يجب عليه أن يقول: «أنا عالم» لينتفع الناس بعلمه، ذكره في «الفتوحات». وقد طلب إدارة الأمور المالية؛ لأن سياسة الملك وتنمية العمران، وإقامة العدل فيه تتوقف عليها، وقد كان مضطراً إلى تزكية نفسه في ذلك حتى يثق الملك به، ويركن إليه في تولية هذه المهام. وما أضع كثيراً من المماليك في هذه القرون الأخيرة إلا الجهل والتقصير في النظام المالي، وتدبير الثروة وحفظها في الدولة والأمة.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ معمول للتمكين الآتي؛ أي: ومثل ذلك التمكين الذي أنعمنا عليه من تقريننا إياه إلى الملك، وإنجائنا إياه من غم الحبس الذي ذكرنا أسبابه ومقدماته ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾؛ أي: جعلنا له مكانة ومرتبة، أو مكاناً ومنزلاً ﴿فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: في أرض مصر حالة كونه ﴿يَتَبَوَّأُ﴾ وينزل ﴿مِنْهَا﴾؛ أي: من أرض مصر ﴿حَيْثُ يَشَاءُ﴾ ويريد؛ أي: ينزل منها حيث أراد، ويتخذ مباءةً ومنزلاً. وهو عبارة عن كمال قدرته ونفوذ أمره ونهيه حتى صار الملك يصدر عن رأيه، وصار الناس يعملون على أمره ونهيه، وكأنه يتصرف في الأرض التي أمرها إلى سلطان مصر كما يتصرف الرجل في منزله. وقد استدل<sup>(١)</sup> بهذه الآية على أنه يجوز تولي الأعمال من جهة السلطان الجائر بل الكافر لمن وثق من نفسه بالقيام بالحق. وقرأ الحسن وابن كثير وشيبة<sup>(٢)</sup>: ﴿حَيْثُ نَشَاءُ﴾ - بالنون - مسنداً إلى الله تعالى. وقرأ الجمهور بالياء.

**والظاهر:** أن قراءة الياء يكون فيها فاعل ﴿يَشَاءُ﴾: إما ضميراً يعود على يوسف، ومشيبته معلقة بمشيئة الله تعالى؛ إذ هو نبيه ورسوله، وإما ضميراً يعود على الله سبحانه وتعالى؛ أي: حيث يشاء الله تعالى، فيكون فيه حينئذ التفات من التكلم إلى الغيبة.

(١) الشوكاني.

(٢) البحر المحيط.

واعلم: أن التمكين الحاصل ليوسف له أسباب ومقدمات مهدت له؛ لأن إخوة يوسف لو لم يحسدوه.. ما ألقوه في غيابة الجبّ، ولو لم يلقوه.. لما وصل إلى عزيز مصر، ولو لم يعتقد العزيز بفراسته وصدقه وأمانته.. لما أمنه على بيته وأهله وماله، ولو لم تراوده امرأة العزيز عن نفسه ويستعصم.. لما ظهرت نزاهته وعرف أمرها، ولو لم تخب في كيدها وكيد صواحباتها.. ما ألقى في السجن لإخفاء هذا الأمر، ولو لم يسجن.. لما عرفه ساقى الملك وعرف علمه وفضله وصدقه في تعبير الرؤيا، ولو لم يعرف ذلك منه الساقى.. ما عرفه الملك ولم يجعله على خزائن الأرض، فما من حلقة من هذه السلسلة إلا كانت متممة لما بعدها، ويأذن الله كانت سبباً للوصول إلى ما يليها، فكلها في بدايتها كانت شراً وخسراً، وفي عاقبتها فوزاً ونصراً مبيناً، ومهدت للتمكين لدى ملك مصر. فكما مكن<sup>(١)</sup> له في ذلك مكن له في أرض مصر، وقد جيء به مملوكاً، فأصبح مالكا ذا نفوذ وأمر ونهي لا ينازعه منازع فيما يراه ويختاره، وصار الملك يصدر عن رأيه، ولا يعترض عليه فيما يرى بما أعده الله تعالى له من تحليلته بالصبر واحتمال الشدائد، والأمانة والعفة، وحسن التصرف والتدبير.

روي<sup>(٢)</sup>: أنه لما تمت السنة من يوم سأل يوسف الإمارة.. دعاه الملك، فتوجه وأخرج خاتم الملك، وجعله في أصبعه، وقلده بسيفه، وجعل له سريراً من ذهب مكللاً بالدرّ والياقوت طوله ثلاثون ذراعاً، وعرضه عشرة أذرع عليه ستون فراشاً، وضرب له عليه حلة من استبرق، فقال يوسف عليه السلام: أما السرير فأشد به ملكك، وأما الخاتم فأدبر به أمرك، وأما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي. فقال الملك: قد وضعت إجلالاً لك وإقراراً بفضلك، وأمره أن يخرج فخرج متوجاً لونه كالثلج، ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه فيه من صفاء لونه، فانطلق حتى جلس على ذلك السرير، ودانت له الملوك، وفوض الملك الأكبر إليه ملكه، وأمر مصر، وعزل قطفير عما كان عليه، وجعل يوسف مكانه،

(١) المراغي.

(٢) المراح.

ومات قطفير بعد ذلك، فزوجه عليه السلام الملك امرأته زليخا، فلما دخل يوسف عليها قال لها: أليس هذا خيراً مما كانت تريدين؟ قالت له: أيها الصديق لا تلمني، فإني كنت امرأة حسناء ناعمة كما ترى، وكان صاحبي لا يأتي النساء، وكنت كما جعلك الله في حسنك وهيئتك، فغلبتني نفسي وعصمك الله، فأصابها يوسف عليه السلام فوجدها عذراء، فولدت له ذكراً ففرائم وميشا، فاستولى يوسف عليه السلام على ملك مصر، وأقام فيها العدل، وأحبه الرجال والنساء، وأسلم على يديه الملك وكثير من الناس، وباع من أهل مصر في سني القحط الطعام في السنة الأولى بالدنانير والدراهم، وفي الثانية بالحلى والجواهر، وفي الثالثة بالدواب، وفي الرابعة بالجواري والعبيد، وفي الخامسة بالضياح والعقار، وفي السادسة بأولادهم، وفي السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة إلا صار عبداً له عليه السلام، فقال أهل مصر: ما رأينا كاليوم ملكاً أجمل وأعظم من يوسف، فقال يوسف للملك: كيف رأيت صنع الله بي فيما خولني، فما ترى في هؤلاء؟ فقال الملك: الرأي رأيك ونحن لك تبع. قال: فإني أشهد الله وأشهدك أنني قد أعتقت أهل مصر عن آخرهم، ورددت عليهم أملاكهم، وكان يوسف لا يبيع من أحد من الممتارين أكثر من حمل بغير تقسيطاً بين الناس، ومات الملك في حياة يوسف عليه السلام.

﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا﴾؛ أي: بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم ﴿مَنْ شَاءَ﴾ من عبادنا بمقتضى ما وضعنا من السنن في الأسباب الكسبية مع موافقتها للأحداث الكونية، ومراعاة النظم الاجتماعية والفضائل الخلقية ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ لأن<sup>(١)</sup> إضاعة الأجر؛ إما أن تكون للعجز أو للجهل أو للبخل، والكل ممتنع في حق الله تعالى، فكانت الإضاعة ممتنعة؛ أي: ولا نضيع في الدنيا أجر من أحسن.

أي: (٢) ولا نضيع أجر من أحسنوا في أعمالهم بشكران هذه النعم، بل

(٢) المراغي.

(١) المراح.



نأجرهم عليها سعادة وهناءة، وقد بذلنا تلك النعم لمن يطلبها متى أتى الأمور من أبوابها، وسار على مقتضى السنن التي وضعناها.

أما من يسيئون التصرف فيها . . فتصيبهم المنغصات، وتتوالى عليهم المكدرات، فالمسرفون لا يلبثون أن ينالهم الفقر والعدم، والظالمون يثيرون أضغان المظلومين، وذووا الخيلاء والبطر يكونون محتقرين، وقلما يصيب المحسنين الشاكرين من ذلك شيء، وإن نالهم منه شيء يكون هيناً عليهم، وهم عليه صبر.

وفي الآية<sup>(١)</sup> إيماء إلى أنه ما أضاع صبر يوسف عليه السلام على أذى إخوته، وصبره على الحبس بسبب امرأة العزيز، بل كان جزاؤه ما مكن له في الأرض لدى ملك مصر.

﴿وَلَا جُزْءَ الْآخِرَةِ﴾؛ أي: وعزتي وجلالي لأجرهم في الآخرة، فاللام فيه موطئة للقسم، وأضيف الأجر إلى الآخرة للملابسة، وأجرهم فيها هو الجزاء الذي يجازيهم الله به فيها؛ وهو الجنة التي لا ينفد نعيمها، ولا تنقضي مدتها؛ أي: ولا أجر الآخرة وثوابها ﴿خَيْرٌ﴾ وأفضل من أجر الدنيا ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بالله ورسله ﴿وَكَاثُورًا يُفَوِّنُ﴾ الله تعالى، ويخافونه بامثال المأمورات واجتناب المنهيات. وفي الآية<sup>(٢)</sup> إيماء إلى أن الذي أعد الله سبحانه وتعالى ليوسف عليه السلام في الآخرة من الأجر والثواب الجزيل أفضل مما أعطاه الله تعالى في الدنيا من الملك.

وقد ثبت<sup>(٣)</sup>: أن الله تعالى شهد بأن يوسف عليه السلام كان من المتقين ومن المحسنين ومن المخلصين، والمعنى<sup>(٤)</sup>: أي: إن أجر الآخرة؛ وهو نعميها يكون للمؤمنين المتقين، وهو خير لهم من أجر الدنيا لأهلها وإن بلغوا سلطان الملك، فإن ما أعد له لأولئك ليتضاءل أمامه كل ما فيها من مال وجاه وزينة، ولا

(٣) المراح.

(١) المراغي.

(٤) المراغي.

(٢) الخازن.

شبهة في أن من يجمعون بين السعادتين يكون فضل الله عليهم أعظم؛ إذ هم أعطوا حقها من الشكر، وقاموا بما يجب عليهم نحو خالقهم من طاعته وترك معصيته.

روى الشيخان عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال فقراء المهاجرين للنبي ﷺ: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور - واحداها دثر بالفتح المال الكثير - بالدرجات العلى، والنعيم المقيم قال: «ما ذاك؟» قالوا: يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون كما نتصدق، ويعتقون ولا نعتق. قال ﷺ: «أفلا أعلمكم شيئاً تدركون به من سبقكم، وتسبقون به من بعدكم، ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثلكم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «تسبحون وتكبرون وتحمدون الله دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين مرة»، قال أبو صالح: فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا، ففعلوا مثله، فقال رسول الله ﷺ: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء».

﴿وَجَاءَ إِخْوَهُ يُوسُفَ﴾ إلى مصر من أرض كنعان؛ ليمتاروا حين أصاب أرض كنعان وبلاد الشام ما أصاب مصر من القحط والجوع، وكان قد حلّ بآل يعقوب ما حلّ بأهلها، فدعا أبناءه ما عدا بنيامين؛ وهم عشرة، فقال لهم: يا بني قد بلغني أن بمصر ملكاً صالحاً يبيع الطعام، فتجهزوا إليه، واقصدوه واشتروا منه ما تحتاجون إليه، فخرجوا حتى قدموا مصر ﴿فَدَخَلُوا عَلَيْهِ﴾؛ أي: على يوسف، وهو في مجلس ولايته؛ لأن أمر الميرة وشراء الغلال كان بيده ورهن أمره ﴿فَعَرَفَهُمْ﴾ يوسف حين دخلوا عليه بلا تردد، ولا شك، لأنه فارقهم وهم رجال، ولم يزل عددهم وشكلهم وزيهم عالماً بخياله؛ لنشوته بينهم، ولا سيما ما قاساه منهم في آخر عهده بهم وربما كان عمال يوسف عليه السلام وعبيده قد سألوهم عن أمرهم قبل أن يدخلوهم عليه، وأخبروه بأوصافهم، والبيئة التي رحلوا منها ﴿وَهُمْ لَهُمْ مُكْرُونَ﴾، لنسيانهم له بطول العهد، وتغير شكله بدخوله في سن الكهولة، ولأنهم فارقوه صبيّاً يباع بالدرهم في أيدي السيارة بعد أن أخرجه من الجب، ودخلوا عليه الآن، وهو رجل عليه أبهة الملك؛ أي: عظمته ورونق

الرئاسة؛ أي: زينتها، وعنده الخدم والحشم. وقيل: إنهم أنكروه لكونه كان في تلك الحال على هيئة ملك مصر ولبس تاجه وتطوق بطوقه. وقيل: كانوا بعيداً عنه، فلم يعرفوه. وقيل: غير ذلك. فكل<sup>(١)</sup> ذلك مما يحول دون التثبيت من معارف وجهه، ولا سيما أنهم كانوا يظنون أنه قد هلك، أو طوحت به طوائح الأيام، ولو كانوا قد فطنوا لبعض ملامحه وتذكروه بها. . لربما عدوه مما يتشابه فيه بعض الناس ببعض في العادات، وبخاصة أنه لم يكن يدور بخلدهم أن أخاهم قد وصل إلى ذلك المركز السامي.

فالمعنى<sup>(٢)</sup>: فدخلوا على يوسف عليه السلام، وهو في مجلس ولايته، فعرفهم يوسف بأول نظرة نظر إليهم لقوة فهمه ﴿وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾؛ أي: والحال أنهم لا يعرفونه لطول المدة، فبين أن ألقوه في الجبّ ودخولهم عليه أربعون سنة على ما قيل، فكلموه بالعبرانية، فقال لهم: من أنتم وأي شيء أقدمكم بلادي؟ فقالوا: قدمنا لأخذ الميرة، ونحن قوم رعاة من أهل الشام أصابنا الجهد، فقال: لعلكم عيون تطلعون على عوراتنا، وتخبرون بها أعداءنا، فقالوا: معاذ الله، قال: من أين أنتم؟ قالوا: من بلاد كنعان نحن إخوة بنو أب واحد، وهو شيخ كبير صديق، نبي من أنبياء الله تعالى اسمه يعقوب، قال: كم أنتم؟ قالوا: كنا اثني عشر، فهلك منا واحد، فقال: كم أنتم ههنا؟ قالوا: عشرة، قال: أين الحادي عشر؟ قالوا: هو عند أبيه يتسلى به عن الهالك؛ لأنه أخوه الشقيق، قال: فمن يشهد لكم أنكم لستم عيوناً، وأن ما تقولون حق؟ قالوا: نحن ببلاد غربة لا يعرفنا فيها أحد، فيشهد لنا، قال: فأتوني بأخيكم الذي من أبيكم إن كنتم صادقين؟ فأنا أكتفي بذلك منكم، قالوا: إن أبانا يحزن لفراقه، قال: فتركوا بعضكم عندي رهينة حتى تأتوني به، فاقترعوا فيما بينهم، فأصابت القرعة شمعون، وكان أحسنهم رأياً في يوسف في أمر الجبّ، فتركوه عنده، فأمر بإنزالهم وإكرامهم.

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ﴾ يوسف عليه السلام وشيّعهم وأعطاهم ﴿بِمَجَاهِزِهِمْ﴾؛ أي: بما يحتاجون إليه في سفرهم؛ أي: فلما أوقر يوسف إليهم بالميرة وأصلحهم

(٢) الخازن.

(١) المراح.

بالزاد وما يحتاج إليه المسافر. قال ابن عباس<sup>(١)</sup>: حمل لكل واحد منهم بعيراً من الطعام، وأكرمهم في النزول، وأحسن ضيافتهم، وأعطاهم ما يحتاجون إليه في سفرهم. قال الأزهري<sup>(٢)</sup>: القراء كلهم على فتح الجيم، والكسر لغة جيدة. وقال أبو حيان: وقرىء بكسر الجيم قلت: وقراءة الكسر شاذة وليست بمتواترة.

ومعنى ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ﴾؛ أي: ولما هيا لهم جهازهم وأهبة سفرهم ومؤنثه - يقال: جهزت المسافر بالتشديد: هيات له جهازه، وجهاز السفر: أهبته وما يحتاج إليه في قطع المسافة؛ أي: ولما أوقر ركائبهم بما جاؤوا لأجله من الميرة والطعام، وجهزهم بما سوى ذلك من الزاد، وبما يحتاج إليه المسافرون عادة على قدر طاقتهم وبيئتهم ﴿قَالَ﴾ يوسف عليه السلام: ﴿أَتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ﴾؛ أي: جيئوني بأخيكم ﴿مَنْ أَيْبِكُمْ﴾ هو شقيقه بنيامين إذا رجعت، لتمتاروا مرة أخرى، لأعلم صدقكم فيما قلتم: إن لنا أخاً من أيينا عند أيينا، وسبب<sup>(٣)</sup> ذلك أن يوسف ما كان يعطي لأحد إلا حمل بعير، وقد كان إخوته عشرة، فأعطاهم عشرة أحمال، فقالوا: إن لنا أباً شيخاً كبيراً وأخاً آخر بقي معه، وإن أباهم لتقام سنه وشدة حزنه لا يستطيع الحضور، وإن أخاهم بقي في خدمة أبيه، ولا بدّ لهما من شيء من الطعام، فجهز لهما بعيرين آخرين، وقال: جيئوني بأخيكم لأراه وأصدقكم فيما قلتم. وإنما<sup>(٤)</sup> قال: ﴿بِأَخٍ لَكُمْ﴾ ولم يقل بأخيكم بالإضافة مبالغة في إظهار عدم معرفته لهم، فإنه فرق بين مررت بغلامك، ومررت بغلام لك. فإنك في التعريف تكون عارفاً بالغلام دون التنكير لأنك جاهل به. فالتعريف<sup>(٥)</sup> يفيد نوع عهد في الغلام بينك وبين المخاطب، والتنكير لا عهد فيه البتة، وجائز أن تخبر عن تعرفه إخبار النكرة، فتقول: قال رجل لنا وأنت تعرفه؛ لصدق إطلاق النكرة على المعرفة.

﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي الْكَيْلَ﴾؛ أي: أني أتمه ولا أبخس منه شيئاً، وأزيدكم

(٤) البحر المحيط.

(٥) الخازن.

(١) الشوكاني.

(٢) المراغي.

(٣) روح البيان.

حمل بعير آخر لأجل أخيكم، وحملاً آخر لأبيكم؛ لأنهم قالوا: إن لنا أبا شيخاً كبيراً، وأخاً آخر بقي معه؛ لأن يوسف لا يزيد لأحد على حمل بعير. والهمزة فيه للاستفهام التقريري، وهو حمل المخاطب على الإقرار بما بعد حرف النفي، وجاء بصيغة الاستقبال في قوله: ﴿أَوْفِي﴾ مع كونه قال لهم هذه المقالة بعد تجهيزهم للدلالة على أن ذلك عادته المستمرة، ثم أخبرهم بما يزيدهم وثوقاً به وتصديقاً لقوله، فقال: ﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ لمن نزل بي؛ أي: والحال أني خير المضيفين وأفضلهم لمن استضافه كما فعلته بكم من حسن الضيافة وحسن الإنزال. قال الزجاج: قال يوسف عليه السلام: ﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾؛ لأنه حين أنزلهم أحسن ضيافتهم، ولم يقل ذلك يوسف على طريق الامتنان، بل لحثهم على تحقيق ما أمرهم به. والمعنى: وأنا مع إيفاء الكيل خير المكرمين لضيوفه، وقد أحسنت ضيافتكم وجهزتكم بالزاد الكافي لكم مدة سفركم، فلا تنسوا ما أمرتكم به من الإتيان بأخيكم. ثم توعدهم إن لم يأتوه به، فقال: ﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ﴾؛ أي: بأخيكم من أبيكم إذا رجعت مرة أخرى ﴿فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي﴾؛ أي: فلا طعام يكال لكم عندي؛ أي: فلا أبيعكم شيئاً من الطعام فيما بعد، وأما في الحال.. فقد أوفاهم كيلهم ﴿وَلَا تَقْرَبُون﴾؛ أي: ولا تقربوا بلادي ولا تدخلوها فضلاً من الإحسان إليكم في الإنزال والضيافة. يعني<sup>(١)</sup>: ولا ترجعوا ولا تقربوا بلادي، وهذا هو نهاية التخويف والترهيب؛ لأنهم كانوا محتاجين إلى تحصيل الطعام، ولا يمكنهم تحصيله إلا من عنده، فإذا منعهم من العود.. كان قد ضيق عليهم.

وقيل معناه<sup>(٢)</sup>: لا أنزلكم عندي كما أنزلتكم هذه المرة، ولم يرد أنهم لا يقربون بلاده. و﴿تَقْرَبُونَ﴾: مجزوم: إما على أن ﴿لَا﴾ ناهية، أو على أنها نافية، وهو معطوف على محل الجزاء داخل في حكمه كأنه قال: فإن لم تأتوني تحرموا، ولا تقربوا، فلما سمعوا منه ذلك وعدوه بما طلبه منهم ﴿قَالُوا سَرَّوْذُ

(١) الشوكاني.

(٢) روح البيان.

عَنهُ أَبَاهُ؛ أي: سنطلبه من أبيه، ونحتال على أن ننتزعه من يده، ونجتهد في ذلك بما نقدر عليه. وقيل معنى المراودة هنا: المخادعة منهم لأبيهم والاحتيال عليه حتى ينتزعه منه؛ أي: سنخادعه عنه ونحتال في انتزاعه من يده، ونجتهد في ذلك. وفيه تنبيه على عزة المطلب وصعوبة مناله ﴿وَإِنَّا لَفَعَلُونَ﴾ ما أمرتنا به غير مفرطين ولا متوانين فيه من أن نجيثك بأخينا، فإنهم كانوا محتاجين إلى تحصيل الطعام، ولا يمكن إلا من عنده. وعبروا<sup>(١)</sup> بما يدل على الحال تنبيهاً على تحقق وقوعه، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَأُوغُوا﴾. وقيل معناه: وإنا لقادرون على ذلك لا نتعاني به ولا نتعاضمه.

﴿وَقَالَ﴾ يوسف ﴿لِفَتْيَانِهِ﴾؛ أي: لغلمايه الكياليين؛ أي: الموكلين على خدمة الكيل، جمع فتى؛ وهو المملوك شاباً كان أو شيخاً ﴿أَجْعَلُوا بِضَعْتَهُمُ﴾ التي اشتروا بها الطعام وكانت نعلاً وجلوداً ﴿فِي رِحَالِهِمْ﴾؛ أي: في أمتعتهم من حيث لا يشعرون؛ أي: دسوها في جواليقهم وذلك بعد أخذها وقبولها، وإعطاء بدلها من الطعام، ووكل بكل رَحْلٍ واحداً من غلمايه يدس فيه البضاعة التي اشتري بها الطعام الذي في هذا الرحل. والمراد<sup>(٢)</sup> بالبضاعة هنا: هي التي وصلوا بها من بلادهم ليشتروا بها الطعام، وكانت نعلاً وأدماً، فعل يوسف ذلك تفضلاً عليهم. وقيل: فعل ذلك ليرجعوا إليه مرة أخرى؛ لعلمه أنهم لا يقبلون الطعام إلا بثلثين. قاله الفراء. وقيل: فعل ذلك ليستعينوا بها على الرجوع إليه لشراء الطعام. وقيل: إنه استقبح أن يأخذ من أبيه وإخوته ثمن الطعام.

وقرأ الأخوان<sup>(٣)</sup> - حمزة والكسائي - وحفص عن عاصم وخلف العاشر: ﴿لِفَتْيَانِهِ﴾ - بالنون - واختار هذه القراءة أبو عبيد، ومثل هذه القراءة في مصحف عبد الله بن مسعود، وقرأ باقي العشرة وشعبة عن عاصم: ﴿لِفَتْيَانِهِ﴾ واختار هذه القراءة أبو حاتم والنحاس وغيرهما. قال النحاس ﴿لِفَتْيَانِهِ﴾ مخالف للسواد الأعظم ولا يترك السواد المجمع عليه لهذا الإسناد المنقطع، وأيضاً فإن فتية أشبه

(٣) الشوكاني.

(١) الشوكاني.

(٢) زاد المسير والبحر المحيط.

من فتیان؛ لأن فتية عند العرب لأقل العدد، وأمر القليل بأن يجعلوا البضاعة في الرحال أشبه. قال الزجاج: الفتية والفتيان في هذا الموضع المماليك. وقال الثعلبي: هما لغتان جيدتان مثل الصبيان والصبية.

قلت: وكلتا القراءتين متواترتان ولا انقطاع في إسناد إحداهما. والجملة مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر كأنه: فما قال يوسف بعد وعدهم له بذلك؟ فأجيب بأنه قال لفتيانه. قال أبو حيان: فالكثرة على مراعاة المأمورين، والقلة على مراعاة المتأولين، فهم الخدمة الكائلون أمرهم بجعل المال الذي اشتروا به الطعام في رحالهم مبالغة في استمالتهم إليه. ثم علل يوسف عليه السلام ما أمر به من جعل البضاعة في رحالهم بقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا﴾؛ أي: البضاعة ﴿إِذَا أَنْفَلَبُوا﴾ ورجعوا ﴿إِلَىٰ أَهْلِهِمْ﴾؛ أي: دسوا بضاعتهم ودرامهم التي اشتروا بها الطعام في أوعيتهم التي يحملون فيها الطعام؛ لكي يعرفوا بضاعتهم إذا رجعوا إلى أبيهم؛ أي: لكي يعرفوا لنا حق إكرامهم بإعادتها إليهم، وجعل ما أعطيناهم من الغلة مجاناً بلا ثمن إذا هم رجعوا إلى أهلهم، وفتحوا متاعهم فوجودها فيه.

فجعل<sup>(١)</sup> علة جعل البضاعة في الرحال هي معرفتهم لها إذا انقلبوا إلى أهلهم، وذلك لأنهم لا يعلمون برد البضاعة إليهم إلا عند تفرغ الأوعية التي جعلوا فيها الطعام، وهم لا يفرغونها إلا عند الوصول إلى أهلهم. ثم علل معرفتهم للبضاعة المردودة إليهم المجعولة في رحالهم بقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إلينا طمعاً في برنا، فإن العوز إلى القوت من أقوى الدواعي إلى الرجوع، فإنهم إذا عرفوا ذلك، وعلموا أنهم أخذوا الطعام بلا ثمن وأن ما دفعوه عوضاً عنه قد رجع إليهم، وتفضل به من وصلوا إليه عليهم. . نشطوا إلى العود إليه ولا سيما مع ما هم فيه من الجذب الشديد، والحاجة إلى الطعام، وعدم وجوده لديهم، فإن ذلك من أعظم ما يدعوهم إلى الرجوع، وبهذا يظهر أن يوسف عليه السلام لم يرد البضاعة إليهم إلا لهذا المقصد، وهو رجوعهم إليه، فلا يتم تعليل ردها بغير ذلك، والله أعلم.

(١) المراغي.

﴿فَلَمَّا رَجَعُوا﴾؛ أي: فلما رجع إخوة يوسف غير شمعون من مصر ﴿إِلَىٰ أَبِيهِمْ﴾ في كنعان ﴿قَالُوا﴾ لأبيهم قبل أن يشتغلوا بفتح المتاع: ﴿يَا أَبَانَا﴾ إنا قدمنا على خير رجل، أنزلنا وأكرمنا كرامة عظيمة، لو كان رجلاً من أولاد يعقوب ما أكرمنا كرامته، فقال لهم يعقوب عليه السلام: إذا رجعتم إلى ملك مصر فاقروا عليه مني السلام، وقولوا له: إن أبانا يصلي عليك، ويدعو لك بما أوليتنا، ثم قال لهم: أين شمعون؟ قالوا: ارتهنه ملك مصر عنده، وأخبروه بالقصة، ثم قالوا: يا أبانا ﴿مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾؛ أي: ميرة الطعام وكيله من مصر؛ أي: حكم ملك مصر بأنه سيمنع منا الكيل والميرة في المستقبل بعد هذه المرة إن لم نذهب إليه معنا بأخينا بنيامين، وهو إشارة إلى قول يوسف: ﴿فَإِن لَّرَّا تَأْتُونِي بِهِ، فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرُبُونِ﴾ (١٠). والمراد بالكيل هنا: الطعام لأنه يكال، وفي هذه الجملة دلالة على أن الامتياز مرة بعد مرة معهود فيما بينهم وبينه عليه السلام. ثم ذكروا له ما أمرهم به، فقالوا: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا﴾ بنيامين إلى مصر. وفيه إيذان بأن مدار المنع عدم كونه معهم إن أرسلته معنا ﴿نَكْتَلُ﴾ بسببه، ونأخذ من الطعام ما نحتاج إليه بقدر عددنا، ونكون قد وفينا له ما شرط علينا، والعرب تقول: كَلْتُ له الطعام، إذا أعطيته، واكتلت منه وعليه، إذا أخذت منه، أو توليت الكيل بنفسك ﴿وَإِنَّا لَلْذُرِّيَّةُ﴾؛ أي: لأخينا بنيامين ﴿لَحَافِظُونَ﴾ في ذهابه وإيابه من أن يصيبه سوء أو مكروه، ضامنون برده إليك، وكأنهم<sup>(١)</sup> كانوا يعتقدون أن أباهم لا بد أن يرفض إجابتهم خوفاً عليه من أن يحدث مثل ما حدث ليوسف عليه السلام بدافع الحسد من قبل، فكان جوابه لهم ما حكى الله سبحانه عنه بقوله: ﴿هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمَنْتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ﴾.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر<sup>(٢)</sup>: ﴿نَكْتَلُ﴾ - بالنون -؛ أي: إن أرسلته معنا اكتلنا نحن، وإلا فقد منع منا الكيل. وقرأ حمزة والكسائي وخلف العاشر: ﴿يكتل﴾ - بالياء -؛ أي: إن أرسلته معنا يكتل أخونا

(١) زاد المسير.

(٢) الشوكاني.



بنيامين، وإلا فقد منع منه الكيل. واختار<sup>(١)</sup> أبو عبيد القراءة الأولى، قال: ليكونوا كلهم داخلين فيمن يكتال، وزعم أنه إذا كان بالياء كان للأخ وحده؛ أي: يكتال أخونا بنيامين لنفسه مع اكتيالنا. وجملة قوله: ﴿قَالَ﴾ يعقوب: ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ﴾ مستأنفة في جواب سؤال مقدر، والاستفهام فيه إنكاري، بمعنى النفي، والكاف في قوله: ﴿إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ﴾: نعت مصدر محذوف، وآمن: فعل مضارع، والأمن والائتمان بمعنى واحد، والاستفهام فيه إنكاري؛ أي: <sup>(٢)</sup> قال لهم يعقوب عليه السلام: كيف آمنكم على بنيامين، وقد فعلتم بأخيه يوسف ما فعلتم، وأنكم ذكرتم مثل هذا الكلام بعينه في يوسف، وضمنتم لي حفظه، فما فعلتم، فإذا لم يحصل الأمن والحفظ هناك، فكيف يحصل ههنا؟ فأنتم لا يوثق لكم بوعد، ولا يطمأن منكم إلى عهد، فما أشبه الليلة بالبارحة.

والمعنى<sup>(٣)</sup>: ما آمنكم على بنيامين إلا أمناً كأمني إياكم على أخيه يوسف من قبل بنيامين، وقد قلتم في حقه ما قلتم، ثم فعلتم به ما فعلتم، فلا أثق بكم ولا بحفظكم، وإنما أفوض الأمر إلى الله سبحانه وتعالى. وقوله: ﴿فَاللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى ﴿خَيْرٌ﴾ مني ومنكم من جهة كونه ﴿حَفِظًا﴾ لبنيامين مرتب على محذوف تقديره: فتوكل يعقوب على الله ودفعه إليهم، فقال: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا﴾ ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه وتعالى ﴿أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ من أهل السموات والأرضين، فأرجو أن يرحمني بحفظه، ولا يجمع علي مصيبتين، وهذا كما ترى ميل منه إلى الإذن والإرسال؛ لما رأى فيه من المصلحة وشدة الحاجة إلى ذلك؛ ولأنه لم ير فيما بينهم وبين بنيامين من الحقد والحسد مثل ما شاهد بينهم وبين يوسف. وفيه من التوكل على الله ما لا خفاء فيه. قال كعب: لما قال يعقوب: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا﴾ قال الله تعالى: وعزتي لأردن عليك كليهما بعدما توكلت علي، فينبغي أن يتوكل على الله، ويعتمد على حفظه دون حفظ ما سواه، فإن ما سواه محتاج في حفظه إلى الأسباب والآلات، والله تعالى غني بالذات مستغن من الوسائط في كل الأمور،

(٣) زاد المسير.

(١) المراح.

(٢) روح البيان.

وفي جميع الحالات، ولذا حفظ يوسف في الجبّ.

ومعنى الآية: أن حفظ الله تعالى إياه خير من حفظهم له لما وكل يعقوب حفظه إلى الله سبحانه حفظه وأرجعه إليه، ولما قال في يوسف: ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّبَابُ﴾... وقع له من الامتحان ما وقع. وقرأ<sup>(١)</sup> ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر عن عاصم: ﴿حَفِظًا﴾ والمعنى: خير حفظاً من حفظكم. وقرأ حمزة الكسائي، وحفص عن عاصم وخلف العاشر: ﴿خَيْرُ حَفِظًا﴾ - بألف.. وقرأ الأعمش شذوذاً: ﴿خير حافظ﴾ على الإضافة؛ أي: فالله تعالى متصف بالحفظ وزيادته على كل حافظ. وقرأ أبو هريرة: ﴿خير الحافظين﴾، كذا نقل الزمخشري، وهي رواية شاذة. وقال ابن عطية وقرأ ابن مسعود: ﴿فالله خير حافظاً وهو خير الحافظين﴾، وهي رواية شاذة أيضاً.

﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَنَعَهُمْ﴾؛ أي: أوعيتهم التي وضعوا فيها الميرة بحضرة أبيهم ﴿وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ﴾؛ أي: ثمن الميرة الذي دفعوه ليوسف ﴿رُدَّتْ إِلَيْهِمْ﴾ تفضلاً وإحساناً من يوسف عليه السلام؛ والمعنى: ولما فتحوا أوعية طعامهم وجدوا فيها ما كان أعطوه من بضاعة ونقدٍ ثمناً لما اشتروه من الطعام؛ إذ أن يوسف أمر فتياناً أن يضعوها في رحالهم، وهم لا يعلمون ذلك.

وجملة قوله: ﴿قَالُوا﴾ لأبيهم مستأنفة<sup>(٢)</sup> في سؤال مقدر كأنه قيل: ماذا قالوا حينئذٍ؟ فقيل: قالوا لأبيهم - ولعله كان حاضراً عند الفتح كما في «الإرشاد»، ويؤيده ما في القصص من أن يعقوب عليه السلام قال لهم: يا بني قدموا أحمالكم لأدعو لكم فيها بالبركة، فقدموا أحمالهم، وفتحوها بين يديه، فرأوا بضاعتهم في رؤوس أحمالهم، فقالوا عند ذلك - ﴿يَتَأَبَّأْنَا مَا نُبَغِي﴾؛ أي: أي شيء نطلب وراء ما وصفنا لك من إحسان الملك إلينا وكرمه الذي يوجب علينا امثال أمره ومراجعته في الحوائج، وقد كانوا حدثوا أباهم بذلك على ما روي أنهم قالوا له: إنا قدمنا على خير رجل، وقد أنزلنا خير منزل وأكرم

(١) روح البيان.

(٢) البحر المحيط.

وفادتنا، ولو كان رجلاً من آل يعقوب ما أكرمنا كرامته، ثم أكدوا صدق كلامهم بقولهم: ﴿هَذِهِ﴾ الموجودة في الأوعية ﴿يَضَعُنَا﴾؛ أي: ثمن ميرتنا حالة كونها ﴿رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾؛ أي: حالة كونها مردودة إلينا تفضلاً من حيث لا ندرى بعدما من علينا بالمنن العظام، هل من مزيد على هذا فنطلبه؟ أرادوا الاكتفاء به في استيجاب الامتثال لأمره، والالتجاء إليه في استجلاب المزيد، فكل ما جئنا به على غلائه وعظم قيمته هو هبة منه وتفضل منه علينا. وقرأ<sup>(١)</sup> علقمة ويحيى بن وثاب والأعمش: ﴿ردت﴾ - بكسر الراء - نقل حركة الدال المدغمة إلى الراء بعد توهم خلوها من الضمة، وهي لغة لبني ضبة كما نقلت العرب في قيل وبيع. وقرأ عبد الله وأبو حيوة: ﴿ما تبغي﴾ - بالتاء - على خطاب يعقوب، وروتها عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ، وهي رواية شاذة وليست بمتواترة، ويحتمل ما في هذه القراءة الاستفهام والنفي كقراءة النون.

﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾؛ أي: ونأتي بالطعام إلى أهلنا ونجلبه لهم برجعونا إلى ذلك الملك بتلك البضاعة، وهذا معطوف على محذوف، والتقدير: فنستعين بهذه البضاعة ونمير أهلنا برجعونا إليه. يقال: مار أهله يميهم ميراً إذا أتاهم بالميرة؛ وهي الطعام المجلوب من بلد إلى بلد، ومثله امتار. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي في رواية شاذة عنه: ﴿ونمير﴾ - بضم النون - من أمار الرباعي. ﴿وَتَحْفَظُ أَخَانَا﴾ بنيامين في الذهب والإياب من الجوع والعطش وسائر المكاره ﴿وَنَزْدَادُ﴾ بسبب إرساله معنا ﴿كَيْلَ بَعِيرٍ﴾؛ أي: حمل بغير زائد على ما جئنا به هذه المرة يكال لنا لأجل أخينا؛ لأنه كان يعطي باسم كل رجل حمل بغير اقتصاداً وعدلاً بين الناس، وكأنه قيل: أي حاجة إلى الازدياد، فقيل: ﴿ذَلِكَ﴾؛ أي: ما يحمله بغيرنا ﴿كَيْلُ يَسِيرٍ﴾؛ أي: مكيل قليل لا يقوم بأودنا؛ أي: أي قوتنا، أو المعنى: ﴿ذَلِكَ﴾؛ أي: إن حمل البعير ﴿كَيْلُ يَسِيرٍ﴾؛ أي: كيل سهل لا عسر فيه على ذلك المحسن الجواد؛ أي: زيادة كيل بغير لأخينا يسهل على الملك، ولا يمتنع علينا من زيادته له؛ أي: لكونه يسيراً لا يتعاضمه ولا يضايقنا فيه،

(١) روح البيان.

واختار الزجاج هذا المعنى .

﴿قَالَ﴾ لهم أبوهم يعقوب ﴿لَنْ أُرْسِلَكُمْ﴾ ؛ أي : أحاكم بنيامين ، ولن أطلقه معكم إلى مصر بعد ما عاينت منكم ما عاينت ﴿حَتَّى تُؤْتُونَ﴾ ؛ أي : حتى تعطوني ﴿مَوْثِقًا﴾ ؛ أي : عهداً مؤكداً باليمين مأذوناً فيه ﴿مِنْ﴾ جهة ﴿اللَّهِ﴾ تعالى ؛ لأن توكيد العهود به مأذون فيه من جهته تعالى ، فهو إذن منه تعالى . وقوله : ﴿لَتَأْتُنِي بِهِ﴾ جواب القسم ، والاستثناء في قوله : ﴿إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ ؛ أي : إلا أن تغلبوا ، فلا تطيقوا ذلك ، أو إلا أن تهلكوا جميعاً من أعم الأوقات ، والمعنى : لن أرسله معكم حتى تحلفوا بالله تعالى لترجعن به ولتردنه إليّ في كل الأوقات إلا وقت الإحاطة بكم ، وكونهم<sup>(١)</sup> محاطاً بهم ؛ إما كناية عن كونهم مغلوبين مقهورين بحيث لا يقدرّون على الإتيان به البتة ، أو كناية عن هلاكهم وموتهم جميعاً ، وأصله من العدو ، فإن من أحاط به العدو يصير مغلوباً عاجزاً عن تنفيذ مراده ، أو هالكاً بالكلية ، ولقد صدقت هذه القصة المثل السائر وهو قولهم : البلاء موكل بالمنطق ، فإن يعقوب عليه السلام قال أولاً في حق يوسف عليه السلام : ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الدَّبَّ﴾ فابتلي من ناحية هذا القول حيث قالوا : ﴿أَكَلَهُ الدَّبُّ﴾ ، وقال هنا : ﴿لَتَأْتُنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ فابتلي أيضاً بذلك ، وأحيط بهم ، وغلبوا عليه كما سيأتي . وقوله ﴿فَلَمَّا آتَوْهُ﴾ ؛ أي : أعطوه ﴿مَوْثِقَهُمْ﴾ ؛ أي : عهدهم ويمينهم الذي طلبه منهم قبله حذف تقديره : فأجابوه إلى ما طلبه ، فلما آتوه موثقهم . . ﴿قَالَ﴾ يعقوب : ﴿اللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى ﴿عَلَى مَا نَقُولُ﴾ ؛ أي : على ما قلناه من طلبي الموثق منكم ، وإعطائكم لي ما طلبته منكم ﴿وَكَيْدٌ﴾ ؛ أي : مطلع رقيب لا يخفى عليه منه خافية ، فهو المعاقب لمن خان في عهده وفجر في الحلف به ، أو موكول إليه القيام بما شهد عليه منا .

ولما تجهز<sup>(٢)</sup> أولاد يعقوب للمسير إلى مصر . . خاف عليهم أبوهم أن تصيبهم العين لكونهم كانوا ذوي جمال ظاهر وثياب حسنة مع كونهم أولاد رجل

(٢) روح البيان .

(١) الشوكاني .

واحد ﴿وَقَالَ﴾ ناصحاً لهم: ﴿لَا تَدْخُلُوا﴾ مدينة مصر ﴿مِنْ بَابٍ وَجِدٍ﴾ من أبوابها الأربعة ﴿وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾؛ أي: مختلفة؛ أي: من طرق شتى وسكك مختلفة مخافة العين، فإن العين والسحر حق؛ أي: كائن أثرهما في المعين والمسحور، وصاهم بذلك في هذه الكرة؛ لأنهم كانوا ذوي جمال وهيئة حسنة مشتهرين في مصر بالقربة عند الملك، فخاف عليهم، إن دخلوا جماعة واحدة أن يصابوا بالعين، ولم يوصهم في الكرة الأولى؛ لأنهم كانوا مجهولين حينئذٍ مغمورين بين الناس غير متجملين تجملهم في الثانية، وكان الداعي إليها خوفه على بنيامين ﴿وَمَا أَغْنَى﴾؛ أي: وما أَدفع ﴿عَنْكُمْ﴾ بتدييري ﴿مِنْ﴾ قضاء ﴿اللَّهِ﴾ تعالى وتدييره ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾؛ أي: شيئاً ف﴿مِنْ﴾ زائدة لتأكيد النفي، فإن الحذر لا يمنع القدر.

ولم يرد به إلغاء الحذر بالمرة<sup>(١)</sup>، كيف لا وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ وقال: ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ بل أراد بيان أن ما وصاهم به ليس مما يستوجب المراد لا محالة، بل هو تدبير في الجملة، وإنما التأثير وترتب المنفعة عليه من العزيز القدير، وإن ذلك ليس بمدافعة للقدر، بل هو استعانة بالله تعالى وهرب منه إليه.

وإنما قال: ﴿مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾<sup>(٢)</sup> لأنهم لو دخلوا من بابين مثلاً.. كانوا قد امثلوا النهي عن الدخول من باب واحد، ولكنه لما كان في الدخول من بابين مثلاً نوع اجتماع يخشى معه أن تصيبهم العين.. أمرهم بأن يدخلوا من أبواب متفرقة.

والمعنى: ولا أَدفع عنكم ولا أجلب إليكم نفعاً بتدييري هذا، بل ما قضاه الله عليكم فهو واقع لا محالة. قال الزجاج وابن الأنباري: لو سبق في علم الله أن العين تهلكتهم مع الاجتماع.. لكان تفرقهم كاجتماعهم. وقال آخرون: ما كان يغني عنهم يعقوب شيئاً قط حيث أصابهم ما أصابهم مع تفرقهم من إضافة السرقة إليهم.

(٢) الشوكاني.

(١) روح البيان.

وقد اختلف العلماء فيمن عرف بالإصابة بالعين، فقال قوم: يمنع من الاتصال بالناس دفعاً لضرره بحبس أو غيره من لزوم بيته. وقيل: ينفي، وأبعد من قال إنه يقتل إلا إذا كان يتعمد ذلك، وتتوقف إصابته على اختياره وقصده ولم ينزجر عن ذلك، فإنه إذا قتل كان له حكم القاتل.

ثم صرّح يعقوب عليه السلام بأنه لا حكم إلا لله سبحانه وتعالى، فقال: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ﴾؛ أي: ما الحكم مطلقاً ﴿إِلَّا لِلَّهِ﴾ سبحانه وتعالى لا لغيره، ولا يشاركه أحد ولا يمانعه شيء، فلا يحكم أحد سواه بشيء من السوء وغيره ﴿عَلَيْهِ﴾ سبحانه وتعالى لا على غيره ﴿تَوَكَّلْ﴾؛ أي: اعتمدت في كل ما آتي وأذر. وفي هذا<sup>(١)</sup> إيماء إلى أن الأخذ في الأسباب ومراعاة اتباعها لا ينافي التوكل. وقد جاء في الخبر: «اعقلها وتوكل».

﴿وَعَلَيْهِ﴾ سبحانه وتعالى دون أحد سواه ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ على العموم، لا على أمثالهم من المخلوقين، ولا على أنفسهم، ويدخل فيه أولاده دخولاً أولياً؛ أي: فليثق الواثقون. والفاء<sup>(٢)</sup> فيه لإفادة التسبب، فإن فعل الأنبياء سبب لأن يقتدى بهم. وقال البيضاوي: جمع<sup>(٣)</sup> بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص كأن الواو للعطف والفاء لإفادة التسبب فإن فعل الأنبياء سبب لأن يقتدى بهم، انتهى. فعلى كل مؤمن أن يتخذ لكل أمر يقدم على عمله العدة، ويهيئ من الأسباب ما يوصل إليه على قدر طاقته، ثم بعد ذلك يكل أمر النجاح فيه إلى الله تعالى، ويطلب منه التوفيق والمعونة في إنجازه، فقد يكون من الأسباب ما يخفى عليه، أو ما لا تصل إليه يده.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا﴾؛ أي: ولما دخل أخوة يوسف المدينة ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ آبَاؤُهُمْ﴾؛ أي: من المكان الذي أمرهم أبوهم الدخول منه، وهي الأبواب المتفرقة، والجار<sup>(٤)</sup> والمجرور في موضع الحال؛ أي: دخلوا متفرقين ﴿مَا كَانَتْ﴾

(٣) البيضاوي.

(١) المراغي.

(٤) روح البيان.

(٢) روح البيان.

رأي يعقوب ودخولهم متفرقين ﴿يُعْنِي عَنْهُمْ﴾؛ أي: يدفع عنهم ﴿مِنْ أَلَلِهِ﴾؛ أي: من جهته تعالى ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾؛ أي: شيئاً مما قضاه الله تعالى عليهم، والجملة جواب لـ ﴿مَا﴾ فقد<sup>(١)</sup> وقع عليهم قضاء الله تعالى حيث نسبوا إلى السرقة، وأخذ منهم بنيامين، وتضاعفت المصيبة على يعقوب عليه السلام. ﴿إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضْنَهَا﴾؛ أي: لكن<sup>(٢)</sup> الدخول على صفة التفرق أظهر حاجة في قلب يعقوب عليه السلام، وهي خوفه عليهم من إصابة العين، وهذا تصديق الله تعالى لقول يعقوب: ﴿وَمَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ مَرْكَ أَلَلِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾.

ولفظة ﴿حَاجَةً﴾ منصوبة<sup>(٣)</sup> بإلا؛ لكونها بمعنى لكن، و﴿قَضْنَهَا﴾ بمعنى: أظهرها، ووصى بها خبير لكن، والمعنى: إن رأي يعقوب عليه السلام في حق بنيه، وهو أن يدخلوا من الأبواب المتفرقة، واتباع بنيه له في ذلك الرأي ما كان يدفع عنهم شيئاً مما قضاه الله تعالى عليهم، ولكن يعقوب عليه السلام أظهر بذلك الرأي ما في نفسه من الشفقة والاحتراس من أن يعانوا؛ أي: يصابوا بالعين، ووصى به؛ أي: لم يكن للتدبير فائدة سوى دفع الخاطر من غير اعتقاد أن للتدبير تأثيراً في تغيير التقدير، وأما إصابة العين، فإنما لم تقع لكونها غير مقدرة عليهم، لا لأنها اندفعت بذلك مع كونها مقضية عليهم. وعبارة «الجمل» هنا: وتقرير انقطاع الاستثناء أن المستثنى منه شيء قضاه الله وأراده، والمستثنى شيء لم يرده الله؛ وهو إصابة العين لهم، فهذا لم يرده الله، ولم يقضه؛ إذ لو أراد لوقع مع أنه لم يقع ولم يحصل، هذا تقرير الانقطاع. انتهت.

﴿وَإِنَّهُ﴾؛ أي: إن يعقوب عليه السلام ﴿لَدُوِّ عِلْمٍ﴾ جليل ﴿لَمَّا عَلَّمْنَاهُ﴾ بالوحي ونصب الأدلة، ولذلك قال: ﴿وَمَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ مَرْكَ أَلَلِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾؛ لأن العين لو قدر أن تصيبهم أصابتهم وهم متفرقون، كما تصيبهم وهم مجتمعون؛ أي: وإنه<sup>(٤)</sup> لدو علم خاص به وبأمثاله من الأنبياء لما أعطيناه من علم الوحي،

(٣) روح البيان.

(١) الفتوحات.

(٤) المراغي.

(٢) المراح.

وتأويل الرؤيا الصادقة، واعتقاده أن الإنسان يجب عليه في كل أمر يحاوله أن يتخذ له من الأسباب ما يصل به إلى غرضه، ويبلغ به إلى غايته، ثم يتوكل بعد ذلك على الله في تسخير ما لم يصل إليه علمه مما لا تتم المقاصد بدونه.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أسرار القدر، ويزعمون أن الحذر يغني عن القدر، أو المعنى: ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الواجب الجمع بين أخذ العدة والسعي في تحقيق الأسباب الصحيحة الموصلة إلى المراد، وبين الاتكال على الله؛ وهو ما فعله يعقوب عليه السلام، ولا يكفي تحقق الأسباب وحدها للحصول عليه، أو المعنى: ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن يعقوب عليه السلام بهذه الصفة والعلم، أو لا يعلمون ما كان يعلم يعقوب؛ لأنهم لم يسلكوا طريق إصابة العلم. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لا يعلم المشركون ما ألهم الله أوليائه. وقرأ الأعمش شاذاً: ﴿مما علمناه﴾ ذكره أبو حيان.

## الإعراب

﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَجَعَهُ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿وَمَا﴾ (و): حالية. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿أُبْرِئُ نَفْسِي﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على زليخا كما هو الراجح، أو على يوسف، والجملة في محل نصب حال من فاعل القول المحذوف تقديره: قلت ذلك الاعتراف ليعلم يوسف أنني لم أخنه بالغيب حالة كوني غير مبرئة نفسي من السوء. ﴿إِنَّ﴾: حرف نصب. ﴿النَّفْسَ﴾: اسمها. ﴿لَأَمَّارَةٌ﴾: (اللام): حرف ابتداء. ﴿أَمَّارَةٌ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿بِالسُّوءِ﴾: متعلق به، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل النفي المذكور قبلها. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿مَا﴾: اسم موصول بمعنى نفساً في محل نصب على الاستثناء. ﴿رَجَعَهُ رَبِّي﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول، والعائد محذوف تقديره: إلا نفساً رحمها ربي بالعصمة كيوسف عليه السلام. ﴿إِنَّ رَبِّي﴾: ناصب واسمه. ﴿غَفُورٌ﴾: خبر أول لـ ﴿إِنَّ﴾. ﴿رَحِيمٌ﴾: خبر ثان لها، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْمِنُ بِدِيءِ اسْتِخْلَاصِهِ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾.



﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿أَتَتْوِي بِهِ﴾: مستأنفة  
 لِنَفْسِي﴾: مقول محكي لـ ﴿قَالَ﴾. وإن شئت قلت: ﴿أَتَتْوِي﴾: فعل وفاعل ونون  
 وقاية ومفعول به. ﴿بِهِ﴾ متعلق به والجملة في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾.  
 ﴿أَسْتَخْلِصُهُ﴾: فعل ومفعول مجزوم بالطلب السابق. ﴿لِنَفْسِي﴾: متعلق به، وفاعله  
 ضمير يعود على ﴿الْمَلِكُ﴾، والجملة في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿فَلَمَّا﴾:  
 (الفاء): عاطفة على محذوف تقديره: فأتوه به فلما كلمه. ﴿لَمَّا﴾: حرف شرط  
 غير جازم. ﴿كَلَّمَهُ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على ﴿الْمَلِكُ﴾، والجملة  
 الفعلية فعل شرط لـ ﴿لَمَّا﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على  
 ﴿الْمَلِكُ﴾، والجملة الفعلية جواب ﴿لَمَّا﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿لَمَّا﴾  
 معطوفة على تلك الجملة المحذوفة. ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ﴾: إلى آخر الآية مقول محكي، وإن  
 شئت قلت: ﴿إِنَّكَ﴾: ناصب واسمه. ﴿الْيَوْمَ﴾: منصوب على الظرفية الزمانية  
 تنازع فيه كل من ﴿مَكِينٌ أَمِينٌ﴾. ﴿لَدَيْنَا﴾: في محل نصب على الظرفية المكانية  
 مضاف إلى الضمير تنازع فيه أيضاً كل من الاسمين. ﴿مَكِينٌ﴾: خبر أول  
 لـ ﴿إِنَّ﴾. ﴿أَمِينٌ﴾: خبر ثان لها، وجملة ﴿إِنَّ﴾: في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾.

﴿قَالَ أَجْعَلُنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على يوسف، والجملة مستأنفة.  
 ﴿أَجْعَلُنِي﴾: إلى آخر الآية مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿أَجْعَلُنِي﴾: فعل ومفعول  
 أول ونون وقاية، وفاعله ضمير يعود على ﴿الْمَلِكُ﴾، والجملة في محل نصب  
 مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بالمفعول  
 الثاني المحذوف لـ ﴿جعل﴾ تقديره: اجعلني والياً على خزائن الأرض، أو متعلق  
 بـ ﴿أَجْعَلُنِي﴾ على تضمينه معنى ولني. ﴿إِنِّي﴾: ناصب واسمه. ﴿حَفِيظٌ عَلَيْهَا﴾:  
 خبران له.

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ  
 وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ (الواو): استثنائية. ﴿كذلك﴾: صفة لمصدر محذوف معمول

لـ ﴿مَكَّنَّا﴾ تقديره: ومكنا ليوسف في الأرض تمكيناً مثل التمكين الذي ذكرناه من إخراجه من السجن وتقريبه إلى الملك. ﴿لِيُؤَسِّفَ﴾: متعلق بـ ﴿مَكَّنَّا﴾. وكذلك يتعلق به ﴿فِي الْأَرْضِ﴾. وفي «الفتوحات» قوله: ﴿لِيُؤَسِّفَ﴾ يجوز في هذه اللام أن تكون متعلقة بـ ﴿مَكَّنَّا﴾ على أن يكون مفعول ﴿مَكَّنَّا﴾ محذوفاً تقديره: مكنا ليوسف الأمور، أو على أن يكون المفعول به ﴿حَيْثُ﴾ كما سيأتي، ويجوز أن تكون زائدة عند من يرى ذلك. ا هـ. «سمين». ﴿يَتَّبِعُوا﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿يُؤَسِّفَ﴾. ﴿مِنْهَا﴾: متعلق به، والجملة الفعلية في محل نصب حال من ﴿يُؤَسِّفَ﴾، وفي «الخازن»: إن هذه الجملة في المعنى تفسير للتمكين. ﴿حَيْثُ﴾: في محل نصب على الظرفية المكانية متعلق بـ ﴿يَتَّبِعُوا﴾. ﴿يَشَاءُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿يُؤَسِّفَ﴾، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ ﴿حَيْثُ﴾. وفي «السمين» قوله: ﴿يَتَّبِعُوا﴾ هذه جملة حالية من ﴿يُؤَسِّفَ﴾، ومنها يجوز أن يتعلق بـ ﴿يَتَّبِعُوا﴾، وأجاز أبو البقاء أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من ﴿حَيْثُ﴾، و﴿حَيْثُ﴾ يجوز أن يكون ظرفاً بـ ﴿يَتَّبِعُوا﴾، ويجوز أن يكون مفعولاً به. ا هـ. ﴿نُصِيبُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على الله. ﴿بِرَحْمَتِنَا﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق به، والجملة مستأنفة. ﴿مَنْ﴾: اسم موصول في محل نصب مفعول به. ﴿نَشَاءُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة صلة ﴿مَنْ﴾ الموصولة، والعائد محذوف تقديره: من نشاء. ﴿وَلَا﴾: (الواو): عاطفة. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿نُضِيعُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة معطوفة على جملة ﴿نُصِيبُ﴾. ﴿أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾: مفعول به ومضاف إليه.

﴿وَلَا جُرْ الْآخِرَةَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَاءَ إِخْوَةَ يُوسُفَ فَدَحَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

﴿وَلَا جُرْ﴾ (الواو): استئنافية. (اللام): موطئة للقسم. ﴿أَجْرَ الْآخِرَةِ﴾: مبتدأ ومضاف إليه. ﴿خَيْرٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية جواب القسم لا محل لها من الإعراب. ﴿لِلَّذِينَ﴾: جار ومجرور متعلق بـ ﴿خَيْرٌ﴾. ﴿ءَامَنُوا﴾: فعل

وفاعل صلة الموصول. ﴿وَكَاثُرًا﴾: فعل ناقص واسمه، وجملة ﴿يَتَفَوَّنُ﴾ خبره، وجملة ﴿كَانَ﴾ معطوفة على جملة الصلة. ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾: فعل وفاعل ومضاف إليه، والجملة مستأنفة استثنافاً نحوياً. ﴿فَدَخَلُوا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿جاء﴾. ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلق بـ﴿دخل﴾. ﴿فَعَرَفَهُمْ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على ﴿يُوسُفَ﴾، والجملة معطوفة على جملة ﴿دخلوا﴾؛ لأن العاطف هنا حرف مرتب. ﴿وَهُمْ﴾: مبتدأ. ﴿لَهُ﴾: متعلق بما بعده. ﴿مُنْكَرُونَ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب حال من مفعول ﴿عرف﴾ والتقدير: فعرّفهم يوسف حالة كونهم جاهلين له.

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِمَهَازِهِمْ قَالَ أَتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِّنْ أَيْكُمُ آلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ (٥٩).

﴿وَلَمَّا﴾ (الواو): استثنافية. ﴿لما﴾: حرف شرط. ﴿جَهَّزَهُم﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على ﴿يُوسُفَ﴾. ﴿بِمَهَازِهِمْ﴾: متعلق به. ﴿قَالَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعله ضمير يعود على ﴿يُوسُفَ﴾، والجملة الفعلية جواب ﴿لما﴾، وجملة ﴿لما﴾ مستأنفة. ﴿أَتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِّنْ أَيْكُمُ﴾: مقول محكي لـ﴿قَالَ﴾. وإن شئت قلت: ﴿أَتُونِي﴾: فعل وفاعل ومفعول ونون وقاية. ﴿بِأَخٍ﴾: متعلق به والجملة في محل النصب مقول قال. ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور صفة لـ﴿أَخٍ﴾. ﴿مِّنْ أَيْكُمُ﴾: جار ومجرور حال من الضمير المستكن في الجار والمجرور قبله، أو صفة ثانية لـ﴿أَخٍ﴾. ﴿آلا﴾: (الهمزة): للاستفهام التقريري. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿تَرَوْنَ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿أَنِّي﴾: ناصب واسمه. ﴿أُوْفِي الْكَيْلَ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على ﴿يُوسُفَ﴾، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿أَن﴾، وجملة ﴿أَن﴾ في تأويل مصدر ساد مسدّ مفعولي ﴿رَأَى﴾ إن كانت علمية، أو منصوب على المفعولية لـ﴿رَأَى﴾ إن كانت بصرية، تقديره: ألا ترون إيفائي الكيل. ﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ مبتدأ وخبر ومضاف إليه، والجملة الاسمية في محل النصب معطوفة على جملة ﴿أَن﴾ على كونها سادة مسدّ مفعول رأى.

﴿فَإِن لَّر تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾ (٦٠).

﴿فَإِنْ﴾ (الفاء): فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفتم ما قلت لكم، وأردتم بيان شأنكم إذا لم تأتونني به.. فأقول لكم ﴿إِنْ﴾ لم تأتونني به: ﴿إِنْ﴾: حرف شرط جازم. ﴿لَنْ﴾: حرف نفي وجزم. ﴿تَأْتُونِي﴾: فعل وفاعل ومفعول ونون وقاية مجزوم بـ﴿لَنْ﴾، وجزمه بحذف النون. ﴿بِهِ﴾: متعلق به، والجملة الفعلية في محل الجزم بـ﴿إِنْ﴾ الشرطية على كونها فعل شرط لها. ﴿فَلَا﴾: (الفاء): رابطة لجواب ﴿إِنْ﴾ الشرطية وجوباً. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿كَيْلٌ﴾: في محل نصب اسمها. ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور خبر ﴿لَا﴾ النافية، والجملة الإسمية في محل الجزم بـ﴿إِنْ﴾ الشرطية على كونها جواباً لها. ﴿وَلَا تَقْرُبُون﴾: جازم ومجزوم بحذف النون، وهذه النون نون الوقاية، وحذفت ياء المتكلم تخفيفاً، وجملة قوله: ﴿وَلَا تَقْرُبُون﴾ في محل الجزم معطوفة على جملة ﴿لَا﴾ النافية على كونها جواباً لـ﴿إِنْ﴾: الشرطية، وجملة ﴿إِنْ﴾ الشرطية في محل نصب مقول لجواب إذا المقدر، وجملة إذا المقدره مستأنفة استئنافاً بيانياً.

﴿قَالُوا سَرُّوْهُ عَنَّا أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾ (١١).

﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿سَرُّوْهُ عَنَّا...﴾ إلى آخر الآية: مقول محكي لـ﴿قَالُوا﴾، وإن شئت قلت: ﴿سَرُّوْهُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على إخوة يوسف. ﴿عَنَّا﴾: متعلق به. ﴿أَبَاهُ﴾: مفعول به، والجملة في محل نصب مقول ﴿قَالُوا﴾. ﴿وَإِنَّا﴾: ناصب واسمه. ﴿لَفَاعِلُونَ﴾ خبره، واللام: حرف ابتداء، والجملة الاسمية في محل نصب معطوفة على الجملة الفعلية على كونها مقولاً لـ﴿قَالُوا﴾.

﴿وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا يَضَعَنَّهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (١٢).

﴿وَقَالَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعله ضمير يعود على ﴿يُوسُفَ﴾. ﴿لِفَتْيَانِهِ﴾: جار ومجرور متعلق به، والجملة مستأنفة استئنافاً نحوياً. ﴿اجْعَلُوا يَضَعَنَّهُمْ﴾ إلى آخر الآية: مقول محكي لـ﴿قال﴾، وإن شئت قلت: ﴿اجْعَلُوا يَضَعَنَّهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول، وجعل هنا بمعنى دس فلا يتعدى إلا إلى مفعول واحد. ﴿فِي رِحَالِهِمْ﴾:

متعلق به، والجمله الفعلية في محل النصب مقول ﴿قال﴾. ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: ناصب واسمه. ﴿يَعْرِفُونَهَا﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجمله الفعلية في محل الرفع خبر ﴿لعل﴾، وجمله ﴿لعل﴾: في محل النصب مسوقة لتعليل ما قبلها على كونها مقول ﴿قال﴾. ﴿إذا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان مجرد عن معنى الشرط. ﴿انقلبوا﴾: فعل وفاعل. ﴿إِلَىٰ أَهْلِهِمْ﴾: متعلق به، والجمله الفعلية في محل الخفض بإضافة ﴿إذا﴾ إليها، والظرف متعلق بـ﴿انقلبوا﴾، والتقدير: لعلمهم يعرفونها وقت انقلابهم إلى أهلهم. ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: ناصب واسمه، وجمله ﴿يَرْجِعُونَ﴾ في محل الرفع خبر ﴿لعل﴾، وجمله ﴿لعل﴾ في محل النصب مقول ﴿قال﴾ مسوقة لتعليل ما قبلها؛ أي: ولعل معرفتهم ذلك تدعوهم إلى الرجوع كما في «البيضاوي».

﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَيْهَتِهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَنَعَ مِنَّا الْكَيْدُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُمْ لَحَافِظُونَ ﴿١٣﴾﴾.

﴿فَلَمَّا﴾: (الفاء): فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره، إذا عرفت ما قال يوسف لهم، وما عاهد عليهم من الإتيان بالأخ، وما قالوا له من مرادته من أبيه، وأردت بيان ما قالوا لأبيهم بعد ما رجعوا إلى بلادهم.. فأقول لك، ﴿لما رجعوا﴾، ﴿لما﴾: حرف شرط غير جازم. ﴿رَجَعُوا﴾: فعل وفاعل. ﴿إِلَىٰ أَيْهَتِهِمْ﴾ متعلق به، والجمله فعل شرط لـ﴿ما﴾. ﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل، والجمله جواب ﴿لما﴾ في محل النصب مقول الجواب إذا المقدرة. ﴿يَتَأَبَانَا﴾ إلى آخر الآية: مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿يَتَأَبَانَا﴾: منادى مضاف، وجمله النداء في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾. ﴿مُنِعَ﴾: فعل ماضٍ مغير الصيغة. ﴿مِنَّا﴾: متعلق به. ﴿الْكَيْدُ﴾: نائب فاعل، والجمله في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾ على كونها جواب النداء. ﴿فَأَرْسِلْ﴾ (الفاء): عاطفة تفرعية، ﴿أرسل﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على يعقوب. ﴿مَعَنَا﴾: متعلق به، أو حال من ﴿أَخَانَا﴾. ﴿أَخَانَا﴾: مفعول به، والجمله الفعلية معطوفة مفرعة على جملة قوله: ﴿مُنِعَ مِنَّا الْكَيْدُ﴾ على كونها مقولاً لـ﴿قَالُوا﴾. ﴿نَكْتَلْ﴾: فعل مضارع مجزوم بالطلب السابق، وفاعله ضمير يعود على إخوة يوسف، والجمله في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾. ﴿وَإِنَّا﴾: ناصب واسمه. ﴿لَهُمْ﴾: متعلق بما بعده. ﴿لَحَافِظُونَ﴾: خبره،

واللام حرف ابتداء، والجملة الاسمية في محل النصب معطوفة على جملة ﴿أرسل﴾ على كونها مقول ﴿قَالُوا﴾.

﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعله ضمير يعود على يعقوب، والجملة مستأنفة. ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ﴾ إلى آخر الآية: مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿هَلْ﴾: حرف الاستفهام الإنكاري. ﴿ءَامَنُكُمْ﴾: فعل مضارع ومفعول به، وفاعله ضمير يعود على يعقوب. ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلق به، والجملة الفعلية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿كَمَا﴾: (الكاف): حرف جر وتشبيه. ﴿مَا﴾: مصدرية. ﴿ءَامَنُكُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول. ﴿عَلَىٰ أَخِيهِ﴾: متعلق به. وكذا قوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾: متعلق به أيضاً. والجملة الفعلية صلة ﴿مَا﴾ المصدرية، ﴿مَا﴾ مع صلتها: في تأويل مصدر مجرور بالكاف تقديره: كأمني إياكم على أخيه من قبل، الجر والمجرور صفة لمصدر محذوف تقديره: هل آمنكم عليه إلا أمناً كائناً كأمني إياكم على أخيه من قبل. ﴿فَاللَّهُ﴾ (الفاء): عاطفة لقول محذوف على فعل محذوف تقديره: فتوكل يعقوب على الله، ودفعه إليهم، فقال الله خير حافظاً، ﴿الله خير﴾: مبتدأ وخبر. ﴿حَافِظًا﴾: حال من الضمير المستكن في ﴿خَيْرٌ﴾، أو تمييز منصوب باسم التفضيل، والجملة في محل النصب مقول لذلك القول المحذوف. ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة قوله: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ﴾ على كونها مقولاً لذلك القول المحذوف.

﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ وَجَدُوا يَضَعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا بَنِي آدَمَ مَا نَبغِي هَذِهِ يَضَعُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلُ يَسِيرٍ﴾.

﴿وَلَمَّا﴾ (الواو): استئنافية. ﴿لَمَّا﴾: حرف شرط. ﴿فَتَحُوا مَتْعَهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة فعل شرط لـ ﴿لَمَّا﴾. ﴿وَجَدُوا يَضَعَتَهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول أول لـ ﴿وجد﴾. ﴿رُدَّتْ﴾: فعل ماضي مغير الصيغة، ونائب فاعله ضمير يعود على البضاعة. ﴿إِلَيْهِمْ﴾: متعلق به، والجملة الفعلية في محل النصب

مفعول ثانٍ لـ ﴿وَجَدَ﴾ أو حال من البضاعة، وجملة ﴿وَجِدُوا﴾ جواب ﴿لَمَّا﴾، وجملة ﴿لَمَّا﴾ مستأنفة. ﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿يَتَأَبَّأْنَا﴾ إلى آخر الآية مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿يَتَأَبَّأْنَا﴾: منادى مضاف، وجملة النداء في محل نصب مقول ﴿قَالُوا﴾. ﴿مَا﴾: استفهامية في محل نصب مفعول مقدم وجوباً. ﴿تَبَغَّى﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على إخوة يوسف، والجملة الفعلية في محل نصب مقول ﴿قَالُوا﴾ على كونها جواب النداء. ﴿هَذِهِ بِضَعْنُنَا﴾: مبتدأ وخبر، والجملة مستأنفة موضحة لجملة قوله: ﴿مَا تَبَغَّى﴾. ﴿رُدَّتْ﴾: فعل ماضٍ مغير الصيغة، ونائب فاعله ضمير يعود على البضاعة. ﴿إِنِّي﴾: متعلق به، والجملة الفعلية في محل نصب حال من ﴿بِضَعْنُنَا﴾. ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على إخوة يوسف، والجملة في محل نصب معطوفة على جملة محذوفة تقديرها: نستعين بها ونمير أهلنا ذكره في «الفتوحات». ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على إخوة يوسف، والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على إخوة يوسف، والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿ذَلِكَ كَيْلٌ﴾: مبتدأ وخبر. ﴿يَسِيرٌ﴾: صفة ﴿كَيْلٌ﴾.

﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعله ضمير يعود على يعقوب، والجملة مستأنفة. ﴿لَنْ﴾: حرف نفي ونصب. ﴿أُرْسِلَهُ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على يعقوب، والجملة في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿مَعَكُمْ﴾: حال من مفعول ﴿أُرْسِلَهُ﴾. ﴿حَتَّى﴾: حرف جر وغاية. ﴿تُؤْتُونِ﴾: فعل وفاعل منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد حتى بمعنى إلى، وعلامة نصبه حذف النون: لأن أصله حتى تؤتوني، والنون المذكورة نون الوقاية، وياء المتكلم المحذوفة اجتزاءً عنها بكسرة نون الوقاية في محل نصب مفعول أول. ﴿مَوْثِقًا﴾: مفعول ثانٍ. ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ صفة لـ ﴿مَوْثِقًا﴾، والجملة الفعلية صلة أن المضمرة، أن مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بحتى بمعنى إلى تقديره: إلى إيتائكم إياي موثقاً من الله، والمجرور متعلق بـ ﴿أرسل﴾.

﴿لَأَتَنَّي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْتَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَيَّ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ .

﴿لَأَتَنَّي﴾: (اللام): موثقة للقسم. ﴿تأتني﴾: فعل مضارع مرفوع لتجرده عن الناصب والعجازم، وعلامة رفعه ثبات النون المحذوفة لتوالي الأمثال، والنون المشددة: نون التوكيد الثقيلة: حرف لا محل لها من الإعراب، والواو المحذوفة لالتقاء الساكنين: في محل الرفع فاعل، والنون الأخيرة: نون الوقاية، و(الياء): ضمير المتكلم: في محل النصب مفعول به مبني على السكون. ﴿به﴾: جار ومجرور متعلق به، والجملة الفعلية جواب القسم لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم مقول لقول محذوف تقديره: حتى تؤتون موثقاً من الله قائلاً: والله لتأتني به. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ من أعم الأحوال، أو من أعم العلل. ﴿أَنْ﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿يُحَاطُ﴾: فعل مضارع مغير، الصيغة منصوب بـ﴿أَنْ﴾. ﴿بِكُمْ﴾: جار ومجرور في محل الرفع نائب فاعل، والجملة الفعلية مع أن المصدرية في تأويل مصدر مجرور بإضافة المستثنى المحذوف تقديره: لتأتني به على كل حال إلا حال الإحاطة بكم، أو لا تمتنعون من الإتيان به لعله من العلل إلا العلة الإحاطة بكم. ﴿فَلَمَّا﴾: (الفاء): فاء الفصيحة؛ لأنها أفصح عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفت أنه أبي من الإرسال معهم حتى يؤتوه موثقاً من الله، وأردت بيان قوله وحاله بعد أخذ الميثاق منهم. فأقول لك: لما أتوه. ﴿لَمَّا﴾: حرف شرط غير جازم. ﴿آتَوْهُ مَوْتَهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعولان؛ لأن أتى هنا بمعنى أعطى يتعدى إلى مفعولين، والجملة شرط لـ﴿لَمَّا﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعله ضمير يعود على يعقوب، والجملة جواب ﴿لَمَّا﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿لَمَّا﴾: في محل النصب مقول لجواب إذا المقدر. ﴿اللَّهُ عَلَيَّ مَا نَقُولُ﴾: مقول محكي لقال، وإن شئت قلت: ﴿اللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿عَلَيَّ مَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿وَكَيْلٌ﴾. ﴿نَقُولُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على يعقوب ومن معه، والجملة صلة لـ﴿مَا﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف تقديره: على ما نقوله. ﴿وَكَيْلٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الإسمية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾.

﴿وَقَالَ يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابِ رَجْدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ



مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٠٢﴾

﴿وَقَالَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعله ضمير يعود على يعقوب، والجملة معطوفة على جملة ﴿قَالَ﴾ الأولى. ﴿يَتَوَكَّلُ﴾: إلى آخر الآية: مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿يَتَوَكَّلُ﴾: منادى مضاف، وجملة النداء في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿لَا تَدْخُلُوا﴾: فعل وفاعل مجزوم بـ﴿لَا﴾ الناهية. ﴿مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ﴾: جار ومجرور وصفة متعلق بـ﴿لَا تَدْخُلُوا﴾، والجملة الفعلية في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها جواب النداء. ﴿وَادْخُلُوا﴾: فعل وفاعل. ﴿مِنْ أَوْبٍ﴾: متعلق به. ﴿مُتَفَرِّقَةً﴾: صفة لـ﴿أَوْبٍ﴾، والجملة في محل نصب معطوفة على جملة قوله: ﴿لَا تَدْخُلُوا﴾. ﴿وَمَا﴾: (الواو): عاطفة. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿أَغْنِي﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على يعقوب. ﴿عَنْكُمْ﴾: متعلق به، والجملة في محل نصب معطوفة على جملة ﴿وَادْخُلُوا﴾. ﴿مِنَ اللَّهِ﴾: جار ومجرور حال من ﴿شَيْءٍ﴾؛ لأنه صفة نكرة قدمت عليها. ﴿مِنْ﴾: زائدة. ﴿شَيْءٍ﴾: مفعول ﴿أَغْنِي﴾؛ أي: أغني عنكم شيئاً من قضاء الله تعالى. ﴿إِنْ﴾: نافية مهملة لانتقاض نفيها بـ﴿إِلَّا﴾. ﴿الْحُكْمُ﴾: مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿لِلَّهِ﴾: جار ومجرور خبر المبتدأ، والجملة في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿عَلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلق بما بعده. ﴿تَوَكَّلْتُ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَعَلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلق بما بعده. ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ﴾: (الفاء): سببية كما مر في مبحث التفسير نقلاً عن «روح البيان»، و(اللام): حرف جزم وطلب. ﴿بِتَوَكُّلِ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾: فعل وفاعل مجزوم بلام الأمر، والجملة في محل نصب معطوفة على الجملة التي قبلها.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَدُوٌّ عَلِيمٌ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾

﴿وَلَمَّا﴾: (الواو): استثنائية. ﴿لَمَّا﴾: حرف شرط. ﴿دَخَلُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة فعل شرط لـ﴿لَمَّا﴾. ﴿مِنْ حَيْثُ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿دَخَلُوا﴾. ﴿أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ﴾: فعل ومفعول وفاعل، والجملة في محل الجر

مضاف إليه لـ ﴿حَيْثُ﴾. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص، واسمها ضمير مستتر فيها يعود على دخولهم من أبواب متفرقة. ﴿يُقْنِي﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على الدخول. ﴿عَنْهُمْ﴾: متعلق به. ﴿وَيَنْ أَلَّهِ﴾: جار ومجرور حال من ﴿شَيْءٍ﴾. ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾: مفعول ﴿يُقْنِي﴾ وجملة ﴿يُقْنِي﴾: في محل نصب خير ﴿كَانَ﴾ وجملة ﴿كَانَ﴾ جواب ﴿لَمَّا﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿لَمَّا﴾ مستأنفة. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء بمعنى لكن؛ لأن الاستثناء منقطع. ﴿حَاجَةً﴾: منصوب على الاستثناء. ﴿فِي نَفْسٍ يَعْقُوبُ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه صفة أولى لـ ﴿حَاجَةً﴾. ﴿فَضْنَهَا﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على الله تعالى، وجملة ﴿فَضْنَهَا﴾: في محل نصب صفة ثانية لـ ﴿حَاجَةً﴾. ﴿وَإِنَّهُ﴾: (الواو): استثنائية. ﴿إِنَّهُ﴾: ناصب واسمه. ﴿لَذُو عِلْمٍ﴾: (اللام): حرف ابتداء. ﴿ذُو عِلْمٍ﴾: خبر ﴿إِنْ﴾ مرفوع بالواو، والجملة مستأنفة. ﴿لَمَّا﴾: (اللام): حرف جر وتعليل. ﴿مَا﴾: مصدرية. ﴿عَلَّمْتَهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة صلة لـ ﴿مَا﴾ المصدرية ﴿مَا﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور باللام تقديره: لتعليمنا إياه، الجار والمجرور متعلق بمحذوف تقديره: وإنما كان ذا علم لتعليمنا إياه. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾: ناصب واسمه، وجملة ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾: خبره، والجملة الاستدراكية معطوفة على جملة قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ﴾.

### التصريف ومفردات اللغة

﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾؛ أي: كثيرة الأمر لصاحبها بالسوء؛ أي: شأنها الأمر بالسوء لميلها إلى الشهوات، وتأثيرها بالطبع، وصعوبة قهرها وكفها عن ذلك. والسوء: الفعل القبيح. والأمانة: صيغة مبالغة تدل على الكثرة.

﴿إِلَّا مَا رَجَمَ﴾ ﴿مَا﴾: واقعة على نفس من النفوس، فلذلك كانت بمعنى.

﴿أَسْتَخْلَصُهُ لِنَفْسِي﴾؛ أي: أجعله خالصاً لنفسي، والاستخلاص طلب خلوص الشيء من جميع شوائب الاشتراك، فهو من باب استفعال السداسي، ولكنه بمعنى أفعال، فالسين والتاء فيه زائدتان، وإنما طلب الملك أن يستخلص يوسف لنفسه؛ لأن عادة الملوك أن ينفردوا بالأشياء النفيسة، ولا يشاركون فيها أحد من الناس.

﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾؛ أي: ذو مكانة ومنزلة أمين؛ أي: مؤتمن على كل شيء، فهما صفتان مشبهتان من مكن على وزن كرم، وأمن على وزن فرح، يقال: مكن فلان عند فلان إذا اتخذ عنده مكانة؛ أي: منزلة؛ وهي الحالة التي يتمكن بها صاحبها مما يريد. وقيل: المكانة: المنزلة والجاه، والمعنى قد عرفنا أمانتك ومنزلتك، وصدقك وبرائك مما نسبت إليه، ومكين: كلمة جامعة لكل ما يحتاج إليه من الفضائل والمناقب في أمر الدين والدنيا. ا هـ. «خازن». وفي «المصباح»: مكن فلان عند السلطان مكانة - وزان ضخم ضخامة - إذا عظم عنده وارتفع، فهو مكين، ومكنته من الشيء: جعلت له عليه سلطاناً وقدرة، فتمكن منه، واستمكن: قدر عليه، وله مكنة؛ أي: قوة وشدة، وأمكنته منه بالألف مثل مكنته، وأمكنتني الأمر سهل وتيسر. ا هـ.

﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾؛ أي: ولّني على خزائن الطعام والأموال، وأراد بالأرض أرض مصر. ﴿إِنِّي حَفِيظٌ﴾ للخزائن ﴿عَلِيمٌ﴾ بوجوه مصالحها. وقيل: حفيظ لما استودعني عليم لما وليتني. وقيل: حفيظ للحساب عليم أعلم لغة من يأتيني. ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: جعلنا له سلطاناً.

﴿فَعَرَفَهُمْ﴾ المعرفة والعرفان: معرفة الشيء بتفكر في أثره، وضده الإنكار. ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ﴾؛ أي: وفر ركائبهم بما جاءوا لأجله.

﴿بِجِهَازِهِمْ﴾ وجهاز السفر: أهبته وما يحتاج إليه في قطع المسافة، ومثله جهاز الميت والعروس بالكسر والفتح، وبهما قرىء، والمتواتر هو الفتح. وفي «المصباح»: وجهزت المسافر بالثقل: هيأت له بجهازه، وجهاز السفر أهبته وما يحتاج إليه في قطع المسافة - بالفتح والكسر - لغة قليلة. ا هـ.

﴿أَلَّا تَرَوْنَ﴾ أصله تريون، تحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً، فالتقى ساكنان، ثم حذفت الألف لبقاء دالها؛ وهو فتحة الراء، فصار ترون بوزن تفعون.

﴿أَيُّ أَوْفَى الْكَيْلِ﴾ يقال: أوفى الشيء إذا جعله وافياً تاماً. ﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾؛ أي: خير المستضيفين للضيوف وأكثرهم قرى.

﴿وَلَا تَقْرُبُون﴾ وفي «القاموس» - قرب - ككرم، وقرب كسمع قرباً وقرباناً - بالضم - وقرباناً - بالكسر - دنا فهو قريب للواحد والجمع. ا هـ. والمعنى هنا: لا تدنوا مني؛ أي: من بلادي؛ أي: لا تدخلوها فضلاً عن وصولكم إلي. ا هـ. شيخنا.

﴿سَزَوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾؛ أي: نخادع ونستميل برفق. ﴿وَأِنَّا لَفَعْلُونَ﴾؛ أي: لقادرون على تلك المراودة.

﴿وَقَالَ لِفَتْنَيْبِهِ﴾؛ أي: لغلمانة الكياليين ﴿أَجْعَلُوا بِضَعْتَهُمْ﴾؛ أي: التي اشتروا بها الطعام الذي في هذا الرحل، وكانت نعلاً وأدماً. وقيل: دراهم، والبضاعة: المال الذي يستعمل للتجارة. ﴿فِي رِحَالِهِمْ﴾: جمع رحل، وهو ما يوضع على ظهر الدابة، وفوقه متاع الراكب وغيره، والمراد هنا الأوعية التي يجعلون فيها ما يمتارونه من الطعام. ﴿إِذَا أَنْقَلَبُوا﴾؛ أي: رجعوا.

﴿نَكْتَلُ﴾: أصله نكتيل بوزن نغتم، فتحركت الياء التي هي عين الكلمة، وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، ثم حذفت لالتقاء الساكنين، فوزنه الآن نقتل، وبحسب الأصل، نفتعل. ا هـ. «شيخنا».

﴿هَلْ ءَأَمْتَكُمْ﴾ أصله: أأمنكم بهمزين، فقلبت الثانية ألفاً على القاعدة. ﴿مِنْ قَبْلِ﴾؛ أي: من قبل هذا الزمان.

﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ﴾؛ أي: رحالهم؛ أي: الأوعية التي وضعوا فيها الميرة. ﴿وَجَدُوا بِضَعْتَهُمْ﴾؛ أي: التي دفعوها له؛ وهي ثمن الميرة.

﴿وَيَمِيرُ أَهْلَنَا﴾؛ أي: نجلب لهم الميرة - بالكسر - وهي الطعام يجلبه الإنسان من بلد إلى بلد ﴿كَيْلٌ بَعِيرٌ﴾؛ أي: حمل جمل، فكيل بمعنى: مكيل.

﴿ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾؛ أي: قليل لا يكثر على سخائه كما جاء في قوله: ﴿وَمَا تَبْتِئُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾، أو سهل لا عسر فيه كما في قوله: ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾.

﴿مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ﴾ والموثق العهد المؤكد باليمين، وقيل: العهد بإشهاد الله

عليه. ا هـ. «خازن».

﴿إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾؛ أي: إلا أن تغلبوا على أمركم، وإلا أن تهلكوا، فإن من يحيط به العدو يهلك غالباً، وتقول العرب: أحيط بفلان إذا هلك، أو قارب هلاكه.

﴿عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾؛ أي: مطلع رقيب، فإن الموكل بالأمر يراقبه ويحفظه.

### البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات أنواعاً من البلاغة، وضروباً من الفصاحة والبيان والبدیع:

فمنها: المبالغة في قوله: ﴿لَأَمَّارَةٌ بِالشَّيْءِ﴾ لم يقل: أمرة مبالغة في وصف النفس بكثرة الدفع في المهاوي والقود إلى المغاوي؛ لأن فعلاً من أبنية المبالغة.

ومنها: الإظهار في مقام الإضمار في قوله: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ وهم المحسنون للتوصل إلى وصفهم بالإيمان والتقوى بعد وصفهم بالإحسان مبالغة في مدحهم.

ومنها: التضمين في قوله: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ﴾ ضمن جهز معنى أكرم، فلذلك عداه بالباء؛ أي: ولما أكرمهم بجهازهم؛ أي: بتحصيله لهم.

ومنها: الجناس المغاير بين ﴿الْكَيْدُ﴾ وبين ﴿نَكَيْتُ﴾ في قوله: ﴿يَتَابَانَا مَنَعٌ مِنَّا الْكَيْدُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانًا نَكَيْتُ﴾، والمماثل في قوله: ﴿هَلْ ءَامَنْتُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمْنْتُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾، وفي قوله: ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

ومنها: التشبيه في قوله: ﴿إِلَّا كَمَا أَمْنْتُمْ﴾؛ أي: إلا ائتمناً كائتماني لكم على أخيه، شبه ائتمانه لهم على هذا بائتمانه لهم على ذلك. ا هـ. «سمين».

ومنها: الكناية في قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾؛ لأن الإحاطة حقيقة في إحاطة العدو، وهو هنا كناية عن الهلاك؛ أي: إلا أن تهلكوا.

ومنها: الجناس المغاير في قوله: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ﴾.  
ومنها: المجاز العقلي في قوله: ﴿أَيُّ أَوْفَى الْكَيْلِ﴾ لما فيه من الإسناد إلى السبب؛ لأنه الأمر.

ومنها: الطباق بين عرف وأنكر في قوله: ﴿فَعَرَّفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾.  
ومنها: الإطناب في قوله: ﴿لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَجِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾ وهو زيادة اللفظ على المعنى المراد؛ وفائدته: تمكين المعنى من النفس ورسوخه فيها، وفيه أيضاً من المحسنات البديعية ما يسمى طباق السلب.  
ومنها: القصر في قوله: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾، وقوله: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾، وقوله: ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

ومنها: الإتيان بصيغة الاستقبال في قوله: ﴿أَيُّ أَوْفَى الْكَيْلِ﴾ مع أنه قال لهم هذه المقالة بعد تجهيزهم؛ للدلالة على أن ذلك عادته المستمرة.

ومنها: التعبير عما في المستقبل بالماضي في قوله: ﴿مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾؛ لأنه يراد به المنع في المستقبل.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

\*\*\*

قال الله سبحانه جلّ وعلا:

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَىٰ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِمَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رِجْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَتَتْهَا أَعْيُرٌ لِنَاسٍ لَّسْرِفُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ جِمْدٌ بَعِيرٌ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْتَنَا لِنُغِثَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴿٧٧﴾ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٨﴾ قَالُوا يَأْتِيهَا الْمَرْزُوقُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٩﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعَيْنًا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا لَطَلِمُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِیَ أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨١﴾ أَرْجِعُوا إِلَيَّ أَيْبُكُمْ فَقُولُوا يَتَابَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾ وَسَأَلَ الْقَرِيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٣﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَأْسَفُ عَلَيَّ يُوسُفَ وَأَيُّضًا عَبْنَاهُ مِنَ الْغُرَرِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٥﴾﴾ .

### التفسير وأوجه القراءة

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا﴾؛ أي: ولما دخل إخوة يوسف ﴿عَلَى يُوسُفَ﴾ في مجلسه الخاص به بعد دخولهم باحة القصر من حيث أمرهم أبوهم ﴿ءَاوَى﴾ يوسف وضم ﴿إِلَيْهِ﴾؛ أي: إلى نفسه في الطعام والمنزل والمبيت ﴿أَخَاهُ﴾ الشقيق بنيامين، وقد حصل ما كان يتوقع يعقوب، أو فوق ما كان يتوقع من الحنو عليه

والعناية التي خصه بها .

قال المفسرون<sup>(١)</sup>: لما دخل إخوة يوسف على يوسف عليه السلام . .  
قالوا: أيها الملك هذا أخونا الذي أمرتنا أن نأتيك به، فقد جئناك به، فقال لهم:  
أحسنتم وأصبتم، وستجدون ذلك عندي، ثم أنزلهم وأكرم نزلهم، ثم إنه أضافهم  
وأجلس كل اثنين على مائدة، فبقي بنيامين وحيداً، فبكى وقال: لو كان أخي  
يوسف حيّاً . . لأجلسني معه، فقال لهم يوسف عليه السلام، لقد بقي هذا وحده،  
فقالوا: كان له أخ، فهلك . قال لهم: فأنا أجلسه معي، فأخذه فأجلسه معه على  
مائدته، وجعل يؤاكله، فلما كان الليل أمرهم بمثل ذلك، وقال كل اثنين منكم  
ينامان على فراش واحد، فبقي بنيامين وحده، فقال يوسف: هذا ينام عندي على  
فراشي، فنام بنيامين مع يوسف على فراشه، فجعل يوسف يضمه إليه، ويشم  
ريحه، ويشم ريح أبيه منه حتى أصبح، فلما أصبح قال لهم: إني أرى هذا الرجل  
وحيداً ليس معه ثان، وسأضمه إلي فيكون معي في منزلي، ثم إنه أنزلهم وأجرى  
عليهم الطعام، فقال روبيل: ما رأينا مثل هذا قط، فلما خلا به . . قال له  
يوسف: ما اسمك؟ قال: بنيامين . قال: وما بنيامين؟ قال: ابن المشكّل، وذلك  
أنه لما ولدته أمه هلكت . قال: وما اسم أمك؟ قال: راحيل بنت لاوى . قال:  
فهل لك من ولد؟ قال: لي عشرة بنين . قال: فهل لك من أخ لأمك؟ قال: كان  
لي أخ، فهلك . قال يوسف: أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك؟ قال  
بنيامين: ومن يجد أخاً مثلك أيها الملك، ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل،  
فبكى يوسف عليه السلام، وقام إليه وعانقه و﴿قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ﴾ يوسف الذي  
فقدتموه صغيراً ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾؛ أي: فلا تحزن، وقال أهل اللغة: تبتئس تفتعل  
من البؤس؛ وهو الضرر والشدة، والابتئاس: اجتلاب الحزن والبؤس؛ أي: فلا  
تحزن ولا تتأسف ﴿بِمَا كَانُوا يَمْعَلُونَ﴾ بنا فيما مضى من الضرر والأذى، فإن  
الله تعالى قد أحسن إلينا وجمع بيننا بخير؛ أي: فلا تلتفت إلى ما صنعوه بنا فيما  
تقدم من أعمالهم المنكرة، ولا يلحقن بك بعد الآن بؤس؛ أي: مكروه ولا شدة

(١) الخازن.



بسبب ما كانوا يعملون من الجفاء وسوء المعاملة بحسدهم لي ولك، وأمره أن لا يخبرهم، بل يخفي الحال عنهم. وقال بنيامين: أنا لا أفارقك أبداً. قال يوسف عليه السلام: قد علمت اغتنام والدك بي، فإذا حبستك عندي ازداد غمه، ولا يمكنني هذا إلا بعد أن أشهرك بأمر فظيع، وأنسبك إلى ما لا يحمد. قال: لا أبالي فافعل ما بدا لك، فإني لا أفارقك. قال يوسف عليه السلام: فإني أدس صاعي في رحلك، ثم أنادي عليك بالسرقة لأحتال في ردك بعد إطلاقك معهم. قال: فافعل ما شئت، فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم﴾ يوسف وهياهم ﴿بِمَهَازِهِمْ﴾؛ أي: بأهبة سفرهم؛ أي: فلما هياً يوسف لهم ما يحتاجون إليه للسفر، وحمل لهم أحمالهم من الطعام على إبلهم، وعبر<sup>(١)</sup> هنا بالفاء إشارة إلى طلب سرعة سيرهم وذهابهم إلى بلادهم؛ أي: لأن الغرض منه قد حصل، وقد عرفت حالهم بخلاف المرة الأولى، كان المطلوب فيها طول مدة إقامتهم؛ ليتعرف الملك حالهم. ﴿جَعَلَ﴾ يوسف عليه السلام ﴿السَّقَايَةَ﴾؛ أي: المشربة - بكسر الميم - وهي صاع من ذهب مرصع بالجواهر؛ أي: محلى بالرصائع، وهي حلق يحلى بها، الواحدة رصيعة وكان يشرب فيه الملك، فيسمى سقاية باعتبار أول حاله، وصاعاً باعتبار آخر أمره؛ لأن الصاع آلة الكيل يسع أربعة أمداد. فالسقاية إناء يشرب منه، جعلها يوسف مكيالاً؛ لثلاثي كال غيرها، وكان يشرب فيها، أو كال بها لإخوته إكراماً لهم، وكانت من ذهب، وقيل: من فضة، وكان الشرب في إناء الذهب والفضة مباحاً في الشريعة الأولى، فالسقاية والصُّواع اسم لإناء كما مر آنفاً؛ أي: دس يوسف مشربته التي كان يشرب فيها ﴿فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ الشقيق بنيامين؛ أي: في وعاء طعامه. والمعنى: فلما قضى لهم حاجتهم، ووفاهم كيلهم جعل الإناء الذي يكيل به الطعام في رحل أخيه. وفي قوله: ﴿جَعَلَ السَّقَايَةَ﴾ إيماء إلى أنه وضعها بيده، ولم يكل ذلك إلى أحد من فتيانه كتجهيزهم الأول والثاني؛ لثلاثي يطلعوا على مكيدته.

ثم ارتحلوا راجعين إلى بلادهم، فأهلهم يوسف حتى خرجوا من العمران،

(١) الفتوحات.

ولما انفصلوا عن مصر نحو الشام.. أرسل يوسف وراءهم من استوقفهم، فاستوقفهم فوقفوا ﴿ثُمَّ أَدْنَى﴾ ونادى ﴿مُؤَدِّنٌ﴾؛ أي: مناد من فتيان يوسف، قيل: اسمه أفرائيم كما في «روح البيان»؛ أي: نادى منادٍ برفع صوته مراراً كثيرة قائلاً: ﴿أَيَّتُهَا الْعَيْرُ﴾؛ أي: أيتها القافلة التي فيها الأحمال ويا أصحاب الإبل التي عليها الأحمال. والعير<sup>(١)</sup> في الأصل: كل ما يحمل عليه من الإبل والحمير والبغال، سمي بذلك؛ لأنه يعير؛ أي: يذهب ويجيء، والمراد هنا: أصحاب الإبل ونحوها. ﴿إِنَّكُمْ لَسَّرِقُونَ﴾ صواعنا فقفوا لنتشكم. وقرأ عبد الله فيما نقل الزمخشري شذوذاً: ﴿وجعل السقاية في رحل أخيه ثم أمهلهم حتى انطلقوا ثم أذن﴾. وفي نقل ابن عطية ﴿وجعل السقاية﴾ - بزيادة واو - دون الزيادة التي زادها الزمخشري بعد قوله: ﴿فِي رَحْلِ أَخِي﴾ وثم تنتفي المهلة بين جعل السقاية والتأذين، ذكره أبو حيان.

والخلاصة: افتقد فتيان يوسف عليه السلام السقاية<sup>(٢)</sup>؛ لأنها الصواع الذي يكيلون به للمتارين، فلم يجدوها، فأذن مؤذنهم بذلك؛ أي: كرر النداء به كدأب الذين ينشدون المفقود في كل زمان ومكان قائلاً: أيتها العير إنكم لسارقون؛ أي: يا أصحاب العير قد ثبت عندنا أنكم سارقون، فلا ترحلوا حتى نفتشها في رحالكم.

فإن قلت: <sup>(٣)</sup> هل كان هذا النداء بأمر يوسف عليه السلام أم لا؟، فإن كان بأمره، فكيف يليق بيوسف مع علو منصبه، وشريف رتبته من النبوة والرسالة أن يتهم أقوماً، وينسبهم إلى السرقة كذباً مع علمه ببراءتهم عن تلك التهمة التي نسبوا إليها؟

قلت: ذكر العلماء عن هذا السؤال أجوبة:

أحدها: أن يوسف لما أظهر لأخيه أنه أخوه قال: لست أفارقك، قال: لا سبيل إلى ذلك إلا بتدبير حيلة أنسبك فيها إلى ما لا يليق، قال: رضيت بذلك،

(٣) الخازن.

(١) الفتوحات.

(٢) المراغي.

فعلى هذا التقدير لم يتألم قلبه بسبب هذا الكلام، بل قد رضي به، فلا يكون ذنباً.

الثاني: أن يكون المعنى: إنكم لسارقون ليوسف من أبيه إلا أنهم ما أظهروا هذا الكلام، فهو من المعارض، وإنَّ في المعارض مندوحةً عن الكذب.

الثالث: يحتمل أن يكون المنادي ربما قال ذلك على سبيل الاستفهام، وعلى هذا التقدير لا يكون كذباً.

والرابع: ليس في القرآن ما يدل على أنهم قالوا ذلك بأمر يوسف، وهو الأقرب إلى ظاهر الحال؛ لأنهم لما طلبوا السقاية، فلم يجدوها، ولم يكن هناك أحد غيرهم.. غلب على ظنهم أنهم هم الذين أخذوها، فقالوا ذلك بناء على غلبة ظنهم. اهـ. «خازن».

﴿قَالُوا﴾؛ أي: قال أخوة يوسف للمؤذن ومن معه ﴿و﴾ قد وقفوا و﴿أقبلوا عليهم﴾؛ أي: والحال أنهم قد التفتوا إلى جماعة الملك المؤذن وأصحابه ﴿مَاذَا﴾ تعدمون، وأي شيء ﴿تَفْقُدُونَ﴾؛ أي: تطلبون، وما الذي ضاع منكم. والفقْد: غيبة الشيء عن الحس بحيث لا يعرف مكانه، تقول: فقدت الشيء إذا عدته بأن ضل عنك لا بفعلك. وقرأ السلمي شذوذاً<sup>(١)</sup>: ﴿تفقّدون﴾ - بضم التاء - من أفقده إذا وجدته فقيداً، نحو أحمدته إذا وجدته محموداً، وضَعَفَ هذه القراءة أبو حاتم. قال أهل الأخبار<sup>(٢)</sup>: لما وصل الرسل إلى إخوة يوسف قالوا لهم: ألم نكرمكم ونحسن ضيافتكم، ونوف إليكم الكيل ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم؟ قالوا: بلى، وما ذاك؟ قالوا: فقدنا سقاية الملك ولا نتهم عليها غيركم، فذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: عطفوا على المؤذن وأصحابه، وقالوا: ما الذي تفقدون، والفقْدان: ضد الوجود.

﴿قَالُوا﴾؛ أي: قال المؤذن وأصحابه في جوابهم ﴿تَفْقُدُ صُوعَ الْمَلِكِ﴾؛

(١) البحر المحيط.

(٢) الخازن.

أي: نطلب إناء الملك الذي كان يشرب فيه ويكيل به، وإنما اتخذ هذا الإناء مكيالاً لعزة ما يكال به في ذلك الوقت؛ أي: نفقد الصواع الذي عليه شارة الملك. وقرأ الجمهور<sup>(١)</sup>: ﴿صُوعًا﴾ بزنة غراب بضم الصاد بعدها واو مفتوحة بعدها ألف بعدها عين مهملة. وقرأ أبو حيوة والحسن وابن جبير فيما نقل ابن عطية كذلك إلا أنه كسر الصاد.

وقرأ أبو هريرة ومجاهد: ﴿صَاعٌ﴾ - بغير واو - وعلى وزن ناب، فالألف فيها بدل من الواو المفتوحة. وقرأ أبو رجاء: ﴿صُوعٌ﴾ على وزن قوس. وقرأ عبد الله بن عون بن أبي أرطبان: ﴿صُوعٌ﴾ - بضم الصاد - وقرأ أبي: ﴿صِيَاعٌ﴾. وكلها لغات في الصاع. وقرأ الحسن وابن جبير فيما نقل عنهما صاحب «اللوامح» ﴿صُوعًا﴾ - بالغين المعجمة - على وزن غراب. وقرأ يحيى بن يعمر كذلك إلا أنه يحذف الألف، ويسكن الواو. وقرأ زيد بن علي: ﴿صُوعٌ﴾ مصدر صاغ، وصواع وصوغ مشتقان من الصوغ مصدر صاغ يصوغ أقيما مقام المفعول بمعنى مصوغ الملك. فهذه ثمان قراءات في هذا الحرف كلها لغات، والمتواتر منها واحدة وهي قراءة الجمهور، وهذا اللفظ يذكر ويؤنث، ويجمع الصواع على صيعان كغراب وغريان، والصاع على أصوع.

قال المؤذن: ﴿وَلَمَنْ جَاءَ بِهِ﴾؛ أي: بالإناء من عند نفسه مظهراً له قبل التفتيش ﴿جَمَلٌ بَعِيرٌ﴾؛ أي: حمولة جمل من الطعام أجرة له وجعلاً. ﴿وَأَنَا بِهِ﴾؛ أي: بذلك الحمل ﴿زَعِيمٌ﴾؛ أي: كفيل ضامن أؤديه إليه؛ لأن الإناء كان من الذهب، وقد اتهمني الملك. وفي «البحر»: ﴿وَلَمَنْ جَاءَ بِهِ﴾؛ أي: ولمن دل على سارقه وفضحه ﴿جَمَلٌ بَعِيرٌ﴾؛ أي: وسق بعير من طعام جعلاً لمن حصله. وفي قوله: ﴿جَمَلٌ بَعِيرٌ﴾ دليل على أن غيرهم كانت الإبل لا الحمير<sup>(٢)</sup>. وهذه الآية<sup>(٣)</sup>: تدل على أن الكفالة كانت صحيحة في شرعهم، وقد حكى رسول الله ﷺ بها في قوله: «.. الحميل غارم» والحميل: الكفيل.

(٣) الخازن.

(١) البحر المحيط.

(٢) المراغي.

فإن قلت: كيف تصح هذه الكفالة مع أن السارق لا يستحق شيئاً؟

قلت: لم يكونوا سارقاً في الحقيقة، فيحمل ذلك على مثل رد الضائع، فيكون جعالة، ولعل مثل هذه الكفالة كانت جائزة عندهم في ذلك الزمان، فيحمل عليه.

﴿قَالُوا﴾؛ أي: إخوة يوسف متعجبين من مقالة الرسل ﴿تَأَلَّه﴾ قسم فيه معنى التعجب مما أضيف إليهم من السرقة، والتاء بدل من الواو مختصة باسم الله تعالى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾ فيه معنى القسم، فهو تأكيد للقسم قبله؛ أي: والله لقد علمتم وعرفتم يا أصحاب يوسف ﴿مَا جِئْنَا﴾ نحن في هذه البلدة ﴿لِنُقْسِدَ فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: لنفعل الفساد في أرض مصر بمضرة الناس ولنسرق فيها، فإنه من أعظم الفساد ﴿وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾؛ أي: ما كنا نوصف بالسرقة قط. والمعنى: <sup>(١)</sup> ما أعجب حالكم؛ أنتم تعلمون علماً جلياً من ديانتنا وفرط أمانتنا، أننا بريئون مما تنسبون إلينا فكيف تقولون لنا إنكم لسارقون؟ لأنه <sup>(٢)</sup> قد ظهر من أحوالهم وامتناعهم من التصرف في أموال الناس بالكلية لا بالأكل ولا بإرسال الدواب في مزارع الناس، ولأنهم لما وجدوا بضاعتهم في رحالهم حملوها من بلادهم إلى مصر، ولم يستحلوا أخذها. وإنما حكموا بعلمهم ذلك <sup>(٣)</sup>؛ لأن العلم بأحوالهم الشاهدة يستلزم العمل بأحوالهم الغائبة. قال المفسرون <sup>(٤)</sup>: إن إخوة يوسف حلفوا على أمرين:

أحدهما: أنهم ما جاؤوا لأجل الفساد في الأرض.

والثاني: أنهم ما جاؤوا سارقين، وإنما قالوا هذه المقالة؛ لأنه كان قد ظهر من أحوالهم ما يدل على صدقهم، وهم أنهم كانوا مواطنين على أنواع الخير والطاعة والبر حتى بلغ من أمرهم أنهم شدوا أفواه دوابهم؛ لئلا تؤذي زرع الناس، ومن كانت هذه صفته.. فالفساد في حقه ممتنع. وأما الثاني وهو أنهم ما كانوا سارقين، فلأنهم قد كانوا ردوا البضاعة التي وجدوها في رحالهم، ولم

(٣) روح البيان.

(١) روح البيان.

(٤) الخازن.

(٢) المراح.

يستحلوا أخذها، ومن كانت هذه صفته.. فليس بسارق، فلاجل ذلك قالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَّا جِئْنَا لِنُقْسِدَ فِي الْأَرْضِ﴾، فلما تبينت براءتهم من هذه التهمة ﴿قَالُوا﴾؛ أي: قال أصحاب يوسف؛ وهو المنادي وأصحابه: ﴿فَمَا جَزَاؤُهُ﴾؛ أي: أي فما جزاء السارق. قال النسفي: الضمير للصواع، ولكنه على حذف مضاف؛ أي: فما جزاء سرقة الصواع عندكم وفي شريعتكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ في قولكم: ﴿مَّا جِئْنَا لِنُقْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾؛ أي: إن كنتم كاذبين في جحودكم ونفي كون الصواع فيكم.

﴿قَالُوا﴾؛ أي: قال إخوة يوسف: ﴿جَزَاؤُهُ﴾: مبتدأ ﴿مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ﴾: خبره، ولكنه على تقدير مضاف في الطرفين؛ أي: جزاء سرقة الصواع هو استرقاق من وجد الصواع في رحله سنة، ثم يخلى سبيله، فهذه شريعتهم. يعني<sup>(١)</sup> جزاء السارق الذي وجد في رحله أن يسلم برقبته إلى المسروق منه، فيسترقه سنة، وكان ذلك سنة آل يعقوب في حكم السارق، وكان في حكم ملك مصر أن يضرب السارق ويغرم ضعفي قيمة المسروق، وكان هذا في شرعهم في ذلك الزمان يجري مجرى القطع في شرعنا، فأراد يوسف أن يأخذ بحكم أبيه في السارق، فلذلك ردّ الحكم إليهم. والمعنى: إن جزاء السارق أن يستعبد سنة للمسروق منه جزاء له على جرمه وسرقته، وقوله: ﴿فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾؛ أي: فاسترقاق ذلك السارق سنة هو جزاء سرقة الصواع لا غير، تقرير للحكم المذكور، وتأكيده له بإعادته كما تقول: حق الضيف أن يكرم فهو حقه، والقصد من الأول: إفادة الحكم، ومن الثاني: إفادة أن ذلك هو الحق الواجب في مثل هذا؛ أي: فهذه<sup>(٢)</sup> الجملة بمعنى التي قبلها. ﴿كَذَلِكَ﴾؛ أي: مثل ذلك الجزاء المذكور بقوله: ﴿جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ﴾ والمراد به: استرقاق السارق ﴿يُجْزَى﴾ في شريعتنا وحكمنا ﴿الظَّالِمِينَ﴾ للناس بالسرقة لأمتعتهم وأموالهم في شريعتنا، فنحن أشد الناس عقاباً للسارق؛ أي: نحكم ونفتي باسترقاق كل سارق؛ لأنه شرعنا المقرر

(١) الفتوحات.

(٢) روح البيان.

فيما بيننا؛ أي: مثل<sup>(١)</sup> هذا الجزاء الأوفى نجزي الظالمين بالسرقة، قالوا ذلك ثقة بكمال برائتهم منها، وهم عما فعل بهم غافلون، وهذا تأكيد منهم بعد تأكيد لثقتهم ببراءة أنفسهم. وهذه الجملة<sup>(٢)</sup> من بقية كلام إخوة يوسف، وقيل: من كلام أصحاب يوسف جواباً لقول إخوته ذلك، فردوا لتفتيش أوعيتهم إلى يوسف عليه السلام من المكان<sup>(٣)</sup> الذي لحقهم فيه جماعة الملك، وتقدم أنهم وصلوا إلى خارج مصر، وقيل: إلى بليس. ا هـ. «شيخنا».

﴿فَبَدَأَ﴾ يوسف بعد ما رجعوا إليه ﴿يَأْوِعِيَهُمْ﴾؛ أي: بتفتيش أوعية الأخوة العشرة التي تشتمل عليها رحالهم ﴿قَبْلَ﴾ تفتيش ﴿وَعَاءِ أَخِيهِ﴾ الشقيق بنيامين؛ لنفي التهمة وابتعاداً عن الشبهة بطريق الحيلة. روي أنه لما بلغت النوبة إلى وعائه.. قال: ما أظن هذا أخذ شيئاً، فقال إخوة يوسف: والله لا نتركك حتى تنظر في رحله، فإنه أطيب لنفسك وأنفسنا. وقرأ الحسن: ﴿من وعاء﴾ - بضم الواو - وجاء كذلك عن نافع. وقرأ ابن جبير: ﴿من إعاء﴾ - بإبدال الواو المكسورة همزة - كما قالوا إشاح وإسادة في وشاح ووسادة، وذلك مطرد في لغة هذيل يدلون من الواو المكسورة الواقعة أولاً همزةً وهاتان القراءتان شاذتان.

وأنث الضمير الراجع إلى الصواع في قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا﴾ نظراً لمعنى السقاية، أو لكون الصواع يذكر ويؤنث؛ أي: ثم بعد أن فرغ يوسف من تفتيش أوعيتهم فتش وعاء أخيه، فاستخرجها ﴿مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ﴾؛ أي: أخرج الصواع والسقاية من رحل أخيه بنيامين، فقال له فرجك الله كما فرجتني.

فلما وجد الصاع مدسوساً في رحل بنيامين<sup>(٤)</sup>، واستخرج منه نكسوا رؤوسهم وانقطعت ألسنتهم، فأخذوا بنيامين مع ما معه من الصواع، وردوه إلى يوسف، وأخذوا يشتمونه بالعبرانية، وقالوا له: يا لص ما حملك على سرقة صاع الملك، ولا يزال ينالنا منك بلاء كما لقينا من ابن راحيل، فقال بنيامين: بل ما

(٣) روح البيان.

(١) المراح.

(٤) روح البيان.

(٢) الفتوحات.

لقي إينا راحيل البلاء إلا منكم، فأما يوسف فقد علمتم ما فعلتم به، وأما أنا فسرقتموني؛ أي: نسبتموني إلى السرقة قالوا: فمن جعل الإناء في متاعك؟ أليس قد خرج من رحلك؟ قال: إن كنتم سرقتم بضاعتكم الأولى وجعلتموها في رحالكم، فكذلك أنا سرق الصاع وجعلته في رحلي، فقال روبيل: لقد صدق، وأراد بنيامين أن يخبرهم بخبر يوسف، فذكر وصيته له فسكت.

﴿كَذَلِكَ﴾؛ أي: مثل ذلك الكيد العجيب والتدبير الخفي، وهو عبارة عن إرشاد الإخوة إلى الإفتاء المذكور بإجرائه على ألسنتهم، وبحملهم عليه بواسطة المستفتين من حيث لم يحتسبوا ﴿كَذَنَّا لِيُوسُفَ﴾؛ أي: <sup>(١)</sup> صنعنا له ودبرنا لأجل تحصيل غرضه من المقدمات التي رتبها من دس الصواع وما يتلوه. والكيد في الأصل عبارة عن المكر والخديعة، وهو أن توهم غيرك خلاف ما تخفيه.

أي: مثل <sup>(٢)</sup> ذلك الحكم الذي ذكره إخوة يوسف من استرقاق السارق حكمنا به ليوسف، والمعنى: كما ألهمنا إخوة يوسف أن أحكموا أن جزاء السارق أن يسترق.. كذلك ألهمنا يوسف ما فعله من دس الصواع في رحل أخيه ليضمه إليه على ما حكم به إخوته. والكيد <sup>(٣)</sup> مبدؤه السعي في الحيلة والخديعة، ونهايته إلقاء المخدوع من حيث لا يشعر في أمر مكروه لا سبيل إلى دفعه، وهو محمول في حقه سبحانه على النهاية لا على البداية. وفي الآية دليل على جواز التوصل إلى الأغراض الصحيحة بما صورته صورة الحيلة والمكيدة إذا لم يخالف شرعاً ثابتاً.

وقوله: ﴿مَا كَانَ﴾ يوسف ﴿لِيَأْخُذَ أَخَاهُ﴾ بنيامين ﴿فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾؛ أي: في دين ملك مصر وحكمه قضائه وشريعته التي كان عليها استئناف تعليل لما صنعه الله تعالى من الكيد ليوسف، أو تفسير له كأنه قيل: لماذا فعل يوسف ذلك؟ فقيل: لأنه لم يكن ليأخذ أخاه بما فعل في دين ملك مصر في أمر

(٣) روح البيان.

(١) الخازن.

(٢) الشوكاني.



السارق؛ أي: في حكمه وقضائه إلا بما فعل.

بل كل دين الملك وقضاؤه أن يضرب السارق ويغرم ضعف ما سرقه دون الاستعباد سنة كما هو دين يعقوب وشريعته.

وحاصله: أن يوسف ما كان يتمكن من إجراء حكم يعقوب على أخيه مع كونه مخالفاً لدين الملك وشريعته لولا ما كاد الله له ودبره وأرادوه حتى وجد السبيل إليه؛ وهو ما أجراه على ألسن إخوته من قولهم: إن جزاء السارق الاسترقاق، فكان قولهم هذا هو بمشيئة الله تعالى وتدبيره، وهو معنى قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾؛ أي: لم يكن يوسف يأخذ أخاه في حكم الملك بسبب من الأسباب إلا بسبب مشيئة الله تعالى وهو حكم أبيه، فلا استثناء من أعم الأحوال؛ أي: لم يكن يتمكن من أخذه وضمه إليه في دين الملك بالسرقة التي نسبها إليه في حال من الأحوال إلا حال مشيئته تعالى التي هي عبارة عن إرادته لذلك الكيد، وإلا حال مشيئته للأخذ بذلك الوجه. قال الكواشي: لولا شريعة أبيه لما تمكن من أخذ أخيه. انتهى. ولما كانت هذه الوسيلة إلى تلك الغاية الشريفة منكرة بحسب الظاهر، لأنها تهمة باطلة، وكان من شأن يوسف أن يتباعد عنها ويتحاماها إلا بوحي من الله تعالى.. بين أنه فعل ذلك بإذن الله ومشيئته، فقال: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾؛ أي: إنه فعل ذلك بإذن الله ووحيه، لا أنه هو الذي اخترع هذه المكيدة؛ لأن ذلك كله كان إلهاماً من الله ليوسف وإخوته حتى جرى الأمر على وفق المراد.

﴿نَرَفَعُ دَرَجَاتٍ﴾؛ أي: نرفع إلى درجات كثيرة ورتب عالية من العلم ﴿مَنْ شَاءَ﴾ رفعه في العلم من عبادنا حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة كما رفعنا يوسف على إخوته في العلم، والمعنى: نرفع درجات من نشاء بضروب العلوم والمعارف والعطايا والكرامات كما رفعنا درجة يوسف بذلك. وانتصاب<sup>(١)</sup> ﴿دَرَجَاتٍ﴾: إما على المصدرية؛ أي: نرفع رفع درجات، وإما على الظرفية؛

(١) المراغي.

أي: في درجات، أو بنزع الخافض؛ أي: إلى درجات.

والمعنى<sup>(١)</sup>: أي: نرفع من نشاء درجات كثيرة في العلم والإيمان، نريه وجوه الصواب في بلوغ المراد كما رفعنا درجات يوسف على إخوته في كل شيء. وفي هذا<sup>(٢)</sup> إيماء إلى أن العلم الشريف أشرف المقامات وأعلى الدرجات؛ لأن الله تعالى مدح يوسف ورفع درجته على إخوته بالعلم، وبما ألهمه على وجه الهداية والصواب في الأمور كلها. وقرأ الكوفيون حمزة والكسائي وعاصم وابن محيصة<sup>(٣)</sup>: ﴿نَرَفَعُ﴾ - بنون - ﴿دَرَجَاتٍ﴾ - منوناً - ﴿مَنْ نَشَأُ﴾ - بالنون .. وباقي السبعة كذلك إلا أنهم أضافوا ﴿دَرَجَاتٍ﴾. وقرأ يعقوب بالياء في: ﴿يرفع﴾ و﴿يشاء﴾؛ أي: يرفع الله تعالى درجات من يشاء رفع درجاته. وقرأ عيسى البصرة شاذاً: ﴿نَرَفَعُ﴾ - بالنون - ﴿دَرَجَاتٍ﴾ - منوناً - ﴿من يشاء﴾ - بالياء .. قال صاحب «اللوامح»: وهذه قراءة مرغوب عنها تلاوة وجملته، وإن لم يمكن إنكارها. وقال ابن عطية، وقرأ الجمهور: ﴿نَرَفَعُ﴾ على ضمير المعظم، وكذلك ﴿نَشَأُ﴾. وقرأ الحسن وعيسى ويعقوب بالياء؛ أي: الله تعالى. انتهى.

﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ﴾؛ أي: وفوق كل صاحب علم من الخلائق ﴿عَلِيمٌ﴾؛ أي: من هو أوسع وأكثر منه إحاطة بالعلم، وأرفع درجة منه فيه إلى أن يصل الأمر إلى من أحاط بكل شيء علماً، وهو فوق كل ذي علم. يعني: ليس من عالم إلا وفوقه أعلم منه حتى ينتهي العلم إلى الله تعالى، وعليم صيغة مبالغة، أو المعنى: وفوق كل ذي علم من العلماء كلهم عليم هم دونه في العلم، وهو الله عز وجل، ذكره النسفي.

وخلاصة ذلك: أن إخوة يوسف كانوا علماء فضلاء إلا أن يوسف كان أعلم منهم. وقرأ عبد الله شاذاً<sup>(٤)</sup>: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عَالَمٍ﴾ فخرّجت على زيادة ذي، أو على أن قوله: ﴿عالم﴾ مصدر بمعنى علم كالباطل، أو على أن التقدير:

(٣) البحر المحيط.

(١) الخازن.

(٤) الخازن.

(٢) البحر المحيط.

وفوق كل ذي شخص عالم. قال ابن الأنباري<sup>(١)</sup>: يجب أن يتهم العالم نفسه، ويستشعر التواضع لمواهب ربه سبحانه وتعالى، ولا يطمع نفسه في الغلبة، لأنه لا يخلو عالم من عالم فوّه. انتهى.

ولما خرج الصواع من رحل بنيامين.. افتضح الإخوة ونكسوا رؤوسهم و﴿قَالُوا﴾ تبرئة لساحتهم ﴿إِنْ يَسْرِقُ﴾ بنيامين.. فلا عجب لسرقته ﴿فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ﴾؛ أي: أخ لبنيامين يريدون به يوسف ﴿مِنْ قَبْلُ﴾؛ أي: من قبل سرقته الآن، فالسرقة جاءت لهما وراثته من أمهما؛ إذ هما لا ينفردان منا إلا بها. وفي قولهم هذا إيحاء إلى أن الحسد لا يزال كامناً في قلوبهم لاختلاف الأمهات، ولمزيد محبة الأب لهما، وأتوا<sup>(٢)</sup> بـ﴿إِنْ﴾ المفيدة للشك؛ لأن ليس عندهم تحقق سرقته بمجرد إخراج الصاع من رحله، وبالمضارع لحكاية الحال الماضية.

وأصح ما قيل في سرقة يوسف<sup>(٣)</sup>: ما رواه ابن مردويه عن ابن عباس مرفوعاً قال: «سرق يوسف عليه السلام صنماً لجده أبي أمه من ذهب وفضة، فكسره وألقاه في الطريق، فعيّره بذلك إخوته». وأخرج ابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم عن مجاهد قال: كان أول ما دخل على يوسف عليه السلام من البلاء فيما بلغني أن عمته - وكانت أكبر ولد إسحاق عليه السلام - كانت إليها منطقة إسحاق؛ إذ كانوا يتوارثونها بالكبر، وكان يعقوب حين ولد له يوسف عليه السلام قد حضنته عمته، فكان معها، فلم يحب أحد شيئاً من الأشياء كحبها إياه بحيث لا تصبر عنه، فلما شب أراد يعقوب أن ينزعه منها، فأتاها فقال: يا أختي سلمى إلي يوسف، فوالله ما أقدر على أن يغيب عني ساعة، قالت: فوالله ما أنا بتاركته، فدعه عندي أياماً أنظر إليه لعل ذلك يسليني عنه، فلما خرج يعقوب من عندها عمدت إلى منطقة إسحاق عليه السلام، فحزمتها على يوسف عليه السلام من تحت ثيابه، ثم قالت: فقدت منطقة إسحاق، فانظروا من أخذها ومن

(١) الصاوي.

(٢) المراغي.

(٣) المراغي.

أصابها، فالتمست ثم قالت: اكشفوا أهل البيت فكشفوهم فوجدوها مع يوسف عليه السلام مشدودةً عليه تحت ثيابه، فقالت: إنه سرقها مني، فقالت: والله إنه لسلم لي أصنع فيه ما شئت، فأتاها يعقوب فأخبرته الخبر، فقال لها: أنت وذلك إن كان فعل فهو سلم لك ما أستطيع غير ذلك، فأمسكته فما قدر عليه حتى ماتت، وكان حكمهم أن من سرق يُسرق، فتوسلت بهذه الحيلة إلى إمساكه عندها.

وهذا هو الذي عناه إخوته بقولهم: ﴿إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلٍ﴾ وهذه الروايات لا يوثق بها كما لا يدل شيء منها على سرقة حقيقية.

﴿فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ﴾؛ أي: فأضمر يوسف مقالتهم هذه، أعني قولهم: ﴿إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ﴾ في نفسه، ولم يجبهم عنها، لا أنه أسرها في بعض أصحابه كما في قوله: ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾؛ أي: أكن الحزازة الحاصلة مما قالوا في نفسه وقلبه. والحزازة: وجع في القلب من غيظ ونحوه كما في «القاموس».

﴿وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾؛ أي: لم يظهرها لهم ولم يؤاخذهم بها لا قولاً ولا فعلاً صفحاً عنهم وحلماً، كأنه قيل: فماذا قال في نفسه عند تضاعيف ذلك الإسرار؟ فقيل: ﴿قَالَ﴾ يوسف في نفسه ﴿أَنْتُمْ سَرَّ مَكَانًا﴾؛ أي: أقبح منزلة في السرقة حيث سرقتم أحاكم من أبيكم، ثم طفقتم تفترون على البريء، وهذه الجملة تفسير لما أسره يوسف؛ أي: (١) قال في نفسه: أنتم شرف في مكاتكم ومنزلتكم ممن تعرضون به أو تفترون عليه بالسرقة؛ إذ أنكم سرقتم من أبيكم أحب أولاده إليه وعرضتموه للهلاك والرق، وقتلتم لأبيكم: قد أكله الذئب.. إلخ.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما (٢): عوقب يوسف بثلاث: حين همّ بزليخا فسجن، وحين قال: اذكرني عند ربك فلبث في السجن بضع سنين، وحين قال:

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

إنكم لسارقون فردوا عليه، فقالوا: فقد سرق أخ له من قبل.

﴿وَاللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى ﴿أَعْلَمُ﴾ منكم ﴿بِمَا تَصِفُونَ﴾ به من السرقة؛ أي: أعلم بحقيقة ما تذكرون من أمر يوسف هل يوجب عود مذمة إليه أم لا؟ لأنه سبحانه وتعالى هو العليم بحقائق الأمور، فيعلم كيف كانت سرقة الذي أحلتم سرقته عليه؛ أي: والله أعلم أسرق أخ له أم لا، ﴿ف﴿أَعْلَمُ﴾ على ما قررناه على معناه التفضيلي، فإن قيل: لم يكن فيهم علم، والتفضيل يقتضي الشركة.. قلنا: يكفي الشركة بحسب زعمهم، فإنهم كانوا يدعون العلم لأنفسهم، ألا ترى إلى قولهم: ﴿فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ على سبيل الجزم كما في «الحواشي السعدية».

وقيل: إن المفاضلة ليست على بابها، والمعنى عليه: والله تعالى أعلم؛ أي: عالم علماً بالغاً إلى أقصى المراتب بأن الأمر ليس كما تصفون من صدور السرقة منا، بل إنما هو افتراء علينا، فالصيغة لمجرد المبالغة لا لتفضيل علمه على علمهم، كيف لا وليس لهم بذلك من علم.

روي: أنهم كلموا العزيز في إطلاق بنيامين، فقال روبيل: أيها الملك لتردن إلينا أخانا، أو لأصبحن صيحة تضع منها الحوامل في مصر، وقامت شعور جسده، فخرجت من ثيابه، وكان بنو يعقوب إذا غضبوا لا يطاقون، خلا أنه إذا مس من غضب واحد منهم.. سكن غضبه، فقال يوسف لابنه: قم إلى جنبه فمسه. ويروي: خذ بيده فمسه، فسكن غضبه، فقال روبيل: إن هنا لبذراً من بذر يعقوب، فقال يوسف: مَنْ يعقوب؟ ولما رأوا أن لا سبيل لهم إلى تخليصه خضعوا وأرادوا أن يستعطفوه ليطلق لهم أخاه بنيامين، فيرجعوا به إلى أبيهم؛ لأنه قد أخذ عليهم الميثاق بأن يردوه إليه و﴿قَالُوا﴾ له مستعطفين ﴿يَتَأْتِيهَا الْعَزِيزُ﴾؛ أي: يا أيها الملك ﴿إِنَّ لَهُ أَبَا﴾؛ أي: إن لبنيامين ﴿أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا﴾؛ أي: طاعناً في سن الكبر لا يكاد يستطيع فراقه، وهو علالته التي يتعلل بها عن شقيقه الهالك، أو هو كبير القدر جدير بالرعاية كما علمت مما سلف من قصصه ومن تعلقه به ﴿فَخَذَ أَحَدُنَا مَكَانَهُ﴾؛ أي: بدله على وجه الاسترهان أو الاسترقاق،

فلسنا عنده بمنزلته من المحبة والشفقة عنده. ثم عللوا رجاءهم في إجابته بقولهم: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ﴾ أيها الملك ﴿مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ إلينا في ميرتنا وضيافتنا وتجهيزنا، فأتى إحسانك إلينا بهذه النعمة، فما الإنعام إلا بالإتمام، أو المعنى: إن من عادتك الإحسان مطلقاً، فاجر على عادتك ولا تغيرها، فنحن أحق الناس بذلك. فأجابهم يوسف عن مقالتهم هذه بقوله: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ من إضافة المصدر إلى المفعول به؛ أي: نعوذ بالله معاذاً من ﴿أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعَيْنًا عِنْدَهُ﴾؛ أي: إلا من وجدنا صواعنا عنده مدسوساً في رحله، وهو بنيامين لأننا قد أخذناه بفتواكم: ﴿مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ فلا يسوغ لنا أن نخل بموجها.

ولم يقل<sup>(١)</sup>: إلا من سرق متاعنا اتقاءً للكذب؛ لأنه يعلم أنه ليس بسارق ﴿إِنَّا إِذَا﴾؛ أي: إذا أخذنا غير من وجد متاعنا عنده، وأخذنا بريئاً بمذنب ولو برضاه ﴿أَطْلَمُونَ﴾ من وجهين: مخالفة شرعكم ونص فتواكم، ومخالفة شريعة الملك. قال في «بحر العلوم»: ﴿إِذَا﴾ جواب لهم وجزاء؛ لأن المعنى: إن أخذنا بدله ظلمنا، هذا ظاهره، وأما باطنه فهو أن الله أمرني بالوحي أن آخذ بنيامين لمصالح علمها الله في ذلك، فلو أخذت غيره لكنت ظالماً وعاملاً بخلاف الوحي، فصرت ظالماً لنفسي.

﴿فَلَمَّا أَسْتَيْسُوا﴾؛ أي: فلما يئس إخوة يوسف غاية اليأس بدلالة صيغة الاستفعال، واستحكم اليأس في أنفسهم ﴿مِنَهُ﴾؛ أي: من قبول العزيز لشفاعتهم واستعطافهم بعد أن أقام الحجة عليهم بشرعهم وفتواهم، وأنه إن فعل غيره يكون ظالماً بمقتضى شريعتهم وشريعة ملك مصر ﴿خَلَصُوا﴾؛ أي: اعتزلوا وانفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم غيرهم حالة كونهم ﴿بِحَيَاتٍ﴾؛ أي: متناجين متحدثين في تدبير أمرهم، ومتشاورين على أي صفة يذهبون وماذا يقولون لأبيهم في شأن أخيهم إذا رجعوا. وقرأ البزري عن ابن كثير<sup>(٢)</sup>: ﴿استايسوا﴾ بوزن استفعلوا من أيس مقلوباً من يئس، ومعناها واحد. ودليل القلب كون ياء أيس

(١) روح البيان.

(٢) البحر المحيط.

لم تنقلب ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها .

وخلاصة ذلك<sup>(١)</sup> : أن أولئك الإخوة العشرة بعد أن انتهى كبيرهم من استعطاف العزيز وعدم جدوى ما فعل . . غادر كل منهم رحله ، وانضم بعضهم إلى بعض ، وأدنى رأسه من رأسه ، وأرهفوا آذانهم للنجوى .

والمعنى : فلما أيسوا من يوسف أن يجيبهم لما سألوه ، وقيل : أيسوا من أخيه أن يرد عليهم . . خلا بعضهم ببعض يتناجون ويتشاورون ليس فيهم غيرهم ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ في السن وهو روبيل ، أو في العقل وهو يهوذا ، أو رئيسهم وهو شمعون ، وكانت له الرياسة على إخوته كأنهم أجمعوا عند التناجي على الانقلاب والرجوع إلي أبيهم جملة ، ولم يرض ذلك ، فقال منكرأ عليهم : ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا﴾ والاستفهام فيه للتقرير ؛ أي : قال كبيرهم قد علمتم أيها القوم يقيناً ﴿أَنْتَ أَبَاكُمْ﴾ يعقوب ﴿قَدْ أَخَذَ﴾ وجعل ﴿عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ﴾ تعالى ؛ أي : عهداً مؤكداً باليمين من الله لتردنه إليه إلا أن يحاط بكم ، وقد رأيتم كيف تعذر ذلك عليكم ، وكونه من الله لإذنه فيه .

والجار والمجرور في قوله : ﴿وَمِنْ قَبْلُ﴾ ؛ أي : ومن قبل هذا متعلق بـ ﴿فَرَطْتُمْ﴾ الآتي ، و﴿مَا﴾ في قوله : ﴿مَا فَرَطْتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ زائدة ؛ أي : ومن<sup>(٢)</sup> قبل أخذكم العهد في شأن بنيامين قصرتم في شأن يوسف ، ولم تفوا بوعدكم على النصح والحفظ له ، أو مصدرية عطفاً على مفعول ﴿تَعْلَمُوا﴾ ؛ أي : ألم تعلموا أخذ أبيكم عليكم موثقاً من الله وتفريطكم السابق في شأن يوسف ، أو ترككم ميثاقه في حق يوسف ، أو موصولة عطفاً على مفعول ﴿تَعْلَمُوا﴾ أيضاً ؛ أي : ألم تعلموا أخذ أبيكم موثقاً من الله في شأن بنيامين ، والذي قدمتموه في حق يوسف من الخيانة العظيمة من قبل تقصيركم في بنيامين ، وكيف أن أباكم قد قاسى من أجله من الحزن ما قاسى .

(١) المراغي .

(٢) المراح .

﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ﴾؛ أي: فلن أفارق أرض مصر ذاهباً منها ﴿حَتَّى يَأْذَنَ لِي﴾  
 أي: بتركها ويترك بنيامين فيها والرجوع إليه، ضمن<sup>(١)</sup> ﴿أَبْرَحَ﴾ معنى المفارقة،  
 فعدي إلى المعفول، و﴿أَبْرَحَ﴾ هنا تامة لا ناقصة؛ لأن الأرض لا تحمل على  
 المتكلم، وكان أيمانهم معقودة على عدم الرجوع بغير إذن يعقوب ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ﴾  
 لي بالخروج منها على وجه لا يؤدي إلى نقض الميثاق، أو بخلاص أخي من يد  
 العزيز بسبب من الأسباب كأن يتركه العزيز لي بإلهام منه تعالى، أو بسبب آخر  
 ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه وتعالى ﴿خَيْرُ الْمُحْكَمِينَ﴾ وأفضلهم؛ لأنه لا يحكم إلا بما هو  
 الحق والعدل، وهو المسخر للأسباب والمقدر للأقدار، والمراد من هذا الكلام  
 الالتجاء إلى الله تعالى في إقامة عذره عند والده يعقوب عليه السلام، ثم أمرهم  
 أن يقولوا لأبيهم ما يزيلون به التهمة عن أنفسهم، فقال: ﴿أَرْجِعُوا﴾ يا إخوتي  
 ﴿إِلَى أَبِيكُمْ﴾ يعقوب دوني ﴿فَقُولُوا﴾ له متلطفين بخطابكم: ﴿يَتَأَبَانًا إِنَّكَ﴾  
 بنيامين ﴿سَرَقَ﴾ صواع الملك من ذهب فيما يظهر لنا، فاسترقه وزيره العزيز  
 القائم بالأمر في مصر عملاً بشريعتنا؛ إذ نحن أنبأناه بها بعد أن استنبأنا إياها.  
 وقرأ الجمهور: ﴿سَرَقَ﴾ - ثلاثياً مبنياً للفاعل - إخباراً بظاهر الحال. وقرأ ابن  
 عباس وأبو رزين والكسائي في رواية: ﴿سرق﴾ - مبنياً للمفعول - لم يقطعوا عليه  
 بالسرقة، بل ذكروا أنه نسب إلى السرقة. وقرأ الضحاك: ﴿سارق﴾ اسم فاعل،  
 وما عدا قراءة الجمهور شاذ وليس بمتواتر.

﴿وَمَا شَهِدْنَا﴾ عليه بالسرقة بسمع أو إشاعة أو تهمة، بل ما شهدنا عليه  
 بالسرقة ﴿إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا﴾ وشاهدنا؛ إذ رأينا الصواع قد استخرج من متاعه ﴿وَمَا﴾  
 ﴿كُنَّا لِنَلْفِيحَ حَفِظِينَ﴾ فنعلم أنه سيسرق حين أعطيناك الموائيق، ولو كنا نعلم  
 ذلك لما آتيناك وأعطيناك العهد الموثق علينا، أو المعنى: وما كنا للغيب  
 عالمين، فما ندري حقيقة الأمر كما شاهدنا، أم هي بخلافه؛ لأن حقيقة الأمر  
 غير معلومة لنا؛ فإن الغيب لا يعلمه إلا الله، ففعل الصواع دس في رحله، ونحن  
 لا نعلم ذلك.

(١) روح البيان.



﴿و﴾ قولوا لأبيكم: أرسل إلى أهل مصر و﴿اسأل﴾ أهل ﴿الْقَرِيَةَ الَّتِي كُنَّا﴾ نمتار ﴿فِيهَا﴾ عن كنه هذه القصة؛ ليتبين لك صدقنا، فقد اشتهر فيهم أمر هذه السرقة حتى لو سئلوا لشهدوا، واسأل ﴿وَالْعِمْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾؛ أي: واسأل أصحاب العير والإبل الذين كانوا يمتارون معنا وجئنا معهم، وهم قوم من كنعان من جيران يعقوب عليه السلام، ثم أكدوا صدق مقالهم بقولهم: ﴿وإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ فيما أخبرناك به سواء أسألت غيرنا، أم لم تسأل؛ إذ أن من عادتنا الصدق، فلا نخبرك إلا به، ولا نظنك في مرية من هذا، فرجع الأخوة التسعة إلى أبيهم، فقالوا له ما قال كبيرهم، فلم يصدقهم فيما قالوا، بل ﴿قَالَ﴾ لهم أبوهم يعقوب عليه السلام ﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾ وزينت ﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً﴾؛ أي: كيداً آخرأ، وهو إخراج بنيامين عني إلى مصر طلباً للمنفعة، فعاد من ذلك ضرر فنبذتموه، ومما يقوي ذلك عندي أنكم لقتنتم ذلك الملك حكم شريعتنا، وأفتيتموه بأن جزاء السارق أن يؤخذ ويسترق، وإلا فما يعرف الملك أن السارق يؤخذ بسرقة؛ لأن ذلك إنما هو من دين يعقوب لا من دين الملك، ولولا فتواكم وتعليمكم لما حكم الملك ذلك ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾؛ أي: فحالي على ما نالني من فقدته صبر جميل لا جزع فيه ولا شكاية فيه لأحد، بل أشكوا إلى الله وحده وأعلق رجائي به.

﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً﴾؛ أي: حقق الله سبحانه وتعالى أن يرجع إليّ يوسف وبنيامين والأخ الثالث الباقي بمصر، وقد كان لديه إلهام بأن يوسف لم يمت وإن غاب عنه خبره، وإنما قال يعقوب هذه المقالة؛ لأنه لما طال حزنه واشتد بلائه، ومحتته علم أن الله سيجعل له فرجاً ومخرجاً عن قريب، فقال ذلك على سبيل حسن الظن بالله عز وجل؛ لأنه إذا اشتد البلاء وعظم كان أسرع إلى الفرج. ﴿إِنَّهُ﴾ سبحانه وتعالى ﴿هُوَ الْعَلِيمُ﴾ بفقدي لهم وحزني ووجدي عليهم، وله فينا حكمة بالغة ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أفعاله فيبتلي ويرفع البلاء على مقتضى سننه وحكمته في تدبير خلقه، وقد جرت سنته أن الشدة إذا تناهت جعل وراءها فرجاً، والمصيبة إذا عظمت جعل بعدها المخلص منها كما قال: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾.

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾؛ أي: أعرض عنهم كراهة لما جاءوا به؛ أي: وأعرض يعقوب عن بنيه حين بلغوه خبر بنيامين، فحينئذ تناهى حزنه واشتد بلاؤه، وبلغ جهده وهيج حزنه على يوسف، فعند ذلك أعرض عنهم.

وقال: ﴿يَتَأَسَّفُ عَلَىٰ يُوْسُفَ﴾؛ أي: يا حزني ويا حسرتي على يوسف أقبلي إلي فهذا وقتك، والحال مقتضية لك، فقد كنت أنتظر أن يأتوني من مصر ببشرى لقاء يوسف، فخاب أمني وحلّ محله ذهاب ابني المسلي عنه، ولم يشرك معه بنيامين بالأسف عليه؛ لأن مكان حب يوسف والرجاء فيه قد ملأ سويداء القلب وزواياه، ومحل غيره دون ذلك.

قال الزجاج: الأصل يا أسفي فأبدل من الياء ألفاً لخفة الفتحة، والأسف: شدة الجزع، وقيل: شدة الحزن.

قال يعقوب هذه المقالة لما بلغ منه غاية مبالغة بسبب فراقه ليوسف، وانضمام فراقه لأخيه بنيامين، وبلوغ ما بلغه من كونه أسيراً عند ملك مصر، فتضاعفت أحزانه وهاج عليه الوجد القديم بما أثاره من الخبر الأخير.

وقد روي عن سعيد بن جبير<sup>(١)</sup>: أن يعقوب لم يكن عنده ما ثبت في شريعتنا من الاسترجاع والصبر على المصائب، ولو كان عنده ذلك لما قال: ﴿يَتَأَسَّفُ عَلَىٰ يُوْسُفَ﴾، ومعنى المناداة للأسف طلب حضوره، كأنه قال: تعال يا أسفي وأقبل إلي.

﴿وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾؛ أي: أصابت عينيه غشاوة بيضاء غطت على البصر مع بقاء العصب الذي يدرك المبصرات سليماً معافى، أو المعنى: انقلب سواد عينيه بياضاً من كثرة البكاء. قيل: إنه زال إدراكه بحاسة البصر بالمرة. وقيل: كان يدرك إدراكاً ضعيفاً من كثرة البكاء، فإن الدمع يكثر عند غلبة البكاء، فتصير العين كأنها بيضاء من بياض الماء الخارج منها.

(١) الشوكاني.

(٢) المراغي.

﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾؛ أي: مكظوم مملوء غيظاً وغضباً على أولاده يردد حزنه في جوفه، ولا يتكلم بسوء، أو مملوء حزناً ممسك له كاتم له لا يبثه، ومنه كظم الغيظ؛ أي: وهو إخفاؤه، فالمكظوم المسدود عليه طريق حزنه، من كظم السقاء إذا سده على ما فيه.

والحزن: عرض طبيعي للنفس ولا يذم شرعاً إلا إذا بلغ بصاحبه أن يقول أو أن يفعل ما لا يرضي الله تعالى، ومن ثم قال النبي ﷺ عند موت ولده إبراهيم، وقد جعلت عيناه تذرْفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟! «يا ابن عوف إنها رحمة» ثم أتبعها بأخرى، فقال: «إن العين لتدمع وإن القلب ليخشع، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون». رواه الشيخان وغيرهما.

فائدة: وقد اعترض بعض الجهال على يعقوب عليه السلام في قوله: ﴿يَتَأَسَفَنَّ عَلَيَّ يَوْسُفَ﴾ فقال هذه شكايه وإظهار جزع، فلا يليق بعلو منصبه ذلك، وليس الأمر كما قال هذا الجاهل المعترض؛ لأن يعقوب عليه السلام شكى إلى الله لا منه، فقوله: ﴿يَتَأَسَفَنَّ عَلَيَّ يَوْسُفَ﴾ معناه: يا رب ارحم أسفي على يوسف. وقد ذكر ابن الأنباري عن بعض اللغويين أنه قال: نداء يعقوب بالأسف في اللفظ من المجاز يعني به غير المظهر في اللفظ، وتخليصه: يا إلهي ارحم أسفي، أو أنت رائئ أسفي، أو هذا أسفي، فنادى الأسف في اللفظ، والمنادى سواء في المعنى، ولا مآثم إذا لم ينطق اللسان بكلام مؤثم؛ لأنه لم يشك إلا إلى ربه عز وجل. فلما كان قوله: ﴿يَتَأَسَفَنَّ عَلَيَّ يَوْسُفَ﴾ شكوى إلى ربه كان غير ملوم في شكواه، وقيل: إن يعقوب لما عظمت مصيبته واشتد بلاؤه وقويت محتته.. قال: يا أسفا على يوسف؛ أي: أشكو إلى الله شدة أسفي على يوسف، ولم يشكه إلى أحد من الخلق بدليل قوله: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُرَّتِي إِلَى اللَّهِ﴾.

وقال الحسن: كان بين خروج يوسف من حجر أبيه إلى يوم التقيا ثمانون سنة لم تجف عينا يعقوب، وما على وجه الأرض يومئذ أكرم على الله منه.

## الإعراب

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾﴾ .

﴿وَلَمَّا﴾ (الواو): استئنافية. ﴿لَمَّا﴾: حرف شرط. ﴿دَخَلُوا﴾: فعل وفاعل.  
 ﴿عَلَى يُوسُفَ﴾: متعلق به، والجملة فعل شرط ﴿لَمَّا﴾. ﴿ءَاوَىٰ﴾: فعل ماضٍ،  
 وفاعله ضمير يعود على ﴿يُوسُفَ﴾. ﴿إِلَيْهِ﴾: متعلق به. ﴿أَخَاهُ﴾: مفعول به،  
 والجملة جواب ﴿لَمَّا﴾، وجملة ﴿لَمَّا﴾ من فعل شرطها وجوابها مستأنفة استئنافاً  
 بيانياً. ﴿قَالَ﴾: فعل ماضٍ وفاعله ضمير يعود على ﴿يُوسُفَ﴾. والجملة  
 مستأنفة، أو بدل من جملة ﴿ءَاوَىٰ﴾. ﴿إِنِّي أَنَا أَخُوكَ﴾ إلى آخر الآية: مقول  
 محكي، وإن شئت قلت: ﴿إِنِّي﴾: ناصب واسمه. ﴿أَنَا﴾: ضمير فصل، أو مؤكد  
 لياء المتكلم. ﴿أَخُوكَ﴾: خبر ﴿إِن﴾ وجملة ﴿إِن﴾ في محل نصب مقول  
 ﴿قَالَ﴾. ﴿فَلَا﴾: (الفاء): حرف عطف وتفريع، ﴿لَا﴾: ناهية جازمة:  
 ﴿تَبْتَئِسْ﴾: فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، وفاعله ضمير يعود على أخي  
 يوسف، والجملة الفعلية في محل نصب معطوفة على جملة ﴿إِن﴾ على كونها  
 مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿تَبْتَئِسْ﴾. ﴿كَانُوا﴾: فعل  
 ناقص واسمه، وجملة ﴿يَعْمَلُونَ﴾: خبر ﴿كَانَ﴾، وجملة ﴿كَانَ﴾: صلة  
 لـ﴿مَا﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف تقديره، بما كانوا يعملونه  
 ويصح كون ﴿مَا﴾ مصدرية.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِزَّةُ  
 إِنَّكُمْ لَسَرِوْنَ ﴿٧٠﴾﴾ .

﴿فَلَمَّا﴾: (الفاء): حرف عطف وتعقيب، ومر في مبحث التفسير علة الإتيان  
 بالفاء هنا. ﴿لَمَّا﴾: حرف شرط غير جازم. ﴿جَهَّزَهُم﴾: فعل ومفعول، وفاعله  
 ضمير يعود على ﴿يُوسُفَ﴾. ﴿بِجَهَّازِهِمْ﴾: متعلق به، والجملة فعل شرط  
 لـ﴿لَمَّا﴾. ﴿جَعَلَ السَّقَايَةَ﴾: فعل ومفعول به؛ لأن ﴿جَعَلَ﴾ هنا بمعنى وضع،  
 وفاعله ضمير يعود على ﴿يُوسُفَ﴾. ﴿فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه

متعلق به، والجملة جواب ﴿لما﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿لما﴾ معطوفة على جملة ﴿لما﴾ في قوله: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف وتراخ. ﴿أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿جَعَلَ﴾. ﴿أَيْتَهَا﴾: منادى نكرة مقصودة حذف منه حرف النداء، والهاء حرف تنبيه زيد تعويضاً عما فات؛ أي: من الإضافة، وجملة النداء في محل النصب مقول لقول محذوف حال من ﴿مُؤَذِّنٌ﴾ تقديره: حالة كونه قائلاً أيتها العير إنكم لسارقون. ﴿الْعَيْرُ﴾ بدل ﴿إِنَّكُمْ لَسَرِقُونَ﴾: ناصب واسمه وخبره، واللام حرف ابتداء، والجملة الاسمية في محل النصب مقول لذلك القول المحذوف على كونها جواب النداء.

﴿قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ﴾ (٧).

﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿وَأَقْبَلُوا﴾: (الواو): واو الحال. ﴿أقبلوا﴾: فعل وفاعل. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: متعلق به، والجملة في محل النصب حال من فاعل ﴿قَالُوا﴾. ﴿مَاذَا تَفْقِدُونَ﴾: مقول محكي لـ ﴿قَالُوا﴾، وإن شئت قلت: ﴿مَاذَا﴾: استفهام مركب في محل النصب مفعول مقدم وجوباً، أو ﴿ما﴾: اسم استفهام في محل الرفع مبتدأ، ﴿ذا﴾: اسم موصول بمعنى الذي في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾. ﴿تَفْقِدُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول، والعائد محذوف تقديره: تفقدونه.

﴿قَالُوا تَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ (٧).

﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة استثنافاً بيانياً. ﴿تَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ﴾ إلى آخر الآية: مقول محكي لـ ﴿قَالُوا﴾، وإن شئت قلت: ﴿تَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ﴾: فعل ومفعول به ومضاف إليه، وفاعله ضمير يعود على أصحاب يوسف، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾. ﴿وَلِمَن﴾: جار ومجرور خبر مقدم. ﴿جَاءَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعله ضمير يعود على ﴿من﴾. ﴿بِهِ﴾: متعلق بـ ﴿جَاءَ﴾، والجملة صلة الموصول. ﴿حِمْلُ بَعِيرٍ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾. ﴿وَأَنَا﴾: مبتدأ. ﴿بِهِ﴾: متعلق بما بعده ﴿زَعِيمٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾

﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل، والجمله مستأنفة. ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾ إلى آخر الآية: مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿تَاللَّهِ﴾: (التاء): حرف جر وقسم مختص بلفظ الجلالة. ﴿الله﴾: مقسم به مجرور بقاء القسم، الجار والمجرور متعلق بفعل محذوف تقديره: أقسم تالله، وجمله القسم مع جوابه الآتي في محل نصب مقول ﴿قَالُوا﴾. ﴿لَقَدْ﴾: (اللام): موطنه للقسم. ﴿قد﴾: حرف تحقيق. ﴿عَلِمْتُمْ﴾: فعل وفاعل، والجمله الفعلية جواب القسم لا محل لها من الإعراب. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿جِئْنَا﴾: فعل وفاعل، والجمله الفعلية في محل نصب سادة مسد مفعول علم؛ لأنه بمعنى عرف تقديره: لقد علمتم عدم مجيئنا لنفسد في الأرض. ﴿لِنُفْسِدَ﴾: (اللام): لام كي. ﴿نفسد﴾: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة جوازاً بعد لام كي، وفاعله ضمير يعود على أخوة يوسف. ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: متعلق به. ﴿وَمَا﴾: (الواو): عاطفة. ﴿ما﴾: نافية. ﴿كُنَّا سَارِقِينَ﴾: فعل ناقص واسمه وخبره، والجمله في محل نصب معطوفة على الجملة التي قبلها تقديره: وعدم كوننا سارقين.

﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ (٧٦).

﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل، والجمله مستأنفة. ﴿فَمَا جَزَاؤُهُ﴾ إلى آخر الآية: مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿فَمَا﴾: (الفاء): عاطفة على محذوف تقديره: قد سمعنا قولكم ما جئنا لنفسد في الأرض، وما كنا سارقين، ﴿ما جزاؤه﴾: ﴿ما﴾: استفهامية في محل الرفع مبتدأ. ﴿جَزَاؤُهُ﴾: خبر مضاف إليه، والجمله الاسمية في محل نصب معطوفة على ذلك المحذوف على كونها مقولاً لـ ﴿قَالُوا﴾، ويحتمل كون الفاء زائدة. ﴿إِنْ﴾: حرف شرط. ﴿كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾: فعل ناقص واسمه، وخبره في محل الجزم بـ ﴿إِنْ﴾ الشرطية على كونها فعل شرط لها، وجواب ﴿إِنْ﴾ الشرطية معلوم مما قبلها تقديره: إن كنتم كاذبين فما جزاؤه. ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مِنْ وُجْدٍ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ يَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ (٧٧).

﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل، والجمله مستأنفة. ﴿جَزَاؤُهُ مِنْ وُجْدٍ﴾ إلى آخر الآية

مقول محكي لـ ﴿قَالُوا﴾، وإن شئت قلت: ﴿جَزْؤُهُ﴾: مبتدأ أول. ﴿مَنْ﴾: اسم شرط في محل الرفع مبتدأ ثان، وخبره جملة الشرط، أو جملة الجواب، أو هما على الخلاف. ﴿وُجِدَ﴾: فعل ماضٍ مغيّر الصيغة في محل الجزم بـ ﴿مَنْ﴾ على كونه فعل شرط لها، ونائب فاعله ضمير يعود على الصواع. ﴿فِي رَحْلِهِ﴾: متعلق به. ﴿فَهُوَ﴾: (الفاء): رابطة لجواب ﴿مَنْ﴾ الشرطية. ﴿هُوَ جَزَاؤُهُ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية في محل الجزم بـ ﴿مَنْ﴾ الشرطية على كونها جواباً لها، وجملة ﴿مَنْ﴾ الشرطية: في محل الرفع خبر المبتدأ الأول، والجملة من المبتدأ الأول وخبره في محل النصب مقول لـ ﴿قَالُوا﴾.

وفي «السمين» قوله: ﴿جَزْؤُهُ مَنْ وُجِدَ﴾ فيه أوجه:

أحدها: أن يكون ﴿جَزْؤُهُ﴾ مبتدأ، والضمير للسارق، و﴿مَنْ﴾ شرطية أو موصولة مبتدأ ثان، والفاء: رابطة الجواب للشرط، أو مزيدة في خبر الموصول لشبهه بالشرط، و﴿مَنْ﴾ وما في حيزها على وجهيها خبر المبتدأ الأول.

والثاني: أن يكون ﴿جَزْؤُهُ﴾ مبتدأ، والهاء تعود للمسروق، و﴿مَنْ وُجِدَ﴾ في رَحْلِهِ﴾ خبره، و﴿مَنْ﴾ بمعنى الذي، والتقدير: وجزاء الصواع الذي وجد في رحله.

والثالث: أن يكون ﴿جَزْؤُهُ﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: والمسؤول عنه جزاؤه، ثم أفتوا بقولهم: ﴿مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزْؤُهُ﴾. اهـ. ﴿كَذَلِكَ﴾: صفة لمصدر محذوف، والعامل فيه ما بعده. ﴿يَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على إخوة يوسف، والتقدير: نجزي الظالمين جزاء مثل ذلك الجزاء المذكور، والجملة الفعلية في محل النصب مقول لـ ﴿قَالُوا﴾.

﴿بَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ آخِيهِ ثُمَّ أَسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ آخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِ ﴿٧٦﴾﴾.

﴿بَدَأَ﴾: (الفاء): فاء الفصيحة، لأنها أفصح عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفت ما قال إخوة يوسف، وما قال أصحاب يوسف، وأردت بيان ما فعل يوسف بهم.. فأقول لك: ﴿بَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ﴾: ﴿بَدَأَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعله

ضمير يعود على ﴿يُوسُفَ﴾، والجملة الفعلية في محل النصب مقول لجواب إذا المقدر، وجملة إذا المقدره مستأنفة. ﴿بِأَرْعَيْتَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿بِأَرْعَيْتَهُمْ﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بـ﴿بِأَرْعَيْتَهُمْ﴾ أيضاً. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿أَسْتَخْرَجَهَا﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على ﴿يُوسُفَ﴾. ﴿مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق باستخراج، والجملة الفعلية معطوفة على جملة ﴿بِأَرْعَيْتَهُمْ﴾. ﴿كَذَلِكَ﴾: جار ومجرور صفة لمصدر محذوف معمول لما بعده. ﴿كَذُنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿لِيُوسُفَ﴾: متعلق به، والتقدير: كذا يوسف كيداً مثل ذلك الكيد المذكور، والجملة في محل النصب مقول لجواب إذا المقدر. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿كَانَ﴾: فعل ماضٍ ناقص، واسمها ضمير يعود على ﴿يُوسُفَ﴾. ﴿لِيَأْخُذَ﴾: (اللام): حرف جر وجحد. ﴿بِأَخِيهِ﴾: فعل ومفعول منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد لام الجحد. ﴿فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾: جار ومجرور متعلق به، والجملة الفعلية صلة أن المضمرة، أن مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بلام الجحد، الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر ﴿كَانَ﴾ على مذهب البصريين تقديره: ما كان يوسف مريداً لأخذ أخيه في دين الملك، وتمكناً منه في حكمه، وهذه الجملة تعليق لما صنعه الله ليوسف من الكيد، أو تفسير له. ذكره الشوكاني وغيره. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء من أعم الأحوال. ﴿أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾: ناصب وفعل وفاعل، والجملة في تأويل مصدر مجرور بإضافة مستثنى المحذوف إليه، والتقدير: ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك في حال من الأحوال إلا حال مشيئة الله سبحانه وتعالى. ﴿تَرْفَعُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿اللَّهُ﴾، والجملة في محل النصب مقول لجواب إذا المقدر. ﴿دَرَجَاتٍ مِّنْ﴾: مفعول به ومضاف إليه إذا قرأناه بلا تنوين، وإذا قرأناه بالتنوين ﴿دَرَجَاتٍ﴾ منصوب بنزع الخافض. ﴿مِّنْ﴾: اسم موصول في محل النصب مفعول به، وجملة ﴿نَشَاءُ﴾: صلة ﴿مِّنْ﴾ الموصولة، والتقدير: نرفع من نشاء رفعه من عبادنا في درجات. ﴿وَفَوْقَ كُلِّ﴾: ظرف ومضاف إليه خبر مقدم. ﴿ذِي عِلْمٍ﴾ مضافان ﴿عَلَيْهِمْ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة في محل النصب مقول لجواب إذا المقدر.

﴿قَالُوا إِن يَسْرِقَ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ﴾



وَلَمْ يُبَدِّهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَّانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ .

﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾: مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿إِنْ﴾: حرف شرط. ﴿يَسْرِقُ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ﴿إِنْ﴾ الشرطية، وفاعله ضمير يعود على بنيامين. ﴿فَقَدْ﴾: (الفاء): رابطة لجواب ﴿إِنْ﴾ الشرطية وجوباً لاقتترانه بـ﴿قَدْ﴾. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق. ﴿سَرَقَ أَخٌ﴾: فعل وفاعل في محل الجزم بـ﴿إِنْ﴾ الشرطية على كونه جواباً لها. ﴿لَهُ﴾: جار ومجرور صفة لـ﴿أَخٌ﴾. ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿سَرَقَ﴾، وجملة ﴿إِنْ﴾ الشرطية في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾. ﴿فَأَسْرَهَا﴾ (الفاء): عاطفة. ﴿أَسْرَهَا يَوْسُفُ﴾: فعل ومفعول به. ﴿فِي نَفْسِهِ﴾ متعلقان به ﴿وَلَمْ يُبَدِّهَا﴾ جازم وفعل مجزوم ومفعول به، والجملة معطوفة على ﴿فَأَسْرَهَا﴾ ﴿لَهُمْ﴾: متعلق به، وفاعله ضمير يعود على ﴿يُوسُفُ﴾، والجملة معطوفة على جملة ﴿أَسْرَهَا﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعله ضمير يعود على ﴿يُوسُفُ﴾، والجملة مستأنفة. ﴿أَنْتُمْ شَرُّ﴾ إلى آخر الآية: مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿أَنْتُمْ شَرُّ﴾: مبتدأ وخبر. ﴿مَكَّانًا﴾: تمييز محول عن المبتدأ منصوب باسم التفضيل، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ﴾: مبتدأ وخبر. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أَعْلَمُ﴾، والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾، وجملة ﴿تَصِفُونَ﴾: صلة لـ﴿بِمَا﴾ أو صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف تقديره: بما تصفونه.

﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ .

﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ﴾ إلى آخر الآية: مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿يَا﴾: حرف نداء، ﴿أَيُّ﴾: منادى نكرة مقصودة. ﴿هَا﴾: حرف تنبيه. ﴿الْعَزِيزُ﴾: صفة لـ﴿أَيُّ﴾، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾. ﴿إِنَّ﴾: حرف نصب. ﴿لَهُ﴾: جار ومجرور خبر مقدم لـ﴿إِنَّ﴾. ﴿أَبًا﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾ مؤخر. ﴿شَيْخًا﴾: صفة لـ﴿أَخٌ﴾. ﴿كَبِيرًا﴾: صفة

لـ ﴿شَيْخًا﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ في محل نصب مقول ﴿قَالُوا﴾ على كونها جواب النداء. ﴿فَخَذَ﴾: (الفاء): عاطفة تفرعية. ﴿خَذَ﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على ﴿يُوسُفَ﴾، والجملة الفعلية في محل نصب معطوفة على جملة ﴿إِنَّ﴾. ﴿أَخَذْنَا﴾: مفعول به. ﴿مَكَانَهُ﴾: ظرف متعلق بـ ﴿خَذَ﴾. ﴿إِنَّا﴾: ناصب واسمه. ﴿نَزَلْنَاكَ﴾: فعل ومفعول به؛ لأن رأى بصرية. ﴿مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾: متعلق به، ويصح كونها علمية، والجار والمجرور في محل المفعول الثاني، وفاعل نرى ضمير يعود على إخوة يوسف، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾: في محل نصب مقول ﴿قَالُوا﴾ مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعْنَا عَنْدَهُ إِنَّا إِذَا لَطَلِمُونَ﴾ (٧٨).

﴿قَالَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعله ضمير يعود على ﴿يُوسُفَ﴾، والجملة مستأنفة. ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ إلى آخر الآية: محكي لـ ﴿قَالَ﴾، وإن شئت قلت ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ منصوب. على المفعولية المطلقة بفعل محذوف وجوباً تقديره: نعوذ بالله معاذاً؛ أي: نتعوذ بالله تعوداً، والجملة المحذوفة في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿أَنْ نَأْخُذَ﴾: ناصب وفعل منصوب به، وفاعله ضمير يعود على ﴿يُوسُفَ﴾، والجملة الفعلية في تأويل مصدر مجرور بحرف جر محذوف تقديره: نعوذ بالله من أخذنا. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿مَنْ﴾: اسم موصول في محل نصب مفعول به. ﴿وَجَدْنَا مَتَّعْنَا﴾: فعل وفاعل ومفعول. ﴿عِنْدَهُ﴾: متعلق به، والجملة صلة ﴿مَنْ﴾ الموصولة. ﴿إِنَّا﴾: ناصب واسمه. ﴿إِذَا﴾: حرف جواب وجزاء ملغاة لا عمل لها؛ لعدم دخولها على الفعل. ﴿لَطَلِمُونَ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾، و(اللام): حرف ابتداء، وجملة ﴿إِنَّ﴾ في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾ مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿فَلَمَّا أَسْتَيْسُوا مِنْهُ خَلَصُوا حَيْثُ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوثِقًا مِنَ اللَّهِ﴾.

﴿فَلَمَّا﴾: (الفاء): استئنافية. ﴿لَمَّا﴾: حرف شرط غير جازم. ﴿أَسْتَيْسُوا﴾: فعل وفاعل، فعل شرط لـ ﴿لَمَّا﴾. ﴿مِنْهُ﴾: متعلق به. ﴿خَلَصُوا﴾: فعل وفاعل، جواب ﴿لَمَّا﴾. ﴿حَيْثُ﴾: حال من فاعل ﴿خَلَصُوا﴾، وجملة ﴿لَمَّا﴾: مستأنفة،

وإنما أفردت الحال مع كون صاحبها جمعاً؛ لأن فاعلاً يستوي فيه المذكر والمؤنث. والجميع وغيره. ﴿قَالَ كَيْفَهُمْ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ آبَاءَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾ مقول محكي، وإن شئت قلت ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا﴾: (الهمزة): للاستفهام التقريري. ﴿لَمْ تَعْلَمُوا﴾: جازم وفعل وفاعل، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿أَنَّ آبَاءَكُمْ﴾: ناصب واسمه. ﴿قَدْ أَخَذَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعله ضمير يعود على الأب. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: متعلق به. ﴿مَوْثِقًا﴾: مفعول به. ﴿مِنَ اللَّهِ﴾: جار ومجرور صفة له، وجملة ﴿أَخَذَ﴾ في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ في تأويل مصدر ساد مسد مفعولي علم تقديره: ألم تعلموا أخذ أبيكم عليكم موثقاً من الله في شأن بنيامين.

﴿وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَن أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِىَ أَيْحِ أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لى وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾.

﴿وَمِن قَبْلُ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿فَرَّطتُمْ﴾. ﴿مَا﴾: زائدة، أو مصدرية. ﴿فَرَّطتُمْ﴾: فعل وفاعل. ﴿فِي يُوسُفَ﴾: متعلق به، والجملة صلة لـ﴿مَا﴾ المصدرية. ﴿مَا﴾ مع صلتها في تأويل مصدر معطوف على مصدر مؤول من جملة ﴿أَنَّ﴾ تقديره: ألم تعلموا أخذ أبيكم عليكم موثقاً من الله في شأن بنيامين، وتفريطكم في شأن يوسف من قبل بنيامين. ﴿فَلَن أَبْرَحَ﴾: (الفاء): فاء الفصيحة؛ لأنها أفصح عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفتم ما قلت لكم وأردتم بيان شأني وحالي.. فأقول لكم، ﴿لن أبرح﴾: ناصب وفعل منصوب، و﴿أَبْرَحَ﴾ هنا تامة، وفاعله ضمير يعود على الكبير. ﴿الْأَرْضَ﴾: مفعول به؛ لأنه في معنى لن أفارق الأرض، والجملة الفعلية في محل النصب مقول لجواب إذا المقدر، وجملة إذا المقدر في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿حَتَّى﴾: حرف جر وغاية. ﴿يَأْذَنَ﴾: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد حتى بمعنى إلى. ﴿لِى﴾: متعلق به. ﴿أَيْحِ﴾: فاعل. ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿لِى﴾. ﴿لِى﴾: متعلق به، وجملة ﴿يَأْذَنَ﴾ في تأويل مصدر مجرور بحتى بمعنى إلى، الجار والمجرور متعلق بـ﴿أَبْرَحَ﴾، والتقدير: فلن أبرح الأرض إلى إذن أبي لي، أو حكم الله لي. ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة في محل

النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها معللة لما قبلها .

﴿أَرْجِعُوا إِلَيَّ أَيُّكُمْ فَقُولُوا يَتَابَانَا إِنَّكَ أُنْتَك سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ (٨١) .

﴿أَرْجِعُوا﴾: فعل وفاعل . ﴿إِلَيَّ أَيُّكُمْ﴾: متعلق به ، والجمله في محل  
النصب مقول ﴿قَالَ﴾ . ﴿فَقُولُوا﴾: (الفاء): عاطفة . ﴿قولوا﴾: فعل وفاعل  
معطوف على ﴿أَرْجِعُوا﴾ . ﴿يَتَابَانَا﴾ إلى آخر الآية: مقول ﴿قولوا﴾ ، وإن شئت  
قلت: ﴿يَتَابَانَا﴾: منادى مضاف ، وجمله النداء في محل النصب مقول ﴿قولوا﴾ .  
﴿إِنَّكَ أُنْتَك﴾: ناصب واسمه . ﴿سَرَقَ﴾: فعل ماضٍ ، وفاعله ضمير يعود على  
الابن ، والجمله الفعلية في محل الرفع خبر ﴿إِنَّكَ﴾ ، وجمله ﴿إِنَّكَ﴾: في  
محل النصب مقول ﴿قولوا﴾ على كونها جواب النداء . ﴿وَمَا﴾: (الواو): عاطفة .  
﴿مَا﴾: نافية . ﴿شَهِدْنَا﴾: فعل وفاعل ، والجمله في محل النصب معطوفة على  
جمله ﴿إِنَّكَ﴾ على كونها جواب النداء . ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ . ﴿بِمَا﴾:  
جار ومجرور متعلق بـ ﴿شَهِدْنَا﴾ . ﴿عَلَّمْنَا﴾: فعل وفاعل ، والجمله صلة لـ ﴿مَا﴾ ،  
أو صفة لها ، والعائد أو الرابط محذوف تقديره: إلا بما علمناه ، وعلم بمعنى  
عرف . ﴿وَمَا﴾: (الواو): عاطفة . ﴿مَا﴾: نافية . ﴿كُنَّا﴾: فعل ناقص واسمه .  
﴿لِلْغَيْبِ﴾: متعلق بما بعده . ﴿حَافِظِينَ﴾: خبر كان ، وجمله كان معطوفة على  
جمله ﴿إِنَّكَ﴾ على كونها جواب النداء .

﴿وَسئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾ (٨٢) .

﴿وَسئَلِ الْقَرْيَةَ﴾: فعل ومفعول ، وفاعله ضمير يعود على الأب ، والجمله  
في محل النصب معطوفة على جملة ﴿إِنَّكَ﴾ على كونها جواب النداء . ﴿الَّتِي﴾  
صفة لـ ﴿الْقَرْيَةَ﴾ . ﴿كُنَّا﴾: فعل ناقص واسمه . ﴿فِيهَا﴾: خبره ، وجمله كان  
صلة الموصول . ﴿وَالْعَيْرَ﴾: معطوف على ﴿الْقَرْيَةَ﴾ . ﴿الَّتِي﴾: صفة للعير .  
﴿أَقْبَلْنَا﴾: فعل وفاعل . ﴿فِيهَا﴾: متعلق به ، والجمله صلة الموصول . ﴿وَإِنَّا﴾:  
ناصب واسمه . ﴿لَصَدِيقُونَ﴾: خبره ، واللام حرف ابتداء ، والجمله الاسمية  
معطوفة على جملة ﴿وَسئَلِ﴾ على كونها مقول ﴿قولوا﴾ .

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ .

﴿قَالَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعله ضمير يعود على يعقوب، والجملة مستأنفة.  
 ﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾ إلى آخر الآية: مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿بَلْ﴾: حرف إضراب وابتداء. ﴿سَوَّلَتْ﴾: فعل ماضٍ. ﴿لَكُمْ﴾: متعلق به. ﴿أَنْفُسُكُمْ﴾: فاعل. ﴿أَمْرًا﴾: مفعول به، والجملة في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾: (الفاء): فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفتم ما قلت لكم وأردتم بيان حالي لكم.. فأقول لكم: ﴿صبر جميل﴾: ﴿صبر﴾: خبر مبتدأ محذوف. ﴿جَمِيلٌ﴾: صفة له تقديره: فصبري صبر جميل، والجملة في محل نصب مقول لجواب إذا المقدر، وجملة إذا المقدر في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿عَسَى اللَّهُ﴾: فعل ناقص واسمه، وهو من أفعال الرجاء. ﴿أَنْ يَأْتِيَنِي﴾: ناصب وفعل ونون وقاية ومفعول به. ﴿بِهِمْ﴾: متعلق به. ﴿جَمِيعًا﴾: حال من ضمير ﴿بِهِمْ﴾، وفاعله ضمير يعود على ﴿اللَّهُ﴾، والجملة الفعلية صلة ﴿أَنْ﴾ المصدرية، ﴿أَنْ﴾ مع صلتها: في تأويل مصدر منصوب على كونه خبر ﴿عَسَى﴾، ولكنه في تأويل اسم الفاعل؛ ليصح الإخبار تقديره: عسى الله آتياً بهم جميعاً. ﴿إِنَّهُ﴾: ناصب واسمه. ﴿هُوَ﴾: ضمير فصل. ﴿الْعَلِيمُ﴾: خبر أول له. ﴿الْحَكِيمُ﴾: خبر ثان له، وجملة ﴿إِنْ﴾ في محل نصب مقول القول مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَأَبْصَحْتَ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ .  
 ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾: فعل ماضٍ، وفاعله ضمير يعود على يعقوب. ﴿عَنْهُمْ﴾: متعلق به، والجملة معطوفة على جملة ﴿قَالَ﴾. ﴿وَقَالَ﴾: فعل ماضٍ معطوف على ﴿تَوَلَّىٰ﴾، وفاعله ضمير يعود على يعقوب. ﴿يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾: مقول محكي لـ ﴿قَالَ﴾، وإن شئت قلت ﴿يَا﴾: حرف نداء. ﴿أَسْفَىٰ﴾: منادى مضاف منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المنقلبة ألفاً للتخفيف بعد قلب الكسرة فتحة، منع مع ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة، ﴿أَسْفَىٰ﴾: مضاف، وياء المتكلم المنقلبة ألفاً في محل الجر مضاف إليه. ﴿عَلَىٰ﴾

يُوسَفُ: متعلق بـ﴿أسفى﴾، وجملة النداء في محل نصب مقول ﴿قال﴾. ﴿وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾: فعل وفاعل. ﴿مِنْ أَلْحَزْنٍ﴾: متعلق به، والجملة معطوفة على جملة ﴿قال﴾، أو حال من فاعل ﴿قال﴾. ﴿فَهُوَ﴾: (الفاء): عاطفة تعليلية، ﴿هو كظيم﴾: مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية معطوفة على جملة ﴿وَأَبْيَضَّتْ﴾.

### التصريف ومفردات اللغة

﴿أَأْوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾؛ أي: ضم إليه في الطعام والمنزل والمبيت كما مر في مبحث التفسير. وأصل أوى: أأوى بهمزتين ثانيتها ساكنة على وزن أفعل الرباعي، فقلبت الثانية ألفاً ثلاثية أوى يأوي بوزن رمى يرمى إذا رقى له ورحمه. ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾؛ أي: فلا تحزن، والابتئاس: اجتلاب البؤس والشقاء، وهو من باب افتعل الخماسي.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِمَهَازِهِمْ﴾؛ أي: هياهم بأهبة السفر. ﴿جَعَلَ السَّقَايَةَ﴾ والسقاية - بكسر أوله - وعاء يسقى به، وبه يكال للناس، ويقدر بكيلة مصرية (١/ ١٢ من الأردب المصري) - وهو الذي عبر عنه بصواع الملك، فيسمى سقاية باعتبار أول حاله، وصاعاً باعتبار آخر أمره؛ لأن الصاع آلة الكيل، وهو أربعة أمداد، والأردب المصري يسع اثني عشر صاعاً. ﴿فِي رَجُلٍ آخِيهِ﴾ والرجل هو الوعاء الذي يجعل فيه ما يشتريه من الطعام من مصر. ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾؛ أي: نادى مراراً كثيرة بدليل صيغة التفعيل؛ لأنه من التأذين، وهو تكرار الأذان، والإعلام بالشيء، وكان ذلك النداء مع رفع الصوت قائلاً ﴿أَيْتَهَا الْعَيْرُ﴾؛ أي: يا أصحاب العير، والعير في الأصل: كل ما يحمل عليه من الأبل والحمير والبهائم، سمي بذلك؛ لأنه يعير؛ أي: يذهب ويجيء، والمراد منه هنا أصحاب الإبل ونحوها. وفي «المصباح»: العير - بالكسر - اسم للإبل التي تحمل الميرة في الأصل، ثم غلب على كل قافلة. ١ هـ.

﴿وَأَقْبَلُوا﴾؛ أي: والحال أنهم؛ أي: إخوة يوسف أقبلوا عليهم؛ أي: على جماعة الملك المؤذن وأصحابه؛ أي: التفتوا إليهم وخاطبوا بما ذكر كما مر.

﴿مَاذَا تَفْقِدُونَ﴾؛ أي: أي شيء ضاع منكم؟ والفقد: غيبة الشيء عن الحس بحيث لا يعرف مكانه كما في «البيضاوي» من فقد من باب ضرب.

﴿صُوعَ الْمَلِكِ﴾ فالصاع والصواع لغتان معناهما واحد؛ وهو آلة الكيل، وتقدم أنه هو السقاية. قال الزجاج: الصواع هو الصاع بعينه، وهو يذكر ويؤنث، وهو السقاية، ومنه قول الشاعر:

نَشْرَبُ الْحَمْرَ بِالصُّوعِ جَهَارًا

﴿وَلَمَنْ جَاءَ بِهِ جَمَلٌ بَعِيرٌ﴾ والحمل - بكسر الحاء - هنا هو ما يحمله البعير من الطعام.

﴿وَأَنَا بِهِ﴾؛ أي: بحمل البعير الذي جعل لمن جاء بالصواع قبل التفتيش للأوعية. ﴿زَعِيدٌ﴾؛ أي: كفيل أجعله جزاء لمن يجيء به.

﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ والكيد: التدبير الذي يخفى ظاهره على المتعاملين به حتى يؤدي إلى باطنه المراد منه، واعلم أن الكيد يشعر بالحيلة والخديعة، وهذا في حق الله تعالى محال إلا أنه قد تقدم أصل معتبر في هذا الباب، وهو أن أمثال هذه الألفاظ في حق الله تعالى تحمل على نهاية الأغراض لا على بداياتها، فالكيد: السعي في الحيلة والخديعة، ونهايته إيقاع الإنسان من حيث لا يشعر في أمر مكروه، ولا سبيل له إلى دفعه، فالكيد في حق الله تعالى محمول على هذا المعنى. اهـ. «كرخي». ﴿رَبِّنِ الْمَلِكِ﴾ شرعه الذي يدين الله تعالى به.

﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾، يقرأ شاذاً: ﴿ذِي عَالَمٍ﴾ وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: هو مصدر كالباطل.

والثاني: أن ذي زائدة، وقد جاء مثل ذلك في الشعر كقول الكميث:

إِلَيْكُمْ ذَوِي آلِ النَّبِيِّ

والثالث: أنه أضاف الاسم إلى المسمى، وهو محذوف تقديره: ذي مسمى عالم كقول الشاعر: إلى الحول ثم اسم السلام عليكم

أي: مسمى السلام. ذكره أبو البقاء.

﴿إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ سرق - من باب ضرب - أخذ الشيء من حرز مثله خفية. وقد سبق بيان سبب نسبة السرقة إلى يوسف في مبحث التفسير. وقولهم: ﴿إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْعًا كَبِيرًا﴾؛ أي: كبير القدر، ولم يريدوا كبر السن؛ لأن ذلك معروف من حال الشيخ ذكره «القرطبي».

﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ مصدر ميمي من عاذ يعوذ عوذاً ومعاذاً.

﴿فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا﴾؛ أي: يتسوا مثل عجب واستعجب وسخر واستسخر، فالسين والتاء زائدتان للمبالغة كما في «البيضاوي» و«القرطبي»، وفي «السمين»: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا﴾ استفعل هنا بمعنى فعل المجرد، يقال: يشس واستيسأس بمعنى نحو عجب واستعجب، وسخر واستسخر. وقال الزمخشري: زيادة السين والتاء للمبالغة نحو ما مر في استعصم.

﴿خَلَصُوا﴾؛ أي: اعتزلوا عن مجلس يوسف، وانفردوا عنه، وانحازوا على حدة. وفي «المصباح»: خلص يخلص خلوصاً من باب قعد؛ أي: انفصل. ﴿بِحَيْثُ﴾: حال من فاعل ﴿خَلَصُوا﴾ كما مر؛ أي: اعتزلوا حالة كونهم متناجين؛ أي: متحدثين في التساور في شأن هذه القضية، وهو لفظ يوصف به من له نجوى، واحداً كان أو جماعة مؤثناً أو مذكراً، فهو كعدل، ويجمع على أنجية، قال لبيد:

وَشَهِدْتُ أَنْجِيَةَ الْإِفَاقَةِ عَالِيَاً كَغَيْبِي وَأَرْذَافُ الْمُلُوكِ شُهُودُ  
وقال آخر:

إِنِّي إِذَا مَا الْقَوْمُ كَانُوا أَنْجِيَةَ وَأَضْطَرَبَ الْقَوْمُ أَضْطَرَابَ الْأَرْشِيَةِ  
هَنَّاكَ أَوْصِيَنِي وَلَا تُوصِيَنِي بِيَهْ

وفي «الكرخي» قوله: ﴿بِحَيْثُ﴾ حال من فاعل ﴿خَلَصُوا﴾؛ أي: اعتزلوا في هذه الحالة متناجين، وإنما أفردت الحال وصاحبها جمع؛ إما لأن النجي فعيل



بمعنى فاعل كالعشير والخليط بمعنى المعاشر والمخالط كقوله: ﴿وَقَرْنَتْهُ نَجِيًّا﴾؛ أي: مناجياً، وهذا في الاستعمال يفرد مطلقاً، يقال: هم خليطك وعشيرك؛ أي: مخالطوك ومعاشروك، وإما لأنه صفة على فعيل بمنزلة صديق ويا به، فوحد لأنه بزنة المصادر كالصهيل والوحيد والذميل، وإما لأنه مصدر بمعنى التناجي كما قيل: النجوى بمعناه قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾ وحينئذ يكون فيه التأويلات المذكورة في رجل عدل ويا به. ا هـ.

﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾؛ أي: رأياً وتدييراً وعلماً؛ وهو شمعون. قاله مجاهد، أو كبيرهم في السن، وهو روييل. قاله قتادة، وقيل: في العقل والرأي؛ وهو يهوذا ذكرهم الميثاق في قول يعقوب: ﴿لَتَأْتِيَنِي بِهِ إِلاَّ أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾.

﴿فَلَنْ أُبْرِحَ الْأَرْضَ﴾: ﴿أُبْرِحَ﴾ هنا تامة ضمنت معنى أفارق، فالأرض مفعول به، ولا يجوز أن تكون تامة من غير تضمين؛ لأنها إذا كانت كذلك كان معناها ظهر وذهب، ومعنى الظهور والذهاب لا يصل إلى الظرف المخصوص إلا بواسطة في تقول: ذهبت في الأرض، ولا يجوز ذهبت الأرض. وقد جاء شيء لا يقاس عليه. واعلم أنه لا يجوز في أبرح أن تكون ناقصة؛ لأنه لا ينتظم من الضمير الذي فيها ومن الأرض مبتدأ وخبر، ألا ترى أنك لو قلت: أنا الأرض، لم يجز من غير في بخلاف: أنا في الأرض. ا هـ. «كرخي».

﴿الْقَرِيَةَ﴾: اسم للموضع الذي يجتمع فيه الناس وللناس جميعاً، ويستعمل في كل واحد منهما. قاله الراغب.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ﴾؛ أي: زينت وخيلت لكم ﴿أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾؛ أي: كيداً آخر ﴿فَصَبِّرْ جَبِيلٌ﴾؛ أي: فشأني صبر جميل؛ أي: حسن، أو صبر جميل أولى بي وأليق.

واعلم: أن الواجب على كل مسلم إذا أصيب بمكروه في نفسه أو ولده أو ماله أن يتلقى ذلك بالصبر الجميل والرضا والتسليم لمجره عليه؛ وهو العليم الحكيم، ويقنتدي بيعقوب وسائر النبييين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وقال سعيد بن عروبة عن قتادة عن الحسن قال: ما من جرعتين يتجرعهما العبد

أحب إلى الله من جرعة مصيبة يتجرعها العبد بحسن صبر وحسن عزاء، وجرعة غيظ يتجرعها العبد بحلم وعفو.

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾؛ أي: أعرض عنهم ﴿وَقَالَ يَا سَفَىٰ عَلَىٰ يَوْسَفَ﴾؛ أي: يا حزني عليه، والأسف أشد الحزن على ما فات، ومنه قول كثير:

فَيَا أَسْفًا لِلْقَلْبِ كَيْفَ أَنْصِرَافُهُ      وَلِلنَّفْسِ لَمَّا سُلِّيتِ فَتَسَلَّتِ  
قال يعقوب هذه المقالة لما بلغ منه الحزن غاية مبالغة بسبب فراقه ليوسف وانضمام فراقه لأخيه بنيامين، وبلوغ ما بلغه من كونه أسيراً عند ملك مصر، فتضاعفت أحزانه، وهاج عليه الوجد القديم بما أثاره من الخبر الأخير.

﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾؛ أي: مملوء غيظاً على أولاده ممسك له في قلبه لا يبثه لأحد، فهو فعيل بمعنى مفعول، وقيل: الكظيم بمعنى الكاظم؛ أي: المشتمل على حزنه الممسك له، ومنه قوله:

فَإِنْ أَكْ كَاظِمًا لِمُصَابِ نَاسٍ      فَإِنِّي أَلْيَوْمَ مُنْظَلِقٌ لِسَانِي  
وقال الزجاج: معنى كظيم محزون. وعن ابن عباس أنه قال: معناه مغموم مكروب. وفي «المصباح»: كظمت الغيظ كظماً - من باب ضرب - وكظوماً أمكست على ما في نفسك منه على صفح أو غيظ. انتهى.

## البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات أنواعاً من البلاغة، وضروباً من الفصاحة والبيان والبدیع:

فمنها: جناس الاشتقاق في قوله: ﴿وَلَمَّا جَهَرَهُم بِجَهَارِهِمْ﴾ وفي قوله: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾.

ومنها: المجاز المرسل في قوله: ﴿أَيَّتُهَا الْعَيْرُ﴾؛ لأن المراد منه أصحاب الإبل ونحوها، والعلاقة فيه المجاورة كما في «السمين».

ومنها: التعريض في قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَسَرِقُونَ﴾ لما فيه من التعريض إلى

سرقتهم يوسف من أبيه.

ومنها: التخصيص في قوله: ﴿وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ بعد التعميم في قوله: ﴿قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ﴾؛ لأن هذه الجملة من كلام المؤذن؛ لأنه هو الذي كفل وضمن.

ومنها: ذكر الخاص بعد العام إشعاراً بأنه المقصود من العام في قوله: ﴿وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ بعد قوله: ﴿مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ﴾.

ومنها: التأكيد في قوله: ﴿فَهُوَ جَزَاءُكُمْ﴾؛ لأن هذه الجملة بمعنى قوله: ﴿جَزَاءُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ﴾، فهي مؤكدة لها.

ومنها: جناس الاشتقاق في قوله: ﴿فَهُوَ جَزَاءُكُمْ كَذَلِكَ يَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾.

ومنها: الإظهار في مقام الإضمار في قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾؛ لأن حق العبارة: ثم استخرجها منه.

ومنها: التشبيه في قوله: ﴿كَذَلِكَ كَذَبْنَا لِيُوسُفَ﴾.

ومنها: حكاية الحال الماضية في قوله: ﴿مَاذَا تَفْقُدُونَ﴾ وفي قوله: ﴿نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ﴾؛ لأن صيغة المضارع في كلا الموضعين لاستحضار الصورة الماضية كما في «روح البيان».

ومنها: الجناس المماثل في قوله: ﴿إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَفَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلٍ﴾.

ومنها: التنكير في قوله: ﴿أَخٌ لَّهُ﴾ لغرض الإبهام.

ومنها: الطباق في قوله: ﴿فَأَسْرَهَا يُوسُفَ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يَبْدَهَا﴾.

ومنها: الإطناب في قوله: ﴿شَيْخًا كَبِيرًا﴾ لغرض الاستعطاف؛ لأن كبير السن معلوم من لفظ الشيخ.

ومنها: المجاز المرسل في قوله: ﴿وَسَلَى الْقَرْيَةَ﴾؛ أي: أهلها، والعلاقة فيه المحلية، وفي قوله: ﴿وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾؛ أي: أصحابها، والعلاقة فيه

المجاورة كما مر قريباً.

ومنها: نداء غير العاقل تنزيلاً له منزلة العاقل في قوله: ﴿يَتَأَسَفْنَ عَلَى يُونُسَ﴾.

ومنها: جناس الاشتقاق بين لفظي الأسف ويوسف في قوله: ﴿يَتَأَسَفْنَ عَلَى يُونُسَ﴾ وقال الزمخشري: والتجانس بين لفظي الأسف ويوسف مما يقع مطبوعاً غير مستعمل، فيملح ويبدع، ونحوه ﴿أَنفَأَلْتُمُ﴾، ﴿أَرْضِيْتُمْ﴾، ﴿وَهُمْ يَتَهَوَّنَ عَنْهُ وَيَتَهَوَّنَ عَنْهُ﴾، ﴿يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾، ﴿مِن سَيِّئِ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ انتهى. ويسمى هذا تجنيس التصريف، وهو أن تنفرد كل كلمة من الكلمتين عن الأخرى بحرف، ذكره أبو حيان.

ومنها: الكناية في قوله: ﴿وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾؛ لأنه كناية عن فقدان البصر وذهابه عنه.

ومنها: عطف العام على الخاص في قوله: ﴿حَتَّى يَأْذَنَ لِآبِي أَوْ بِحَكْمِ اللَّهِ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ فإنه غيا الأمر بغايتين؛ إحداهما خاصة؛ وهي إذن أبيه، والثانية عامة؛ لأن إذن أبيه له في الانصراف من حكم الله تعالى. اهـ. «كرخي».

ومنها: جناس الاشتقاق بين ﴿يَحْكُمُ﴾ و﴿الْحَاكِمِينَ﴾ في قوله: ﴿حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾ و﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾.

ومنها: الحذف والزيادة في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

\*\*\*

قال الله سبحانه جلّ وعلا:

﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتُونَا تَذَكُرُ يُوْسُفَ حَتَّى تَكُوْنَتْ حَرَضًا أَوْ تَكُوْنُ مِنَ الْهٰلِكِيْنَ ﴿٨٥﴾﴾  
قَالَ اِنَّمَا اَشْكُوْا بَنِيَّ وَحُرِّيَّ اِلَى اللّٰهِ وَاَعْلَمُ مِنَ اللّٰهِ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ ﴿٨٦﴾ يَبْتَدِئُ اَذْهَبُوْا  
مَحْسَبُوْا مِنْ يُوْسُفَ وَاَخِيْهِ وَلَا تَأْتِسُوْا مِنْ رَّوْحِ اللّٰهِ اِنَّهٗ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَّوْحِ اللّٰهِ اِلَّا الْقَوْمَ  
الْكٰفِرُوْنَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوْا عَلَيْهِ قَالُوْا يَا اَيُّهَا الْعَزِيْزُ مَسْنَا وَاَهْلُنَا الضَّرُّ وَحِشْنَا يَضْعَعُوْ مُرْجَحِدُوْ قَاوِيْ  
لَنَا الْكَيْلَ وَصَدَقَ عَلَيْنَا اِنَّ اللّٰهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِيْنَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوْسُفَ وَاَخِيْهِ  
اِذْ اُنْتُمْ جٰهِلُوْنَ ﴿٨٩﴾ قَالُوْا اِنَّكَ لَآنتَ يُوْسُفُ قَالَ اَنَا يُوْسُفُ وَهٰذَا اَخِيَّ قَدْ مَرَبَ اللّٰهُ  
عَلَيْنَا اِنَّهٗ مِنْ بَيْنِيَّ وَيَصِيْرٍ فَاِنَّ اللّٰهَ لَا يُضِيْعُ اَجْرَ الْمُحْسِنِيْنَ ﴿٩٠﴾ قَالُوْا تَاللّٰهِ لَقَدْ  
ءَاثَرَكَ اللّٰهُ عَلَيْنَا وَاِنْ كُنَّا لَخٰطِيْبِيْنَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمْ اَلْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّٰهُ لَكُمْ  
وَهُوَ اَرْحَمُ الرَّحِيْمِيْنَ ﴿٩٢﴾ اَذْهَبُوْا بِقِيَمِيْ هٰذَا فَالْقُوْهُ عَلَى وَجْهِ اَبِيْ بَصِيْرًا وَاَتُوْبِيْ  
بِاَمْلِكُمْ اَجْمَعِيْنَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيْرُ قَالَ اَبُوْهُمْ اِنِّيْ لَاجِدُ رِيْحَ يُوْسُفَ لَوْلَا اَنْ  
تُعِيْدُوْنِيْ ﴿٩٤﴾ قَالُوْا تَاللّٰهِ اِنَّكَ لَفِيْ ضَلٰلِكَ الْكَبِيْرِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّا اَنْ جَاءَ الْبَشِيْرُ اَلْقَنَهُ عَلَى وَجْهِهٖ  
فَاَزْتَدَّ بَصِيْرًا قَالَ اَلَمْ اَقُلْ لَكُمْ اِنِّيْ اَعْلَمُ مِنَ اللّٰهِ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ ﴿٩٦﴾ قَالُوْا يَا اَبَانَا اَسْتَغْفِرُ لَنَا  
ذُنُوْبَنَا اِنَّا كُنَّا خٰطِيْبِيْنَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ اَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيْ اِنَّهٗ هُوَ الْغَفُوْرُ الرَّحِيْمُ ﴿٩٨﴾  
فَلَمَّا دَخَلُوْا عَلَى يُوْسُفَ ءَاوَدَتْ اِلَيْهٖ اَبُوْبِيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوْا مِصْرَ اِنْ شَاءَ اللّٰهُ ءَامِيْنِيْنَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ  
اَبُوْبِيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوْا لَهٗ سُجَّدًا وَقَالَ يَا بَنِيَّ هٰذَا تَاوِيْلُ رُءُوْبِيْ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّيْ حَقًّا وَقَدْ  
اَحْسَنَ بِيْ اِذْ اَخْرَجْتَنِيْ مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدُوِّ مِنْۢ بَعْدِ اَنْ نَّزَعَ الشَّيْطٰنُ بَيْنِيَّ وَبَيْنَ  
اِخْوَتِيْ اِنَّ رَبِّيْ لَطِيْفٌ لِّمَا يَشَآءُ اِنَّهٗ هُوَ الْعَلِيْمُ الْحَكِيْمُ ﴿١٠٠﴾

### التفسير وأوجه القراءة

﴿قَالُوا﴾؛ أي: قال أولاد يعقوب الذين جاؤوا من مصر ومن معهم من  
أولاد الأولاد الحاضرين عند يعقوب حين قال يعقوب: ﴿يَتَأَسَّفِي عَلَى يُوْسُفَ﴾:  
﴿تَاللَّهِ تَفْتُونَا تَذَكُرُ يُوْسُفَ﴾؛ أي: والله لا تزال تذكر يوسف وتلهج به، ولا  
تفتر عن حبه ﴿حَتَّى تَكُوْنَتْ﴾؛ أي: تصير بذلك ﴿حَرَضًا﴾؛ أي: مريضاً مشرفاً  
على الهلاك ﴿أَوْ تَكُوْنُ مِنَ الْهٰلِكِيْنَ﴾؛ أي: من الميتين.

وخلاصة ذلك<sup>(١)</sup>: أنك الآن في بلاء شديد، ويخاف أن يحصل لك ما هو أكثر وأشد، وهم يريدون بذلك منعه من البكاء والأسف، وإن كانوا هم سبب أحزانه ومنشأ همومه وغمومه، وإنما<sup>(٢)</sup> قالوا له ذلك؛ لأنهم علموا باليقين أنه يداوم على ذلك.

وأصل ﴿تَاللَّهِ تَفْتَوُا﴾؛ أي: والله لا تفتأ ولا تزال، فلا<sup>(٣)</sup> محذوفة في جواب القسم للتخفيف لعدم الالتباس؛ لأنه لو كان الجواب مثبتاً. للزمه اللام ونون التوكيد عند البصريين، أو إحداهما عند الكوفيين، وذلك نظير قول العرب: والله أقصدك أبداً، يعنون: لا أقصدك. وقال الفراء إن (لا) مضمرة؛ أي: لا تفتأ. قال النحاس: والذي قال صحيح، وقد روي عن الخليل وسيبويه مثل قول الفراء، وأنشد الفراء محتجاً على ما قاله قول امرئ القيس:

فَقُلْتُ يَمِينُ اللَّهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا      وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي  
يريد: لا أبرح.

وقالت الخنساء:

فَأَقْسَمْتُ أَسَى عَلَى هَالِكٍ      أَوْ أَسْأَلُ نَائِحَةَ مَالِهَا  
أرادت: لا آسى.

وقال الآخر:

لَمْ يَشْعُرِ النَّعْشُ مَا عَلَيْهِ مِنْ أَلٍ      عُرْفٍ وَلَا الْحَامِلُونَ مَا حَمَلُوا  
تَاللَّهِ أَنْسَى مُصِيبَتِي أَبَدًا      مَا أَسْمَعْتَنِي حَنِينَهَا الْإِبِلُ  
وقرأ أبو عمران وابن محيصن وأبو حيوة شذوذاً<sup>(٤)</sup>: ﴿قالوا بالله﴾ - بالباء - وكذلك كل قسم في القرآن، ويقال: فتىء وفتأ لغتان فيه<sup>(٥)</sup>، ولا يستعملان إلا

(٤) زاد المسير.

(٥) القرطبي.

(١) المراغي.

(٢) القرطبي.

(٣) روح البيان.

مع الجحد.

قال الشاعر:

فَمَا فَتَيْتُ حَتَّى كَأَنَّ غُبَارَهَا سُرَادِقُ يَوْمِ ذِي رِيَّاحٍ تَرَفَّعُ  
أي: ما برحت.

﴿حَتَّى تَكُونَتْ حَرَضًا﴾ وأصل الحرَض: الفساد في الجسم أو العقل من  
الحزن أو العشق أو الهمم حكي ذلك عن أبي عبيدة وغيره، ومنه قول الشاعر:  
سَرَى هَمِّي فَأَمْرَضَنِي وَقَدَمَا زَادَنِي مَرَضًا  
كَذَاكَ الْحُبُّ قَبْلَ الْيَوْمِ مِمَّا يُورِثُ الْحَرَضًا  
وقال عبد الله بن عمر العرجي<sup>(١)</sup>:

إِنِّي أَمْرُؤٌ لَجَّ بِي حُبٌّ فَأَحْرَضَنِي حَتَّى بَلَيْتُ وَحَتَّى شَفَّنِي أَلْسَقُمُ  
ومعنى: ﴿حَتَّى تَكُونَتْ حَرَضًا﴾؛ أي: <sup>(٢)</sup> تالفاً، وقال ابن عباس ومجاهد:  
دنفأ؛ أي: ملازماً للمرض، وقال قتادة: هرماً، والضحاك: بالياً دائراً، ومحمد بن  
إسحاق: فاسداً لا عقل لك. وقال الفراء: الحارَض: الفاسد الجسم والعقل  
وكذا الحرَض. وقال ابن زيد: الحرَض الذي قد ردَّ إلى أرذل العمر. وقال  
الربيع بن أنس: يابس الجلد على العظم. وقال المؤرِّخ: ذائباً من الهم. وقال  
الأخفش، ذاهباً، وابن الأنباري: هالكاً، وكلها متقاربة.

فأجابهم والتمس لنفسه معذرة على الحزن كما حكاه الله سبحانه وتعالى عنه  
بقوله: ﴿قَالَ﴾ يعقوب عليه السلام، وهذه الجملة مستأنفة في جواب سؤال مقدر  
كأنه قيل: فماذا قال يعقوب لهم حين قالوا له ما قالوا؟ فقيل: قال يعقوب جواباً  
لأولاده اللائمين له: لا تلوموني يا أولادي على حزني وبكائي، وأنا لم أشك  
إليكم حزني ولا إلى أحد من خلق الله، بل ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا﴾ وأظهر ﴿بَيْتِي﴾؛ أي:

(١) زاد المسير.

(٢) القرطبي.

شديد حزني وهمي ﴿وَحْزَنِي﴾؛ أي: وقليل حزني ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ سبحانه وتعالى ملتجئاً إلى جنباه متضرعاً لدى بابه في دفعه. وقد<sup>(١)</sup> ذكر المفسرون أن الإنسان إذا قدر على كتم ما نزل به من المصائب.. كان ذلك حزناً، وإن لم يقدر على كتمه كان ذلك بثاً، فالبث على هذا أعظم الحزن وأصعبه. والحزن<sup>(٢)</sup>: أعم من البث، فإذا عطف على الخاص يراد به الأفراد الباقية، فيكون المعنى: لا أذكر الحزن العظيم والحزن القليل إلا مع الله، لا مع غيره من الناس. وقيل: البث الهم، وقيل: هو الحاجة. وعلى هذا القول يكون عطف الحزن على البث واضح المعنى. وقرأ الجمهور: ﴿حُزْنِي﴾ - بضم الحاء وسكون الزاي.. وقرأ<sup>(٣)</sup> الحسن وعيسى: ﴿وَحْزَنِي﴾ - بفتحتين.. وقرأ قتادة بضميتين، وما عدا قراءة الجمهور شاذ.

فإن قيل<sup>(٤)</sup>: لِمَ قال يعقوب ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾، ثم قال: ﴿يَتَأَسَفَى عَلَيَّ يُؤَسَفُ﴾، وقال: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بِنِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾؟ فكيف يكون الصبر مع الشكوى؟

قيل: ليس هذا إلا شكاية من النفس إلى خالقها، وهو جائز، ألا ترى أن أيوب عليه السلام قال: ﴿أَنِّي مَسْنِيَّ الْعُسْرُ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ وقال تعالى مع شكواه إلى ربه في حقه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَائِرًا نَقَمَ الْمَبْدُ﴾ لأنه شكا منه إليه، وبكى منه عليه، فهو المعذور لديه؛ لأن حقيقة الصبر ومعناه الحقيقي حبس النفس ومنعها عن الشكوى إلى الغير، وترك الركون إلى الغير، وتحمل الأذى والابتلاء لصدوره من قضائه وقدره، كما قيل بلسان الحقيقة:

كُلُّ شَيْءٍ مِّنَ الْمَلِيحِ مَلِيحٌ لِّكِنِ الصَّبْرُ عَنْهُ غَيْرُ مَلِيحٍ  
وقيل أيضاً:

وَالصَّبْرُ عَنْكَ فَمَذْمُومٌ عَوَاقِبُهُ وَالصَّبْرُ فِي سَائِرِ الْأَشْيَاءِ مَحْمُودٌ  
وذلك لأن المحب لا يصبر عن حضرة المحبوب، فلا يزال يعرض حاله

(٣) البحر المحيط.

(٤) روح البيان.

(١) الشوكاني.

(٢) روح البيان.



وافتقاره إلى حضرته، ولسان العشق لسان التضرع والحكاية، لا لسان الجزع والشكاية، فشكاية العارف الواقف في صورة الشكوى حكاية حاله وتضرعه وافتقاره إلى حبيبه.

وروى الحاكم<sup>(١)</sup> - أبو عبد الله - في «صحيحه» من حديث أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كان ليعقوب أخ مؤاخ» فقال له ذات يوم: يا يعقوب ما الذي أذهب بصرك، وما الذي قوس ظهرك؟ قال: أما الذي أذهب بصري، فالبكاء على يوسف، وأما الذي قوس ظهري فالحزن على بنيامين، فأتاه جبريل فقال: يا يعقوب إن الله يقرئك السلام، ويقول لك: أما تستحيي أن تشكو إلى غيري؟ فقال: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله، فقال جبريل: الله أعلم بما تشكو، ثم قال يعقوب: أي رب؛ أما ترحم الشيخ الكبير أذهبت بصري، وقوست ظهري، فاردد عليّ ريحانتي أشمهما شمة قبل الموت، ثم اصنع بي يا رب ما شئت، فأتاه جبريل فقال: يا يعقوب إن الله يقرأ عليك السلام، ويقول: أبشر فوعزتي لو كانا ميتين لنشترتهما لك، إصنع طعاماً للمساكين، فإن أحب عبادي إليّ المساكين، وهل تدري لم أذهبت بصرك وقوست ظهرك وصنع إخوة يوسف بيوسف ما صنعوا؛ لأنكم ذبحتم شاة، فأتاكم فلان المسكين وهو صائم، فلم تطعموه منها، فكان يعقوب بعد ذلك إذا أراد الغداء أمر منادياً فنادى ألا من أراد الغداء من المساكين.. فليتغد مع يعقوب، وإذا كان صائماً أمر منادياً فنادى من كان صائماً.. فليفطر مع يعقوب.

وقال وهب بن منبه<sup>(٢)</sup>: أوحى الله تعالى إلى يعقوب: أتدري لما عاقبتك، وحبست عنك يوسف ثمانين سنة؟ قال: لا، قال: لأنك شويت عناقاً، وقترت على جارك، وأكلت ولم تطعمه، وذكر بعضهم أن السبب في ذلك أن يعقوب ذبح عجل بقره بين يديها وهي تخور، فلم يرحمها.

(١) زاد المسير.

(٢) زاد المسير.

فإن قيل: كيف صبر يوسف عن أبيه بعد أن صار ملكاً؟

فقد أجاب المفسرون عنه بثلاثة أجوبة:

أحدها: أنه يجوز أن يكون ذلك عن أمر الله تعالى وهو الأظهر.

والثاني: لئلا يظن الملك بتعجيل استدعائه أهله شدة فاقتهم.

والثالث: أنه أحب بعد خروجه من السجن أن يدرج نفسه إلى كمال السرور. والصحيح أن ذلك كان عن أمر الله تعالى ليرفع درجة يعقوب بالصبر على البلاء، وكان يوسف يلاقي من الحزن لأجل حزن أبيه عظيماً، ولا يقدر على دفع سببه.

﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ﴾؛ أي: أعلم<sup>(١)</sup> من لطفه وإحسانه وثوابه على المصيبة ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ه أنتم، وقيل: أراد علمه بأن يوسف حي، وقيل: أراد علمه بأن رؤياه صادقة، وقيل: أعلم من إجابة المضطرين إلى الله ما لا تعلمون، فأرجو أن يرحمني ويلطف بي ولا يخيب رجائي.

والخلاصة<sup>(٢)</sup>: أي وأنا أعلم في ابتلائي بفراقه مع حسن عاقبته ما لا تعلمون، فأعلم أنه حي يرزق، وأن الله يجتبيه ويتم نعمته عليه وعلى آل يعقوب، وأنتم تظنون أن يوسف قد هلك، وأن بنيامين قد سرق فاسترق، وتحسبون أنني بحزني ساخط على قضاء الله تعالى في شيء أمضاه ولا مرد له، وأنا أعلم أن لهذا أجلاً هو بالغه، وإني لأرى البلاء ينزل عليكم من كل جانب بذنوبكم وبتفريطكم في يوسف من قبل وبأخيه الذي كان يسليني عنه من بعده.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية: أنا أعلم أن رؤيا يوسف حق، وأنني سأسجد له. وقال السدي<sup>(٣)</sup>: لما أخبره أولاده بسيرة الملك.. أحست نفسه، فطمع وقال: لعله يوسف، فقال: ﴿يَكَيْفَ أَذْهَبُوا﴾ إلى مصر

(٣) روح البيان.

(١) الشوكاني.

(٢) المراغي.

وارجعوا إليها ﴿فَتَحَسَّبُوا﴾؛ أي: فتعرفوا ﴿مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ بنيامين، وابعثوا فيها من خبرهما بحواسكم من سمع وبصر حتى تكونوا على يقين من أمرهما. فقله: ﴿أَذْهَبُوا﴾ أمر بالذهاب إلى الأرض التي جاؤوا منها وتركوا بها أخويهم بنيامين والمقيم بها. وقوله: ﴿فَتَحَسَّبُوا﴾ أمر بالتحسس وهو الاستقصاء والطلب بالحواس، ويستعمل في الخير والشر. والتحسس - بمهمات - طلب الشيء بالحواس مأخوذ من الحس أو من الإحساس. وقرئ<sup>(١)</sup> بالجيم كالذي في الحجرات ﴿وَلَا يَجَسَّسُوا﴾ وهو أيضاً التطلب. وفي «الإحياء» بالجيم: في تطلع الأخبار، وبالحاء: في المراقبة بالعين، وقال في «إنسان العيون» أما بالحاء: أن يفحص الشخص عن الأخبار بنفسه، وأما بالجيم: أن يفحص عنها بغيره، وجاء تحسسوا ولا تجسسوا انتهى.

والمعنى: اذهبوا فتعرفوا خبر يوسف وأخيه وتطلبوه، وإنما<sup>(٢)</sup> خصهما ولم يذكر الثالث، وهو الذي قال: فلن أبرح الأرض واحتبس بمصر، لأن غيبته اختيارية لا يعسر إزالتها؛ لأنه إنما أقام مختاراً.

﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾؛ أي: ولا تقنطوا من فرجه سبحانه وتعالى وتنفيه عن النفس هذا الكرب بما ترتاح إليه الروح، ويطمئن به القلب. وقرأ<sup>(٣)</sup> الجمهور: ﴿تَأْتِسُوا﴾، وفرقة: ﴿تَأيسوا﴾. وقرأ الأعرج: ﴿تتسوا﴾ - بكسر التاء - والقراءتان اللتان عدا قراءة الجمهور شاذتان. واليأس والقنوط: انقطاع الرجاء. و﴿رَوْحِ اللَّهِ﴾ - بفتح الراء -: رحمته وفرجه وتنفيه؛ أي: إزالته الكرب عن النفس. قال ابن عطية: وكان معنى هذه القراءة: لا تياسوا من حي معه روح الله الذي وهبه، فإن من بقي روحه يرجى حضوره، ومن هذا قول الشاعر:

وفي غير من قد وارت الأرض فاطمع

ومن هذا قول عبيد بن الأبرص:

(٣) البحر المحيط.

(١) البحر المحيط.

(٢) روح البيان.

وَكُلُّ ذِي غَيْبَةٍ يَأْذُوبُ وَغَائِبُ الْمَوْتِ لَا يَأْذُوبُ  
وقال الزمخشري: ﴿من روح الله﴾ - بالضم - أي: من رحمته التي تحيا بها  
العباد انتهى.

﴿إِنَّهُ﴾؛ أي: إن الشأن والحال ﴿لَا يَأْتِسُّ﴾ ولا يقنط ﴿مِن زَوْجِ اللَّهِ﴾  
ورحمته ﴿إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ بالله سبحانه وتعالى وبقدرته وسعة رحمته<sup>(١)</sup>،  
ويجهلون ما لله في عباده من حكم بالغة ولطف خفي، فإذا لم يصلوا إلى ما  
يبتغون من كشف ضرر، أو جلب خير بخعوا أنفسهم - انتحروا - همأً وحزنأً، أما  
المؤمن حقاً فلا تقنطه المصائب ولا الشدائد من رحمة ربه وتفريجه لكرهه، يعني:  
أن المؤمن يصبر عند البلاء، و ينتظر الفرج والرحمة، فيسأل به خيراً، ويحمد الله  
عند الرخاء، والكافر بضد ذلك. ومن ثم قال ابن عباس: إن المؤمن من الله  
تعالى على خير يرجوه في البلاء، ويحمده في الرخاء. وقرأ أبي شذوذاً: ﴿من  
رحمة الله﴾.

وقوله: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ فيه حذف واختصار<sup>(٢)</sup>، والتقدير: فخرجوا من  
عند أبيهم قاصدين مصر، فذهبوا كما أمرهم أبوهم ليتحسسوا من يوسف وأخيه  
﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾؛ أي: على يوسف عليه السلام ﴿قَالُوا﴾ ليوسف ﴿يَا أَيُّهَا  
الْعَزِيزُ﴾؛ أي: أيا أيها الملك الممتنع القادر الغالب ﴿مَسَّنَا﴾؛ أي: أصاب إيانا  
﴿وَأَهْلَنَا﴾؛ أي: وعيالنا وأولادنا وهم من خلفوهم ﴿الضَّرُّ﴾؛ أي: الفقر  
والحاجة، والهزال والضعف؛ لما نحن فيه من المجاعة وكثرة العيال وقلة  
الطعام، وقد شكوا إليه رقة الحال وقلة المال وشدة الحاجة وغير ذلك مما يرقق  
القلب، مع أن مقصدهم التحسس من يوسف وأخيه، ليروا تأثير الشكوى فيه،  
فإن رق قلبه لهم ذكروا ما يريدون وإلا سكتوا، وقد كان أبوهم يرجح أنه هو  
يوسف، فأرادوا أن يروا تأثير هذا الاستعطاف فيه، وقالوا: ﴿وَحَسَّنَا﴾ إليك

(١) المراغي.

(٢) الخازن.

﴿يُضَنَعُوْا مُرْتَحِقًا﴾؛ أي: ببضاعة رديئة وأمتعة خسيصة يحترقها التجار، ويدفعونها احتقاراً لها ﴿فَأَوْفَى لَنَا الْكَيْلَ﴾؛ أي: فآتته لنا كما تعودنا من جميل رعايتك وإحسانك، ولا تنقصه لرداءة بضاعتنا ﴿وَتَصَدَّقَ عَلَيْنَا﴾ بما تزيده على حقنا ببضاعتنا بعد أن تغمض عن ردايتها ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ سبحانه وتعالى ﴿يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ فيخلف ما ينفقون، ويضاعف لهم الأجر. قال الضحاك: لم يقولوا إن الله يجزيك إن تصدقت علينا؛ لأنهم لم يعلموا أنه مؤمن، بل لتيقنهم كفره على عادة ملوك مصر في ذلك الوقت، فعبروا بهذه العبارة المحتملة. وقد بالغوا في الضراعة والتذلل لما كانوا يرون من تأثير ذلك في ملامح وجهه، وجرس صوته، ومغالبة دمه، وقد قيل: كيف يطلبون التصدق عليهم وهم أنبياء، والصدقة محرمة على الأنبياء، وأجيب باختصاص ذلك بنبينا محمد ﷺ. وفي هذا الكلام<sup>(١)</sup> دليل على أنه تجوز الشكوى عند الضرورة إذا خاف من إصابته على نفسه، كما يجوز للعليل أن يشكو إلى الطبيب ما يجده من العلة. وهذه المرة التي دخلوا فيها مصر هي المرة الثالثة كما يفيد ما تقدم من سياق الكتاب العزيز.

روي<sup>(٢)</sup>: أن يعقوب أمر بعض أولاده، فكتب بسم الله الرحمن الرحيم، من يعقوب إسرائيل الله، ابن إسحاق ذبيح الله، ابن إبراهيم خليل الله إلى عزيز مصر أما بعد: فإننا أهل بيت موكل بنا بالبلاء؛ أما جدي إبراهيم فإنه ابتلي بنار النمرود، فصبر وجعلها الله عليه برداً وسلاماً، وأما أبي إسحاق فابتلي بالذبح، فصبر ففداه الله بذبح عظيم، وأما أنا فابتلاني الله بفقد ولدي يوسف فبكيت عليه حتى ذهب بصري، ونحل جسمي، وقد كنت أتسلى بهذا الغلام الذي أمسكته عندك، وزعمت أنه سارق، وأنا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقاً، فإن رددته علي وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام. فلما قرأ يوسف كتاب أبيه اشتد بكاؤه وعيل صبره، وأظهر نفسه لأخوته.

ثم بعد أن ذكر طريق تحسسهم ذكر رد يوسف عليهم بقوله: ﴿قَالَ﴾ يوسف

(١) الشوكاني.

(٢) روح البيان.

عليه السلام لأخوته: ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ﴾ والاستفهام فيه للتوبيخ والتقريع، وقيل: ﴿هَلْ﴾ بمعنى قد؛ أي: هل تذكرون ﴿مَا فَعَلْتُمْ يَوْسُفَ﴾ من إلقاءه في الجب، وبيعه بثمن بخس، وتفريقه عن أبيه ﴿و﴾ ما فعلتم بـ﴿أخيه﴾ بنيامين من إدخال الغم عليه بفراق أخيه الشقيق، وما كان يناله من جهتهم من الاحتقار والإهانة حتى كان لا يقدر أن يكلمهم. قال الواحدي: ولم يذكر أباه يعقوب من عظم ما دخل عليه من الغم بفراقه تعظيماً له، ورفعاً من قدره، وعلماً بأن ذلك كان بلاء له من الله عز وجل؛ ليزيد في درجته عنده؛ أي: ما أعظم ما فعلتم بيوسف وأخيه، فهل تبتن عن ذلك بعد علمكم بقبحه؟ فهو سؤال عن الملزوم، والمراد لازمه، وهذا استفهام<sup>(١)</sup> يفيد تعظيم أمر هذه الواقعة، ومعناه: ما أعظم ما ارتكبتم من أمر يوسف، وما أقبح ما أقدمتم عليه من قطيعة الرحم وتفريقه من أبيه، وهذا كما يقال للمذنب: هل تدري من عصيت، وهل تعرف من خالفت؟ ولم يرد بهذا نفس الاستفهام، ولكنه أراد تفضيع الأمر وتعظيمه. ويجوز أن يكون المعنى: هل علمتم عقبى ما فعلتم بيوسف وأخيه من تسليم الله إياهما من المكروه. ﴿إِذْ أَنْتَ جَاهِلُونَ﴾ ظرف لفعلتم؛ أي: فعلتم وقت جهلكم عقبى فعلكم ليوسف من خلاصه من الجب، وولايته السلطنة، وإنما<sup>(٢)</sup> كان كلامه هذا شفقة عليهم، وتنصحاً لهم في الدين، وتحريضاً على التوبة، لا معاتبته وتثريباً إيثاراً لحق الله تعالى على حق نفسه.

روي: أنه لما قرأ كتاب يعقوب بكى وكتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم إلى يعقوب إسرائيل الله من ملك مصر أما بعد: أيها الشيخ فقد بلغني كتابك وقرأته، وأحطت به علماً، وذكرت فيه آباءك الصالحين، وذكرت أنهم كانوا أصحاب البلايا، فإنهم إن ابتلوا وصبروا ظفروا، فاصبر كما صبروا والسلام. فلما قرأ يعقوب الكتاب قال: والله ما هذا كتاب الملوك، ولكنه كتاب الأنبياء، ولعل صاحب الكتاب هو يوسف.

(١) الخازن.

(٢) روح البيان.

واعلم<sup>(١)</sup>: أن هذه الآية تصديق لقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾. قال صاحب «الكشاف» في تفسير الآية: أتاهم من جهة الدين، وكان حليماً موقفاً، فكلهم مستفهماً على معرفة وجه القبح الذي يجب أن يراعيه النائب ف﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ﴾ أقبح ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون لا تعلمون قبحه، فلذلك أقدمتم عليه يعني: هل علمتم قبحه، فتبتم إلى الله منه، لأن علم القبح يدعو إلى الاستقباح، والاستقباح يجر إلى التوبة، فكان كلامه شفقة عليهم وتنصيحاً لهم في الدين، لا معاتبة وتثريباً إيثاراً لحق الله تعالى على حق نفسه في ذلك المقال الذي يتنفس فيه المكروب، وينفث المصدور، ويستنفي المغيظ المحنق، ويدرك ثأره الموتور، فلله أخلاق الأنبياء ما أوطأها وأسمحها، والله حصا عقولهم ما أوزنها وأرجحها. ا هـ.

وكان سؤاله<sup>(٢)</sup> إياهم عما فعلوا بيوسف وأخيه هو سؤال العارف بأمرهم فيه من البداية إلى النهاية مصداقاً لما أوحاه الله إليه حين ألقوه في غيابة الجب من قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾. إذ يبعد أن يعرف هذا سواه.

ولما أرادوا أن يثبتوا من ذلك ويستيقنوا به وجهوا إليه سؤالاً هو سؤال المتعجب المستغرب لما يسمع وقالوا: ﴿أَوَلَيْكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾؛ أي: قالوا هل من المؤكد قطعاً أنك أنت يوسف، وقد عجبوا من أنهم يترددون عليه مدى ستين أو أكثر وهم لا يعرفونه، وهو يعرفهم، ويكنم نفسه، والاستفهام فيه للتقرير.

قرأ ابن كثير وقتادة وابن محيصن<sup>(٣)</sup>: ﴿إِنَّكَ﴾ على لفظ الخبر بغير همزة استفهام، والظاهر أنها مرادة، ويبعد حمله على الخبر المحض. وقرأ<sup>(٤)</sup> نافع: ﴿أَيْنَكَ﴾ - بفتح الألف غير ممدودة وبالياء -.. وقرأ أبو عمرو: ﴿أَيْنَكَ﴾ - بمد الألف وبالياء - وهو رواية قالون عن نافع. والباقون: ﴿إِنَّكَ﴾ بهمزتين وكل ذلك

(٣) البحر المحيط.

(١) الخازن.

(٤) المراح.

(٢) المراغي.

على الاستفهام؛ لأنهم فهموا من فحوى كلامه عليه السلام، أو من إِبصار ثناياه وقت تبسمه عند تكلمه بذلك.

وقال: من قرأ على الخبر إن الأخوة لم يعرفوا يوسف حتى رفع التاج عن رأسه، فرأوا في قرنه علامة تشبه الشامة البيضاء كما كان ليعقوب وإسحاق مثل ذلك، فلما عرفوه بتلك العلامة قالوا ذلك.

﴿قَالَ﴾ يوسف عليه السلام جواباً لهم ﴿أَنَا يُوسُفُ﴾ الذي ظلمتموني غاية الظلم، وقد نصرني الله تعالى فأكرمني وأوصلني إلى أسمى المراتب، أنا ذلك العاجز الذي أردتم قتله بإلقائه في غيابة الجب، ثم صرت إلى ما ترون ﴿وَهَذَا﴾؛ أي: بنيامين ﴿أَخِي﴾؛ أي: شقيقي الذي فرقتم بيني وبينه وظلمتموه، ثم أنعم الله عليه بما تبصرون ﴿قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾؛ أي: أنعم الله تعالى علينا، فجمع بيننا بعد الفارقة، وأعزنا بعد الذلة وآنسنا بعد الوحشة، وخلصنا مما ابتلينا به. وقيل: منَّ علينا بكل عز وخير في الدنيا والآخرة. وقيل: منَّ علينا بالسلامة في ديننا ودنيانا. وفيه إيماء إلى أنه لا وجه لطلبكم بنيامين؛ لأنه أخي لا أخوكم.

قال بعض العلماء<sup>(١)</sup>: إنما أظهر الاسم في قوله: ﴿أَنَا يُوسُفُ﴾ ولم يقل أنا هو تعظيماً لما نزل به من ظلم إخوته له، وما عوضه الله من النصر والظفر والملك، فكانه قال: أنا يوسف المظلوم الذي ظلمتموني، وقصدتم قتلي بأن ألقيتموني في الجب، ثم بعتموني بأبخس الأثمان، ثم صرت إلى ما ترون، فكان تحت ظهور الاسم هذه المعاني كلها. ولهذا قال: ﴿وَهَذَا أَخِي﴾ وهم يعرفونه؛ لأنه قصد به أيضاً وهذا أخي المظلوم كما ظلمتموني، ثم صرت أنا وهو إلى ما ترون، وهو قوله: ﴿قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بكل عز وخير في الدنيا والآخرة ﴿إِنَّهُ﴾؛ أي: إن الشأن والحال ﴿مَنْ يَتَّقِ﴾ الله سبحانه وتعالى بامتثال المأمورات، واجتناب المنهيات ﴿وَيَصْبِرْ﴾ على المحن والبلايا والإذاية ﴿قَالَ﴾ الله ﴿سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى﴾ ولا يبطل ﴿أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالتقوى والصبر؛

(١) الخازن.



أي: لا يضيع أجرهم، فوضع المحسنين موضع المضر لاشتماله على المتقين والصابرين. وقيل المعنى: من يتق مولاه ويصبر على بلواه. وقيل: من يتق الزنا ويصبر على العزوبة قاله ابن عباس. وقال مجاهد: يتقي المعصية ويصبر على السجن.

والمعنى<sup>(١)</sup>: أن الحق الذي نطقت به الشرائع وأرشدت إليه التجارب هو من يتق الله فيما به أمر وعنه نهى، ويصبر على ما أصابه من المحن وفتن الشهوات والأهواء، فلا يستعجل الأقدار بشيء قبل أوانه، فإن الله لا يضيع أجره في الدنيا، ثم يؤتاه أجره في الآخرة.

وفي الآية شهادة له من ربه بأنه من المحسنين المتقين لله، وبأن من كان مطيعاً لنفسه الأمانة بالسوء ومتبعاً لنزغات الشيطان.. فإن عاقبته الخزي في الدنيا والنكال في الآخرة إلا من تاب وعمل صالحاً، ثم اهتدى. وقرأ<sup>(٢)</sup> قنبل ابن كثير: ﴿من يتقي﴾ - بالياء - وصلاً ووقفاً. فقيل: هو مجزوم بحذف الياء التي هي لام الكلمة، وهذه الياء إشباع وقيل: جزمه بحذف الحركة على لغة من يقول: لم يرمي زيد، وقد حكوا ذلك لغة، وقيل غير ذلك. وقرأ الباكون بحذفها وصلاً ووقفاً، والإعراب على قراءتهم ظاهر واضح.

تنبيه: فإن قيل: لِمَ لَمْ يعرف يوسف إخوته بنفسه في أول مرة ليبشروا أباهم به، وبما هو عليه من حسن حال وبسطة وجاه، فيكون في ذلك السرور كل السرور له؟

فالجواب عن ذلك: ما أجاب به ابن القيم في كتابه «الإغاثة الكبرى» قال رحمه الله تعالى: لو عرفهم بنفسه في أول مرة لم يقع الاجتماع بهم وبأبيه ذلك الموقع العظيم، ولم يحل ذلك المحل، وهذه سنة الله تعالى في الغايات العظيمة الحميدة إذا أراد أن يوصل عبده إليها هياً له أسباباً من المحن والبلايا والمشاق،

(١) المراغي.

(٢) البحر المحيط.

فيكون وصوله إلى تلك الغايات بعدها كوصول أهل الجنة إليها بعد الموت وأهوال البرزخ، والبعث والنشور، والموقف والحساب والصراف، ومقاساة تلك الأهوال والشدائد، وكما أدخل رسول الله ﷺ إلى مكة ذلك المدخل العظيم بعد أن أخرجه الكفار ذلك المخرج، ونصره ذلك النصر العزيز بعد أن قاسى مع أعداء الله ما قاساه، وكذلك ما فعل برسله كنوح وإبراهيم وموسى وهود وصالح وشعيب عليهم السلام، فهو سبحانه وتعالى يوصل إلى الغايات الحميدة بالأسباب التي تكرهها النفوس وتشق عليها كما قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٦﴾. وربما كان مكروهه النفوس إلى محبوبها سبباً ما مثله سبب، وبالجملة فالغايات الحميدة في خبايا الأسباب المكروهة الشاقة، كما أن الغايات المكروهة في خبايا الأسباب المشتهاة المستلذة، وهذا من حين خلق الله سبحانه الجنة وحفها بالمكاره، والنار وحفها بالشهوات. ا هـ.

﴿قَالُوا﴾؛ أي: قال إخوة يوسف له ﴿تَأَلَّوْا لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى واختارك وفضلك ﴿عَلَيْنَا﴾ بالعلم والحلم والفضل والعقل والملك ﴿وَإِنْ كُنَّا﴾؛ أي: وإن الشأن والحال كنا في صنعنا بك وتفريقنا بينك وبين أخيك ﴿لِخٰطِئِينَ﴾؛ أي: لآثمين متعمدين للخطيئة غير متقين الله؛ ولا عذر لنا فيها عند الله، ولا عند الناس، وفيه إشعار بالتوبة والاستغفار. وبعد أن قدموا له المعذرة أجابهم بالصفح عما فعلوا ولذلك ﴿قَالَ﴾ يوسف عليه السلام: ﴿لَا تَثْرِبَ﴾؛ أي: لا لوم ولا تعنيف ولا تقريع ولا تعبير ﴿عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ﴾؛ أي: في هذا اليوم الذي هو مظنته، ولكن لكم عندي الصفح والعفو، وهو إذا لم يثرب أول لقائه واشتعال ناره، فبعده أولى. والتثريب<sup>(١)</sup>: تفعيل من الثرب، وهو الشحم الذي يغشي الكرش، ومعناه: إزالة الثرب، فكأن التعبير والاستقصاء في اللوم يذيب جسم الكريم وثربه لشدته عليه كما في «الكواشي». وقال ابن الشيخ: سمي التقريع تثريباً تشبيهاً له بالتثريب في اشتمال كل منهما على معنى التمزيق، فإن

(١) روح البيان.

التقريع يمزق العرض، ويذهب ماء الوجه، و﴿اليوم﴾ منصوب بالتثريب؛ أي: لا تثريب عليكم اليوم الذي هو مظنة التثريب، فما ظنكم بسائر الأيام؟ والمراد باليوم الزمان مطلقاً كقوله:

الْيَوْمَ يَرْحَمُنَا مَنْ كَانَ يَغِيظُنَا وَالْيَوْمَ نَشْبَعُ مَنْ كَانُوا لَنَا تَبَعًا  
 كأنه أريد بعد اليوم.

ثم ابتداءً، فقال: ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى، ويعفو ﴿لَكُمْ﴾ عن ذنبيكم وظلمكم ويستره عليكم، فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم.  
 وفي «الخازن»<sup>(١)</sup>: وفي محل قوله: ﴿الْيَوْمَ﴾ قولان:

أحدهما: أنه يرجع إلى ما قبله، فيكون التقدير: لا تثريب عليكم اليوم، والمعنى: إن هذا اليوم هو يوم التثريب والتقريع والتوبيخ، وأنا لا أقرعكم اليوم ولا أوبخكم ولا أثرب عليكم، فعلى هذا يحسن الوقف على قوله: ﴿لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾، ويبتدأ بقوله: ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾.

والقول الثاني: أن اليوم متعلق بقوله: ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ فعلى هذا يحسن الوقف على قوله: ﴿لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ﴾، ويبتدأ بـ﴿الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ كأنه لما نفى عنهم التوبيخ والتقريع بقوله: ﴿لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ﴾ بشرهم بقوله: ﴿الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾.

﴿وَهُوَ﴾ سبحانه وتعالى ﴿أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ لمن أفلح عن ذنبه وأتاب إلى طاعته بالتوبة من معصيته يرحم عباده رحمة لا يتراحمون بها فيما بينهم، فيجازي، محسنهم، ويغفر لمسيئهم؛ لأن<sup>(٢)</sup> رحمة الراحمين أيضاً برحمته، أو لأن رحمتهم جزء من رحمته تعالى، والمخلوق إذا رحم فكيف الخالق. قال في «بحر العلوم» الذنب للمؤمن سبب للوصلة، والقرب من الله تعالى، فإنه سبب لتوبته، وإقباله على الله تعالى.

(١) الخازن.

(٢) روح البيان.

وقال عطاء الخراساني: طلب الحوائج من الشباب أسهل منه من الشيوخ،  
 ألم تر قول يوسف: ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ وقال يعقوب:  
 ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾.

وقد تمثل النبي ﷺ بهذه الآية يوم فتح مكة حين طاف بالبيت، وصلى  
 ركعتين، ثم أتى الكعبة فأخذ بعضادتي الباب وقال: «ما تظنون أني فاعل بكم؟»  
 قالوا: نظن خيراً أخ كريم وابن أخ كريم، فقال: وأنا أقول كما قال أخي  
 يوسف: ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ فخرجوا كأنما نشروا من القبور». أخرجه ابن  
 مردويه عن ابن عباس، والبيهقي عن أبي هريرة.

روي<sup>(١)</sup>: أن يوسف عليه السلام لما عرف نفسه إخوته سألهم عن أبيهم،  
 فقالوا: ذهب بصره، فعند ذلك أعطاهم قميصه، وقال: ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا﴾  
 الذي على بدني أو بيدي ﴿فَالْقَوُّ﴾؛ أي: فآلقوا هذا القميص ﴿عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي﴾  
 حين وصولكم إليه دون تأخير ﴿يَأْتِ بِصِيرًا﴾؛ أي: يصير بصيراً على أن (يأت)  
 هي التي من أخوات (كان)، قال الفراء: يرجع بصيراً. وقال السدي: يعد  
 بصيراً، وقيل: معناه يأت إليّ مصر وهو بصير قد ذهب عنه العمى. وقد علم  
 هذا؛ إما بوحي من الله تعالى، وإما لأنه علم أن أباه ما أصابه ما إصابه إلا من  
 كثرة البكاء وضيق النفس، فإذا ألقى عليه قميصه شرح صدره، وسر أعظم  
 السرور، وقوي بصره، وزالت عنه هذه الغشاوة التي رانت عليه، والقوانين الطيبة  
 تؤيد هذا كما سيأتي بعد. ﴿وَأَتُونِي بِأَقْلَابِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ من الرجال والنساء  
 والذراري وغيرهم. وقد روي أن أهله كانوا سبعين رجلاً وامرأة وولداً. فإن  
 الأهل يفسر بالأزواج والأولاد، وبالعبيد والإماء، وبالأقارب وبالأصحاب  
 وبالمجموع.

روي<sup>(٢)</sup> أن يهوذا حمل القميص، وقال: أنا أحزنته بحمل القميص المملوح بالدم  
 إليه، فأفرحه كما أحزنته، فحمله وهو حاف حاسر من مصر إلى كنعان، ومعه سبعة

(١) المراغي.

(٢) روح البيان.

أرغفة لم يستوف أكلها حتى أناه، وكانت المسافة ثمانين فرسخاً. قيل<sup>(١)</sup>: هذا القميص هو القميص الذي ألبسه الله إبراهيم لما ألقى في النار، وكساه إبراهيم إسحاق، وكساه إسحاق يعقوب، وكان يعقوب أدرج هذا القميص في قضيبه وعلقه في عنق يوسف لما كان يخاف عليه من العين، فأخبر جبريل يوسف أن يرسل به إلى يعقوب ليعود عليه بصره؛ لأن فيه ريح الجنة، وريح الجنة لا يقع على سقيم إلا شفي، ولا مبتلى إلا عوفي.

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾؛ أي: ولما انفصلت عير بني يعقوب عن حدود مصر، وخرجت منها قافلة إلى أرض الشام ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ يعقوب عليه السلام لمن حضره من حفدته ومن غيرهم: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾؛ أي: لأشم رائحة يوسف كما عرفتها في صغره. وفي «التيان» هاجت الريح، فحملت ريح القميص من مسافة ثمانين فرسخاً، واتصلت بيعقوب، فوجد ريح الجنة، فعلم أنه ليس في الدنيا من ريح الجنة إلا ما كان من ذلك القميص انتهى. وهذا موافق لما سبق من أنه كان في القميص ريح الجنة لا يقع على مبتلى إلا عوفي، فالخاصية في ريح الجنة لا في ريح يوسف كما ذهب إليه «البيضاوي». وأما الإضافة في قوله: ﴿رِيحَ يُوسُفَ﴾ فللملابسة كما لا يخفى ﴿لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾؛ أي: لولا أن تنسبوني إلى الفند، وهو الخرف ونقصان العقل وفساد الرأي من هرم. وجواب ﴿لَوْلَا﴾ محذوف تقديره: لولا تفنيدكم إياي لصدقتموني فيما أقول لكم، فوجد ريحه من ثمانية أيام. وفي رواية من ثمانين فرسخاً، والمراد: من مسافات بعيدة جداً. والفند<sup>(٢)</sup>: وهو نقصان العقل من هرم، يقال: شيخ مفند، ولا يقال: عجوز مفندة؛ إذ لم تكن في شببتها ذات رأي فتفند في كبرها؛ أي: نقصان عقلها ذاتي لا حادث من عارض الهرم.

واعلم: أن الخرف لا يطراً على الأنبياء والورثة؛ لأنه نوع من الجنون الذي هو من النقائص، وهم مبرأون مما يشين بهم من الآفات.

(١) الشوكاني.

(٢) روح البيان.

﴿قَالُوا﴾؛ أي: قال حاضرُوا مجلسه ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَإِنِّي ضَلُّوكَ﴾؛ أي: لفي خطئك ﴿الْفَكْدِيرِ﴾؛ أي: الذي طال أمده باعتقادك أن يوسف حي يرجى لقاؤه، وقد قرب ولا غرو فللخلي أن يقول في الشجي ما شاء، فأذنه عن العذل صماء:

سَلَوْتِي عَنْكُمْ أَحْتِمَالٌ بَعِيدٌ وَأَفْتِضَاحِي بِكُمْ ضَلَالٌ قَدِيمٌ  
كُلُّ مَنْ يَدَّعِي الْمَحَبَّةَ فِيكُمْ ثُمَّ يَخْشَى الْمَلَامَ فَهُوَ مُلِيمٌ

قال قتادة في تفسيرها<sup>(١)</sup>: ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَإِنِّي ضَلُّوكَ الْفَكْدِيرِ﴾؛ أي: من

حب يوسف لا تنساه ولا تسلوه. ا هـ.

قالوا لوالدهم كلمة غليظة لم يكن ينبغي لهم أن يقولوها له.

و﴿أَنَّ﴾ في قوله: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ﴾ صلة؛ أي: زائدة لتأكيد<sup>(٢)</sup> الفعلين واتصالهما حتى كأنهما وجدا في جزء واحد من الزمان من غير فاصل وقت؛ أي: فلما جاء البشير وهو ابنه يهوذا الذي يحمل القميص من يوسف، وهو الذي حمل إليه قميصه المملوح بالدم الكذب ليمحو السيئة بالحسنة ﴿أَلْقَنَهُ﴾؛ أي: ألقى البشير القميص وطرحه ﴿عَلَى وَجْهِهِ﴾؛ أي: على وجه يعقوب ﴿فَأَرْتَدَّ﴾ يعقوب؛ أي: عاد ورجع يعقوب من فوره ﴿بَصِيرًا﴾؛ أي: ذا بصر كما كان قبل فراق يوسف. والارتداد: انقلاب الشيء إلى حال كان عليها، وهو من الأفعال الناقصة؛ أي: عاد ورجع بصيراً بعدما كان قد عمي، ورجعت قوته وسروره بعد الضعف والحزن، بل قد قيل: إنه عادت إليه سائر قواه، وليس ذلك بعجيب ولا منكر، فكثيراً ما شفى السرور من الأمراض، وجدد قوى الأبدان والأرواح، والتجارب وقوانين الطب شاهد صدق على صحة ذلك، وقد أجاب يعقوب من لاموه بما كان عليه من علم قطعي من ربه بصدق ما يقول، كما قال سبحانه: ﴿قَالَ﴾ لهم يعقوب: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ﴾ يا بني حين أرسلتكم إلى مصر وأمرتكم بالتجسس، ونهيتكم عن اليأس من روح الله: - والاستفهام فيه تقرير - ﴿إِنِّي﴾

(١) المراغي.

(٢) روح البيان.

أَعْلَمُ﴾ بالوحي ﴿رَبِّكَ اللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى لا بالخطرات من الأوهام ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من حياة يوسف وإنزال الفرج، وقد ذكرهم الآن إذ عاد بصيراً بما كان قد قاله لهم حين ابيضت عيناه من الحزن وهو كظيم. وروي<sup>(١)</sup> أنه سأل البشير كيف يوسف؟ قال: هو ملك مصر. قال: ما أصنع بالملك؟ قال: على أي دين تركته؟ قال: على دين الإسلام، قال: الآن تمت النعمة.

### نبذة في تعليل شم يعقوب رائحة يوسف<sup>(٢)</sup>

أثبت العلم حديثاً أن الريح تحمل الغبار وما فيه من قارة إلى أخرى، فتحمله من إفريقية مثلاً إلى أوروبا، وهي مسافة أبعد مما بين مصر وأرض كنعان من بلاد الشام، وهي بلا شك تحمل رائحة ماله منها رائحة، ولكن الغريب شم البشر لها من المسافات البعيدة، والإنسان إذا قيس بغيره من الوحوش والحشرات كان أضعف منهما شماً. فالكلب ذو حاسة قوية في الشم حتى ليدربه الآن رجال الشرطة، ويستخدمونه في حوادث الإجرام من قتل وسرقة، لإثبات التهمة على المجرمين، فيأتون بالكلب المعلم، فيشم المجرم ويخرجه من بين أشخاص كثيرين، ويرى ذلك رجال القانون دليلاً قوياً على إثبات الجريمة على من يرشد إليه، بل دليلاً قاطعاً في بعض الدول.

والروائح منها القوي والضعيف، ومن أضعفها رائحة جسم الإنسان وعرقه وما يصيب ثوبه منها، ولكن ما نحن فيه من خوارق العادات ومن خواص عالم الغيب، لا من السنن العادية والحوادث التي تتكرر من البشر. وقد دلت الآية على أن يعقوب عليه السلام أخبر أنه وجد رائحة يوسف لما فصلت العير من أرض مصر، فعلينا أن نؤمن به؛ لأنه معصوم من الكذب، وقد تبين صدقه بعد. وليس بالواجب علينا أن نعرف كنهه، أو نصل إلى معرفة سببه، ولكن إذا نحن قلنا: إنه لشدة تفكره في أمر ولده، وتذكره لرائحته حين كان يضمه ويشمه شعر

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

بتلك الرائحة قد عادت له سيرتها الأولى.. لم يكن ذلك مجاناً للصواب ولا معارضاً للعقل، ولا ناقضاً لما يشته العلم، أو قلنا: بأن نتقبل هذا بدون تعليل ولا تصوير لكيفية ذلك.. لا نبعد عن العقل، ولا عن العلم؛ إذ لا خلاف بين العلماء في أن ما يجهله الباحثون أضعاف ما يعرفونه. وعلى الجملة فعلينا التسليم بما أخبر به دون حاجة للبحث في كنهه أو صفته ما دام ذلك داخلاً في حيز الإمكان.

وقوله: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا﴾ مرتب على محذوف تقديره: ولما رجع أولاد يعقوب من مصر، ووصلوا إلى أبيهم إثر مجيء البشير قالوا يا أبانا: ﴿أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾؛ أي: أسأل الله سبحانه وتعالى، واطلب منه أن يغفر لنا ذنوبنا التي اجترحناها من عقوقك وإيذاء أخويننا ﴿إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾؛ أي: متعمدين لهذه الخطيئة عاصين لله، ظانين أن نكون بعدها قوماً صالحين، الآن اعترفوا بذنوبهم كما اعترفوا ليوسف من قبل، لكن يوسف بادر إلى الاستغفار لهم وهم لم يطلبوه منه.

وإنما سألوه المغفرة<sup>(١)</sup>؛ لأنهم أدخلوا عليه من ألم الحزن ما لا يسقط المأثم عنهم إلا بإحلاله. قلت: وهذا الحكم ثابت فيمن آذى مسلماً في نفسه أو ماله، أو غير ذلك ظالماً له، فإنه يجب عليه أن يتحلل له ويخبره بالمظلمة وقدرها، وهل ينفعه التحليل المطلق أم لا؟ فيه خلاف، والصحيح أنه لا ينفع، فإنه لو أخبره بمظلمة لها قدر وبال ربما لم تطب نفس المظلوم في التحلل منها، والله أعلم.

وفي «صحيح البخاري» وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء.. فليحللها منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه، فحمل عليه».

(١) القرطبي.



﴿قَالَ﴾ يعقوب لهم: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾؛ أي: في مستقبل الزمان، أطلب لكم من ربي مغفرة ذنوبكم، وعدهم بالاستغفار لهم في مستأنف الزمان، وعلل هذا بـ﴿إِنَّهُ﴾ سبحانه وتعالى ﴿هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾؛ أي: بأن ربه واسع المغفرة والرحمة لا ينقطع رجاء المؤمن فيها وإن ظلم وأساء. قال الزجاج<sup>(١)</sup>: أراد يعقوب أن يستغفر لهم في وقت السحر؛ لأنه أخلق بإجابة الدعاء، لا أنه بخل عليهم بالاستغفار. وقيل: أخره إلى ليلة الجمعة، وقيل: أخره إلى أن يستحل لهم من يوسف، ولم يعلم أنه قد عفا عنهم. وجملة: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ تعليل لما قبله كما مر آنفاً.

وعن الشعبي<sup>(٢)</sup>: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ قال: أسأل يوسف، إن عفا عنكم أستغفر لكم ربي، فإن عفو المظلوم شرط المغفرة، فأخر الاستغفار إلى وقت الاجتماع بيوسف، فلما قدموا عليه في مصر قام إلى الصلاة في السحر ليلة الجمعة، وكانت ليلة عشوراء، فلما فرغ رفع يديه، وقال: اللهم اغفر جزعي على يوسف، وقلة صبري منه، واغفر لأولادي ما أتوا به أخاهم، وقام يوسف خلفه يؤمّن، وقام إخوته خلفهما أذلة خاشعين، فأوحى الله تعالى إليه أن الله قد غفر لك ولهم أجمعين، ثم لم يزل يدعو لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة إلى أن حضرت الوفاة.

وقال في «روح البيان»: سوف وعسى ولعل في وعد الأكابر والعظماء يدل على صدق الأمر وجده، ووقوع ذلك منهم موقع القطع والبيت، وإنما يعنون بذلك إظهار وقارهم وترك استعجالهم، فعلى ذلك جرى وعد يعقوب كأنه قال: إنني أستغفر لكم ربي لا محالة، وإن تأخر كما في «بحر العلوم».

فائدة: والفارق بين جواب يعقوب وجواب يوسف من وجوه كثيرة اقتضتها الحكمة:

١ - أن حال أبيهم معهم حال المربي المرشد للمذنب، لا حال المنتقم

(٢) روح البيان.

(١) الشوكاني.

الذي يخشى أذاه، وليس من حسن التربية ولا من طرق التهذيب أن يريهم أن ذنبهم هين لديه حتى يعجل بإجابة مطلبهم بالاستغفار لهم.

٢ - أن ذنبهم لم يكن موجهاً إليه مباشرة، بل موجه إلى يوسف وأخيه، ثم إليه بالتبع واللزوم إلا أنه ليس من العدل أن يستغفر لهم إلا بعد أن يعلم حالهم مع يوسف وأخيه، ولم يكن يعقوب قد علم بعفو يوسف عنهم واستغفاره.

٣ - أن هذا ذنب كبير وإثم عظيم طال عليه الأمد، وحدثت منه أضرار نفسية وخلقية، وأعمال كان لها خطرها، فلا يمحي إلا بتوبة نصوح تجتث الجذور التي علفت بالأنفس والأرجاس التي باضت وفرخت فيها. فلا يحسن بعدئذ من المرابي الحكيم أن يسارع إلى الاستغفار لمقترفها عقب طلبه، حتى كأنها من هيئات الأمور التي تغفر ببادرة من الندم، ومن ثم تلبث في الاستغفار لهم إلى أجل، ليعلمهم عظيم جرمهم، ويعلمهم بأنه سوف يتوجه إلى ربه، ويطلب لهم الغفران منه بفضلته ورحمته.

٤ - أن حال يوسف معهم كان حال القادر، بل المالك القادر مع مسيء ضعيف لديه عظم جرمه عليه، فلم يشأ أن يكون الغفران بشفاعته ودعائه، فآمنهم من خوف الانتقام تعجلاً للسرور بالنعمة الجديدة التي جعل الله أمرها بين يديه، وليروا ويرى الناس فضل العفو عند القدرة، وليكون لهم في ذلك أحسن الأسوة. وفي هذا من ضروب التربية أكبر العظة، ولو أخرج المغفرة لكانوا في وجل مما سيحل بهم، ولخافوا شر الانتقام، فكانوا في قلق دائم وتبليبل بالاضطراب نفس، فكان توجسهم له عذاباً فوق العذاب الذي هم فيه، ولكن شاءت رحمته بهم أن يجعل السرور عاماً، والحياة الجديدة حافلة بالاطمئنان وقرّة العين، وهكذا شاءت الأقدار وشاء الله أن يكون ذلك، وهو العليم الحكيم.

### تأويل رؤيا يوسف من قبل

وقوله: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ﴾ في محل ضرب فيه يوسف خيامه حين خرج من مصر لتلقي أبيه ﴿ءَأْوَى﴾ يوسف وضم ﴿إِلَيْهِ أَبُويُوسُفَ﴾؛ أي: أباه وخالته

وأعتنقهما، فإن أمه ماتت في نفاس أخيه بنيامين، فمعنى بنيامين بالعبرانية ابن الوجد؛ لأن يامين معناه الوجد، ولما ماتت أمه راحيل.. تزوج أبوه بخالته ليا والرابة، وهي موطؤة الأب، تدعى أمأ؛ لقيامها مقام الأم، أو لأن الخالة أم كما أن العم أب. وظاهر الآية يدل على أن أمه كانت لا تزال حية، ورجحه ابن جرير، وخالفه أكثر المفسرين كما بينا. وفيه حذف وإيجاز يفهم من سياق الكلام، وتقدير المعنى: فبعد أن ذهب إخوة يوسف إلى أبيهم وأخبروه بمكانة يوسف في مصر، وأنه الحاكم المفوض المستقل في أمرها.. أبلغوه أن يدعوهم كلهم للإقامة معه في مصر والتمتع بحضارتها، فرحلوا حتى بلغوها، ولما دخلوا على يوسف وكان قد استقبلهم في الطريق في جمع حافل احتفاء بهم.. ضم إليه أبويه واعتنقهما.

روي<sup>(١)</sup>: أن يوسف وجه إلى أبيه جهازاً كثيراً ومثي راحلة، وسأله أن يأتيه بأهله أجمعين، فتهياً يعقوب للخروج إلى مصر، فتوجه مع أولاده وأهاليهم إلى مصر على رواحلهم، فلما قربوا من مصر أخبر بذلك يوسف، فاستقبله يوسف والملك الريان - في أربعة آلاف من الجند، أو ثلاث مئة ألف فارس - والعظماء وأهل مصر بأجمعهم، ومع كل واحد من الفرسان جنة من فضة وراية من ذهب، فتزينت الصحراء بهم واصطفوا صفوفاً، وكان الكل غلمان يوسف ومراكبه، ولما صعد يعقوب تلاً ومعه أولاده وحفدته؛ أي: أولاد أولاده ونظر إلى الصحراء مملوءة من الفرسان مزينة بالألوان نظر إليهم متعجباً، فقال له جبريل: انظر إلى الهواء، فإن الملائكة قد حضرت سروراً بحالكم كما كانوا محزونين مدة لأجلك، ثم نظر يعقوب إلى الفرسان، فقال: أيهم ولدي يوسف؟ فقال جبريل: هو ذاك الذي فوق رأسه ظلة، فلم يتمالك أن أوقع نفسه من البعير، فجعل يمشي متوكئاً على يهوذا، فقال جبريل: يا يوسف إن أباك يعقوب قد نزل لك، فانزل له، فنزل من فرسه وجعل كل واحد منهما يعدو إلى الآخر، فلما تقاربا قصد يوسف أن يبدأ بالسلام، فقال جبريل: لا حتى يبدأ يعقوب به؛ لأنه أفضل وأحق، فابتدأ به

(١) روح البيان.

وقال: السلام عليك يا مذهب الأحزان، فتعانقا وبكيا سروراً وبكت ملائكة السموات وماج الفرسان بعضهم في بعض، وصهلت الخيول وسبّحت الملائكة، وضرب بالطبول والبوقات، فصار كأنه يوم القيامة قال يوسف: يا أبت بكيت علي حتى ذهب بصرك، ألم تعلم أن القيامة تجمعنا؟ فقال: بلى، ولكن خشيت أن يسلب دينك، فيحال بيني وبينك، نسأل الله الثبات على الإيمان إنه الكريم المنان - آمين -.

﴿وَقَالَ﴾ يوسف لجميع أهله قبل أن يدخلوا مصر: ﴿أَدْخُلُوا مِصْرَ﴾ للإقامة بها ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى دخولكم حالة كونكم ﴿ءَامِينَ﴾ من الجوع والخوف وسائر المكاره قاطبة على أنفسكم وأموالكم وأهلكم لا تخافون أحداً؛ لأنهم كانوا قبل ولاية يوسف يخافون ملوك مصر، ولا يدخلونها إلا بإجازتهم لكونهم جبابرة. قيل<sup>(١)</sup>: المراد بالدخول الأول في قوله: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ﴾ أرض مصر، وذلك حين استقبلهم، ثم قال: ﴿أَدْخُلُوا مِصْرَ﴾ يعني البلد. وقيل: إنه أراد بالدخول الأول دخولهم مصر، وأراد بالدخول الثاني الاستيطان بها؛ أي: ادخلوا مصر مستوطنين فيها.

والمشيئة في قوله: ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ متعلقة بالدخول والأمن معاً كقولك للغازي: إرجع سالماً غانماً إن شاء الله، فالمشيئة متعلقة بالسلامة والغنم معاً. والتقدير: ادخلوا مصر آمين إن شاء الله تعالى.

والمعنى: أي<sup>(٢)</sup> وقال لهم يوسف: ادخلوا بلاد مصر إن شاء الله تعالى آمين على أنفسكم وأنعامكم من الجوع والهلاك، فإن سني القحط كانت لا تزال باقية، وذكر المشيئة في كلامه للتبرؤ من مشيئته وحوله وقوته إلى مشيئة الله الذي سخر ذلك لهم، وسخر ملك مصر وأهلها له ثم لهم. وهذا من شأن المؤمنين، ولا سيما الأنبياء والصديقون.

(١) الخازن.

(٢) المراغي.

﴿وَرَفَعَ﴾ يوسف ﴿أَبَوَيْهِ﴾ عند نزولهم بمصر، وكانوا اثنين وسبعين رجلاً وامرأة، وكانوا حين خرجوا منها مع موسى عليه السلام ست مئة ألف وخمس مئة وبضعاً وتسعين، أو سبعين رجلاً سوى الذرية والهرمي، وكانت الذرية ألف ألف ومئتي ألف. ﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾؛ أي: على السرير الرفيع الذي كان يجلس عليه يوسف؛ أي: أجلسهما معه على سرير الملك تكريماً لهما فوق ما فعله لإخوته، واشتركوا في دخول دار يوسف، لكنهم تباينوا في الإيواء، فانفرد الأبوان بالجلوس معه على سرير الملك، لبعدهما من الجفاء، كذا غداً إذا وصلوا إلى الغفران يشتركون فيه في دخول الجنة، ولكنهم يتباينون في بساط القرية، فيختص به أهل الصفاء دون من اتصف اليوم بالالتواء. ﴿وَحَرُّوا﴾؛ أي: سقط أبوا يوسف وإخوته على الأرض ﴿لَهُمْ﴾؛ أي: لأجل ملاقاته يوسف واجتماعهم معه ﴿سُجَّدًا﴾؛ أي: حالة كونهم مقدرين السجود بوضع الجبهة شكراً لله تعالى على نعمة الاجتماع معه، وكان يوسف كالقبلة لهم كما سجدت الملائكة لآدم، فإن الله تعالى أمر يعقوب بالسجود لحكمة خفية، وذلك لإزالة الاستعلاء والتكبر عن قلوب إخوته، لأنهم لو لم يفعلوا ذلك السجود؛ لظهرت الأحقاد القديمة بعد كمونها، فالسجود لإزالتها، وكان ذلك جائزاً في ذلك الزمان.

فلما جاءت هذه الشريعة نسخت تلك الفعلة، فقوله: ﴿سُجَّدًا﴾ حال مقدرة كما أشرنا إليه في الحال؛ لأن السجود إنما يكون بعد الخور.

وقيل: المراد بالسجود هنا: الانحناء لا وضع الجبهة على الأرض، والمعنى: أهوى أبوا يوسف وإخوته عن القيام والانتصاب تحية وتكرمة له حالة كونهم سجداً؛ أي: منحنين بظهورهم، وكان ذلك تحية الملوك والعظماء في عهدهم كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها من عادات الناس الناشئة في التعظيم والتوقير.

والرفع في قوله: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ﴾ مؤخر عن الخور في قوله: ﴿وَحَرُّوا لَهُمْ﴾؛ إذ السجود له كان قبل الصعود على السرير في أول الملاقاة؛ لأن ذلك هو وقت التحية إلا أنه قدم لفظاً؛ للاهتمام بتعظيمه لهما، والترتيب الذكري لا يجب كونه

على وفق الترتيب الوقوعي، وليصل به ذكر كونه تعبير رؤياه ﴿وَقَالَ﴾ يوسف لأبيه يعقوب: ﴿يَأْتِي﴾؛ أي: يا أبي ﴿هَذَا﴾ السجود منكم ﴿تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ﴾؛ أي: تصديق منامي التي رأيتها وقصصتها عليك ﴿مِن قَبْلُ﴾؛ أي: من قبل هذا الوقت في زمن الصبا يريد قوله: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾. ﴿فَدَّ جَعَلَهَا﴾؛ أي: قد جعل تلك الرؤية ﴿رَبِّي حَقًّا﴾؛ أي: صدقاً في اليقظة واقعاً بعينها؛ أي: قد جعلها ربي حقيقة واقعة، واستبان أنها لم تكن أضغاث أحلام، فالكواكب الأحد عشر مثال إخوتي الأحد عشر، وأنت وأمي مثال الشمس والقمر، ولا بدع في ذلك. فهذه الأسرة هي التي حفظ الله بها ذرية إسحاق بن إبراهيم لتنتشر دين التوحيد بين العالمين، فكانت خير أسر البشر جميعاً. قال سلمان: كان بين رؤياه وتأويلها أربعون عاماً. ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾ ربي وأكرمني وأنعم علي ﴿إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ والحبس، وسما بي إلى عرش الملك، إنما ذكر إخراجه من السجن، ولم يذكر إخراجه من الجب؛ لثلاث تخجل إخوته، ولأن خروجه من السجن كان سبباً لصيرورته ملكاً، ولوصوله إلى أبيه وإخوته، ولزوال التهمة عنه، وكان ذلك من أعظم نعمه تعالى عليه، ولأن عهده بالسجن أقرب من الجب.

فائدة: قال لقمان الحكيم رضي الله عنه: خدمت أربعة آلاف نبي، وأخترت من كلامهم ثماني كلمات: إن كنت في الصلاة.. فاحفظ قلبك، وإن كنت في بيت الغير.. فاحفظ عينيك، وإن كنت بين الناس.. فاحفظ لسانك، واذكر اثنين وانس اثنين، أما اللذان تذكرهما فالله والموت، وأما اللذان تنساهما إحسانك في حق الغير وإساءة الغير في حقك. ذكره في «روح البيان».

﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾؛ أي: من البادية، وكان يعقوب وأولاده أصحاب ماشية، فسكنوا البادية، وهي أرض كنعان بالشام. وقال علي بن طلحة؛ أي: من فلسطين. ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ﴾ وأفسد ﴿بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ بالحسد، وحمل بعضنا على بعض، وأحال يوسف ذنب إخوته على الشيطان تكراً منه وتأديباً؛ أي: وقد أحسن بي ربي من بعد أن أفسد الشيطان ما بيني وبين إخوتي من عاطفة

الأخوة، وقطع ما بيننا من وشيجة الرحم، وهيج الحسد والشر ﴿إِنَّ رَبِّي﴾ سبحانه وتعالى ﴿لَطِيفٌ﴾؛ أي: عالم بدقائق الأمور رفيق بعباده مدبر ﴿لِمَا يَشَاءُ﴾ في خلقه من خفايا الأمور بحكمته البالغة، وقدرته القاهرة، وقيل: معناه: لطيف التدبير لما يشاء من الأمور رفيق، فإذا أراد الله سبحانه وتعالى حصول شيء.. . سهل أسبابه فحصل، وإن كان في غاية البعد عن الحصول عند العقول.. . فمن ذا الذي كان يدور بخلده أن الإلقاء في الجب يعقبه الرق، ويتلو الرق فتنة العشق، ومن أجله يزوج في غيابات السجن، ومن ذا إلى السيادة والملك. وقال الأزهري: اللطيف من أسماء الله تعالى معناه: الرفيق بعباده، يقال: لطف فلان بفلان يلطف إذا رفق به. وقال عمرو بن أبي عمرو: اللطيف الذي يوصل إليك أربك في لطف. قال الخطابي: اللطيف هو البر بعباده الذي يلطف بهم من حيث لا يعلمون، ويسبب لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون. وقيل: اللطيف العالم بدقائق الأمور. ذكره الشوكاني. ﴿إِنَّهُ﴾ سبحانه وتعالى ﴿هُوَ الْعَلِيمُ﴾ بمصالح عباده، فلا تخفى عليه مبادئ الأمور وغايتها ﴿الْحَكِيمُ﴾ الذي يفعل الأمور على وجه الحكمة والمصلحة، فيجازي الذين أحسنوا بالحسنى، ويجعل العاقبة للمتقين.

## الإعراب

﴿قَالُوا تَأَلَّوْا لِلَّهِ تَفْتَوًا تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَمًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾.

﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿تَأَلَّوْا﴾ إلى آخر الآية: مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿تَأَلَّوْا﴾: جار ومجرور متعلق بفعل قسم محذوف تقديره: أقسم والله، وجملة القسم في محل نصب مقول ﴿قَالُوا﴾. ﴿تَفْتَوًا﴾: فعل مضارع ناقص من أخوات زال منفي بلا المحذوفة؛ لأن جواب القسم الخالي من اللام ونون التوكيد.. . يجب كونه منفيًا، فلا بد من تقدير لا معه، واسمه ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: أنت يعود على يعقوب. ﴿تَذَكَّرُ يُوسُفَ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على يعقوب، والجملة الفعلية في محل نصب خبر ﴿تَفْتَوًا﴾، وجملة ﴿تَفْتَوًا﴾: جواب القسم لا محل لها من الإعراب. ﴿حَتَّى﴾: حرف جر وغاية. ﴿تَكُونَ﴾: فعل مضارع ناقص منصوب

بأن مضمرة وجوباً بعد حتى بمعنى إلى، واسمه ضمير يعود على يعقوب.  
 ﴿حَرَضًا﴾: خبره. ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾: فعل ناقص وخبره معطوف على  
 ﴿تَكُونَ﴾ الأولى، واسمه ضمير يعود على يعقوب أيضاً، وجملة ﴿تَكُونَ﴾  
 الأولى، صلة أن المضرة، أن مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بـ﴿حَتَّى﴾ بمعنى  
 إلى، تقديره: إلى كونك حرَضاً، أو كونك من الهالكين، الجار والمجرور متعلق  
 بـ﴿تَذَكَّرُ﴾.

﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُزَيْنَ إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٨٦).

﴿قَالَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعله ضمير يعود على يعقوب، والجملة مستأنفة.  
 ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُزَيْنَ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ﴾: مقول محكي،  
 وإن شئت قلت: ﴿إِنَّمَا﴾: أداة حصر. ﴿أَشْكُوا بَنِي﴾: فعل ومفعول.  
 ﴿وَحُزَيْنَ﴾: معطوف على ﴿بَنِي﴾، وفاعله ضمير يعود على يعقوب، والجملة  
 الفعلية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿إِلَى اللَّهِ﴾: جار ومجرور متعلق  
 بـ﴿أَشْكُوا﴾. ﴿وَأَعْلَمُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على يعقوب. ﴿مِنَ  
 اللَّهِ﴾: متعلق به. ﴿مَا﴾: موصولة، أو موصوفة في محل النصب مفعول به  
 لـ﴿أَعْلَمُ﴾؛ لأنه بمعنى عرف. ﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾: فعل وفاعل صلة لـ﴿مَا﴾، أو  
 صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف تقديره: ما لا تعلمونه، وجملة ﴿أَعْلَمُ﴾:  
 في محل النصب معطوفة على جملة ﴿أَشْكُوا﴾.

﴿يَبْنَئِ أَدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ  
 مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٧).

﴿يَبْنَئِ﴾: ﴿يَا﴾: حرف نداء. ﴿بني﴾: منادى منصوب، وعلامة نصبه الياء  
 المدغمة في ياء المتكلم؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، لأن أصله: يا بنين  
 لي، حذفت النون للإضافة، واللام للتخفيف، وجملة النداء في محل النصب  
 مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿أَدْهَبُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾  
 على كونها جواب النداء. ﴿فَتَحَسَّسُوا﴾: (الفاء): عاطفة. ﴿تحسسوا﴾: فعل  
 وفاعل معطوف على ﴿أَدْهَبُوا﴾. ﴿مِنَ يُوسُفَ﴾: متعلق به. ﴿وَأَخِيهِ﴾: معطوف



على ﴿يُوسُفَ﴾. ﴿وَلَا تَأْتِسُوا﴾: فعل وفاعل مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية معطوف على قوله: ﴿فَتَحَسَّسُوا﴾. ﴿مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق به. ﴿إِنَّهُ﴾: ناصب واسمه. ﴿لَا يَأْتِسُ﴾: فعل مضارع مرفوع. ﴿مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾: متعلق به. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿الْقَوْمِ﴾: فاعل. ﴿الْكَافِرُونَ﴾: صفة له، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿إِنْ﴾ وجملة ﴿إِنْ﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ مسوق لتعليل ما قبلها.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُرْتَجَّةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا﴾ (الفاء): عاطفة على محذوف تقديره: فخرجوا من عند أبيهم، فذهبوا إلى مصر، فلما دخلوا على يوسف. ﴿لَمَّا﴾: حرف شرط غير جازم. ﴿دَخَلُوا﴾: فعل وفاعل. ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلق به، والجملة فعل شرط لـ﴿لَمَّا﴾. ﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة جواب ﴿لَمَّا﴾، وجملة ﴿لَمَّا﴾: معطوفة على الجملة المحذوفة. ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ﴾ إلى آخر الآية: مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿يَا﴾: حرف نداء. ﴿أَيُّ﴾: منادى نكرة مقصودة. ﴿هَا﴾: حرف تنبيه زائد تعويضاً عما فات؛ أي: من الإضافة. ﴿الْعَزِيزُ﴾: صفة لـ﴿أَيُّ﴾، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾ ﴿مَسَّنَا﴾: فعل ومفعول. ﴿وَأَهْلَنَا﴾: معطوف على ضمير المفعول. ﴿الضُّرُّ﴾: فاعل، والجملة الفعلية في محل النصب مقول ﴿قال﴾ على كونها جواب النداء. ﴿وَجِئْنَا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿مَسَّنَا﴾. ﴿بِضْعَةٍ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿جِئْنَا﴾. ﴿مُرْتَجَّةٍ﴾: صفة لـ﴿بِضْعَةٍ﴾. ﴿فَأَوْفِ﴾: (الفاء): عاطفة. ﴿أَوْفِ﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على يوسف. ﴿لَنَا﴾: متعلق به. ﴿الْكَيْلَ﴾: مفعول به، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿وَجِئْنَا﴾. ﴿وَتَصَدَّقْ﴾: فعل أمر معطوف على ﴿أَوْفِ﴾، وفاعليه ضمير يعود على يوسف. ﴿عَلَيْنَا﴾: متعلق به. ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: ناصب واسمه. ﴿يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة في محل الرفع خبر ﴿إِنْ﴾، وجملة ﴿إِنْ﴾: في محل النصب مقول ﴿قال﴾ على كونها مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يُوْسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ (٨٩).

﴿قَالَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعله ضمير يعود على يوسف، والجملة مستأنفة.  
﴿هَلْ عَلِمْتُمْ﴾ إلى آخر الآية: مقول محكي لـ ﴿قَالَ﴾، وإن شئت قلت: ﴿هَلْ﴾:  
حرف استفهام للاستفهام التوبيخي. ﴿عَلِمْتُمْ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل  
النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿مَا﴾: موصولة، أو موصوفة في محل النصب مفعول به؛  
لأنه بمعنى عرف. ﴿فَعَلْتُمْ﴾: فعل وفاعل. ﴿يُوْسُفَ﴾: متعلق به. ﴿وَأَخِيهِ﴾:  
معطوف على ﴿يوسف﴾، والجملة الفعلية صلة لـ ﴿مَا﴾، أو صفة لها، والعائد أو  
الرباط محذوف تقديره: ما فعلتموه. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان. ﴿أَنْتُمْ  
جَاهِلُونَ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية في محل الجر مضاف إليه لـ ﴿إِذْ﴾،  
والظرف متعلق بـ ﴿فَعَلْتُمْ﴾.

﴿قَالُوا أَوَإِنَّا لَنُؤَسِّفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾.

﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿أَوَإِنَّا لَنُؤَسِّفُ﴾: مقول  
محكي، وإن شئت قلت ﴿أَوَإِنَّا﴾: (الهمزة): للاستفهام التقريري. ﴿إِنَّا﴾:  
ناصب واسمه. ﴿لَنُؤَسِّفُ﴾: (اللام): حرف ابتداء. ﴿أنت يوسف﴾: مبتدأ وخبر،  
والجملة في محل الرفع خبر ﴿إِن﴾، ويجوز أن يكون ﴿أنت﴾: ضمير فصل، ولا  
يجوز أن يكون توكيداً لاسم ﴿إِن﴾؛ لأن هذه اللام لا تدخل على التوكيد. اهـ.  
«سمين»، وجملة ﴿إِن﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماضٍ،  
وفاعله ضمير يعود على ﴿يُوْسُفَ﴾، والجملة مستأنفة. ﴿أَنَا يُوسُفُ﴾ إلى آخر  
الآية مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿أَنَا يُوسُفُ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة في  
محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَهَذَا أَخِي﴾: مبتدأ وخبر معطوف على جملة  
قوله: ﴿أَنَا يُوسُفُ﴾. ﴿قَدْ مَنَّ اللَّهُ﴾: فعل وفاعل. ﴿عَلَيْنَا﴾: متعلق به،  
والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾.

﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿إِنَّهُ﴾: ناصب واسمه. ﴿مَن﴾: اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ،  
والخبر جملة الشرط أو الجواب. ﴿يَتَّقِ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ ﴿مَن﴾ على

كونه فعل شرط لها، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَنْ﴾. ﴿وَيَصِيرَ﴾: معطوف عليه.  
﴿فَإِنَّ﴾: (الفاء): رابطة لجواب ﴿مَنْ﴾ الشرطية وجوباً. ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: ناصب  
واسمه. ﴿لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على الله،  
والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾: في محل العزم  
بـ ﴿مَنْ﴾ الشرطية على كونها جواباً لها، والرباط بين جملة الشرط وبين جوابها؛  
إما العموم في ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾، وإما الضمير المحذوف؛ أي: المحسنين منهم، وإما  
لقيام آل مقامه، والأصل محسنهم، فقامت آل مقام ذلك الضمير، وجملة ﴿مَنْ﴾  
الشرطية: في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾ وجملة ﴿إِنَّ﴾: في محل النصب مقول  
﴿قَالَ﴾، وهذا الإعراب على قراءة الجمهور في ﴿يَتَّقِي﴾. وأما قراءة قبل فاختلف  
الناس فيها على قولين:

أجودهما: أن إثبات حرف العلة في الجزم لغة لبعض العرب.

والثاني: أنه مرفوع غير مجزوم، و﴿مَنْ﴾ موصولة، والفعل صلتها، فلذلك  
لم تحذف لامه. اهـ. «سمين»، وحذفت الضمة في ﴿يَصِيرُ﴾ على هذه القراءة  
فراراً من ثقل توالي الحركات، أو نوى الوقف عليه وأجرى الوصل مجرى  
الوقف.

﴿قَالُوا تَأَلَّوْا لَقَدْ ءَاتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِيئِينَ﴾ (٩١).

﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿تَأَلَّوْا لَقَدْ ءَاتَرَكَ﴾ إلى آخر  
الآية: مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿تَأَلَّوْا﴾: جار ومجرور متعلق بفعل قسم  
محذوف وجوباً تقديره: أقسم والله، والجملة المحذوفة في محل النصب مقول  
﴿قَالُوا﴾. ﴿لَقَدْ﴾: (اللام): موطئة للقسم. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق. ﴿ءَاتَرَكَ  
اللَّهُ﴾: فعل ومفعول وفاعل. ﴿عَلَيْنَا﴾: متعلق به، والجملة الفعلية في محل  
النصب مقول ﴿قَالُوا﴾ على كونها جواب القسم. ﴿وَإِنْ﴾: (الواو): عاطفة.  
﴿إِنْ﴾: مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن. ﴿كُنَّا لَخَطِيئِينَ﴾: فعل  
ناقص واسمه وخبره، واللام: حرف ابتداء، وجملة ﴿كَانَ﴾: في محل الرفع خبر  
﴿إِنْ﴾ المخففة، وجملة ﴿إِنْ﴾ المخففة معطوفة على جواب القسم.

﴿قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَقْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٩٢).

﴿قَالَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعله ضمير يعود على يوسف، والجملة مستأنفة.  
﴿لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ إلى قوله: ﴿أَجْمَعِينَ﴾: مقول محكي لـ ﴿قَالَ﴾، وإن شئت قلت: ﴿لَا﴾: نافية. ﴿تَثْرِبَ﴾: في محل نصب اسمها. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: خبر ﴿لَا﴾. ﴿الْيَوْمَ﴾: خبر ثان لها، أو متعلق باسم ﴿لَا﴾، وجملة ﴿لَا﴾: في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿يَقْفِرُ اللَّهُ﴾: فعل وفاعل. ﴿لَكُمْ﴾: متعلق به، والجملة مستأنفة على كونها مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾: مبتدأ وخبر ومضاف إليه، والجملة في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾.

﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٩٣).

﴿أَذْهَبُوا﴾: فعل وفاعل. ﴿بِقَمِيصِي﴾: متعلق به على أنه مفعول به، أو حال من واو ﴿أذهبوا﴾. ﴿هَذَا﴾: بدل من ﴿قَمِيصِي﴾، والجملة الفعلية في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿فَأَلْقُوهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿أَذْهَبُوا﴾. ﴿عَلَى وَجْهِ أَبِي﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ ﴿أَلْقُوهُ﴾.  
﴿يَأْتِ﴾: فعل مضارع مجزوم بالطلب السابق، وفاعله ضمير يعود على يعقوب.  
﴿بَصِيرًا﴾: حال من فاعل ﴿يَأْتِ﴾، والجملة في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾.  
﴿وَأْتُونِي﴾: فعل وفاعل ومفعول ونون وقاية معطوف على ﴿أَلْقُوهُ﴾. ﴿بِأَهْلِكُمْ﴾: متعلق به أو حال من واو الفاعل. ﴿أَجْمَعِينَ﴾: توكيد لـ ﴿أهلکم﴾.

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ (٩٤)  
﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيرِ﴾ (٩٥).

﴿وَلَمَّا﴾ (الواو): استثنائية. ﴿لَمَّا﴾: حرف شرط. ﴿فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾: فعل وفاعل فعل شرط لـ ﴿لَمَّا﴾. ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾: فعل وفاعل جواب ﴿لَمَّا﴾، وجملة ﴿لَمَّا﴾: مستأنفة. ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ إلى آخر الآية: مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿إِنِّي﴾: ناصب واسمه. ﴿لَأَجِدُ﴾: (اللام): حرف ابتداء. ﴿أجد ريح يوسف﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على أبيهم، وجملة وجد في

محل الرفع خبر ﴿إِنْ﴾، وجملة ﴿إِنْ﴾: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿لَوْلَا﴾: حرف امتناع لوجود. ﴿أَنْ﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿تَقْنِدُونَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ﴿أَنْ﴾، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأن أصله: تفندونني، والواو فاعل، والنون نون الوقاية، وياء المتكلم المحذوفة اجتزاء عنها بكسرة نون الوقاية في محل النصب مفعول به، والجملة الفعلية صلة أن المضمرة، أن مع صلتها في تأويل مصدر مرفوع على الابتداء، والخبر محذوف تقديره: لولا تفنيديكم موجود، وجواب ﴿لَوْلَا﴾ محذوف تقديره: لولا تفنيديكم لي موجود لصدقتموني؛ أي: امتنع تصديكم لي لوجود تفنيديكم لي، وجملة ﴿لَوْلَا﴾: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿تَأَلَّهْ إِنَّكَ﴾ إلى آخر الآية: مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿تَأَلَّهْ﴾: جار ومجرور متعلق بفعل قسم محذوف، والجملة المحذوفة في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾. ﴿إِنَّكَ﴾: ناصب واسمه. ﴿لَيْ﴾: (اللام): حرف ابتداء. ﴿في ضلالك﴾: جار ومجرور خبر ﴿إِنْ﴾. ﴿الْفَكْدِيرِ﴾: صفة لـ﴿ضَلَّيْكَ﴾، وجملة ﴿إِنْ﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾ على كونها جواب القسم.

﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَنَهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَأَرْتَدَّ بِصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٩٦).

﴿فَلَمَّا﴾: (الفاء): استئنافية. ﴿لَمَّا﴾: حرف شرط. ﴿أَنْ﴾: زائدة. ﴿جَاءَ الْبَشِيرُ﴾: فعل وفاعل، والجملة فعل شرط لـ﴿لَمَّا﴾. ﴿أَلْقَنَهُ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على ﴿الْبَشِيرُ﴾. ﴿عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾: متعلق به، والجملة جواب ﴿لَمَّا﴾، وجملة ﴿لَمَّا﴾: مستأنفة. ﴿فَأَرْتَدَّ﴾: (الفاء): عاطفة. ﴿أَرْتَدَّ﴾: فعل ماضٍ ناقص من أخوات صار، واسمه ضمير يعود على يعقوب. ﴿بَصِيرًا﴾: خبره، والجملة الفعلية معطوفة على جملة ﴿أَلْقَنَهُ﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعله ضمير يعود على يعقوب، والجملة مستأنفة. ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ﴾: مقول محكي لـ﴿قَالَ﴾، وإن شئت قلت: ﴿أَلَمْ﴾: (الهمزة): للاستفهام التقريري. ﴿لَمْ﴾: حرف جزم. ﴿أَقُلْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ﴿لَمْ﴾ وفاعله ضمير يعود

على يعقوب. ﴿لَكُمْ﴾: متعلق به، والجمله في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ﴾ إلى آخر الآية: مقول محكي. لـ ﴿أَقُلُّ﴾، وإن شئت قلت: ﴿إِنِّي﴾: ناصب واسمه. ﴿أَعْلَمُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على يعقوب. ﴿مِنَ اللَّهِ﴾: متعلق به، والجمله الفعلية في محل الرفع خبر ﴿إِنْ﴾ وجمله ﴿إِنْ﴾: في محل النصب مقول ﴿أَقُلُّ﴾. ﴿مَا﴾: موصولة، أو موصوفة في محل النصب مفعول ﴿أَعْلَمُ﴾، وجمله ﴿لَا تَقْلُوبُونَ﴾ صلة لـ ﴿مَا﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف تقديره: ما لا تعلمونه.

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ (٤٧).

﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل، والجمله مستأنفة. ﴿يَا أَبَانَا﴾ إلى آخر الآية: مقول محكي لـ ﴿قَالُوا﴾، وإن شئت قلت: ﴿يَا أَبَانَا﴾: منادى منصوب بالألف، وجمله النداء في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾. ﴿أَسْتَغْفِرُ﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على يعقوب. ﴿لَنَا﴾: متعلق به ﴿ذُنُوبَنَا﴾: مفعول به، والجمله الفعلية في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾ على كونها جواب النداء. ﴿إِنَّا﴾: ناصب واسمه. ﴿كُنَّا خَاطِئِينَ﴾: فعل ماض ناقص واسمه وخبره، وجمله كان في محل الرفع خبر ﴿إِنْ﴾، وجمله ﴿إِنْ﴾: في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾ على كونها تعليلاً لما قبلها.

﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٤٨).

﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على يعقوب، والجمله مستأنفة. ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ﴾ إلى آخر الآية: مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿سَوْفَ﴾: حرف تنفيس. ﴿أَسْتَغْفِرُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على يعقوب. ﴿لَكُمْ﴾: متعلق به. ﴿رَبِّي﴾: مفعول به، والجمله في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿إِنَّهُ﴾: ناصب واسمه. ﴿هُوَ﴾: ضمير فصل. ﴿الْغَفُورُ﴾: خبر أول لـ ﴿إِنْ﴾. ﴿الرَّحِيمُ﴾: خبر ثان لها، وجمله ﴿إِنْ﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُسُفَءَ وَوَجَدَ إِلَيْهِ آبُوتَهُ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا﴾: (الفاء): عاطفة على محذوف تقديره: فرحل يعقوب وأولاده إلى

مصر. ﴿فلما دخلوا﴾: ﴿لما﴾: حرف شرط غير جازم. ﴿دَخَلُوا﴾: فعل وفاعل فعل شرط لـ ﴿لما﴾. ﴿عَلَى يُوسُفَ﴾: متعلق به. ﴿ءَأْوَيْتَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿يُوسُفَ﴾. ﴿إِلَيْهِ﴾: متعلق به. ﴿أَبْوَيْتَ﴾: مفعول به، والجملة جواب ﴿لما﴾، وجملة ﴿لما﴾: معطوفة على الجملة المحذوفة. ﴿وَقَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿يُوسُفَ﴾، والجملة معطوفة على جملة ﴿ءَأْوَيْتَ﴾. ﴿أَدْخُلُوا مِصْرَ﴾ إلى آخر الآية: مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿أَدْخُلُوا﴾: فعل وفاعل. ﴿مِصْرَ﴾: منصوب على الظرفية المكانية متعلق به، والجملة في محل النصب مقول ﴿قال﴾. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿شَاءَ﴾: فعل ماض في محل الجزم بـ ﴿إِن﴾ على كونه فعل شرط لها. ﴿اللَّهُ﴾: فاعل، وجواب ﴿إِن﴾ الشرطية معلوم مما قبلها تقديره: إن شاء الله ادخلوا مصر، والجملة في محل النصب مقول ﴿قال﴾. ﴿ءَأْمِنِينَ﴾: حال من فاعل ﴿أَدْخُلُوا﴾.

﴿وَرَفَعَ أَبْوَيْتَ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَتَأْتِبِ هَذَا تَأْوِيلَ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾.

﴿وَرَفَعَ﴾ (الواو): عاطفة. ﴿رفع أبويه﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على ﴿يُوسُفَ﴾. ﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾: متعلق به، والجملة معطوفة على جملة ﴿ءَأْوَيْتَ﴾. ﴿وَخَرُّوا﴾: فعل وفاعل. ﴿لَهُ﴾: متعلق به. ﴿سُجَّدًا﴾: حال مقدره من فاعل ﴿وَخَرُّوا﴾، والجملة معطوفة على جملة ﴿ءَأْوَيْتَ﴾. ﴿وَقَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿يُوسُفَ﴾، والجملة معطوفة على جملة ﴿خروا﴾. ﴿يَتَأْتِبِ﴾ إلى آخر الآية: مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿يَتَأْتِبِ﴾: منادى مضاف، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قال﴾. ﴿هَذَا تَأْوِيلَ رُؤْيَايَ﴾: مبتدأ وخبر ومضاف إليه، والجملة في محل النصب مقول القول على كونها جواب النداء. ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: جار ومجرور حال من ﴿رُؤْيَايَ﴾. ﴿قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾: فعل ومفعول أول وفاعل ومفعول ثان؛ لأن جعل هنا بمعنى صير، والجملة في محل النصب حال مقدره من ﴿رُؤْيَايَ﴾.

﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ

الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ .

﴿وَقَدْ﴾ (الواو): حالية، أو عاطفة. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق. ﴿أَحْسَنَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعله ضمير يعود على الرب. ﴿رَبِّي﴾: جار ومجرور بمعنى إليّ متعلق بـ﴿أَحْسَنَ﴾، والجملة الفعلية في محل نصب حال من ﴿رَبِّي﴾، أو معطوفة على جواب النداء. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى متعلق بـ﴿أَحْسَنَ﴾. ﴿أَخْرَجَنِي﴾: فعل ومفعول ونون وقاية. ﴿مِنَ السَّجْنِ﴾: متعلق به، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إِذْ﴾. ﴿وَجَاءَ﴾: فعل ماضٍ معطوف على ﴿أَخْرَجَنِي﴾، وفاعله ضمير يعود على الله. ﴿بِكُمْ﴾: متعلق به. ﴿مِنَ الْآبَدِ﴾: متعلق به أيضاً. ﴿مِنْ بَعْدِ﴾: جار ومجرور بدل من الجار والمجرور قبله. ﴿أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ﴾: ناصب وفعل وفاعل، والجملة في تأويل مصدر مجرور بإضافة الظرف إليه. ﴿بَيْنِي﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بـ﴿نَزَعَ﴾. ﴿وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾: ظرف ومضاف إليه معطوف على الظرف قبله. ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ﴾: ناصب واسمه وخبره، وجملة ﴿إِنَّ﴾: في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها معللة لما قبلها. ﴿لِمَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿لَطِيفٌ﴾؛ لأنه بمعنى مدبر. ﴿يَشَاءُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة صلة لـ﴿مَا﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف تقديره: لما يشاء. ﴿إِنَّهُ﴾: ناصب واسمه. ﴿هُوَ﴾: ضمير فصل. ﴿الْعَلِيمُ﴾: خبر أول. ﴿الْحَكِيمُ﴾: خبر ثان، وجملة ﴿إِنَّ﴾: في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها مسوقة لتعليل ما قبلها.

### التصريف ومفردات اللغة

﴿تَأَلَّه تَقْتَوًا﴾<sup>(١)</sup> مضارع فتىء من أخوات كان الناقص، قال أوس بن حجر:

فَمَا فَتَيْتُ حَتَّى كَأَنَّ غُبَارَهَا سُرَادِقُ يَوْمِ ذِي رِيَّاحٍ تُرْفَعُ  
وقال أيضاً:

فَمَا فَتَيْتُ حَيْلُ تَثُوبٍ وَتَدْعِي وَيَلْحَقُ مِنْهَا لَاحِقٌ وَتَقَطَّعُ

(١) البحر المحیط.



ويقال فيها: فتأ على وزن ضرب، وأفتأ على وزن أكرم، وزعم ابن مالك أنها تكون بمعنى سكن وأطفأ، فتكون تامة، ورددنا عليه ذلك في «شرح التسهيل». ذكره أبو حيان، ففتأ هنا بمعنى لا تزال.

﴿حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾ والحرَضُ<sup>(١)</sup>: المشفي على الهلاك: يقال: حرَضَ فهو حرَضٌ - بكسر الراء - حرَضًا - بفتحها - وهو المصدر، ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث، والمفرد والجمع، وأحرَضه المرض فهو محرَض.

قال الشاعر:

أَرَى أَلْمَرَّةَ كَأَلْأَزْوَادٍ يُضْبِحُ مُحْرَضًا كَأِحْرَاضٍ بَكَّرِ فِي أَلْدِيَارِ مَرِيضُ

ويقال: رجل حُرَضٌ - بضمتين - كجنب وشلل. وفي «المصباح»: حرَضَ حرَضًا - من باب تعب - أشرف على الهلاك، فهو حرَضٌ. اهـ. وقولهم: يستوي فيه المفرد وغيره؛ أي: المثني والمجموع والمذكر والمؤنث، تقول: هو حرَضٌ وهما حرَضٌ وهم حرَضٌ وهي حرَضٌ. اهـ. «كرخي». وفي «الشوكاني»: الحَرَضُ - بفتحيتين - مصدر يستوي فيه المفرد وغيره، والصفة المشبهة حَرَضٌ - بكسر الراء - كدنف ودنف. قال النحاس: وحكى أهل اللغة: أحرَضه الهم إذا أسقمه، ورجل حارَضٌ؛ أي: أحمق. وقال الأخفش: الحارَضُ الذاهب. وقال ابن الأنباري: هو الهالك. والأولى تفسير الحرَض هنا بغير الموت والهلاك من هذه المعاني المذكورة حتى يكون لقوله: ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ معنى غير معنى الحرَض، فالتأسيس أولى من التأكيد، ومعنى ﴿مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ من الميتين. اهـ.

﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي﴾ البث في<sup>(٢)</sup> الأصل: إثارة الشيء وتفريقه كبث الريح التراب، ثم استعمل في إظهار ما انطوت عليه النفس من الغم والشر. والبث<sup>(٣)</sup>: ما يرد على الإنسان من الأشياء التي يعظم حزن صاحبها بها حتى لا يقدر على إخفائها كذا قال أهل اللغة، وهو مأخوذ من بثته؛ أي: فرقته، فسميت

(١) البحر المحيط.

(٢) الشوكاني.

(٣) المراعي.

المصيبة بثأ مجازاً.

قال ذو الرمة:

وَقَفْتُ عَلَى رَبْعِ لَمِيَّةٍ يَا فَتَى فَمَا زِلْتُ أَبْكِي عِنْدَهُ وَأَخَاطِبُهُ  
وَأَسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مِمَّا أُبْثُهُ تُكَلِّمُنِي أَحْجَارُهُ وَمَلَاعِبُهُ

﴿فَتَحَسَّسُوا﴾؛ أي: تعرفوا أخبار يوسف بحواسكم من سمع وبصر. والتحسس<sup>(١)</sup>: طلب الخبر بالحاسة، وهو قريب من التجسس - بالجيم -، وقيل: إن التحسس - بالحاء - يكون في الخير، وبالجيم يكون في الشر، ومنه الجاسوس، وهو الذي يطلب الكشف عن عورات الناس.

﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾؛ أي: لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه. قال الأصمعي: الروح ما يجده الإنسان من نسيم الهواء، فيسكن إليه، والتركيب يدل على الحركة والهزة، فكل ما يهتز الإنسان بوجوده ويلتف به، فهو روح. وحكى الواحدي عن الأصمعي أيضاً أنه قال: الروح الاستراحة من غم القلب. وقال أبو عمرو: الروح الفرج، وقيل: الرحمة، ويقال: أراح الإنسان إذا تنفس، ثم استعمل للفرج والتنفيس من الكرب.

﴿بِضْعَةٍ مُزَجَلَةٍ﴾ البضاعة: هي القطعة من المال يقصد بها شراء شيء، يقال: أبضعت الشيء واستبضعته إذا جعلته بضاعة. وفي ماهية تلك البضاعة سبعة أقوال<sup>(٢)</sup>:

أحدها: كانت دراهم.

والثاني: كانت متاعاً رثاً كالحبل والغرارة.

والثالث: كانت أقطا.

والرابع: كانت نعالاً وأدماً.

(٢) زاد المسير.

(١) الفتوحات.

والخامس: كانت سوق المقل.

والسادس: كانت حبة الخضراء وصنوبراً.

والسابع: كانت صوفاً وشيئاً من سمن.

﴿مُرْجَلَةٌ﴾؛ أي: مردودة يردها كل بائع على المشتري لردائها. وفي «القاموس»: زجاء إذا ساقه ودفعه كزجاة وأزجاء، وبضاعة مزجاة: قليلة، أو لا يتم صلاحها. ا هـ. وفي «المصباح»: زجيته بالثقل دفعته برفق، والريح تزجي السحاب: تسوقه رقيقاً، يقال: أزجاء بوزن أرضاه، وزجاء بالثقل كزجاء. ا هـ.

﴿وَأَنْ كُنَّا لَخَطُوبِينَ﴾ جمع خاطيء، والخاطيء: هو الذي يأتي بالخطيئة عمداً، والمخطيء من إذا أراد الصواب صار إلى غيره، والخطء: الذنب، وخطأته: قلت له: أخطأت. وفي «الخازن»: يقال: خطيء إذا كان عن عمد، وأخطأ إذا لم يكن عن عمد، ولهذا قيل هنا: خاطئين، ولم يقل: مخطئين. ا هـ.

﴿لَا تُثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾؛ أي: لا تعبير ولا توبيخ؛ أي: لا أوبخكم ولا أقرعكم اليوم. ا هـ. «خازن». وفي «المصباح»: ثرب عليه يثرب - من باب ضرب -؛ إذا عتب ولام عليه، وبمضارعه الذي يباء الغيبة سمي رجل من العمالقة وهو الذي بنى مدينة الرسول ﷺ، فسميت المدينة باسمه. قال السهيلي: وَثْرَبُ - بالتشديد - مبالغة وتكثير، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا تُثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾. والثْرَبُ - وزان قلس - شحم رقيق على الكرش والأمعاء. ا هـ. وفي «المختار»: عتب عليه وجد، وبابه ضرب ونصر. ا هـ. وقال الرازي: التثريب التعمير والاستقصاء في اللوم، والمعنى: أي: لا تعداد للذنوب ولا توبيخ عليكم، يقال: ثرب فلان على فلان إذا بكته بفعله، وعدد عليه ذنوبه. ا هـ. «كرخي».

﴿وَلَمَّا فَصَلَ الْعَيْرُ﴾ يقال: فصل عن البلد إذا انفصل وجاوز حيطانه ﴿لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونَ﴾؛ أي: تنسبوني إلى الفند، وهو فساد الرأي وضعف العقل والخرف من الكبر. وفي «السمين»: التفنيد الإفساد يقال: فندت فلاناً؛ أي: أفسدت رأيه ورددته. وفي «المختار»: الفند - بالتحريك الكذب وهو أيضاً ضعف الرأي من

الهرم، والفعل منه أفند، والتفنيد: اللوم وتضعيف الرأي. ا هـ. وفي «القاموس»: الفَنَد - بالتحريك - الخرف وإنكار العقل لهرم أو مرض، والخطأ في القول والرأي، والكذب كالإفناد، ولا تقل: عجوز مفندة؛ لأنها لم تكن ذات رأي أبداً، وفنده تفنيداً كذبه وعجزه، وخطأ رأيه كأفنده. ا هـ. وقال في «الكشاف»: التفنيد النسبة إلى الفند؛ وهو الخرف وإنكار العقل من الهرم، يقال: شيخ مفند، ولا يقال: عجوز مفندة؛ لأنها لم تكن في شببتها ذات رأي، فتفند في كبرها؛ لأن نقصان عقلها ذاتي لا حادث من عارض الهرم كما مر.

﴿ءَأْوَىٰ إِلَيْهِ أَبُويُوسُفُ﴾؛ أي: ضمهما إليه واعتنقهما أصله: أوى من باب أفلع الرباعي، فقلبت الهمزة الثانية ألفاً، فصار أوى. ﴿وَرَفَعَ أَبُويُوسُفُ عَلَى الْعَرْشِ﴾؛ أي: أضعدهما عليه، والعرش، كرسي تدبير الملك، لا كل سرير يجلس عليه الملك. ﴿وَحَرَّوْا لَمْ سُجَّدًا﴾؛ أي: أهوى أبواه وإخوته إلى الأرض، وسقطوا له ساجدين.

﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾؛ أي: من البادية، والبدو: هو البسيط من الأرض يبدو الشخص فيه من بعد يعني: يظهر، والبدو خلاف الحضر، والبادية خلاف الحاضرة، وكان يعقوب وأولاده أصحاب ماشية، فسكنوا البادية. ا هـ. «خازن». وفي «القرطبي»: وقيل: كان يعقوب تحول إلى البادية وسكنها، وإن الله تعالى لم يبعث نبياً من أهل البادية. ا هـ.

﴿مِنْ بَعْدِ﴾. ﴿أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ﴾ في «المختار»: نزغ الشيطان بين القوم: أفسد، وبابه قطع. ا هـ. وفي «الخازن»: وأصل النزغ: الدخول في أمر لإفساده. ا هـ.

﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾ وفي «البيضاوي»: لطيف لما يشاء؛ أي: من أحوال خلقه؛ أي: لطيف التدبير له؛ إذ ما من صعب إلا وتنفذ فيه مشيئته، ويتسهل دونها. ا هـ. يعني: إن اللطيف هنا بمعنى العالم بخفايا الأمور المدبر لها والمسهل لصعابها، ولنفوذ مشيئته إذا أراد شيئاً سهل أسبابه، فيطلق عليه اللطيف؛ لأن ما يطف يسهل نفوذه. ا هـ. «شهاب».

## البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضرباً من الفصاحة، وأنواعاً من البلاغة والبيان والبديح:

فمنها: الإيجاز بالحذف في قوله: ﴿تَأَلَّه تَفْتَوًا تَذَكَّرُ يُوسُفَ﴾؛ لأنه في تقدير: لا تفتأ وهو من قبيل التورية كما في «الصاوي».

ومنها: الجناس المماثل في قوله: ﴿وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وفي قوله: ﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾، وفيه أيضاً الإظهار في مقام الإضمار؛ لأن حق العبارة: إنه لا يياس منه.

ومنها: الاستعارة في قوله: ﴿مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ استعير الروح؛ وهو تنسيم الريح الذي يلذ شميمها، ويطيب نسيمها للفرج الذي يأتي بعد الكربة واليسر الذي يأتي بعد الشدة.

ومنها: وضع الظاهر موضع الضمير في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُصَدِّقِينَ﴾ حق العبارة: إن الله يجزيك، عدلوا إلى الظاهر لشكهم في إيمانه، فعبروا بهذه العبارة المحتملة.

ومنها: الجناس المغاير بين ﴿تصدق﴾ و﴿الْمُصَدِّقِينَ﴾.

ومنها: الاستفهام التوبيخي في قوله: ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمُ يُّوسُفَ﴾ والاستفهام التقريري في قوله: ﴿أَوَلَيْكَ لَأَنْتَ يُّوسُفَ﴾.

ومنها: الإتيان بالاسم الظاهر بدل الضمير في قوله: ﴿أَنَا يُّوسُفَ﴾ لم يقل: أنا هو، بل عدل إلى هذا الظاهر تعظيماً لما نزل به من ظلم إخوته، وما عوضه الله من النصر والظفر والملك، فكأنه قال: أنا يوسف المظلوم الذي ظلمتموني وقصدتم قلتي.

ومنها: الإظهار في موضع الإضمار في قوله: ﴿فَأَنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ وحق العبارة: فإن الله لا يضيع أجرهم.

ومنها: جمع المؤكدات في قوله: ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ﴾ أكدوا كلامهم بالقسم وبيان وباللام وبإسمية الجملة، وهذا الضرب من الخبر يسمى إنكارياً لتتابع أنواع المؤكدات.

ومنها: الاعتراض بالجملة الشرطية بين الحال وصاحبها في قوله: ﴿أَدْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ لغرض التبرك، وفي الكلام تقديم وتأخير، والأصل: ادخلوا مصر آمنين إن شاء الله.

ومنها: التغليب في قوله: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾؛ لأن المراد بهما الأب والأم، فهو من باب التغليب.

ومنها: الحذف والزيادة في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

\* \* \*

قال الله سبحانه جلّ وعلا:

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ  
وَلِيُّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقِيقِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١١٦﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ  
إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١١٧﴾ وَمَا أَكْثَرَ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ  
بِمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا تَنْتَاهُمْ عَلَيْهِ مِنْ آجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١١٩﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَاتٍ فِي  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٢٠﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ  
مُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ  
﴿١٢٢﴾ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ  
الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي  
الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا  
تَعْقِلُونَ ﴿١٢٤﴾ حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ  
وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢٥﴾ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ  
حَدِيثًا يُنْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ  
يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٦﴾ .

### التفسير وأوجه القراءة

ولما أتم الله<sup>(١)</sup> سبحانه نعمته على يوسف عليه السلام بما خلصه منه من  
المحن العظيمة، وبما خوله من الملك وعلمه من العلم.. تآقت نفسه إلى الخير  
الأخروي الدائم الذي لا ينقطع، فقال: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾؛ أي: قال  
يوسف بعد ما جمع الله له أبويه وإخوته ووسط له من الدنيا ما بسط من الكرامة،  
ومكن له في الأرض: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي﴾؛ أي: <sup>(٢)</sup> أعطيتني بعض الملك؛ أي:  
بعضاً منه عظيماً، وهو ملك مصر، إذ لم يكن له ملك كل الدنيا، وجعلتني  
متصرفاً فيها بالفعل، وإن كان لغيري بالاسم، ولم يكن لي فيها حاسد ولا باغ؛

(١) الشوكاني.

(٢) روح البيان.

إذ أجريت الأمور على سنن العدل ووفق الحكمة والسداد والملك. ضابطها هي عبارة<sup>(١)</sup> عن الاتساع في المقدور لمن له السياسة والتدبير.

روي<sup>(٢)</sup>: أن يعقوب أقام مع يوسف في مصر أربعاً وعشرين سنة، وأوصى أن يدفنه بالشام إلى جنب أبيه إسحاق، فنقله يوسف بنفسه في تابوت من ساج، فوافق يوم وفاة عيص، فدفنا في قبر واحد، وكانا ولدا في بطن واحد، وكان عمرهما مئة وسبعاً وأربعين كما في تفسير أبي الليث، فلما دفن يوسف أباه وعمه رجع إلى مصر، وعاش بعد أبيه ثلاثاً وعشرين سنة، وكان عمره مئة وعشرين سنة، فلما جمع الله شمله وانتظمت أسبابه، واطردت أحواله، ورأى أمره على الكمال. . علم أنه أشرف على الزوال، وأن نعيم الدنيا لا يدوم على كل حال، قال قائلهم:

إِذَا تَمَّ أَمْرٌ دَنَا نَفْصُهُ تَوَقَّعْ زَوَالَ إِذَا قِيلَ تَمَّ  
فسأل الله تعالى الموت على الإسلام وحسن العاقبة، والخاتمة الصالحة، فقال: يا رب قد أعطيتني ملك مصر ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِنَ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾؛ أي: بعضاً من تعبير الرؤيا؛ لأنه لم يؤت جميع علم التأويل على التفصيل؛ سواء أريد به مطلق العلم والفهم، أو مجرد تأويل الرؤيا. وقيل: ﴿مِنَ﴾<sup>(٣)</sup> للجنس كما في قوله تعالى: ﴿فَأَجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾. وقيل: زائدة؛ أي: آتيتني الملك، وعلمتني تأويل الأحاديث؛ أي: ويا رب قد علمتني ما أعبر عن مآل الحوادث ومصداق الرؤيا الصحيحة، فتقع كما قلت وأخبرت.

قال ابن الكمال<sup>(٤)</sup>: الأحاديث مبني على واحده المستعمل، وهو الحديث كأنهم جمعوا حديثاً على أحدثه، ثم جمعوا الجمع على أحاديث كقطع وأقطة وأقاطيع. والمراد بالأحاديث: الرؤى جمع الرؤيا، وتأويلها بيان ما تؤول هي إليه في الخارج، وعلم التعبير من العلوم الجليلة، لكنه ليس من لوازم النبوة والولاية، فقد يعطيه الله تعالى بعض خواصه على التفصيل، وبعضهم على الإجمال. ﴿فَاطِرَ

(٣) الشوكاني.

(١) الخازن.

(٤) روح البيان.

(٢) روح البيان.



السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ؛ أي: يا خالق السموات والأرض وموجدهما ومبدعهما على غير مثال سبق، وأصل الفطر: الشق، يقال: فطر ناب البعير، إذا شق وظهر، وفطر الله الخلق أوجده وأبدعه كما سيأتي في مبحث التصريف. ﴿أَنْتَ وَلِيُّ﴾؛ أي: أنت متولي أموري ومصلح جميع مهماتي، أو ناصري على من عاداني وأرادني بسوء، أو أنت سيدي وأنا عبدك، وإن نعمك لتغمرني وتشملني ﴿فِي الدُّنْيَا وَ﴾ سأتمتع بها بفضلك ورحمتك في ﴿الْآخِرَةِ﴾ ولا حول لي في شيءٍ منهما ولا قوة ﴿تَوْفَنِي مُسْلِمًا﴾؛ أي: توفني على الإسلام لا يفارقني حتى أموت، واقتبضني إليك مسلماً؛ لأنه من إتمام النعمة، وأتم لي وصية آبائي وأجدادي ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (٣٢٦).

واختلف العلماء<sup>(١)</sup>: هل هو طلب الوفاة في الحال، أم لا؟ على قولين:

أحدهما: أنه سأل الله الوفاة في الحال. قال قتادة: لم يسأل نبي من الأنبياء الموت إلا يوسف. قال أصحاب هذا القول: إنه لم يأت عليه أسبوع بعد هذا الدعاء حتى توفاه الله.

والقول الثاني - وعليه الجماهير - : أنه سأل الوفاة على الإسلام، ولم يتمن الموت في الحال. قال الحسن: إنه عاش بعد هذه الدعوة سنين كثيرة. وعلى هذا القول يكون معنى الآية: توفني إذا توفيتني على الإسلام، فهو طلب لأن يجعل الله وفاته على الإسلام، وليس في اللفظ ما يدل على أنه طلب الوفاة في الحال. قال بعض العلماء: وكلا القولين محتمل؛ لأن اللفظ صالح للأمرين، ولا يبعد من الرجل العاقل الكامل أن يتمنى الموت لعلمه أن الدنيا ولذاتها فانية زائلة سريعة الذهاب، وأن نعيم الآخرة باق دائم لا نفاذ له ولا زوال. ﴿وَالْحَقِّي﴾ يا رب ﴿بِالصَّلَاتِينَ﴾؛ أي: بأبائي المرسلين إبراهيم وإسحاق ويعقوب ومن قبلهم من أنبيائك ورسلك في النعمة والكرامة، فأظفر بثوابهم منك ودرجاتهم عندك، وهذا الدعاء بمعنى ما جاء في سورة الفاتحة: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (١) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ

(١) الخازن.

عَلَيْهِمْ؛ أي: من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين.

فإن قلت: <sup>(١)</sup> كيف قال يوسف ذلك مع علمه بأن كل نبي لا يموت إلا مسلماً؟.

فالجواب: إما أنه حصل له حالة غلب عليه الخوف فيها، فذهل عن ذلك العلم، أو أنه دعا بذلك مع علمه إظهاراً للعبودية، والافتقار وشدة الرغبة في طلب سعادة الخاتمة، وتعلّماً لغيره، وهذه حالة زائدة على الإسلام الذي هو ضد الكفر، والمطلوب ههنا هو الإسلام بهذا المعنى. اهـ. «كرخي».

﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من نبأ يوسف يا محمد ﴿وَمِنَ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾؛ أي: من الأخبار التي غاب عنك علمها ﴿تُوجِّهِ إِلَيْكَ﴾ على لسان جبريل، وهو خبر ثان لقوله: ﴿ذَلِكَ﴾ ﴿وَمَا كُنْتَ﴾ يا محمد ﴿لَدَيْهِمْ﴾؛ أي: عند إخوة يوسف ﴿إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ﴾؛ أي: حين عزموا على إلقاءهم يوسف في غيابة الجبّ، فإن الإجماع العزم على الأمر، يقال: أجمعت الأمر وعليه ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾؛ أي: والحال أنهم يحتالون بيوسف ليقتلوه وبأبيه يعقوب ليرسله معهم؛ أي: ذلك <sup>(٢)</sup> الخبر لا سبيل إلى معرفتك إياه إلا بالوحي. وأما ما ينقله أهل الكتاب فليس على ما هو عليه. ومثل هذا التحقيق بلا وحي لا يتصور إلا بالحضور، فيكون معجزاً؛ لأن محمداً ﷺ لم يطالع الكتب، ولم يأخذ عن أحد من البشر، وما كانت بلده بلد العلماء، فإتيانه بهذه القصة على وجه لم يقع فيه غلط كيف لا يكون معجزاً.

وإنما نفي الحضور وانتفاؤه معلوم بغير شبهة تهكماً بالمنكرين للوحي من قريش وغيرهم <sup>(٣)</sup>؛ لأنه كان معلوماً عند المكذبين علماً يقيناً أنه عليه السلام ليس من حملة هذا الحديث وأشباهه، ولا قرأ على أحد، ولا سمع منه، وليس من علم قومه، فإذا أخبر به لم يبق شبهة في أنه من جهة الوحي لا من عنده، فإذا أنكروه تهكّم بهم، وقيل لهم: قد علمتم يا مكابرين أنه لا سماع له من أحد ولا قراءة، ولا حضور ولا مشاهدة لمن مضى من القرون الخالية.

(٣) روح البيان.

(١) الفتوحات.

(٢) المراح.

ومعنى الآية: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾؛ أي: إن نبأ<sup>(١)</sup> يوسف وأبيه يعقوب وإخوته، وكيف مكن ليوسف في الأرض، وجعل له العاقبة والنصر، وآتاه الملك والحكمة، فساس ملكاً عظيماً، وأحسن إدارته وتنظيمه، وكان خير قدوة للناس في جميع ما دخل فيه من أطوار الحياة بعد أن أرادوا به السوء والهلاك حين عزموا أن يجعلوه في غيابة الجب، كل ذلك من أخبار الغيب الذي لم تشاهده ولم تره، ولكننا نوحيه إليك لثبتت به فؤادك، فتصبر على ما نالك من الأذى من قومك، ولتعلم أن من قبلك من الرسل لما صبروا على ما نالهم في سبيل الله، وأعرضوا عن الجاهلين.. فازوا بالظفر وأيدوا بالنصر وغلبوا أعداءهم. ثم أقام الدليل على كونه من الغيب بقوله: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾؛ أي: وما كنت<sup>(٢)</sup> حاضراً عندهم ولا مشاهداً حين صحت عزائمهم على أن يلقوا يوسف في غيابة الجب ييغون بذلك هلاكه والخلاص منه، وهذا كقوله تعالى بعد سياق قصة موسى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ الآية، وقوله في هذه القصة: ﴿وَمَا كُنْتَ تَأْوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ مَا يَتَّبِعُونَ...﴾ الآية. وفي «الخازن»: وفي هذه الآية دليل قاطع على صحة نبوته ﷺ؛ لأنه كان أمياً لم يقرأ الكتب، ولم يلتق العلماء، ولم يسافر إلى غير بلده الذي نشأ فيه، ومع ذلك أتى بهذه القصة الطويلة على أحسن تركيب وأفصح عبارة، فعلم أن إتيانه ﷺ بها بوحى من الله تعالى. اهـ.

وخلاصة هذا: أن الله تعالى أطلع رسوله على أنباء ما سبق؛ ليكون فيها عبرة للناس في دينهم ودنياهم، ومع هذا ما آمن أكثرهم، ومن ثم قال: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ عام لأهل مكة وغيرهم ﴿وَلَوْ حَرَصْتَ﴾ على إيمانهم، وبالغت في إظهار الآيات الدالة على صدقك لهم. والحرص: طلب الشيء باجتهاد في إصابته ﴿بِیْمُونِينَ﴾ لعنادهم وتصميمهم على الكفر؛ أي: وما أكثر الناس من مشركي مكة وغيرهم ولو حرصت على أن يؤمنوا بك، ويتبعوا ما جئتهم به من

(١) المراغي.

(٢) المراغي.

عند ربك بمصدقك ولا متبعيك. قال الرازي: إن كفار قريش وجماعة من اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن قصة يوسف على سبيل التعنت، فلما أخبرهم على وفق ما في التوراة.. أصروا على كفرهم، ولم يسلموا، فتأسف النبي ﷺ، وحزن على عدم إيمانهم، فعزاه الله سبحانه وتعالى بهذه الآية: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (١٣٢) وكأنها إشارة إلى ما ذكر الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾.

فإن قلت<sup>(١)</sup>: فما فائدة التكليف والأمر بما يعلم عدم وقوعه؟

قلت: فائدته تمييز من له استعداد ذلك؛ لتظهر السعادة والشقاوة وأهلها. فإن قلت: لم كان الكفرة أكثر مع أن الله تعالى خلق الخلق للعبادة؟.. قلت: المقصود ظهور الإنسان الكامل، وهو واحد كألف.

﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ﴾ يا محمد ﴿عَلَيْهِ﴾؛ أي: على تبليغ الأنبياء التي أوحينا إليك وعلى تبليغ القرآن ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾؛ أي: من مال يعطونك كما يفعله حملة الأخبار ونقال الآثار. والمراد: إنا أرخينا العلة في التكذيب حيث بعثناك مبلغاً بلا أجر. وقرأ بشر بن عبيد: ﴿وما نسألهم﴾ - بالنون -؛ أي: وما<sup>(٢)</sup> تسأل يا محمد هؤلاء الذين ينكرون نبوتك على ما تدعوهم إليه من إخلاص العبادة لربك وطاعته، وترك عبادة الأصنام والأوثان من أجر وجزاء منهم، بل ثوابك وأجر عملك على الله سبحانه وتعالى.

والخلاصة: أنك لا تسألهم على ذلك مالأً ولا منفعة، فيقولوا: إنما تريد بدعائك إيانا إلى اتباعك أن ننزل لك من أموالنا إذا سألتنا عن ذلك، فحالك حال من سبقك من الرسل، فهم لم يسألوا أقوامهم أجراً على التبليغ والهدى. والقرآن مليء بنحو هذا كما في سورتي هود والشعراء وغيرهما.

وإذا كنت لا تسألهم على ذلك أجراً، فقد كان حقاً عليهم أن يعلموا أنك

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

إنما تدعوهم إليه اتباعاً لأمر ربك ونصيحة منك لهم ﴿إِنْ هُوَ﴾؛ أي: ما هذا القرآن الذي أرسلك به ربك ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾؛ أي: إلا تذكير وموعظة وإرشاد ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ كافة لا لهم خاصة، وبه يهتدون وينجون في الدنيا والآخرة. وفي الآية إيماء إلى عموم رسالته ﷺ.

﴿وَكَايِنٌ﴾ في قوله: ﴿وَكَايِنٌ مِّن مَّآيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بمعنى: كم الخبرية مبتدأ، خبره جملة ﴿يَمُرُّونَ﴾ الآتي؛ أي: وكثير من آيات وعلامات دالة على توحيد الله تعالى، وكمال علمه وقدرته من شمس وقمر، ونجوم وجبال وبحار ونباتات وأشجار كائنة في السموات والأرض. وجملة قوله: ﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ خبر ﴿وَكَايِنٌ﴾؛ أي: يمر أكثر الناس على تلك الآيات ويشاهدونها ﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾؛ أي: والحال أنهم عن الاعتبار بتلك الآيات معرضون ولا يتفكرون فيها، ولا يعتبرون بها، وهم غافلون عما فيها من عبرة ودلالة على توحيد ربها، وأن الألوهية لا تكون إلا للواحد القهار الذي خلقها وخلق كل شيء، فأحسن تدبيره. وبالجملة<sup>(١)</sup> فما في السموات والأرض من عجائب وأسرار، وإتقان وإبداع؛ ليدل أتم الدلالة على العلم المحيط، والحكمة البالغة، والقدرة التامة.

والذين يشتغلون بعلم ما في السموات والأرض وهم غافلون عن خالقهما ذاهلون عن ذكره، يمتعون عقولهم بلذة العلم، ولكن أرواحهم تبقى محرومة من لذة الذكر ومعرفة الله عز وجل؛ إذ الفكر وحده، وإن كان مفيداً لا تكون فائدته نافعة في الآخرة إلا بالذكر، والذكر وإن أفاد في الدنيا والآخرة لا تكمل فائدته إلا بالفكر، فطوبى لمن جمع بين الأمرين، فكان من الذين أوتوا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، ونجوا من عذاب النار في الآخرة.

والمشهور في ﴿كَايِنٌ﴾ عندهم أنه<sup>(٢)</sup> مركب من كاف التشبيه ومن أي،

(١) المراغي.

(٢) البحر المحيط.

وتلاعبت العرب به، وجاءت فيه لغات كثيرة كما مر. وذكر صاحب «اللوامح» أن الحسن قرأ في الشاذ: ﴿وَكَيْ﴾ - بياء مكسورة من غير همز ولا ألف ولا تشديد - وجاء كذلك عن ابن محيصن في الشاذ فهي لغة انتهى. وقرأ عكرمة وعمرو بن فائد: ﴿والأرضُ﴾ - بالرفع على الابتداء - وما بعده خبير. وقرأ السدي: ﴿والأرضَ﴾ - بالنصب وهو من باب الاشتغال -؛ أي: ويطوون الأرض يمرون عليها؛ أي على آياتها وما أودع فيها من الدلالات ومع ذلك لا يعتبرون. وقرأ عبد الله: ﴿والأرضُ﴾ - برفع الضاد - ومكان ﴿يَمْرُوتَ﴾ ﴿يَمشُونَ﴾، والمراد ما يرون من آثار الأمم الهالكة وغير ذلك، وما عدا قراءة الجمهور شاذ.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ﴾؛ أي: وما يصدق ويقرُّ أكثر الناس بوحداية الله تعالى وبألوهيته، ويكونه الخالق الرازق المحيي المميت في حال من الأحوال ﴿إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ بالله تعالى؛ أي: إلا في حال إشراكهم بالله تعالى في عبادتهم سواء من الأصنام والأوثان والملائكة والبشر، فالكافرون مقرون بوجود الله تعالى، لكنهم يثبتون له شريكاً في العبودية.

قال ابن عباس<sup>(١)</sup>: فأهل مكة قالوا: ربنا الله وحده لا شريك له والملائكة بناته. وقال عبدة الأوثان والأصنام: ربنا الله وحده والأصنام شفعاؤنا عنده. وقالت اليهود: ربنا الله وحده وعزير ابن الله. وقالت النصارى: ربنا الله وحده لا شريك له والمسيح ابن الله. وقال عبدة الشمس والقمر: ربنا الله وحده وهؤلاء أربابنا. وكل من هؤلاء لم يوحدوا بل أشركوا. وقال المهاجرون والأنصار: ربنا الله وحده لا شريك معه.

وقال ابن عباس أيضاً<sup>(٢)</sup>: وأهل مكة كانوا يقولون في تليبتهم: لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك؛ وهذا هو الشرك الأعظم إذ يعبد مع الله غيره. وفي «صحيح مسلم» أنهم كانوا إذا قالوا: لبيك لا

(١) المراح.

(٢) المراغي.

شريك لك.. قال رسول الله ﷺ: «قد قد»؛ أي: حسب حسب لا تزيدوا على هذا. وفي «الصحيحين» عن ابن مسعود. قلت يا رسول الله: أيّ الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك». ومن درس تاريخ الأمم الماضية والحاضرة.. عرف كيف طرأ الشرك على الأمم وسرى في عبادتهم سريان السم في الدسم.

والهمزة في قوله: ﴿أَفَأَمِنُوا﴾ للاستفهام التوبيخي الإنكاري داخله على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف؛ أي: أغفل هؤلاء المشركون عن مكر الله تعالى فأمنوه ولم يخافوا ﴿أَنْ تَأْتِيَهُمْ﴾ في الدنيا ﴿غَشِيَةٌ﴾؛ أي: عقوبة تغشاهم وتشملهم ﴿مِنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾ تعالى ﴿أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ﴾ والقيامة ﴿بَغْتَةً﴾؛ أي: فجأة من غير سبق علامة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بإتيانها غير مستعدين لها؛ أي: أفامن هؤلاء الذين لا يؤمنون بالله ربهم، ويشركون به في عبادتهم غيره تعالى أن تأتيهم عقوبة تغشاهم وتغمرهم، أو تأتيهم الساعة فجأة من حيث لا يتوقعون، وهم مقيمون على شركهم وكفرهم بربهم، فيخلدوهم في نار جهنم. والآية كقوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٤٥) أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾. وقوله: ﴿أَوْ أَمِنَ أَهْلَ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضَعْفَ وَهُمْ يَلْمِزُونَ﴾ (٤٨) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٤٩﴾.

وجاء في «الصحيحين» عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما، فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقححته - الناقة ذات الدر - فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وقد رفع أحدكم أكلته - لقمته - إلى فيه فلا يطعمها». والمراد من كل هذا أنها تبغت الناس وهم منهمكون في أمور معاشهم، فلا يشعرون إلا وقد أتتهم. والحكمة في إبهام وقتها أن الفائدة لا تتم إلا بذلك، ليخشى أهل كل زمان إتيانها في هذا الوقت، فيحملهم الخوف على مراقبة الله تعالى في أعمالهم، فيلتزموا الحق ويتحروا الخير، ويتقوا الشرور والمعاصي.

﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين: ﴿هَذِهِ﴾ الطريقة والملة التي أنا عليها من توحيد الله، وإخلاص العبادة له دون الأوثان والأصنام، مبتدأ خيره: ﴿سَبِيلِي﴾؛ أي: ملتي وستي ومنهاجي وطريقي، وجملة قوله: ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ﴾؛ أي: أدعو الناس بهذه الملة إلى توحيد الله والإيمان به حالة كوني ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ وحجة واضحة، وبرهان قاطع. وضمير ﴿أَنَا﴾ تأكيد لفاعل ﴿أَدْعُوا﴾، ولذلك عطف عليه قوله: ﴿وَمَنْ أَتَّبَعْتَنِي﴾؛ أي: أدعو إلى توحيد الله بهذه الملة، ويدعو إليه من اتبعني وآمن بي وصدقني، وهذا<sup>(١)</sup> قول الكلبي وابن زيد قالا: حق على من اتبعه وآمن به أن يدعو إلى ما دعا إليه، ويذكر بالقرآن، وقيل: تم الكلام عند قوله: ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ﴾ ثم استأنف ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ أَتَّبَعْتَنِي﴾ يعني: أنا على بصيرة وحجة واضحة ومن اتبعني أيضاً على بصيرة. قال ابن عباس: إن محمداً ﷺ وأصحابه كانوا على أحسن طريقة وأفضل هداية، وهم معدن العلم وكنز الإيمان وجند الرحمن. وقال ابن مسعود: ومن كان مستناً فليستن بمن قد مات، أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا خير هذه الأمة، وأبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، ونقل دينه فتشبهوا بأخلاقهم وطريقهم، فهؤلاء كانوا على الصراط المستقيم. والآية كقوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾. وقرأ عبد الله شذوذاً: ﴿قل هذا سبيلي﴾ - على التذكير - والسبيل: يذكر ويؤنث.

﴿و﴾ قل يا محمد: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾؛ أي: أسبح الله سبحانه وتعالى تسبيحاً، وأنزهه تنزيهاً عما لا يليق بجلاله من جميع العيوب والنقائص والشركاء والأضداد والأنداد، ومن أن يكون معبود سواه، وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا حَلِيمًا غَفُورًا ﴿١١﴾﴾. وقل يا محمد: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ الذين أشركوا بالله غيره تعالى، والمعنى: أنا بريء من أهل الشرك به لست منهم، ولا هم مني. وهذا معطوف على: ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ عطف جملة على جملة.

(١) الخازن.



﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ يا محمد ﴿إِلَّا رِجَالًا﴾ مثلك لا ملائكة، فهذا رد لقولهم: ﴿لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلْنَا عَلَيْكَ﴾ قالوا ذلك تعجباً وإنكاراً لنبوته ﷺ، فقال تعالى: كيف يتعجبون من إرسالنا إياك، والحال أن من قبلك من الرسل كانوا على مثل حالك ولم يتعجبوا منهم، فكيف تعجبوا من إرسالك؛ لأن الاستفادة منوطة بالجنسية، وبين البشر والملك مباينة من جهة اللطافة والكثافة، ولو أرسل ملك.. لكان في صورة البشر كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رِجُلًا﴾. وقس عليه الجن؛ فلا يكون من الجن رسول إلى البشر. وفي عبارة الرجال دلالة على أن الله تعالى ما بعث رسولا إلى الخلق من النسوان؛ لأن مبنى حالهن على التستر، ومنتهى كمالهن هي الصديقية لا النبوة، فمنها آسية ومريم وخديجة وفاطمة وعائشة رضي الله عنهن.

وجملة قوله: ﴿تُوحَىٰ إِلَيْهِمْ﴾ صفة أولى لـ ﴿رِجَالًا﴾؛ أي: نوحى إليهم على لسان الملك كما نوحى إليك. وقوله: ﴿مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾ صفة ثانية له، وكان<sup>(١)</sup> تقديم هذه الصفة على ما قبلها أكثر استعمالاً؛ لأنها أقرب إلى المفرد؛ أي: من أهل الأمصار دون أهل البوادي؛ لغلبة الجهل والقسوة والجفاء عليهم. والمراد بالقرية: الحضر خلاف البادية، فتشمل المصر الجامع وغيره؛ لأن أهل الأمصار أفضل وأعلم وأكمل عقلاً من أهل البوادي. قال الحسن: لم يبعث نبي من بدو ولا من الجن ولا من النساء. والمعنى: كيف تعجبوا من إرسالنا إياك يا محمد وسائر الرسل الذين كانوا من قبلك بشر مثلك حالهم كحالك!

فإن قلت: (٢) إن قوله: ﴿مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾ يعارضه قوله: ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾؛ لأنه يقتضي أن يعقوب وأولاده كانوا من أهل البادية.

قلت: لم يكن يعقوب وأولاده من أهل البادية، بل خرجوا إليها لمواشيهم. وقرأ أبو<sup>(٣)</sup> عبد الرحمن وطلحة وحفص: ﴿تُوحَىٰ﴾ - بالنون وكسر الحاء - مبنياً

(٣) البحر المحيط.

(١) الفتوحات.

(٢) روح البيان.

للفاعل موافقاً لقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا﴾. وقرأ الجمهور بالياء وفتح الحاء مبنياً للمفعول.

والهمزة في قوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ للاستفهام التوبيخي الإنكاري داخله على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف وتقديره: أغفلوا عن مكرنا، فلم يسيروا في الأرض؛ أي: أفلم يسر هؤلاء المشركون من أهل مكة ممن يكذبونك ويجحدون نبوتك وينكرون ما جئتهم به من توحيد الله وإخلاص العباد له ﴿فَيَنْظُرُوا﴾ فيما وطئوا من البلاد ﴿كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾؛ أي: كيف صار آخر أمر المكذبين للرسل والآيات ممن كانوا قبلهم من الأمم الماضية كقوم لوط وصالح وسائر من عذبهم الله من الأمم، فيعتبروا بما حل بهم من عذابنا حتى ينزجروا عما هم فيه من التكذيب، وإلا يحيق بهم مثل ما حاق بهم؛ لأن التماثل في الأسباب يوجب التماثل في المسببات، ثم رغب في العمل للأخرة، فقال: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ وهو من إضافة الموصوف إلى صفته كمسجد الجامع، وصلاة الأولى؛ أي: إن الدار الآخرة للذين آمنوا بالله ورسله، واتقوا الشرك به، وارتكاب الآثام والمعاصي خير من هذه الدار للمشركين المنكرين للبعث المكذبين بالرسل، والذين لا حظ لهم من هذه الحياة إلا التمتع بلذاتها. فإن نعيمها<sup>(١)</sup> البدني أكمل من نعيم الدنيا لدوامه وثباته، ولخلوه من المنغصات والآلام، فما بالك بنعيمها الروحي من لقاء الله ورضوانه وكمال معرفته.

ويحتمل أن يكون قوله: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ من حذف الموصوف وإقامة صفته مقامه، وأصله: ولدار المدة الآخرة أو النشأة الآخرة، والذي قدمنا تخريج كوفي، وهذا الأخير تخريج بصري. وقرئ شاذاً: ﴿وللدار الآخرة﴾. وإنما<sup>(٢)</sup> أضاف الدار إلى الآخرة مع أن المراد بالدار هي الجنة؛ وهي نفس الآخرة؛ لأن العرب قد تضيف الشيء إلى نفسه كقولهم: حق اليقين، والحق: هو اليقين نفسه. ا هـ. «خازن».

(٢) الخازن.

(١) المراغي.

والهمزة في قوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ للاستفهام التوبيخي داخل على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف تقديره: أتعرضون يا أهل مكة عن أعمال فركم في هذا، فلا تعقلون أنها خير لهم من الحياة الدنيا، فتتوسلوا إليها بالإيمان، أما إنكم لو عقلتم ذلك لآمتتم. وقرأ الجمهور<sup>(١)</sup>: ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ - بالياء - مراعاة لقوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾. وقرأ الحسن وعلقمة والأعرج وعاصم وابن عامر ونافع: ﴿تَعْقِلُونَ﴾ بالتاء على خطاب هذه الأمة تحذيراً لهم مما وقع فيه أولئك، فيصيبهم ما أصابهم.

ثم ذكر سبحانه وتعالى تشبيهاً لفؤاده عليه السلام أن العاقبة لرسله، وأن نصره تعالى ينزل عليهم حين ضيق وانتظار الفرج كما قال: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَ أَنَا وَرُسُلِي﴾ وقال: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وأن نصره يأتيهم إذا تمادى المبطلون في تكذيبهم، فقال: ﴿حَقَّ إِذَا أَتَيْتَسَ الرُّسُلُ﴾ ﴿حَقَّ﴾: غاية لمحذوف دل عليه السياق تقديره: لا يغررهم<sup>(٢)</sup> تماديتهم فيما هم فيه من الراحة والرخاء، فإن من قبلهم أمهلوا حتى إذا استيأس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا، أو من إيمانهم لانهماكهم في الكفر مترفحين متمادين فيه من غير رادع ﴿وَوَطَّنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا﴾ قرأ عاصم وحمزة والكسائي بتخفيف الدال المكسورة، والمعنى عليه: وظن القوم أن الرسل قد أخلفوا في وعدهم بالنصر؛ أي: أخلف الله وعده لرسلكم بالنصر، وهذا المعنى منقول عن عائشة رضي الله عنها. وقال الواحدي معناه: وظن الأمم أن الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به من نصر الله إياهم، وإهلاك أعدائهم، وهذا المعنى منقول عن ابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد. وقرأ الباقون: بالتشديد.

والمعنى عليه: وظن الرسل وأيقنوا أنهم قد كذبتهم الأمم الذين آمنوا بهم بما جاؤوا به من الله تعالى، وارتدوا عن الإيمان بهم، وهذا المعنى منقول عن عائشة رضي الله عنها، وهو أحسن الوجوه، وقالت: إن البلاء لم يزل من الأنبياء حتى

(١) البحر المحيط.

(٢) المراح وروح البيان.

خافوا من أن يكذبهم الذين قد آمنوا بهم. وحاصل المعنى على قراءة التخفيف؛ أي: وما<sup>(١)</sup> أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحى من أهل القرى فدعوا من أرسلوا إليهم إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له، فكذبوا بما جاء وهم به، وردوا ما أتوا به من عند ربهم، حتى إذا يش الرسل من إيمانهم؛ لانهماكهم في الكفر وتماديهم في الطغيان من غير وازع، وظنت الأمم أن الرسل الذين أرسلوا إليهم قد كذبوهم فيما كانوا أخبروهم عن الله من وعده لهم النصر عليهم ﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ لهم بهلاك أعدائهم فجأة، وهذه الجملة جواب ﴿إِذَا﴾ في قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ﴾. والمعنى: إن<sup>(٢)</sup> زمان الإمهال قد تطاول عليهم حتى توهموا أن لا نصر لهم في الدنيا، فجاءهم نصرنا بغتة بغير سبق علامة.

وهذه سنة الله تعالى في الأمم يرسل إليهم الرسل بالبينات<sup>(٣)</sup>، ويؤيدهم بالمعجزات حتى إذا عرضوا عن الهداية، وعاندوا رسل ربهم، وامتدت مدة كيدهم وعدوانهم، واشتد البلاء على الرسل، واستشعروا بالقنوط من تمادي التكذيب وتراخي النصر.. جاءهم نصر الله فجأة، وأخذ المكذبين العذاب بغتة كالطوفان الذي أغرق قوم نوح، والريح التي أهلكت عاداً قوم هود، والصيحة التي أخذت ثمود، والخسف الذي نزل بقري قوم لوط وهم فيها، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْتِيهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾. وفي هذا تذكير لكفار قريش بأن سنته تعالى في عباده واحدة لا ظلم فيها ولا محاباة، وأنهم إن لم ينيبوا إلى ربهم.. حل بهم من العذاب ما حل بأمثالهم من أقوام الرسل، كما قال في سورة القمر ﴿أَكْفَأُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿١١﴾﴾. وقد نصر الله نبيه ﷺ في غزوة بدر وما بعدها من الغزوات، وأهلك الجاحدين المعاندين من قومه.

(١) المراغي.

(٢) روح البيان.

(٣) المراغي.

روى البخاري بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت لابن أختها عروة بن الزبير وهو يسألها عن قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ...﴾ الآية: هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم، فطال عليهم البلاء، واستأخر عليهم النصر حتى إذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم، وظنت الرسل أن أتباعهم قد كذبوهم.. جاءهم نصر الله عند ذلك. وعن عائشة أن النبي ﷺ قرأ: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا﴾ مخففة أخرجه ابن مردويه من طريق عكرمة ونحوه عن ابن عباس قال: يئس الرسل أن يستجيبوا لهم، وظن قومهم أن الرسل كذبوهم بما جاؤوهم به جاءهم نصرنا. ونحوه عن ابن مسعود قال: حفظت عن رسول الله ﷺ في «سورة يوسف»: ﴿أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا﴾ مخففة. ١ هـ.

﴿فَنَجَّىٰ مَن نَّشَاءُ﴾ نجاتهم؛ وهم الرسل والمؤمنون التابعون لهم، وإنما لم يعينهم؛ للدلالة على أنهم هم الذين يستحقون النجاة لا يشاركهم فيها غيرهم. وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب<sup>(١)</sup>: ﴿فَنَجَّىٰ﴾ - بنون واحدة وجيم مشددة مكسورة وفتح الياء - فعلاً ماضياً مبنياً للمفعول، و﴿مَنْ﴾ الموصولة نائب فاعله. وقرأ مجاهد والحسن والجحدري وطلحة وابن هرمز كذلك، إلا أنهم سكنوا الياء شذوذاً، وخرج على أنه ماض مبني للمجهول، ولكن سكنت الياء على لغة من يستقل الحركة على الياء كقراءة من قرأ: ﴿مَا تَطْعَمُونَ أَهَالِيكُمْ﴾ - بسكون الياء - ورويت هذه القراءة عن الكسائي ونافع في الشاذ، والمعنى على هذه: فنجى الرسل ومن آمن معهم من أقوامهم؛ لأنهم بحسب ما وضع الله من تأثير الأعمال في طهارة النفوس وزكائها هم الذين يستحقون النجاة دون غيرهم، كما قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّهَا ۝١ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّهَا ۝٢﴾.

وقرأ باقي العشرة: ﴿فَنُنَجِّي﴾ - بنونين أولاهما مضمومة وثانيتها ساكنة وياء ساكنة - مضارع أنجى الرباعي، وفاعله ضمير يعود على الله، والموصول مفعول به؛ أي: فننجي نحن من نشاء نجاتهم؛ وهم الرسل والمؤمنون بهم. وقرأ

(١) البحر المحيط.

نصر بن عاصم والحسن وأبو حيوة وابن السميع ومجاهد وعيسى وابن محيصن: ﴿فنجاً﴾ جعلوه مخفف الجيم فعلاً ماضياً مبنياً للفاعل، وفاعله ﴿مَنْ﴾ الموصولة. وقال أبو عمرو الداني: وقرأت لابن محيصن: ﴿فَنَجَّيْ﴾ - بشد الجيم - فعلاً ماضياً مبنياً للفاعل على معنى: فَتَجَّى النصر من نشاء، وفاعله النصر المعلوم من السياق وهي قراءة شاذة. وذكر الداني أن المصاحف متفقة على كتابتها بنون واحدة. وفي «التحبير» أن الحسن قرأ شذوذاً: ﴿فَنُنَجِّي﴾ - بنونين الثانية مفتوحة والجيم مشددة والياء ساكنة - مضارع نجى المضعف. وقرأ أبو حيوة شاذاً: ﴿من يشاء﴾ - بالياء -؛ أي: فنجي من يشاء الله نجاته، ومن يشاء نجاتهم هم المؤمنون لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْدُّنَا عَنْ آلِفَتِنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: ولا يرد عذابنا عن القوم المشركين إذا نزل بهم. وقرأ الحسن شذوذاً: ﴿بِأَسْءَلِ﴾ بضمير الغائب؛ أي: بأس الله. وهذه الجملة فيها وعيد وتهديد لمعاصري الرسول ﷺ؛ أي: ولا يُمنع عقابنا وبطشنا عن القوم الذين أجرموا، فكفروا بالله وكذبوا رسله، وما أتوهم به من عند ربهم.

وقد جرت سنة الله أن يبلغ الرسل أقوامهم، ويقيموا عليهم الحجة، وينذروهم سوء عاقبة الكفر والتكذيب، فيؤمن المهتدون ويصر المعاندون، فينجي الله الرسل ومن آمن من أقوامهم، ويهلك المكذبين، ولا يخفى ما في الآية من التهديد والوعيد لكفار قريش ومن على شاكلتهم من المعاصرين للنبي ﷺ. واللام في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَاتَ﴾: موطئة للقسم. ﴿فِي قَصَصِهِمْ﴾ - بفتح القاف -: مصدرُ قَصَّ الخبر؛ إذا حدث به؛ أي: قصص يوسف وإخوته وأبيه عليهم السلام وخبرهم. وقرئ شاذاً بكسر القاف جمع قصة؛ أي: قصص الأنبياء وأمهم؛ أي: وعزتي وجلالي لقد كان في قصص يوسف مع أبيه وإخوته وخبرهم ﴿عِبْرَةٌ﴾؛ أي: عظة عظيمة ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾؛ أي: لأصحاب العقول الكاملة الراجحة والأفكار الثاقبة؛ لأنهم هم الذين يعتبرون بعواقب الأمور التي تدل عليها أوائلها ومقدماتها، أما الأغرار الغافلون فلا يستعملون عقولهم في النظر والاستدلالات، ومن ثم لا يفيدهم النصح.

وجهة الاعتبار بهذه القصة أن الذي قدر على إنجاء يوسف عليه السلام بعد إلقاءه في غيابة الجبّ، وإعلاء أمره بعد وضعه في السجن، وتمليكه مصر بعد أن بيع بالثمن البخس، والتمكين له في الأرض من بعد الإسار والحبس الطويل، وإعزازه على من قصده بالسوء من إخوته، وجمع شمله بأبويه وبهم بعد المدة الطويلة المدى، والمجيء بهم من الشقة البعيدة النائية؛ أي: إن الذي قدر على ذلك كله لقادر على إعزاز محمد ﷺ وإعلاء كلمته وإظهار دينه، فيخرجه من بين أظهركم، ثم يظهره عليكم، ويمكن له في البلاد، ويؤيده بالجنود والرجال والأتباع والأعوان، وإن مرت به الشدائد وأتت دونه الأيام والحوادث، وإن الإخبار بهذه القصة جارٍ مجرى الإخبار عن الغيوب، فكانت معجزة لمحمد ﷺ. وقيل: إن الله تعالى قال في أول هذه السورة: ﴿تَمَحَّنْ نَفْسُ عَلَيَّ أَحْسَنَ الْفَصْحِ﴾ وقال في آخرها: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ فدل على أن هذه القصة من أحسن القصص، وأن فيها عبرة لمن اعتبرها وتأملها، وكان في أول السورة وآخرها مناسبة.

﴿مَا كَانَ﴾ هذا القرآن المشتمل على هذا المقصوص ﴿حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ ويختلف من عند البشر؛ لأن الذي جاء به من عند الله تعالى؛ وهو محمد ﷺ لا يصح منه أن يفتريه ويختلفه من عند نفسه؛ لأنه لم يقرأ الكتب ولم يخالط العلماء، ثم إنه جاء بهذا القرآن المعجز، فدل ذلك على صدقه، وأنه ليس بمفتر، فهو دليل ظاهر وبرهان قاهر على أنه جاء بطريق الوحي والتنزيل، ومن ثم قال: ﴿وَلَكِنَّ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾؛ أي: ولكن كان هذا القرآن مصدق الذي كان قبله من الكتب السماوية التي أنزلها الله تعالى من السماء على أنبيائه كالتوراة والإنجيل والزيور؛ أي: تصديق ما عندهم من الحق فيها لا كل الذي عندهم، فهو ليس بمصدق لما عندهم من خرافات فاسدة وأوهام باطلة؛ لأنه جاء لمحوها وإزالتها، لا لإثباتها وتصديقها ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدين والدنيا؛ أي: إن في هذا القرآن المنزل عليك يا محمد تفصيل كل شيء تحتاج إليه من الحلال والحرام، والحدود والأحكام، والقصص والمواعظ والأمثال، وغير ذلك مما يحتاج إليه العباد في أمر دينهم ودنياهم ﴿و﴾ كان ﴿هدى﴾ إلى

كل خير لمن تدبره وأمعن في النظر فيه، وتلاه حق تلاوته، فهو مرشد إلى الحق، وهاذ إلى سبيل الرشاد وعمل الخير والصلاح في الدين والدنيا ﴿و﴾ كان ﴿رحمة﴾ خاصة ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ به في دينهم ودنياهم؛ لأنهم هم الذين ينتفعون به. وقيل المعنى: ﴿وَهْدَى﴾؛ أي: سبب هداية في الدنيا ﴿وَرَحْمَةً﴾؛ أي: سبباً لحصول الرحمة في الآخرة، والخاضعون لها من غير المؤمنين يكونون في ظلها آمنين على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، أحراراً في عقائدهم وعباداتهم، مساوين للمؤمنين في حقوقهم ومعاملاتهم، يعيشون في بيئة خالية من الفواحش والمنكرات التي تفسد الأخلاق وتعبث بالفضائل. وانتصاب الأربعة بعد ﴿لكن﴾ للعطف على خبر ﴿كَانَ﴾. وقرأ حمران ابن أعين وعيسى الكوفي فيما ذكر صاحب «اللوامح» وعيسى الثقفي فيما ذكر ابن عطية: ﴿تصديق وتفصيل وهدى ورحمة﴾ - برفع الأربعة -؛ أي: ولكن هو تصديق وهذه القراءة شاذة. والجمهور بالنصب على إضمار كان؛ أي: ولكن كان تصديق الخ.

## الإعراب

﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَرَبِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقِيقِي بِالصَّلَاحِينَ﴾ (١٣١).

﴿رَبِّ﴾: منادى مضاف حذف منه حرف النداء للتخفيف منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة اجتزاء عنها بالكسرة، وهو مضاف، وياء المتكلم المحذوفة في محل الجر مضاف إليه، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق. ﴿ءَاتَيْتَنِي﴾ فعل وفاعل ومفعول أول ونون وقاية. ﴿مِنَ﴾: حرف جر وتبعيض. ﴿الْمَلِكِ﴾: مجرور بـ ﴿مِنَ﴾: الجار والمجرور متعلق بـ ﴿ءَاتَيْتَنِي﴾ على كونه مفعولاً ثانياً له؛ لأنه بمعنى أعطى، وقيل: ﴿مِنَ﴾ زائدة، وقيل المفعول الثاني محذوف تقديره: عظيماً من الملك كما ذكره أبو البقاء. والجملة الفعلية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها جواب النداء. ﴿وَعَلَّمْتَنِي﴾: فعل وفاعل ومفعول أول، والجملة معطوفة على جملة ﴿ءَاتَيْتَنِي﴾. ﴿مِنَ﴾: زائدة. ﴿تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾: مفعول ثان



ومضاف إليه. وفي «السمين»: و«مِنَ» في «مِنَ الْمَلِكِ»، وفي «مِن تَأْوِيلِ» للتبعيض، والمفعول الثاني محذوف؛ أي: شيئاً عظيماً من الملك، فهي صفة لذلك المحذوف، وقيل: زائدة، وقيل: لبيان الجنس. «فَاطِرٌ»: نعت لـ«رَبِّ»، أو بدل، أو عطف بيان منه، أو منصوب بإضمار أعني، أو على كونه منادى ثانياً. «السَّمَوَاتِ»: مضاف إليه. «وَالْأَرْضِ»: معطوف عليه. «أَنْتَ وَلِيِّيَ»: مبتدأ وخبر، والجملة في محل نصب مقول «قَالَ». «فِي الدُّنْيَا»: جار ومجرور متعلق بـ«وَلِيِّيَ». «وَالْآخِرَةِ»: معطوف على «الدُّنْيَا». «تَوْفِييَ»: فعل ومفعول ونون وقاية، وفاعله ضمير يعود على الله. «مُسْلِمًا»: حال من المفعول، والجملة في محل نصب مقول «قَالَ». «وَالْحَقِيقِي»: فعل ومفعول ونون وقاية. «بِالصَّالِحِينَ»: متعلق به، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة معطوفة على جملة «تَوْفِييَ».

ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ.

ذَلِكَ: مبتدأ. «مِنَ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ»: جار ومجرور ومضاف إليه خبر المبتدأ، والجملة مستأنفة. «نُوحِيهِ»: فعل ومفعول. «إِلَيْكَ»: متعلق به، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة في محل نصب حال من المبتدأ، أو من الضمير في الخبر، ويجوز أن تكون خبراً ثانياً لذلك كما في «السمين». «وَمَا» (الواو): عاطفة. «مَا»: نافية. «كُنْتَ»: فعل ناقص واسمه. «لَدَيْهِمْ»: ظرف ومضاف إليه خبر كان، والجملة معطوفة على جملة قوله: «ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ» على كونها معللة للخبرين. «إِذْ»: ظرف لما مضى من الزمان متعلق بكان. «أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ»: فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل الجبر مضاف إليه لـ«إِذْ». «وَهُمْ» (الواو): واو الحال. «هُمْ»: مبتدأ، وجملة «يَمْكُرُونَ»: خبره، والجملة الاسمية في محل نصب حال من واو «أَجْمَعُوا».

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٣٣﴾ وَمَا تَسْتَأْذِنُ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٣٤﴾.

﴿وَمَا﴾ (الواو): استئنافية. «مَا»: حجازية أو تيمية. «أَكْثَرُ النَّاسِ»:

اسمها أو مبتدأ ﴿يُؤْمِنِينَ﴾: خبرها، أو خبر المبتدأ والباء زائدة، والجملة مستأنفة. ﴿وَلَوْ﴾: (الواو): اعتراضية. ﴿لَوْ﴾: حرف شرط. ﴿حَرَضْتَ﴾: فعل وفاعل، والجملة فعل شرط لـ ﴿لَوْ﴾، وجواب ﴿لَوْ﴾ محذوف لدلالة ما قبله عليه تقديره: ولو حرصت على هدايتهم وبالغت في دعوتهم لا يؤمنون، وجملة ﴿لَوْ﴾: معترضة لا محل لها من الإعراب لاعتراضها بين ﴿مَا﴾ وخبرها. ﴿وَمَا﴾: (الواو): عاطفة. ﴿مَا﴾ نافية ﴿تَشْتَأْتُهُمْ﴾: فعل ومفعول أول، وفاعله ضمير يعود على محمد. ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلق به. ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾: مفعول ثان لسأل، و﴿مِنْ﴾: زائدة، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿وَمَا أَكْثَرَ النَّاسِ﴾. ﴿إِنْ﴾: نافية. ﴿هُوَ﴾: مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿ذَكَرْتُ﴾: خبر المبتدأ. ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾: متعلق به، والجملة الاسمية مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿وَكَايِنٍ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ (١١٥).

﴿وَكَايِنٍ﴾ (الواو): استثنائية. ﴿كَايِنٍ﴾: اسم بمعنى كم الخبرية؛ أي: بمعنى عدد كثير في محل الرفع مبتدأ مبني على السكون لشبهه بالحرف شبيهاً معنوياً. ﴿مِّنْ﴾: زائدة. ﴿آيَةٍ﴾: تمييز ﴿كَايِنٍ﴾ منصوب. ﴿فِي السَّمَوَاتِ﴾: جار ومجرور صفة لـ ﴿آيَةٍ﴾. ﴿وَالْأَرْضِ﴾: معطوف على ﴿السَّمَوَاتِ﴾. ﴿يَمُرُّونَ﴾: فعل وفاعل. ﴿عَلَيْهَا﴾: متعلق به، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة. ﴿وَهُمْ﴾: (الواو): حالية. ﴿هُمْ﴾: مبتدأ. ﴿عَنْهَا﴾: متعلق بـ ﴿مُعْرِضُونَ﴾. ﴿مُعْرِضُونَ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب حال من فاعل ﴿يَمُرُّونَ﴾، والمعنى: وآيات كثيرة كائنة في السموات والأرض مارون عليها حالة كونهم معرضين عنها.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُّشْرِكُونَ﴾ (١١٦) ﴿أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَدَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١١٧).

﴿وَمَا﴾ (الواو): استثنائية. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ﴾: فعل وفاعل. ﴿بِاللَّهِ﴾: متعلق بـ ﴿يُؤْمِنُ﴾، والجملة مستأنفة. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿وَهُمْ مُّشْرِكُونَ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة في محل النصب حال من فاعل ﴿يُؤْمِنُ﴾.

﴿أَفَأَمِنُوا﴾: (الهمزة): للاستفهام التوبيخي الإنكاري داخلة على محذوف. (والفاء): عاطفة على ذلك المحذوف تقديره: أغفل هؤلاء المشركون عن مكر الله تعالى فأمنوا. ﴿أمنوا﴾: فعل وفاعل معطوف على ذلك المحذوف، والجملة المحذوفة مستأنفة. ﴿أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ﴾: ناصب وفعل ومفعول وفاعل. ﴿مِنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾: جار ومجرور صفة لـ﴿غَشِيَةٌ﴾، والجملة الفعلية في تأويل مصدر منصوب على المفعولية تقديره: فأمنوا إتيان غاشية من عذاب الله إياهم. ﴿أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ﴾: فعل ومفعول وفاعل معطوف على ﴿أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ﴾ على كونها في تأويل مصدر منصوب على المفعولية تقديره: أو إتيان الساعة إياهم. ﴿بَعَثَ﴾: حال من ﴿السَّاعَةُ﴾؛ أي: باغته. ﴿وَهُمْ﴾: مبتدأ، وجملة ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾: خبره، والجملة الاسمية في محل نصب حال من مفعول ﴿تَأْتِيَهُمْ﴾.

﴿قُلْ هَلْذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد والجملة مستأنفة. ﴿هَلْذِهِ سَبِيلِي﴾ إلى آخر الآية: مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿هَلْذِهِ سَبِيلِي﴾: مبتدأ وخبر، والجملة في محل نصب مقول ﴿قُلْ﴾. ﴿أَدْعُو﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على محمد. ﴿إِلَى اللَّهِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أَدْعُو﴾، والجملة في محل نصب مقول ﴿قُلْ﴾. ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾: جار ومجرور خبر مقدم. ﴿أَنَا﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿وَمَنِ﴾: الموصولة معطوفة على المبتدأ، وجملة ﴿اتَّبَعَنِي﴾: صلة ﴿مَنِ﴾ الموصولة، والجملة الاسمية في محل نصب مقول ﴿قُلْ﴾. وفي «السمين»: قوله: ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾ يجوز أن يكون مستأنفاً؛ وهو الظاهر، وأن يكون حالاً من الياء، و﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾: حال من فاعل ﴿أَدْعُو﴾؛ أي: أدعو إلى الله حالة كوني كائناً على بصيرة، وقوله: ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾: عطف على فاعل ﴿أَدْعُو﴾، ولذلك أكد بالضمير المنفصل، ويجوز أن يكون مبتدأ، والخبر محذوف؛ أي: ﴿ومن اتبعني﴾ يدعو أيضاً، ويجوز أن يكون ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ وحده حالاً، و﴿أَنَا﴾: فاعل به، ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾: عطف عليه، ومفعول ﴿أَدْعُو﴾ يجوز

أن لا يراد، ويجوز أن يقدر؛ أي: أَدْعُوا النَّاسَ. ا هـ. ﴿وَسَيُخَنِّ اللَّهُ﴾ (الواو): عاطفة. ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾: منصوب على المفعولية المطلقة بفعل محذوف وجوباً تقديره: وأسبح سبحان الله، والجملة في محل نصب معطوفة على جملة قوله: ﴿هَذِهِ سَبِيلِي﴾ على كونها مفسرة لها. ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة في محل نصب معطوفة على جملة ﴿هَذِهِ سَبِيلِي﴾.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾.

﴿وَمَا﴾ (الواو): استئنافية. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿أَرْسَلْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿مِنْ قَبْلِكَ﴾: متعلق به، والجملة مستأنفة. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿رِجَالًا﴾: مفعول به. ﴿نُوْحِي﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على الله. ﴿إِلَيْهِمْ﴾: متعلق به، والجملة في محل نصب صفة أولى لـ ﴿رِجَالًا﴾. ﴿مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾: جار ومجرور صفة ثانية لـ ﴿رِجَالًا﴾، والأكثر استعمالاً عندهم تقديم هذه الصفة الثانية على الأولى؛ لأنها أقرب إلى المفرد منها كما تقدم تحريره في المائدة.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿أَفَلَمْ﴾ (الهمزة): للاستفهام التوبيخي الإنكاري داخل على محذوف. (الفاء): عاطفة على ذلك المحذوف تقديره: أغفلوا عن مكرنا فلم يسيروا. ﴿لَمْ يَسِيرُوا﴾: جازم وفعل وفاعل. ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: متعلق به، والجملة معطوفة على ذلك المحذوف، والجملة المحذوفة مستأنفة. ﴿فَيَنْظُرُوا﴾: (الفاء): عاطفة. ﴿يَنْظُرُوا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿يَسِيرُوا﴾. ﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام في محل نصب خبر ﴿كَانَ﴾ مقدّم عليه وجوباً. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿عَاقِبَةُ الَّذِينَ﴾: اسمها ومضاف إليه، وجملة ﴿كَانَ﴾: في محل نصب مفعول لـ ﴿يَنْظُرُوا﴾ معلق عنها باسم الاستفهام. ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: جار ومجرور صلة الموصول. ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾: (الواو): استئنافية. (اللام): حرف ابتداء، ﴿دَارُ الْآخِرَةِ﴾: مبتدأ ومضاف إليه. ﴿خَيْرٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿لِلَّذِينَ﴾: جار ومجرور

متعلق به، والجملة الاسمية مستأنفة. ﴿أَتَقَوُّا﴾: فعل وفاعل صلة الموصول.  
 ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: (الهمزة): للاستفهام التوبيخي داخل على محذوف، و(الفاء):  
 عاطفة على ذلك المحذوف تقديره: أتعرضون يا أهل مكة عن إعمال فكركم في  
 خيرية الآخرة على الدنيا. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿تَعْقِلُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة  
 معطوفة على ذلك المحذوف.

﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَطَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا بِجَاءَهُمْ نَصَرْنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ  
 وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٤﴾﴾.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف ابتداء لدخولها على الجملة، وغاية لكونها غاية لمحذوف  
 وتقديره: لا يغررهم تماديهم فيما هم من الراحة والرخاء، فإن من قبلهم أمهلوا  
 حتى إذا استيسر الرسل. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان. ﴿اسْتَيْسَسَ  
 الرُّسُلُ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل الخفض بإضافة إذا إليها على كونها فعل  
 شرط لها، والظرف متعلق بالجواب الآتي. ﴿وَطَنُوا﴾: فعل وفاعل معطوف على  
 ﴿اسْتَيْسَسَ﴾. ﴿أَنَّهُمْ﴾: ناصب واسمه. ﴿قَدْ كَذَّبُوا﴾: فعل ونائب فاعل،  
 والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿أَنْ﴾، وجملة ﴿أَنْ﴾: في تأويل مصدر ساد  
 مسد مفعولي ظن تقديره: وظنوا تكذيبهم. ﴿بِجَاءَهُمْ نَصَرْنَا﴾: فعل ومفعول  
 وفاعل، والجملة جواب ﴿إِذَا﴾، وجملة ﴿إِذَا﴾: من فعل شرطها وجوابها في  
 محل الجبر بـ ﴿حَتَّىٰ﴾ متعلقة بمحذوف تقديره: فإن من قبلهم أمهلوا إلى مجيء  
 نصرنا وقت يأس الرسل عن نصرهم، وظن الأتباع كونهم مكذوبين. ﴿فَنُجِّيَ﴾:  
 (الفاء): عاطفة. ﴿نُجِّيَ﴾: فعل ماضٍ غير الصيغة. ﴿مَنْ﴾: اسم موصول في  
 محل الرفع نائب فاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿جَاءَ﴾. ﴿نَشَاءُ﴾: فعل  
 مضارع، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة صلة الموصول، والعائد محذوف  
 تقديره: من نشاء نجاته من عبادنا. ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا﴾: فعل ونائب فاعل، والجملة  
 مستأنفة. ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾: متعلق به. ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾: صفة لـ ﴿الْقَوْمِ﴾.

﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن  
 تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١٣﴾﴾.

﴿لَقَدْ﴾: (اللام): موثقة للقسم. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق. ﴿كَانَ﴾: فعل ماضٍ ناقص. ﴿فِي قَصَبِهِمْ﴾: جار ومجرور خبر مقدم لـ ﴿كَانَ﴾: ﴿عِبْرَةٌ﴾ اسم ﴿كَانَ﴾ مؤخر، وجملة ﴿كَانَ﴾: جواب القسم لا محل لها من الإعراب. ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ ﴿عِبْرَةٌ﴾؛ لأنه اسم مصدر من اعتبر الخماسي. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿كَانَ﴾: فعل ماضٍ ناقص، واسمها ضمير يعود على القرآن المتقدم ذكره في قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ أو على هذا القصص المذكور في يوسف وإخوته. ﴿حَدِيثًا﴾: خبر ﴿كَانَ﴾، وجملة ﴿يُفْتَرَى﴾: صفة لـ ﴿حَدِيثًا﴾، وجملة ﴿كَانَ﴾: مستأنفة. ﴿وَلَا كُنْ﴾: (الواو): عاطفة. ﴿لكن﴾: حرف استدراك. ﴿تَصَدِيقَ الَّذِي﴾: خبر لـ ﴿كَانَ﴾ المحذوفة مع اسمها، ومضاف إليه؛ أي: ولكن كان هذا القرآن تصديق الذي بين يديه، والجملة الاستدراكية معطوفة على الجملة التي قبلها. ﴿بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: ظرف ومضاف إليه صلة الموصول. ﴿وَتَقْصِيبَ كُلِّ شَيْءٍ﴾: معطوف على ﴿تَصَدِيقَ﴾ على كونه خبراً لـ ﴿كَانَ﴾ المحذوفة. ﴿وَهْدَى وَرَحْمَةً﴾: معطوفان عليه أيضاً. ﴿لِقَوْمٍ﴾: جار ومجرور تنازع فيه كل من ﴿هدى﴾ و﴿رحمة﴾ على كونه صفة لهما، وجملة ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ صفة لـ ﴿قوم﴾، أو صفة لـ ﴿رحمة﴾ فقط.

### التصريف ومفردات اللغة

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ﴾؛ أي: بعض الملك، والمراد بذلك البعض: ملك مصر؛ إذ لم يملك جميع أقطار الأرض إلا أربعة: إثنان مسلمان: اسكندر، وسليمان بن داود وإثنان كافران: بختنصر وشداد بن عاد، ولقد توارثت الفراعنة من العمالقة بعد يوسف مصر، ولم يزل بنو إسرائيل تحت أيديهم على بقايا من دين يوسف وآبائه إلى أن بعث الله تعالى موسى عليه السلام. اهـ. «أبو السعود». والملك عبارة عن الاتساع في الشيء المقدر لمن له السياسة التدبير كما مر.

﴿فَاطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ أي: خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق، وأصل الفطر: الشق، يقال: فطر ناب البعير إذا شق وظهر، وفطر الله الخلق:

أوجده وأبدعه .

﴿أَنْتَ وَلِيِّ﴾ ؛ أي : معيني ومتولي أمري ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾ ؛ أي : اقبضني إليك مسلماً .

﴿وَلَوْ حَرَصْتَ﴾ وفي «المصباح» : حرص عليه حرصاً - من باب ضرب - إذا اجتهد، والاسم الحرص - بكسر الحاء - وحرص على الدنيا من باب ضرب أيضاً، وحرص حرصاً - من باب تعب لغة -، إذا رغب رغبة مذمومة . ا هـ .

﴿وَكَايُنَ مِنْ آيَةٍ﴾ و﴿كَايُنَ﴾ هنا بمعنى كم الخبرة التي بمعنى عدد كثير وإن وردت للاستفهام، والآية هنا بمعنى الدليل الذي يرشد إلى وجود الصانع ووحدته، وكمال علمه وقدرته .

﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ ؛ أي : يشاهدونها ولا يعبتون بها . ﴿مُعْرَضُونَ﴾ ؛ أي : لا يعتبرون بها . ﴿غَشِيَّةٌ﴾ والغاشية : العقوبة تغشاهم وتعمهم ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا﴾ البصيرة : الحجة الواضحة، وقيل : هي المعرفة التي يميز بها بين الحق والباطل . ا هـ . «خازن» . ﴿وَطَنُونًا﴾ الظن هنا : إما بمعنى اليقين، وإما معنى الحسبان والتقدير . ﴿بَأْسَانًا﴾ والبأس العقاب .

﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصصِهِمْ﴾ والقَصَص - بفتح القاف - : مصدر قَصَّ إذا تتبع الأثر والخبر، والمراد هنا المقصوص المحكي بدليل القراءة الشاذة : ﴿قِصصِهِمْ﴾ - بكسر القاف - كما في «الجمل» .

﴿عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ المراد بالعبرة : التأمل والتفكير . وفي «الخازن» : معنى الاعتبار والعبرة : الحالة التي يتوصل بها الإنسان من معرفة المشاهد إلى ما ليس بمشاهد، والمراد منه التأمل والتفكير .

﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ والألباب : العقول واحداً لبّ، وسمي بذلك ؛ لكونه خالص ما في الإنسان من قواه . وقال الشوكاني : والعبرة : الفكرة والبصيرة المخلصة من الجهل والحيرة، وقيل : هي نوع من الاعتبار، وهي العبور من الطريق المعلوم إلى الطريق المجهول، وأولوا الألباب : هم ذووا العقول السليمة

الذين يعتبرون بعقولهم، فيدرون ما فيه مصالح دينهم، وإنما كان هذا القصص عبرة لما اشتمل عليه من الإخبارات المطابقة للواقع من بعد المدة التي بين النبي ﷺ وبين الرسل الذين قص حديثهم، ومنهم يوسف وإخوته وأبوه مع كونه لم يطلع على أخبارهم ولا اتصل بأخبارهم.

## البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضرباً من الفصاحة وأنواعاً من البلاغة والبيان والبدیع:

فمنها: إطلاق الكل وإرادة البعض في قوله: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ﴾ فإنه إنما أعطي ملك مصر فقط، لا ملك الأرض كلها كما مر.

ومنها: في قوله: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ ما يسمى في علم البيان بالاحتجاج النظري، وبعضهم يسميه المذهب الكلامي؛ وهو أن يلزم الخصم ما هو لازم لهذا الاحتجاج، وتقدم نظير ذلك في آل عمران، وفي هود، وهذا تهكم بقريش وبمن كذبه؛ لأنه لا يخفى على أحد أنه لم يكن من حملة هذا الحديث وأشباهه، ولا لقي فيها أحداً ولا سمع منه، ولم يكن من علم قومه، فإذا أخبر به وقصه هذا القصص الذي أعجز حملته ورواته.. لم تقع شبهة في أنه ليس منه، بل من وحي الله تعالى إليه، ذكره أبو حيان.

ومنها: حكاية الحال الماضية في قوله: ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾؛ لأنه بمعنى الماضي.

ومنها: الجملة الاعتراضية في قوله: ﴿وَلَوْ حَرَصْتَ﴾ لاعتراضها بين ﴿مَا﴾ الحجازية وخبرها، وجيء بهذا الاعتراض؛ لإفادة أن الهداية بيد الله سبحانه وتعالى وحده.

ومنها: حكاية الحال الماضية أيضاً في: ﴿إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ﴾؛ لأنه بمعنى الماضي.

ومنها: الاستفهام التوبيخي في قوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾.



ومنها: إضافة الشيء إلى نفسه في قوله: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾؛ لأنه أضاف الدار إلى الآخرة مع أن المراد بالدار هي الجنة، وهي نفس الآخرة؛ لأن العرب تفعل ذلك لإفادة التأكيد، كما في قولهم: حق اليقين، مع أن المراد بالحق هو اليقين نفسه كما مر.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

\*\*\*

## موضوعات هذه السورة

جملة ما في هذه السورة من الموضوعات تسعة وثلاثون موضوعاً:

- ١ - قص يوسف رؤياه على أبيه يعقوب .
- ٢ - نهي يعقوب لولده عن قصة قصصه على إخوته .
- ٣ - تدبيرهم المكيدة ليوسف وإلقائه في غيابة الجبّ .
- ٤ - ادعاؤهم أنّ الذئب قد أكله .
- ٥ - عثور قافلة ذاهبة إلى مصر عليه والتقاطها له .
- ٦ - بيعها إياه في مصر بثمن بخس لعزير مصر .
- ٧ - وصية العزيز لامراته بإكرام مثواه .
- ٨ - مراودة المرأة له عن نفسه، وإعداد الوسائل لذلك .
- ٩ - تمنعه من ذلك إكراماً لسيده الذي أكرم مثواه .
- ١٠ - قدها لقميصه وادعاؤها عليه أنه هو الذي أراد الفاحشة .
- ١١ - شهادة شاهد من أهلها بما يجلي الحقيقة .
- ١٢ - افتضاح أمرها في المدينة لدى النسوة .
- ١٣ - تدبيرها المكيدة لأولئك النسوة وإحكام أمرها .
- ١٤ - إدخاله السجن اتباعاً لمشيئتها .
- ١٥ - تعبيره رؤيا فتيين دخلا معه السجن .
- ١٦ - رؤيا الملك وطلبه تعبيرها .
- ١٧ - إرشاد أحد الفتيين للملك عن يوسف، وأنه نعم المعبر لها .
- ١٨ - طلب الملك إحضاره من السجن، واستخلاصه لنفسه .
- ١٩ - توليته رئيساً للحكومة ومهيماً على ماليها .
- ٢٠ - مجيء إخوة يوسف إليه، وطلبه منهم أن يحضروا أخاهم لأبيهم .

- ٢١ - إرجاع البضاعة التي جاؤوا بها .
- ٢٢ - إحضارهم أخاه إليه بعد إعطائهم الموقف لأبيهم .
- ٢٣ - طلب أبيهم أن يدخلوا المدينة من أبواب متعددة .
- ٢٤ - إخبار يوسف لأخيه عن ذات نفسه .
- ٢٥ - أذان المؤذن أن العير قد سرقوا .
- ٢٦ - قول الإخوة: إن أخاه قد سرق من قبل .
- ٢٧ - طلبُ الإخوة من يوسف أن يأخذ أحدهم مكانه .
- ٢٨ - وجود غشاوة على عيني يعقوب من الحزن .
- ٢٩ - تعريف يوسف بنفسه لإخوته .
- ٣٠ - حين جاء البشير بقميص يوسف ارتد يعقوب بصيراً .
- ٣١ - طلب الإخوة من أبيهم أن يستغفر لهم .
- ٣٢ - رفع يوسف أبويه على العرش .
- ٣٣ - قول يوسف لأبيه: هذا تأويل رؤياي من قبل .
- ٣٤ - دعاؤه بحسن الخاتمة .
- ٣٥ - في هذا القصص إثبات لنبوة محمد ﷺ .
- ٣٦ - تحذير المشركين من نزول العذاب بهم كما حَدَّث لمن قبلهم .
- ٣٧ - لم يرسل الله تعالى إلا رجالاً وما أرسل ملائكة .
- ٣٨ - نصر الرسل بعد الاستيثاس .
- ٣٩ - في قصص الرسل أو يوسف وإخوته عبرة لأولي الألباب .

والله أعلم

\*\*\*

## سورة الرعد

سورة الرعد مكية<sup>(١)</sup> إلا آيتين فهما مدنيتان، وهما قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا نُصِيْبَهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إلى ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾. وقيل: مدنية سوى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ الآيتين.

وآياتها ثلاث - أو خمس - وأربعون آية، وكلماتها ثمان مئة وخمسون كلمة، وحروفها ثلاثة آلاف وخمسون مئة وستة أحرف. وسميت بالرعد؛ لذكره فيها.

فضلها: ومن فضائلها أن قراءتها عند المحتضر تسهل خروج الروح. وقد أخرج<sup>(٢)</sup> ابن أبي شيبة والمروزي في «الجنائز» عن جابر بن زيد قال: كان يُستحب إذا حضر الميت أن يقرأ عنده سورة الرعد؛ فإن ذلك يخفف عن الميت، وإنه أهون لقبضه، وأيسر لشأنه.

المناسبة: ومناسبة هذه السورة لما قبلها من وجوه<sup>(٣)</sup>:

١ - أنه سبحانه وتعالى أجمل في السورة السابقة الآيات السماوية والأرضية في قوله: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ آيَاتٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾، ثم فصلها هنا أتم تفصيل في مواضع منها.

٢ - أنه أشار في سورة يوسف إلى أدلة التوحيد بقوله: ﴿أَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾، ثم فصل الأدلة هنا بإسهاب لم يذكر في سالفها.

(١) المراح.

(٢) الشوكاني.

(٣) المراعي.

٣ - أنه ذكر في كلتا السورتين أخبار الماضين مع رسلهم، وأنهم لاقوا منهم ما لاقوا، وأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، وكتب الخزي على الكافرين، والنصر لرسله والمؤمنين، وفي ذلك تسلية لرسوله ﷺ وتثبيت لقلبه.

٤ - جاء في آخر السورة السابقة وصف القرآن بقوله: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، وفي أول هذه السورة قوله: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

الناسخ والمنسوخ: قال أبو عبد الله محمد بن حزم رحمه الله تعالى<sup>(١)</sup>: في سورة الرعد من المنسوخ آيتان فقط؛ آيةٌ مُّجمع على نسخها، وآيةٌ مختلف في نسخها. فالمجمع على نسخها قوله تعالى: ﴿فَالْتَمَأْ عَلَيْكَ الْبَلْعُ وَعَلَيْنَا﴾ الآية (٤٠) منسوخة بآية السيف. الآية الثانية قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَدُوٌّ مَّغْفَرٌ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ الآية (٦) منسوخة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ الآية (٤٨، ١١٦) النساء. والظلم هنا: الشرك.

والله أعلم

\*\*\*

(١) الناسخ والمنسوخ.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْمَرْ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾  
 اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ  
 يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ  
 الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِوْاسٍ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارُ  
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَوِّرَاتٌ لَّيْسَتْ مِنْ أَعْتَابِ وَرِزْقٌ  
 وَخَيْلٌ صِنَوَانٌ وَعَصِيرٌ صِنَوَانٌ يُسْقَى بِمَاءٍ وَجِدٍ وَتُفَضَّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي  
 ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَوْنَا لَنِي  
 خَلَقِي جَدِيدٌ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ  
 النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾ وَاسْتَعِجَلُونَكَ بِالْحَيَاةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ  
 الْمَثَلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَقْفَرٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ  
 الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنْ مَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ  
 مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْفَى وَمَا تَحِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَلَيْهِمُ  
 الْعِقَابُ وَالشَّهَادَةُ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ  
 هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَمْ تُعْقِبَتْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ يَحْفَظُونَهُ مِنْ  
 أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا  
 مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿١١﴾﴾

### المناسبة

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه  
 قد مر لك في آخر السورة السابقة وصف القرآن بقوله: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى  
 وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، ووصفه في هذه الآية بقوله: ﴿تِلْكَ آيَاتُ  
 الْكِتَابِ...﴾ الآية، كما مر آنفاً.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر<sup>(١)</sup> في الآية السالفة أن أكثر الناس لا يؤمنون.. أعقبه بذكر البراهين على التوحيد والمعاد، فاستدل بأحوال السموات وأحوال الشمس والقمر، وأحوال الأرض جبالها وأنهارها، وأزهارها ونخيلها وأعنابها، واختلاف ثمراتها، وتنوع غلاتها على وجود الإله القادر القاهر الذي بيده الخلق والأمر، وبيده الضر والنفع، وبيده الإحياء والإماتة، وهو على كل شيء قدير.

وعبارة أبي حيان هنا: ولما ذكر انتفاء الإيمان عن أكثر الناس.. ذكر عقبيه ما يدل على صحة التوحيد والمعاد، وما يجذبهم إلى الإيمان فيما يفكر فيه العاقل، ويشاهده من عظيم القدرة وبديع الصنع والحكمة انتهت.

قوله تعالى: ﴿وَرِإِن تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر<sup>(٢)</sup> إنكارهم لوحديته تعالى مع وضوح الأدلة على ذلك من خلق السموات بلا عمد، وتسخير الشمس والقمر يجزيان إلى أجل مسمى، ومن مد الأرض وإلقاء الجبال الرواسي فيها إلى آخر ما ذكر من الآيات الدالة على عظيم قدرته وبديع صنعه لمن يتأمل ويتفكر في ذلك الملكوت العظيم.. ذكر هنا إنكارهم للبعث والنشور على وضوح طريقه وسطوع دليله قياساً على ما يرون ويشاهدون، فإن من قدر على خلق السماوات والأرض وسائر العوالم على هذا النحو الذي يحار الإنسان في الوصول إلى معرفة كنهه.. لا يعجز عن إعادته في خلق جديد، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَتَّخِذْ لَهُنَّ بَدِيلًا عَلِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر إنكار المشركين للبعث واستبعادهم له كما حكى عنهم بقوله: ﴿إِذَا كُنَّا تُرَابًا أَوْ إِنَّا لَنُفَىٰ

(٢) المراغي.

(١) المراغي.

خَلَقَ جَدِيدًا؛ إذ رأوا أن أجزاء الحيوان حين تفتتها وتفرقها يختلط بعضها ببعض، وقد تتناثر في بقاع شتى ونواح عدة، وربما أكل بعض الجسم سبع، وبعضه الآخر حداة، أو نسر، وحيناً يأكل السمك قطعة منه، وأخرى يجري بها الماء وتدفن في بلد آخر.. أزال هذا الاستبعاد بأن الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، والذي يعلم الأجنة في بطون أمهاتها، ويعلم ما هو مشاهد لنا أو غائب عنا يعلم تلك الأجزاء المتناثرة ومواضعها مهما نأى بعضها عن بعض، ويضم متفرقاتها ويعيدها سيرتها الأولى.

### أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى...﴾ الآيات، سبب نزولها: ما أخرجه<sup>(١)</sup> الطبراني وغيره عن ابن عباس أن أريد بن قيس وعامر بن الطفيل قدما المدينة على رسول الله ﷺ، فقال عامر: يا محمد ما تجعل لي إن أسلمت؟ قال: «لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم»، قال: أتجعل لي الأمر من بعدك؟ قال: «ليس ذلك لك ولا لقومك»، فخرجا، فقال عامر لأريد: إني أشغل منك وجه محمد بالحديث، فأضربه بالسيف، فرجعا فقال عامر: يا محمد قم معي أكلمك، فقام معه ووقف يكلمه، وسل أريد السيف، فلما وضع يده على قائم سيفه - بيست، والتفت رسول الله ﷺ فرآه، فانصرف عنهما، فخرجا حتى إذا كانا بالرقم.. أرسل الله على أريد صاعقة فقتله، فأنزل الله: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾ إلى قوله: ﴿شَدِيدُ الْحَالِ﴾.

### التفسير وأوجه القراءة

﴿التر﴾ اسم للسورة خبر لمحذوف؛ أي: هذه السورة مسماة بهذا الاسم. وقيل<sup>(٢)</sup>: إن هذه الحروف في أوائل السور حروف تنبيه كـ(ألا) ونحوها، وتقرأ بأسمائها، فيقال: ألف لام ميم را، فلا محل لها من الأعراب، كما قيل: إن كل سورة بدئت بهذه الحروف فيها انتصار للقرآن وتبيان أن نزوله من عند الله حق لا شك فيه. وقال ابن عباس<sup>(٣)</sup>: معناه أنا الله أعلم وأرى ما لا يعلم الخلق وما لا

(٣) روح البيان.

(١) لباب النقول.

(٢) المراعي.



يرى من فوق العرش إلى ما تحت الثرى، فتكون الألف واللام مختصرتين من أنا الله الدالين على الذات، والميم والراء من أعلم وأرى الدالين على الصفة. وفي «التبيان» الألف: الله، واللام: جبريل، والميم: محمد، والراء: الرسل؛ أي: أنا الله الذي أرسل جبريل إلى محمد بالقرآن، وإلى الرسل بغيره من الكتب الإلهية والصحف الربانية.

﴿تِلْكَ﴾؛ أي: هذه الآيات المشتملة عليها هذه السورة ﴿ءَايَاتُ الْكِتَابِ﴾؛ أي: آيات من الكتاب العزيز والقرآن الكريم البالغ حدّ الكمال المستغني عن الوصف من بين الكتب السماوية، الجدير بأن يختص باسم الكتاب، وأشار إليها بإشارة البيعد تنزيلاً للبعد الرتبي منزلة البعد الحسي. وقوله: ﴿وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ﴾ مبتدأ خبره ﴿الْحَقُّ﴾؛ أي: وكل القرآن الذي أنزله إليك ربك حق لا شك فيه، وهذا كالإجمال بعد التفصيل لما تقدم من وصف السورة بالكمال، فكأنه سبحانه وتعالى بعد أن أثبت لهذه السورة الرفعة والكمال عمم هذا الحكم، فأثبت للقرآن جميعه، فلا تختص به سورة دون أخرى.

وهذا الأسلوب جارٍ على سنن العرب في مخاطبتهم<sup>(١)</sup>، فقد قالت فاطمة الأنمارية، وقد سئلت عن بنيتها، أي بنيك أفضل؟ ربيعة بل عمارة بل قيس بل أنس، ثكلتهم إن كنت أعلم أيهم أفضل، هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها، فبعد أن أثبتت الفضل لكل منهم على سبيل التعيين.. أجملت القول، وأثبتت لهم الفضل جميعاً.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بالقرآن، ويجحدون<sup>(٢)</sup> بحقيقته لإفراطهم في العناد، وخروجهم عن طريق السداد، وعدم تفكرهم في معانيه، وإحاطتهم بما فيه، وكفرهم به لا ينافي كونه حقاً منزلاً من عند الله تعالى، فإن الشمس شمس، وإن لم يرها الضير، والشهدُ شهدٌ وإن لم يجد طعمه المرور، والتربة إنما تفيد

(١) المراغي.

(٢) روح البيان.

المستعد والقابل دون المنكر والباطل . والمعنى<sup>(١)</sup> : ولكن أكثر الناس لا يصدقون بما أنزل عليك من ربك، ولا يقرون بهذا القرآن وما فيه من بديع الأمثال والحكم والأحكام التي تناسب مختلف العصور والأزمان، والتي لو سار الناس على سننها لسعدوا في الدنيا والآخرة، وقد سلك المسلمون سبيلها في عصورهم الأولى، فكانوا خير أمة أخرجت للناس، وامتلكوا أكثر المعمور في ذلك الحين، وثُلُّوا عروش كسرى والروم، ودانت لهم الرقاب، وساسوا الملك سياسة شهد لهم أعداؤهم بأنها كانت سياسة عدل ورفق، وأخذ على يد الظالم لإنصاف المظلوم، فلله دين رفع من قدر أهله حتى أوصلهم إلى السماكين، ولكن خلف من بعدهم خلف أضاعوا معالمه، وألقوها ورائهم ظهرياً، فحاق بهم ما كانوا يكسبون، وصاروا أذلة بعد أن كانوا أعزة، ومستعبدين بعد أن كانوا سادة، تابعين بعد أن كانوا متبوعين ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ والآية بمعنى قوله: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

ثم ذكر سبحانه وتعالى أدلة على وجوده ووحدانيته وقدرته؛ بعضها سماوي، وبعضها أرضي، وذكر من الأولى ثلاثة أمور:

الأول منها: ما ذكره بقوله: ﴿اللَّهُ﴾؛ أي: الإله الذي يستحق منكم العبادة أيها العباد هو الإله ﴿الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ﴾ السبع؛ أي: خلقها<sup>(٢)</sup> مرفوعة بينها وبين الأرض مسيرة خمس مئة عام، لا أن تكون موضوعة فرفعها؛ أي: خلقها ورفعها ﴿بِقَدْرِ عَمَدٍ﴾ ودعائم وأساطين ﴿تَرَوْنَهَا﴾؛ أي: ترون أيها العباد تلك العمد، فالضمير راجع إلى العمد، والجملة صفة لها؛ أي: خلق السموات حالة كونها خالية من عند مرئية، وانتفاء العمد المرئية يحتمل أن يكون لانتفاء العمد والرؤية جميعاً؛ أي: لا عمد لها فلا ترى، ويحتمل أن يكون لانتفاء الرؤية فقط بأن يكون لها عماد غير مرئي؛ وهو القدرة، فإنه تعالى يمسكها مرفوعة بقدرته، فكانها عماد لها، أو العدل؛ لأن بالعدل قامت السماوات والأرض؛ أي:

(١) المراغي.

(٢) روح البيان.

ويدل<sup>(١)</sup> على كون ﴿تَرَوْنَهَا﴾ صفة لـ ﴿عَمِدٍ﴾ قراءة أبي شذوذاً: ﴿ترونه﴾ فعاد الضمير مذكراً على لفظ ﴿عَمِدٍ﴾؛ إذ هو اسم جمع لعمود، وقياس جمعه عمد - بضمين - كرسول ورسول . ويجوز أن يكون ﴿تَرَوْنَهَا﴾ جملة مستأنفة، فالضمير راجع إلى ﴿السَّمَوَاتِ﴾ كأنه قيل: ما الدليل على أن السماوات مرفوعة بغير عمد؟.. فأجيب أنكم ترونها غير معمودة. والمعنى<sup>(٢)</sup>: أنه تعالى خلق السماوات مرفوعات عن الأرض بغير عمد، بل بأمره وتسخيره على أبعاد لا يدرك مداها، وأنتم ترونها كذلك بلا عمد من تحتها تسندها، ولا علاقة من فوقها تمسكها. وقرأ الجمهور<sup>(٣)</sup>: ﴿عَمِدٍ﴾ - بفتحيتين -، وقرأ أبو حيوة ويحيى بن وثاب شذوذاً ﴿عُمِدٍ﴾ بضمين كقراءة أبي .

والثاني منها: ما ذكره بقوله: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ وكلمة<sup>(٤)</sup> ﴿ثُمَّ﴾ لبيان تفاضل الخلقين وتفاوتهما، فإن العرش أفضل من السماوات، لا للتراخي في الوقت لتقدمه عليها. وفي «السمين»: ثم هنا لمجرد العطف لا للترتيب؛ لأن الاستواء على العرش غير مرتب على رفع السماوات اه؛ أي: ثم<sup>(٥)</sup> استوى على عرشه الذي جعله مركز هذا التدبير العظيم استواء يليق بعظمته وجلاله، يدبر أمر ملكه بما اقتضاه علمه من النظام، وإرادته وحكمته من إحكام وإتقان، والاستواء على العرش صفة ثابتة لله تعالى بلا كيف نعتقدها ولا نعطلها، لا نكيفها ولا نمثلها كما هو مقرر في موضعه من علم الكلام، وقد تقدم الكلام على هذا مستوفى .

والثالث منها: ما ذكره بقوله: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾؛ أي: ذللها لما يراد منهما من منافع الخلق ومصالح العباد. وقال في «بحر العلوم» معنى

(٤) روح البيان .

(٥) المراغي .

(١) البحر المحيط .

(٢) المراغي .

(٣) البحر المحيط .

تسخيرهما: كونهما نافعتين للناس حيث يعلمون عدد السنين والحساب بمسير الشمس والقمر، وينوران لهم في الليل والنهار، ويدرآن الظلمات، ويصلحان الأرض والأبدان والأشجار والنباتات. ﴿كُلٌّ﴾ منهما ﴿يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾؛ أي: يسير إلى وقت معلوم، فاللام بمعنى إلى؛ وهو فناء الدنيا وقيام الساعة التي تكور عندها الشمس ويخسف القمر وتنكدر النجوم وتنتشر. وقيل: المراد بالأجل المسمى: درجاتهما ومنازلهما التي ينتهيان إليها لا يجاوزانها؛ وهي سنة للشمس وشهر للقمر، فللشمس والقمر منازل كل منهما يغرب في كل ليلة في منزل، ويطلع في منزل آخر حتى ينتهي إلى أقصى المنازل.

والمعنى: أي وذلل الشمس والقمر، وجعلهما طائعين لما يراد منهما لمنافع خلقه، فكل منهما يسير في منزله إلى وقت معين، فالشمس تقطع فلکها في سنة، والقمر في شهر لا يختلف جري كل منهما عن النظام الذي قدر له، وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ وبقوله: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْتَهُ مَنَازِلَ﴾ كما سبق إيضاح هذا في سورتي «يونس» و«هود». قال بعضهم: وهذا المعنى هو الحق في تفسير الآية كما فسرها به ابن عباس رضي الله عنه.

وبعد أن ذكر هذه الدلائل قال: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾؛ أي: أمر العالم وحده؛ أي: يقضي سبحانه وتعالى، ويدبر أمر ملكوته من الإعطاء والمنع، والإحياء والإماتة، ومغفرة الذنوب وتفريج الكرب، ورفع قوم ووضع آخرين، وغير ذلك؛ أي: إنه تعالى يتصرف في ملكه على أتم الحالات وأكمل الوجوه، فهو يحيي ويميت، ويوجد ويعدم، ويغني ويفقر، وينزل الوحي على من يشاء من عباده، وفي ذلك برهان ساطع على القدرة والرحمة، فإن اختصاص كل شيء بوضع خاص وصفة معينة لا يكون إلا من مدبر اقتضت حكمته أن يكون كذلك، فتدبيره لعالم الأجسام كتدبيره لعالم الأرواح، وتدبيره للكبير كتدبيره للصغير، لا يشغله شأن عن شأن، ولا يمنعه تدبير شيء عن تدبير آخر، كما هو شأن المخلوقات في هذه الدنيا، وكذلك هو دليل أيضاً على أنه تعالى متعال في ذاته وصفاته وعلمه وقدرته، لا يشبه شيئاً من مخلوقاته.

﴿فُفَصِّلُ﴾؛ أي: يبين سبحانه وتعالى ﴿الْآيَاتِ﴾؛ أي: البراهين الدالة على وحدته في ألوهيته وربوبيته، وكمال قدرته، وعجيب حكمته التي منها ما تقدم من رفع السماء بغير عمد، وتسخير الشمس والقمر وجريهما إلى أجل مسمى. وقرأ النخعي وأبو رزين وأبان بن تغلب عن قتادة شذوذاً: ﴿ندبر الأمر بفصل﴾ بالنون فيهما.

وكذا قال أبو عمرو الداني عن الحسن فيهما، ووافق في ﴿فُفَصِّلُ﴾ بالنون الخفاف وعبد الواحد عن أبي عمرو وهبيرة عن حفص شذوذاً. وقال صاحب «اللوامح»: جاء عن الحسن والأعمش شذوذاً: ﴿فُفَصِّلُ﴾ بالنون فقط ذكره في «البحر» أبو حيان. والمعنى<sup>(١)</sup>: أي: يلبس الموجودات ثوب الوجود بنظام محكم دقيق، ويوجد بينها ارتباطات تجعلها كأنها سلسلة متصلة الحلقات لا انفصام لبعضها عن بعض، فالمجموعة الشمسية من الشمس والقمر والكواكب مرتبطة في حركاتها بنظام خاص بوساطة الجاذبية لا تحيد عن سننه، ولا تجد معدلاً عن السير فيه بحسب النهج الذي قدر لها، ولا تزال كذلك حتى ينتهي العالم، فيحدث حينئذ تغيير لأوضاعها واختلال لحركاتها ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ۝ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ ۝﴾.

وهكذا الموجودات الأرضية لها أسباب تعقبها مسببات بإذن الواحد الأحد، فالزراع يحرق أرضه ويلقي فيها الحب، ثم يسقيها ويضع فيها السماد، ويوالي سقيها حتى تؤتي أكلها، فإذا فقدت حلقة من تلك السلسلة. . . بآء صاحب الزرع بالخسران، فلم يحصل على شيء، أو حصل على القليل التافه الذي لا يعدل التعب والنصب الذي فعله. وقيل<sup>(٢)</sup>: إن الدلائل الدالة على وجود الصانع قسمان:

الأول: الموجودات المشاهدة، وهي خلق السماوات والأرض وما فيهما

(١) المراغي.

(٢) الخازن.

من العجائب، وأحوال الشمس والقمر وسائر النجوم، وهذا قد تقدم ذكره.

والقسم الثاني: الموجودات الحادثة في العالم، وهي الموت بعد الحياة، والفقر بعد الغنى، والضعف بعد القوة إلى غير ذلك من أحوال هذا العالم، وكل ذلك مما يدل على وجود الصانع وكمال قدرته.

ثم أبان سبحانه وتعالى أن هذا التدبير للأمر والتفصيل للآيات الدالين على القدرة الكاملة، والحكمة الشاملة جاء لحكمة اقتضتهما: وهي الإيقان بالبعث لفصل القضاء، ومجازاة كل عامل بما عمل ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ فإما نعيم مقيم، وإما عذاب أليم، وإلى ذلك أشار بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ يَلْقَاءَ رَبِّكُمْ تَوْقِنُونَ﴾؛ أي: يبين<sup>(١)</sup> الله سبحانه وتعالى الآيات الدالة على وحدانيته وكمال قدرته؛ لكي توفقوا وتصدقوا بلقائه والمصير إليه بعد الموت؛ لأن من قدر على إيجاد الإنسان من العدم قادر على إيجاده وإحيائه بعد موته، واليقين صفة من صفات العلم، وهو فوق المعرفة والدراية، وهو سكون الفهم مع ثبات الحكم وزوال الشك، يقال منه: استيقن وأيقن بمعنى: علم؛ أي<sup>(٢)</sup>: لعلكم عند مشاهدة هذه الآيات توفقون بذلك لا تشكون فيه ولا تمترون في صدقه. قال في «بحر العلوم»: ﴿لعل<sup>(٣)</sup>﴾ مستعار لمعنى الإرادة لتلاحظ معناها ومعنى الترجي، والمعنى عليه؛ أي: يفصل الآيات إرادة أن تتأملوا وتنظروا فيها، فتستدلوا بها عليه وعلى وحدته وقدرته وحكمته، وتيقنوا أن من قدر على خلق السموات والأرض والعرش، وتسخير الشمس والقمر مع عظمها، وتدبير الأمور كلها.. كان على خلق الإنسان مع مهنته، وعلى إعادته وجزائه أقدر.

وخلاصة هذه العبرة<sup>(٤)</sup>: أنه تعالى كما قدر على إبقاء الأجرام الفلكية العظيمة من الشمس والقمر وسائر الكواكب في الجوّ بلا عمد، ودبر الأمور بغاية الإحكام والدقة، ولم يشغله شأن عن شأن.. ليس بالبعيد عليه أن يرد الأرواح

(٣) روح البيان.

(١) الخازن.

(٤) المراغي.

(٢) الشوكاني.

إلى الأجساد، ويعيد العالم إلى حياة أخرى حياة استقرار وبقاء لا فناء بعدها، وإذا أيقنتم بذلك.. وليتم معرضين عن عبادة الأصنام والأوثان، وأخلصتم العبادة للواحد الديان، واثمتم بوعده ووعيده، وصدقتم برسله، وبادرتم إلى اتباع أوامره، وتركتم ما نهى عنه، ففرتم بسعادة الدارين.

فائدة: قال بعضهم<sup>(١)</sup>: لا غنية للمؤمن عن ست خصال:

أولها: علم يدلّه على الآخرة.

والثانية: رفيق يعينه على طاعة الله تعالى، ويمنعه عن معصيته.

والثالثة: معرفة عدوه والحذر منه.

والرابعة: عبرة يعتبر بها في آيات الله، وفي اختلاف الليل والنهار.

والخامسة: إنصاف الخلق؛ لئلا يكونوا له يوم القيامة خصماء.

والسادسة: الاستعداد للموت ولقاء الرب قبل نزوله كيلا يكون مفتضحاً يوم القيامة.

وبعد أن ذكر سبحانه وتعالى الدلائل السماوية على وحدانيته تعالى وكمال قدرته.. أردفها بالأدلة الأرضية، وذكر منها عدة أمور:

الأول منها: ما ذكره بقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ﴾؛ أي: بسطها طولاً وعرضاً، ووسعها؛ أي: جعلها متسعة ممتدة في الطول والعرض؛ لتثبت عليها الأقدام، ويتقلب عليها الحيوان، ويتنفع الناس بخيراتها زرعها وضرعها، وبما في باطنها من معادن جامدة وسائل، ويسيرونها في أكفافها يبتغون رزق ربهم منها.

والمعنى: أنشأها ممدودة بسيطة، لا أنها كانت مجموعة في مكان فبسطها، وهذا يدل على كونها مسطحة كالأكف، وعند أصحاب الهيئة أن الأرض كرة لا شك في كرويتها عندهم لما عندهم من الأدلة على ذلك، ويجمع بينها بأن يقال:

(١) روح البيان.

إن كونها بسيطة لا ينافي كرويتها؛ لأن جميع الأرض جسم عظيم، والكرة إذا كانت في غاية الكبر كان كل قطعة منها يشاهد كالسطح، ومع ذلك فالله تعالى قد أخبر أنه مد الأرض، وأنه دحاها وبسطها، وكل ذلك يدل على التسطیح، والله تعالى أصدق قیلاً وأبین دليلاً من أصحاب الهيئة.

**والثاني منها:** ما ذكره بقوله: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾؛ أي: في الأرض ﴿رُؤْسًا﴾؛ أي: جبلاً ثابتة، يقال: رسا الشيء يرسو إذا ثبت، وأرساه غيره أثبته، جمع راسية، والتاء فيه للمبالغة كما في علامة؛ إذ لا يقال: جبال راسية والمعنى<sup>(١)</sup>: وجعل فيها جبلاً ثابتةً أوتاداً للأرض؛ لثلاثاً تضطرب فتستقر ويستقر عليها، وكان اضطرابها من عظمة الله تعالى. قال ابن عباس - رضي الله عنه - كان أبو قبيس أول جبل وضع على الأرض. وقال في «القاموس»: أبو قبيس جبل بمكة سمي برجل حداد من مذبح كمجلس؛ لأنه أول من بنى فيه، وكان يسمى الأمين؛ لأن الركن كان مستودعاً فيه. اهـ. قال في «إنسان العيون»: وكان أول جبل وضع عليها أبو قبيس، وحينئذ كان ينبغي أن يسمى أبا الجبال، وأن يكون أفضلها، مع أن أفضلها كما قال السيوطي: أحد؛ لقوله عليه السلام: «أُحِدْ يَحْبِنَا وَنَحْبُهُ» وهو بضمين جبل بالمدينة.

**والثالث منها:** ما ذكره بقوله: ﴿وَأَنْهَرْنَا﴾؛ أي: وجعل فيها أنهاراً ومياهاً جاريةً لمنافع الإنسان والحيوان، فيسقي الإنسان ما جعل الله فيها من الثمرات المختلفة الألوان والأشكال، ويجعلها لنفسه طعاماً وفاكهةً، ويكون منها مادة حياته في طعامه وشرابه وغذائه. وإنما ضمها<sup>(٢)</sup> إلى الجبال، وعلق بها فعلاً واحداً من حيث إن الجبال أسباب لتولدها، وذلك أن الحجر جسم صلب، فإذا تصاعدت الأبخرة من قعر الأرض ووصلت إلى الجبل.. احتبست هناك، فلا تزال تتزاحم وتتضاعف حتى تحصل بسبب الجبل مياه عظيمة، ثم إنها لكثرتها وقوتها تنقب الجبل، وتخرج وتسيل على وجه الأرض. ومن الأنهار العظيمة

(١) روح البيان.

(٢) روح البيان.



الفرات؛ وهو نهر الكوفة، ودجلة؛ وهو نهر بغداد، وسيحان - بفتح السين المهملة -؛ وهو نهر المصيصة، وسيحون؛ وهو نهر بالهند، وجيحان - بفتح الجيم -؛ وهو نهر أذنة في بلاد الأرمن، وجيحون؛ وهو نهر بلخ، والنيل؛ وهو نهر مصر.

والرابع منها: ما ذكره بقوله: ﴿وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ متعلق بقوله: ﴿جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ اثنین تأكيداً للزوجين، كما هو دأب العرب في كلامهم؛ أي: وجعل سبحانه وتعالى في الأرض من كل أنواع الثمرات زوجين زوجين؛ أي: صنفين صنفين كالحلو والحامض، والأسود والأبيض، والأصفر والأحمر، والصغير والكبير. أو المعنى<sup>(١)</sup>: جعل من كل أصناف الثمرات زوجين اثنین، ذكراً وأنثى حين تكونها، فقد أثبت العلم حديثاً أن الشجر والزرع لا يولدان الثمر والحب إلا من اثنین: ذكر وأنثى، وعضو التذكير قد يكون مع عضو التأنيث في شجرة واحدة، كأغلب الأشجار، وقد يكون عضو التذكير في شجرة، وعضو التأنيث في شجرة أخرى، كالنخل، وما كان العضوان فيه في شجرة واحدة؛ إما أن يكونا معاً في زهرة واحدة كالقطن، وإما أن يكون كل منهما في زهرة منفردة كالقرع مثلاً. وعبارة «الشوكاني» هنا: أي: جعل كل نوع من أنواع ثمرات الدنيا صنفين؛ إما في اللونية كالبياض والسواد ونحوهما، أو في الطعمية كالحلو والحامض ونحوهما، أو في القدر كالصغر والكبر، أو في الكيفية كالحر والبرد. قال الفراء: يعني بالزوجين: الذكر والأنثى، والأول أولى. اهـ.

والخامس منها: ما ذكره بقوله: ﴿يُقَشِّي أَيْلَ النَّهَارِ﴾ قرأ الجمهور: ﴿يُقَشِّي﴾ من أغشى الرباعي. وقرأ حمزة<sup>(٢)</sup> والكسائي وأبو بكر: ﴿يغشِّي﴾ - بالتشديد - من غشى المضعف؛ أي: يجعل سبحانه وتعالى الليل غاشياً وساتراً يغشى ويستتر بظلمته ضوء النهار، فيذهب بظلمته ضوء النهار؛ أي: يجعل النهار مستوراً بالليل ويغطيه بظلمته، ولم يذكر العكس اكتفاء بأحد الضدين.

(١) المراغي.

(٢) الفيضوي.

والمعنى: أي يلبس<sup>(١)</sup> النهار ظلمة الليل، فيصير الجو مظلماً بعد أن كان مضيئاً، فكأنه وضع عليه لباساً من الظلمة، وكذلك يلبس الليل ضياء النهار، فيصير الجو مضيئاً بعد أن كان مظلماً، وكل هذا لتتم المنافع للناس بالسكون والاستقرار، أو بالبحث على المعاش والأرزاق كما قال سبحانه: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آيَاتٍ لِّيَسْكُنُوا فِيهَا وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ وقال أيضاً: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَآبَاقُكُمْ مِنْ قَبْلِهِ﴾.

قال البيضاوي: يلبسه مكانه، فيصير الجو مظلماً بعدما كان مضيئاً يعني: أن الإغشاء: إلباس الشيء الشيء، ولما كان إلباس الليل النهار وتغطية النهار به غير معقول؛ لأنهما متضادان لا يجتمعان، واللباس لا بد أن يجتمع مع اللابس.. قدر المضاف وهو مكانه، ومكان النهار هو الجو، وهو يلبس ظلمة الليل، ففيه استعارة تبعية كما سيأتي في مبحث البلاغة.

وبعد أن ذكر هذه الأدلة التي تشاهد في رأي العين في كل صباح ومساء، وفي كل حين ووقت.. ذكر أن هذه الأدلة لا يلتفت إليها ولا يعتبر بها إلا من له فكر يتدبر به، وعقل يهتدي به إلى وجه الصواب، وينتقل من النظر في الأسباب إلى مسبباتها، فقال: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾؛ أي: إن فيما ذكر من عجائب خلق الله تعالى، وعظيم قدرته التي خلق بها هذه الأشياء العظيمة ﴿لآيَاتٍ﴾؛ أي: لدلائل وحججاً ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾؛ أي: لقوم يفكرون فيها ويتأملون، ويعتبرون بها، فيعلموا أن الخالق لذلك هو القاهر فوق العباد، وهو ذو الإرادة المطلقة والقدرة الشاملة، فلا يعجزه إحياء من هلك من خلقه، ولا إعادة من فني منهم، ولا ابتداء ما شاء ابتداعه، ومن ثم لا تجوز العبادة إلا له تعالى، ولا التذلل والخضوع إلا لسلطانه، ولا ينبغي أن تكون لصنم أو وثن أو حجر أو شجر أو ملك أو نبي أو غير أولئك ممن سلب النفع والضرر، بل لا يستطيع صرف الأذى عن نفسه ﴿إِنَّكَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُمْ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ

(١) المراغي.

شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ»، وقد روي: تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في الله.

ومعنى ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾؛ أي: إن<sup>(١)</sup> في كل من الأرض والجبال والأنهار والثمار والملوین<sup>(٢)</sup> ﴿لَآيَاتٍ﴾ تدل على الصانع وقدرته وحكمته وتدبيره. أما في الأرض فمن حيث هي ممدودة مدحوة كالبساط لما فوقها، وفيها المسالك والفجاج للمشاة في مناكبها، وغير ذلك مما فيها من العيون والمعادن والدواب مثلاً. وأما الجبال فمن جهة رسوها وعلوها، وصلابتها وثقلها، وقد أرسيت الأرض بها كما يرسى البيت بالأوتاد. وأما الأنهار فحصولها في بعض جوانب الجبال دون بعض لا بد أن يستند إلى الفاعل المختار الحكيم. وأما الثمار فالحبة إذا وقعت في الأرض وأثرت فيها نداوة الأرض. . ربت وكبرت، وبسبب ذلك ينشق أعلاها وأسفلها، فتخرج من الشق الأعلى الشجرة الصاعدة، وتخرج من الشق الأسفل العروق الغائصة في أسفل الأرض. وهذا من العجائب؛ لأن طبيعة تلك الحبة واحدة، وتأثير الطبائع والأفلاك والكواكب فيها واحد، ثم إنه خرج من أحد جانبي تلك الحبة جرمٌ صاعد إلى الهواء ومن الجانب الآخر منها جرم غائص في الأرض، ومن المحال أن يتولد من طبيعة واحدة طبيعتان متضادتان، فعلمنا أن ذلك إنما كان بسبب تدبير المدبر الحكيم، ثم إن الشجرة النابتة من تلك الحبة بعضها يكون خشباً، وبعضها يكون نورة، وبعضها يكون ثمرة، ثم إن تلك الثمرة أيضاً يحصل فيها أجسام مختلفة الطبائع. فالجوز له أربعة أنواع من القشور: قشرة الأعلى، وتحت القشرة الخشبية، وتحت القشرة المحيطة باللب، وتحت تلك القشرة قشرة أخرى في غاية الرقة تمتاز عما فوقها حال كون الجوز واللوز رطباً، وأيضاً قد يحصل في الثمرة الواحدة الطبائع المختلفة من الحبة الواحدة مع تساوي تأثيرات الطبائع، وتأثيرات الأنجم والأفلاك لا بد وأن يكون لأجل تدبير الحكيم القدير. وأما الملوان فلا يخفى ما في اختلافهما ووجودهما من الآية؛ أي: الدلالة الواضحة ﴿لَقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيستدلون، والتفكر: تصرف القلب في طلب معاني الأشياء، وكما أن في العالم الكبير أرضاً وجبالاً ومعادن

(٢) الملوان: الليل والنهار.

(١) روح البيان.

وبحاراً وأنهاراً، وجداول وسواقي، فكذلك في الإنسان الذي هو العالم الصغير مثله، فجسده كالأرض، وعظامه كالجبال، ومخه كالمعادن، وجوفه كالبحر، وأمعاؤه كالأنهار، وعروقه كالجداول، وشحمه كالطين، وشعره كالنبات، ومنبت الشعر كالتربة الطيبة، ورأسه كالعمران، وظهره كالمفاوز، ووحشته كالخراب، وتنفسه كالرياح، وكلامه كالرعد، وأصواته كالصواعق، وبكاؤه كالمطر، وسروره كضوء النهار، وحزنه كظلمة الليل، ونومه كالموت، ويقظته كالحياء، وولادته كبدء سفره، وأيام صباه كالربيع، وشبابه كالصيف، وكهولته كالخريف، وشيخوخته كالشتاء، وموته كإنقضاء مدة سفره، والسنون من عمره كالبلدان، والشهور كالمنازل، والأسابيع كالفراسخ، وأيامه كالأميال، وأنفاسه كالخطى، فكلما تنفس نفساً كان يخطو خطوةً إلى أجله، فلا بد من التفكير في هذه الأمور.

والسادس منها: ما ذكره بقوله: ﴿وَفِي الْأَرْضِ﴾ خبر مقدم لقوله: ﴿قَطْعٌ﴾ جمع قطعة، وهي الجزء؛ أي: بقاع مختلفة في الأوصاف ﴿مُتَجَوِّرَاتٌ﴾؛ أي<sup>(١)</sup>: مقاربات متلاصقات بعضها طيبة تنبت شيئاً، وبعضها سبخة لا تنبت، وبعضها قليلة الريع، وبعضها صلبة، وبعضها كثيرة الريع، وبعضها رخوة، وبعضها يصلح للزرع دون الشجر، وبعضها بالعكس، ولولا تخصيص قادرٍ حكيمٍ موقعٍ لأفعاله على وجهٍ دون وجهٍ.. لم يكن كذلك لاشارك تلك القطع وانتظامها في جنس الأرضية. والمعنى؛ أي<sup>(٢)</sup>: وفي الأرض بقاع متجاورات متدانيات يقرب بعضها من بعض وتختلف بالتفاضل مع من تجاورها، فمن سبخة لا تنبت شيئاً إلى أرض جيدة التربة تجاورها وتنبت أفضل الثمرات ومختلف النبات، ومن صالحه للزرع دون الشجر إلى أخرى مجاورة لها تصلح للشجر دون الزرع إلى متدانية لهما تصلح لجميع ذلك. ومنها الرخوة التي لا تكاد تتماسك، وهي تجاور الصلبة التي لا تفتتها المعاول وأدوات التدمير، وكلها من صنع الله وعظيم تدبيره في خلقه.

قيل: وفي الكلام حذف<sup>(٣)</sup>؛ أي: قطع متجاورات وغير متجاورات كما في

(٣) الشوكاني.

(١) روح المعاني.

(٢) المراغي.

قوله: ﴿سَرِيلَ قَفِيكُمْ الْحَرَ﴾؛ أي: وتعيكم البرد قيل: والمتجاورات المدن وما كان عامراً، وغير المتجاورات الصحارى وما كان غير عامر. ﴿وَجَنَّتْ﴾. قرأ الجمهور بالرفع عطفاً على ﴿قَطَعٌ﴾. وقرأ الحسن شذوذاً بالنصب على إضمار فعل؛ أي: وجعل فيها جنات. وقيل: عطفاً على ﴿رَوْسَى﴾؛ أي: وفي الأرض بساتين ﴿مِنَ أَعْنَبٍ﴾؛ أي: من أشجار الكرم جمع عنب. وسمت<sup>(١)</sup> العرب العنب الكرم؛ لكرم ثمرته وجودتها وكثرة حملة وتذله للقطف ليس بذي شوك ولا يشاق المصعد، ويؤكل غضاً ويابساً. وأصل الكرم: الكثرة، والجمع للخير، وبه سمي الرجل كرمًا لكثرة خصال الخير فيه.

واعلم: أن<sup>(٢)</sup> قلب المؤمن لما فيه من نور الإيمان أولى بهذا الاسم، ولذا قال عليه السلام: «لا يقولن أحدكم الكرم، فإن الكرم قلب المؤمن». قال ابن الملك: سبب النهي: أن العرب كانوا يسمون العنب وشجرته كرمًا؛ لأن الخمر المتخذة منه تحمل شاربها على الكرم، فكره النبي ﷺ هذه التسمية؛ لئلا يتذكروا به الخمر، ويدعوهم حسن الاسم إلى شربها، وجعل المؤمن وقلبه أحق أن يتصف به لطيبه وذكائه، والغرض منه تحريض المؤمن على التقوى، وكونه أهلاً لهذه التسمية. ﴿وَزَّرَعٌ﴾ بالرفع عطف على ﴿جنات﴾ وتوحيده؛ لأنه مصدر في أصله. وذكر سبحانه<sup>(٣)</sup> الزرع بين الأعناب والنخيل؛ لأنه في الخارج يكون كذلك كثيراً، ومثله في قوله سبحانه: ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْتُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرَاعًا﴾؛ أي: وفي الأرض زرع من كل نوع وصنف من الحبوب المختلفة التي تكون غذاء للإنسان والحيوان. ﴿و﴾ فيها ﴿نخيل صنوان﴾ جمع صنو؛ أي: نخيل مجتمعات يجمعها أصل واحد، وتتشعب فروعها منه؛ أي: تنبت من أصل واحد ثلاث نخلات فأكثر؛ أي: مجتمع أصول الأربعة في أصل واحد. قال أبو عبيدة: صنوان جمع صنو، وهو أن يكون الأصل واحداً، ثم يتفرع فيصير نخيلاً، ثم يحمل عليه، وهذا قول جميع أهل اللغة والتفسير. ﴿و﴾

(٣) الشوكاني.

(١) روح البيان.

(٢) روح البيان.

نخيل ﴿غير صنوان﴾؛ أي: غير مجتمعات في أصل واحد؛ أي: متفرقات مختلفة الأصول. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص<sup>(١)</sup>: ﴿وَزَّرَعُ وَيَخِيلُ صِنَوَانٌ وَعَيْزُ صِنَوَانٍ﴾ برفع هذه الأربعة عطفاً على ﴿جنات﴾. وقرأ الباقون بالجر عطفاً على ﴿أَعْتَبِ﴾. وقرأ الجمهور: ﴿صِنَوَانٌ﴾ - بكسر الصاد فيهما - وقرأ مجاهد والسلمي وزيد بن علي شذوذاً بضمها.

وقرأ الحسن وقتادة وهو شاذ أيضاً بفتحها، وبالفتح هو اسم للجمع كالسعدان، ولا فرق في تثنيته وجمعه إلا بكسر النون في المثني وبما يقتضيه الإعراب في الجمع. ﴿يُسْقَى﴾ كل واحد مما ذكر من القطع والجنات والزرع والنخيل ﴿بِمَاءٍ وَحِدٍ﴾ في الطبع، لا اختلاف في طبعه سواء كان السقي بماء الأمطار أو بماء الأنهار. والماء<sup>(٢)</sup> ضابطه: هو جسم رقيق مائع به حياة كل نام. وقيل في حده: هو جوهر سيال به قوام الأرواح، ومعنى ﴿بِمَاءٍ وَحِدٍ﴾: ماء مطر، أو ماء بحر، أو ماء نهر، أو ماء عين، أو ماء نبع لا يسيل على وجه الأرض. ﴿و﴾ مع وجود أسباب التشابه ﴿نفضل﴾ بمحض قدرتنا ﴿بَعْضَهَا﴾؛ أي: بعضاً منها ﴿عَلَى بَعْضٍ﴾ آخر ﴿فِي الْأَكْلِ﴾؛ أي: في الثمر المأكول منها، فيكون<sup>(٣)</sup> طعم بعضها حلواً، والآخر حامضاً، وهذا في غاية الجودة، وهذا ليس بجيد، وهذا فائق في حسنه، وهذا غير فائق، مما يقطع من تفكر واعتبر ونظر ونظر العقل أن السبب المقتضي لاختلافها ليس إلا قدرة الصانع الحكيم جلّ سلطانه وتعالى شأنه؛ لأن تأثير الاختلاف فيما يخرج منها ويحصل من ثمراتها لا يكون في نظر العقلاء إلا لسببين؛ إما اختلاف المكان الذي هو المنبت، أو اختلاف الماء الذي تُسقى به، فإذا كان المكان متجاوراً وقطع الأرض متلاصقة، والماء الذي تسقى به واحداً. لم يبق سبب للاختلاف في نظر العقل إلا تلك القدرة الباهرة والصنع العجيب، ولذلك قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكََ الْمَفْضَلِ مِنْ أَحْوَالِ الْقَطْعِ وَالْجَنَاتِ ﴿لَا يَنْبَغُ﴾؛ أي: لدلالات كثيرة ظاهرة ﴿لِقَوْمٍ

(٣) الشوكاني.

(١) البحر المحيط.

(٢) الخازن.

يَعْقُلُونَ»؛ أي: يستعملون عقولهم في التدبر، وخص التفضيل في الأكل، وإن كانت متفاضلة في غيره؛ لأنه غالب وجوه الانتفاع من الثمرات، ألا ترى إلى تقاربها في الأشكال والألوان والروائح والمنافع، وما يجري مجرى ذلك؛ أي: إن<sup>(١)</sup> فيما فضل من الأحوال السالفة لآيات باهرة لقوم يعملون على قضية العقل، فمن ير خروج الثمار المختلفة الأشكال والألوان والطعوم والروائح في تلك البقاع المتلاصقة مع أنها تسقى بماء واحد، وتتشابه وسائل نموها. . . يجزم حتماً بأن لذلك صانعاً حكيماً قادراً مدبراً لا يعجزه شيء، وكذلك يعتقد بأن من قدر على إنشاء ذلك؛ فهو قادر على إعادة ما بدأه أول مرة، بل هو أهون منه لدى النظر والاعتبار.

وقرأ عاصم وابن عامر وزيد بن علي ويعقوب<sup>(٢)</sup>: ﴿يُسْقَى﴾ - بالياء -؛ أي: يسقى ما ذكر، وباقي العشرة بالتاء، وهي قراءة الحسن وأبي جعفر وأهل مكة، أنشوا لعود الضمير على لفظ ما تقدم، ولقوله: ﴿وَنُفِضَ﴾ بالنون. وحمزة والكسائي بالياء وابن محيصن بالياء في ﴿يُسْقَى﴾ وفي ﴿نُفِضَ﴾. وقرأ يحيى بن يعمر وأبو حيوة والحلي عن عبد الوارث شذوذاً: ﴿ويُفِضُ﴾ - بالياء وفتح الصاد - ﴿بعضها﴾ - بالرفع - . قال أبو حاتم: وجدته كذلك في مصحف يحيى بن يعمر، وهو أول من نقط المصاحف، وتقدم في البقرة خلاف القراءة في ضم الكاف من الأكل وسكونها، و﴿الْأَكْلُ﴾ - بضم الهمزة - المأكول، كالنقض بمعنى المنقوض، ويفتحها المصدر.

﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ﴾ بتحقيق الباء وإدغامها في الفاء قراءتان سبعيتان كما في «الخطيب». والعجب: تغير النفس برؤية المستبعد في العادة. وقال القرطبي: العجب: تغير النفس بما تخفي أسبابه، وذلك في حق الله تعالى محال، وإنما ذكر ذلك ليتعجب منه نبيه والمؤمنون. اهـ. «كرخي»؛ أي: وإن تعجب يا محمد من تكذيبهم لك بعدما كنت عندهم الصادق الأمين ﴿فَعَجَّبَ قَوْلَهُمْ﴾؛ أي: فأعجب منه تكذيبهم بالبعث وقولهم: ﴿أَوَءَا كُنَّا تَرْبَا﴾؛ أي: أنبعث إذا كنا تراباً؟ ﴿أَوَءَا

(١) المراغي.

(٢) البحر المحيط.

لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ<sup>(١)</sup>؛ أي: أنعاد خلقاً جديداً بعد الموت كما كنا قبله؟ والاستفهام في الموضوعين للإنكار.

وقيل المعنى<sup>(١)</sup>: أي إن عجبت يا محمد إنكارهم الإعادة مع إقرارهم بأني خالق السموات والأرض والثمار المختلفة من الأرض الواحدة، فقولهم: ﴿أَدَا كُنَّا تَرَابًا أُنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ عجب؛ أي: عجب يعجب منه الخلق؛ لأن الإعادة في معنى الابتداء.

وقيل المعنى<sup>(٢)</sup>: أي وإن تعجب يا محمد من عبادتهم ما لا يضر ولا ينفع من الأصنام والأوثان بعد أن قامت الأدلة على التوحيد، فعجب قولهم؛ أي: فأعجب منه تكذيبهم بالبعث واستبعادهم إياه بقولهم: ﴿أَدَا كُنَّا تَرَابًا أُنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾؛ أي: أنذا فنينا وبلينا نعاد بعد العدم، مع أنهم لا ينكرون قدرته تعالى على إيجادهم بدأة ذي بدء، وتصويرهم في الأرحام، وتدبير شؤونهم حالاً بعد حال. وقد تكرر هذا الاستفهام الإنكاري في أحد عشر موضعاً في تسع سور من القرآن، في الرعد والإسراء في موضعين، والمؤمنون والنحل والعنكبوت والسجدة والصفات والواقعة والنازعات، وكلها تتضمن كمال الإنكار وعظيم الاستبعاد.

وفي «الفتوحات»: يجوز<sup>(٣)</sup> في هذه الجملة الاستفهامية وجهان:

أحدهما: وهو الظاهر: أنها منصوبة المحل لحكايتها بالقول.

والثاني: أنها في محل رفع بدلاً من قولهم، وبه بدأ الزمخشري، وعلى هذا فقولهم بمعنى مقولهم، ويكون بدل كل من كل؛ لأن هذا هو نفس قولهم: و﴿إِذَا هُنَا ظَرْفٌ مَحْضٌ، وليس فيها معنى الشرط، والعامل فيها مقدر يفسره: ﴿لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ تقديره: أنذا كنا تراباً نبعث أو نحشر، ولا يعمل فيها ﴿خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾؛ لأن ما بعد ﴿إِنْ﴾ وكذا ما بعد أداة الاستفهام لا يعمل فيما قبلها، ولا يعمل فيها أيضاً ﴿كُنَّا﴾؛ لإضافتها إليها، والتقدير: أنبعث في خلق جديد وقت كوننا تراباً.

(٣) الفتوحات.

(١) القرطبي.

(٢) المراغي.



واختلف القراء في هذا الاستفهام المكرر اختلافاً منتشرأ. فقرأ<sup>(١)</sup> ابن كثير وأبو عمرو: ﴿أَيْذَا كْنَا تَرَاباً آيْنَا﴾ جميعاً بالاستفهام، غير أن أبا عمرو يمد الهمزة ثم يأتي بالياء ساكنة وابن كثير يأتي بياء ساكنة بعد الهمزة من غير مد. وقرأ نافع: ﴿آيذَا﴾ مثل أبي عمرو واختلف عنه في المد، وقرأ: ﴿إِنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ مكسورة على الخبر، وقرأ عاصم وحمزة: ﴿أَيْذَا كْنَا﴾ ﴿إِنَا﴾ - بهمزتين فيهما -، وقرأ ابن عامر: ﴿إِذَا كْنَا تَرَاباً﴾ مكسورة الألف من غير استفهام ﴿إِنَا﴾ يهمز ثم يمد ثم يهمز على وزن عاعنا. وروي عن ابن عامر شاذاً أيضاً: ﴿أَيْذَا﴾ بهمزتين لا ألف بينهما. ثم الوجه<sup>(٢)</sup> في قراءة من استفهم في الأول والثاني قصد المبالغة في الإنكار، فأتى به في الجملة الأولى، وأعاده في الثانية تأكيداً له، والوجه في قراءة من أتى به مرة واحدة حصول المقصود به؛ لأن كل جملة مرتبطة بالأخرى، فإذا أنكر في إحداها حصل الإنكار في الأخرى. اهـ.

«سمين».

ثم وصف أولئك المنكرين للبعث بأوصاف ثلاثة، فقال: ﴿أُولَئِكَ﴾ المنكرون لقدرة تعالى على البعث بعدما عاينوا الآيات الباهرة وكذبوا رسوله هم ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾؛ أي: تمادوا على عنادهم وكفرهم بربهم، فإن إنكار قدرته تعالى إنكار له؛ لأن الإله لا يكون عاجزاً؛ أي: هم المتمادون في الكفر الكاملون فيه ﴿وَأُولَئِكَ﴾ الكفار ﴿الْأَغْلَالُ﴾ كائنة ﴿فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ يوم القيامة عند العرض للحساب، توضع الأغلال في أعناقهم كما يقاد الأسير الذليل بالغل، ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ (٧٦) في الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٧﴾. والأغلال: جمع غل؛ وهو طوق تشد به اليد إلى العنق يغلون بها يوم القيامة. وقيل: الأغلال أعمالهم السيئة التي هي لازمة لهم لزوم الأطواق للأعناق، والمعنى عليه: وأولئك مقيدون بسلاسل وأغلال من الضلال تصدهم عن النظر في الحق، واتباع طريق الهدى، والبعد عن الهوى كما قال:

(٢) الفتوحات.

(١) زاد المسير.

كَيْفَ الرَّشَادُ وَقَدْ خُلِفْتُ فِي نَفْرٍ لَهُمْ عَنِ الرَّشْدِ أَغْلَالٌ وَأَقْيَادُ  
 ﴿وَأُولَئِكَ﴾ المقيدون بالأغلال في أعناقهم هم ﴿أَصْحَابُ النَّارِ﴾؛ أي: سكان  
 النار دار الذل والهوان ملازموها ﴿هُمْ فِيهَا﴾؛ أي: في النار ﴿خَالِدُونَ﴾؛ أي:  
 ماكثون فيها مكثاً مؤبداً لا يتحولون عنها ولا يبرحون بها كفاء ما سولت لهم  
 أنفسهم من سوء الأعمال، وما اجترحوا من الموبقات والشور والاثام.  
 وتوسيط<sup>(١)</sup> ضمير الفصل وتقديم ﴿فِيهَا﴾ يفيد الحصر؛ أي: هم الموصوفون  
 بالخلود في النار لا غيرهم، وإن خلودهم إنما هو في النار لا في غيرها، فثبت  
 أن أهل الكباثر لا يخلدون في النار.

وبعد أن ذكر تكذيبهم للرسول ﷺ في إنكار عذاب يوم القيامة.. ذكر  
 جحودهم لعذاب الدنيا الذي أوعدهم به، وكانوا كلما هددهم بالعذاب قالوا له:  
 جئنا به واثنا وطلبوا منه إنزاله، وهذا ما أشار إليه بقوله: ﴿وَسْتَجْلُونَكَ﴾  
 الاستعجال<sup>(٢)</sup>: طلب تعجيل الأمر قبل مجيء وقته؛ أي: يطلب مشركو مكة منك  
 يا محمد العجلة ﴿بِالسَّيِّئَةِ﴾ والعقوبة التي هددتهم بها إن لم يؤمنوا، وسميت  
 العقوبة سيئة؛ لأنها تسوؤهم ﴿قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ متعلق بالاستعجال؛ أي: قبل العافية  
 والإحسان إليهم بالإمهال؛ أي: يطلبون منك الإتيان بالعقوبة المهلكة لهم قبل  
 انقضاء الزمان المقدر لعافيتهم وسلامتهم.

وذلك أنه ﷺ كان يهدد مشركي مكة تارة بعذاب يوم القيامة، وتارة بعذاب  
 الدنيا، وكلما هددهم بعذاب القيامة أنكروا القيامة والبعث، وكلما هددهم بعذاب  
 الدنيا استعجلوه، وقالوا: متى تجيئنا به، فيطلبون العقوبة والعذاب والشر بدل  
 العافية والرحمة والخير استهزاء منهم، وإظهاراً أن الذي يقوله لا أصل له، ولذا  
 قالوا: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَاباً مِنَ السَّمَاءِ  
 أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ والله تعالى صرف عن هذه الأمة عقوبة الاستئصال، وأخر

(١) روح البيان.

(٢) روح البيان.

تعذيب المكذبين إلى يوم القيامة، فذلك التأخير هو الحسنة في حقهم، فهؤلاء طلبوا منه عليه السلام نزول تلك العقوبة، ولم يرضوا بما هو حسنة في حقهم.

واعلم: أن<sup>(١)</sup> استعجالهم بالسيئة قبل الحسنة هو استعجالهم بالكفر والمعاصي قبل الإيمان والطاعات، فإن منشأ كل سعادة ورحمة هو الإيمان الكامل والعمل الصالح، ومنشأ كل شقاوة وعذاب هو الكفر والشرك والعمل الفاسد.

وجملة قوله: ﴿وَقَدْ خَلَّتْ﴾ حال من واو ﴿يَسْتَعْجَلُونَكَ﴾؛ أي: يستعجلونك بالعقوبة حالة كونهم قد خلت ومضت ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾؛ أي: من قبل هؤلاء المشركين ﴿أَلْمُنْتُمْ﴾؛ أي: عقوبات أمثالهم من المكذبين لرسولهم كالخسف والمسخ والرجفة، فما لهم لم يعتبروا بها، فلا يستهزئوا، جمع مثله بفتح الثاء وضمها؛ وهي العقوبة لأنها مثل المعاقب عليه، وهو الجريمة. وفي «التيبان»: ﴿وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ أَلْمُنْتُمْ﴾؛ أي: العقوبات المهلكات يماثل بعضها بعضاً.

والمعنى: أي ويستعجلونك بذلك مستهزئين بإنذارك منكبين وقوع ما تنذرهم به، والحال أنه قد مضت العقوبات الفاضحة النازلة على أمثالهم من المكذبين المستهزئين، فمن أمة مسخت قرده، وأخرى أهلكت بالرجفة، وثالثة أهلكت بالخسف إلى نحو أولئك. وقرأ الجمهور<sup>(٢)</sup>: ﴿أَلْمُنْتُمْ﴾ - بفتح الميم وضم الثاء - ومجاهد والأعمش بفتحهما. وقرأ عيسى بن عمير في رواية الأعمش وأبو بكر بضمهما، وابن وثاب بضم الميم وسكون الثاء، وابن مصرف بفتح الميم وسكون الثاء، وكل هذه القراءة عدا قراءة الجمهور شاذ.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ﴾؛ أي: لذو إمهال لهم وتأخير للعذاب عنهم حالة كونهم ﴿عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾؛ أي: ظالمين أنفسهم بالمعاصي، أو المعنى: وإن ربك لذو عفو وصفح عن ذنوب من تاب من عباده، فتارك فضيحته بها في يوم القيامة، ولولا حلمه وعفوه لعاجلهم بالعقوبة حين اكتسابها كما قال:

(٢) البحر المحيط.

(١) روح البيان.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ فيعاقب من يشاء منهم حين يشاء، فتأخير ما استعجلوه ليس للإهمال.

أي: وإن ربك<sup>(١)</sup> يا محمد ليعاقب في الآخرة عقاباً شديداً لمن يجترح السيئات، وهو متماد في غوايته سادر<sup>(٢)</sup> في آثامه، وقد يعجل له قسطاً منه في الدنيا، ويكون جزاء له على ما سولت له نفسه، كما يشاهد لدى المدمنين على الخمر من اعتلال وضعف، ومرض مزمن، وفقر مدقع، وذلل وهوان بين الناس. وفي المقامر من خراب عاجل وإفلاس في المال والذل بعد العز. وربما اقتضت حكمته أن يؤجل له ذلك إلى يوم مشهود يوم يقوم الناس لرب العالمين، فيستوفي قطه هناك ناراً تكوى بها الجباه والجنوب، وتبدل الجلود غير الجلود، وقد قرن المغفرة بالعقاب في مواضع كثيرة من الكتاب الكريم؛ ليعتدل الرجاء والخوف كقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وقوله: ﴿عِبَادِ اتَّقِ أَنِي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْمَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٥﴾ إلى أمثال ذلك من الآيات التي تجمع الخوف والرجاء. روى ابن أبي حاتم عن سعيد بن المسيب قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ...﴾ إلخ. قال رسول الله ﷺ: «لولا عفو الله وتجاوزه ما هنا أحداً العيش، ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل واحد».

وبعد<sup>(٣)</sup> أن ذكر طعنهم في نبوة محمد ﷺ لقوله بالحشر والمعاد، ثم طعنهم فيه؛ لأنه أُنذرهم بحلول عذاب الاستئصال.. ذكر أنهم طعنوا فيه؛ لأنه لم يأت لهم بمعجزة مبينة كما فعل الرسل من قبله، فقال: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة تعنتاً وجحوداً ﴿لَوْلَا﴾؛ أي: هلاً ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾؛ أي: على محمد ﷺ ﴿آيَةٌ﴾؛ أي: علامة دالة على صدقه ونبوته ﴿مِنْ رَبِّهِ﴾ إن كان صادقاً فيما

(١) المراغي.

(٢) قوله سادر: المتحير وهو أيضاً الذي لا يهتم ولا يبالي ما صنع اه مختار.

(٣) المراغي.

يدعيه من النبوة كعصا موسى وناقاة صالح وإحياء عيسى للموتى، وذلك أنهم لم يقتنعوا بما رأوا من الآيات التي جاء بها رسول الله ﷺ. و﴿تَوَلَّآ﴾<sup>(١)</sup> تحضيضية بمعنى هلا، والتنوين في ﴿ءَايَةً﴾ للتعظيم؛ أي: آية جليلة يستعظمها من يدرکها في بادىء نظره. والمعنى: ويقول الذين كفروا تعنتاً وعناداً: هلا يأتينا بآية من ربه كعصا موسى وناقاة صالح، فيجعل لنا الصفا ذهباً، ويزيح عنا الجبال، ويجعل مكانها مروجاً وأنهاراً، وقد طلبوا ذلك ظناً منهم أن القرآن كتاب كسائر الكتب لا يدخل في باب المعجزات التي أتى بها الرسل السالفون عليهم السلام. وقد رد الله عليهم الشبهة بقوله في آية أخرى: ﴿وَمَا مَعْنَا أَنْ تُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾؛ أي: إن سنتنا أن الآيات إن لم يؤمن بها من طلبوا بها أهلكتناهم بذنوبهم، ولم نشأ أن يحل بكم عذاب الاستئصال.

ولما كان<sup>(٢)</sup> النبي ﷺ راغباً في إجابة مقترحاتهم حُباً في إيمانهم.. بين وظيفته التي أرسل لأجلها، فقال: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ﴾ يا محمد ﴿مُنذِرٌ﴾؛ أي: رسول مرسل للإنذار والتخويف من سوء عاقبة ما يأتون ويزدرون، ولا حاجة إلى إلزامهم بإتيان ما اقترحوا من الآيات، ولو أجيبوا إلى ما اقترحوا لأدى ذلك إلى إتيان ما لا نهاية له؛ لأنه كلما أتى بمعجزة طلبها واحد منهم.. جاء آخر منهم، فطلب منه معجزة أخرى، وذلك يوجب سقوط دعوة الأنبياء.

والمعنى: أن<sup>(٣)</sup> وظيفتك التي بعثت لها هي الإنذار من سوء مغبة - عاقبة - ما نهى الله عنه كدأب من قبلك من الرسل، وليس عليك الإتيان بالآيات التي يقترحونها ابتغاء هدايتهم، فأمر ذلك إلى خالقهم وهاديهم: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾، ﴿فَلَمَّا كَبُرَ بَعْثُكَ أَنفُسَكُمُ عَلَيَّ ءَاتَرْتَهُمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذِهِ الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾.

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

(٣) المراغي.

﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ﴾؛ أي: ولكل أمة من الأمم ﴿هَادٍ﴾ لهم إلى سبيل الخير؛ أي: نبي له هداية مخصوصة، وشريعة لائقة بهم مخصوص<sup>(١)</sup> بمعجزة من جنس ما هو الغالب عليهم، يهديهم إلى الحق ويدعوهم إلى الصواب. ولما كان الغالب في زمان موسى هو السحر جعل معجزته ما هو أقرب إلى طريقهم. ولما كان الغالب في أيام عيسى الطب جعل معجزته ما يناسب الطب؛ وهو إحياء الموتى وإبراء الأبرص والأكمه. ولما كان الغالب في زمان نبينا محمد ﷺ الفصاحة والبلاغة جعل معجزته فصاحة القرآن، وبلوغه في باب البلاغة إلى حدّ خارج عن قدرة الإنسان، فإذا لم يؤمنوا بهذه المعجزة مع كونها أقرب إلى طريقهم وأليق بطباعهم، فبأن لا يؤمنوا عند إظهار سائر المعجزات أولى. أو المراد بالهادي: هو الله تعالى؛ أي: إنما أنت منذر، وليس لك هدايتهم ولكل قوم من الفريقين هاد يهديهم: هادٍ لأهل العناية بالإيمان والطاعة إلى الجنة، وهادٍ لأهل الخذلان بالكفر والعصيان إلى النار. وهذا القول الأخير مروى<sup>(٢)</sup> عن ابن عباس وسعيد بن جبيرة وعكرمة والضحاك والنخعي.

والمعنى: إنما عليك الإنذار يا محمد، والهادي هو الله تعالى يهدي من يشاء. والقول الأول مروى عن عكرمة في رواية أبي الضحى، والمعنى عليه: إنما أنت منذر وأنت هادٍ.

وحاصل المعنى: أي ولكل أمة قائد يدعوهم إلى سبيل الخير فطره الله تعالى على سلوك طريقه بما أودع فيه من الاستعداد له بسائر وسائله، وقد شاء أن يبعث هؤلاء الهداة في كل زمان كي لا يترك الناس سدى، وأولئك هم الأنبياء الذين يرسلهم لهداية عباده، فإن لم يكونوا فالحكماء والمجتهدون الذين يسيرون على سننهم ويقتدون بما خلفوا من الشرائع وفضائل الأخلاق وحميد الشمائل، ويؤيده ﷺ: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم».

ووقف ابن كثير<sup>(٣)</sup> على ﴿هَادٍ﴾ و﴿وَأَقِ﴾ حيث وقعا، وعلى ﴿وَأَلِ﴾ هنا،

(٣) البحر المحيط.

(١) روح البيان.

(٢) الخازن بتصرف.

و﴿بَاقٍ﴾ في النحل بإثبات الياء، وباقي السبعة بحذفها. وفي «الإقناع» لأبي جعفر بن الباقر عن ابن مجاهد الوقف على جميع الباب لابن كثير بالياء، وهذا لا يعرفه المكيون. وفيه عن أبي يعقوب الأزرق عن ورش أنه خيره في الوقف في جميع الباب بين أن يقف بالياء، وبين أن يقف بحذفها، والباب هو كل منقوص منون غير منصرف؛ أي: غير مجرور.

﴿اللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى ﴿يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾؛ أي: الشيء الذي تحمله كل أنثى في بطنها من حين العلق إلى الولادة من علقه أو مضغة، ذكر أو أنثى، واحد أو متعدد، صبيح أو قبيح، شقي أو سعيد، طويل العمر أو قصيره، كما قال سبحانه: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُلِّ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ وقال: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾.

﴿و﴾ يعلم سبحانه وتعالى ﴿ما تغيض الأرحام﴾ من الغيض؛ وهو النقص؛ أي: يعلم سبحانه ما تنقصه الأرحام ﴿وَمَا تَزَادُ﴾؛ أي: وما تزيده في الجثة والمدة والعدد، واختلفوا في ذلك، فقيل: المراد نقص خلقة الحمل وزيادته، كنقص أصبع أو زيادتها. وقيل المراد: نقص مدة الحمل عن تسعة أشهر أو زيادتها، وقيل المراد: نقص في عدد الولد وزيادته، فقد يكون الولد واحداً أو اثنين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة. قال أهل التفسير<sup>(١)</sup>: غيض الأرض الحيض على الحمل، فإذا حاضت الحامل كان ذلك نقصاناً في الولد؛ لأن دم الحيض هو غذاء الولد في الرحم، فإذا خرج الدم نقص الغذاء، فينقص الولد، وإذا لم تحض يزداد الولد ويتم، فالتقصان نقصان خلقة الولد بخروج الدم، والزيادة تمام خلقه باستمساك الدم. وقيل: إذا حاضت المرأة في وقت حملها ينقص الغذاء، وتزداد مدة الحمل حتى تستكمل تسعة أشهر طاهرة، فإن رأت خمسة أيام دماً.. وضعت لتسعة أشهر وخمسة أيام، فالتقصان في الغذاء زيادة في مدة الحمل. وقيل: التقصان السقط، والزيادة تمام الخلق.

(١) الخازن.

وأقل مدة الحمل ستة أشهر، وغالبه تسعة أشهر، وأكثره أربع سنين عند الشافعي وخمس سنين عند مالك. وفي «إنسان العيون»<sup>(١)</sup> وقع الاختلاف في مدة حملة ﷺ، فقليل: بقي في بطن أمه تسعة أشهر كماً، وقيل: عشرة أشهر، وقيل: ستة أشهر، وقيل: سبعة أشهر، وقيل: ثمانية أشهر، فيكون ذلك آية، كما أن عيسى عليه السلام ولد في الشهر الثامن كما قيل به مع نص الحكماء على أن من يولد في الشهر الثامن لا يعيش، بخلاف التاسع والسابع والسادس الذي هو أقل مدة الحمل.

وقد قال الحكماء في بيان سبب ذلك<sup>(٢)</sup>: أن الولد عند استكماله سبعة أشهر تحرك للخروج حركة عنيفة أقوى من حركته في الشهر السادس، فإن خرج عاش، وإن لم يخرج استراح في البطن عقيب تلك الحركة المضعفة له، فلا يتحرك في الشهر الثامن، لذلك تقل حركته في البطن في ذلك الشهر، فإذا تحرك للخروج وخرج، فقد ضعف غاية الضعف، فلا يعيش لاستيلاء حركتين مضعفتين له مع ضعفه، وعلى فرض أن يعيش يكون مغلولاً لا ينتفع بنفسه، وذلك لأن الشهر الثامن يغلب فيه على الجنين البرد واليبس، وهو طبع الموت. والأرحام: جمع رحم، وهو مبيت للولد في البطن ووعاؤه. واعلم أن رحم المرأة عضلة وعصب وعروق، ورأس عصبها في الدماغ، وهي على هيئة الكيس، ولها فم بإزاء قبلها، ولها قرنان شبه الجناحين تجذب بهما النطفة، وفيها قوة الإمساك لثلاث ينزل من المنى شيء. وقد أودع الله تعالى في ماء الرجل قوة الفعل، وفي ماء المرأة قوة الانفعال، فعند الامتزاج يصير مني الرجل كالأنفحة الممتزجة باللبن.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ﴾ من الأشياء التي من جملتها الأشياء المذكورة من الزيادة والنقصان، وخروج الولد والمكث ﴿عِنْدَهُ﴾ سبحانه وتعالى؛ أي: في علمه ﴿بِمِقْدَارٍ﴾؛ أي: مقدر بقدر وحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه لقوله تعالى: ﴿إِنَّا﴾

(١) روح البيان.

(٢) روح البيان.



كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدْرٍ ﴿٤١﴾. وفي «بحر العلوم»؛ أي: مقدر مكتوب في اللوح معلوم قبل كونه قد علم حاله وزمانه ومتعلقه. وفي «التبيان»؛ أي: بحد لا يجاوزه من رزق وأجل ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ﴾ خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: هو تعالى عالم كل ما يطلق عليه اسم الغيب؛ وهو ما غاب عن الحس، فيدخل فيه المعلومات والأسرار الخفية والآخرة. وقال بعضهم<sup>(١)</sup>: كل ما ورد في القرآن من إسناد الغيب إلى الله تعالى إنما هو بالنسبة إلينا، إذ لا غيب بالنسبة إلى الله تعالى؛ أي<sup>(٢)</sup>: هو تعالى عالم ما هو غائب عنكم لا تدركه أبصاركم من عوالم لا نهاية لها، فقد أثبت العلم حديثاً أن هناك عوالم لا تراها العين المجردة، بل ترى بالمنظار المعظم - التليسوب - ومنها الجراثيم - المكروبات - التي تولد كثيراً من الأمراض التي قد يعسر شفاؤها، أو يتعذر في كثير من الأحوال كجراثيم السرطان والسل والزهري، أو تشفى بعد حين كجراثيم الجدري والحصبة ونحوها، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَمَلِكُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾.

﴿و﴾ عالم ﴿الشهادة﴾؛ أي: كل ما يطلق عليه اسم الشهادة؛ وهو ما حضر للحس، فيدخل فيه الموجودات المدركة والعلانية والدنيا؛ أي: عالم كل ما تشاهدونه وترونه بأعينكم ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.

﴿الْكَبِيرُ﴾؛ أي: هو تعالى العظيم الشأن الذي لا يخرج عن علمه شيء الذي يجمل عما وصفه به الخلق من صفات المخلوقين، أو الذي يصغر غيره بالنسبة إلى كبريائه ﴿الْمُتَعَالَى﴾؛ أي: المستعلي على كل شيء بقدرته وجبروته، وهو وحده له التصرف في ملكوته. وفي «الكواشي» المترفع عن صفات المخلوقين وقول المشركين. وفي هذا<sup>(٣)</sup> إيماء إلى أنه تعالى قادر على البعث الذي أنكروه، والآيات التي اقترحوها، والعذاب الذي استعجلوه، وإنما يؤخر

(٣) المراغي.

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

ذلك لمصلحة لا يدركها البشر، فيخفى عليه سرها، وفي معنى الآية قوله: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾. وقرأ زيد بن علي: ﴿عالم الغيب﴾ - بالنصب -، وأثبت ابن كثير ويعقوب وأبو عمرو في رواية ياء ﴿الْمَعَالِ﴾ وقفاً ووصلاً، وهو الكثير في لسان العرب، وحذفها الباقون وصلاً ووقفاً؛ لأنها كذلك رسمت في الخط. واستشهد سيبويه بحذفها في الفواصل ومن القوافي، وأجاز غيره حذفها مطلقاً، ووجه حذفها مع أنها تحذف مع التنوين وإن تعاقب التنوين، فحذفت مع المعاقب إجراء له مجرى المعاقب. ذكره أبو حيان في «البحر».

ولما ذكر تعالى أنه عالم الغيب والشهادة على العموم.. ذكر تعالى تعلق علمه بشيء خاص من أحوال المكلفين، فقال: ﴿سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ﴾ في نفسه، فلم يظهره على أحد ﴿وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾؛ أي: أظهره لغيره. وقال ابن عباس: أي: سواء ما أضمرته القلوب وما أظهرته الألسنة، فهو تعالى يعلم ما أسره الإنسان كعلمه بما جهر به من خير أو شر، فإسرار القول ما حدث به المرء نفسه، والجهر ما حدث به غيره. ف﴿من﴾<sup>(٢)</sup> مبتدأ خبره ﴿سواء﴾، و﴿مِّنْكُمْ﴾ حال من ضمير ﴿سَوَاءٌ﴾؛ لأنه بمعنى مستو، ولم يثن الخبر مع أنه خبر عن شيئين، وهما الشخصان المرادان ب﴿من﴾. والمعنى: مستو في علم الله تعالى من أضمر القول في نفسه، ومن أظهره بلسانه منكم أيها الناس؛ أي: من أسر قوله وأخفاه ولم يتلفظ به، أو جهر به وأظهره؛ فهو سواء عند الله تعالى يسمعه ولا يخفى عليه شيء منه، كما قال: ﴿وَإِنْ يَجْهَر بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ وقال: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾.

﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ﴾؛ أي: وسواء في علم الله تعالى من هو مختفٍ مستتر بظلمة الليل ﴿وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾؛ أي: ومن هو ماشٍ في سربه وطريقه ظاهر بضوء النهار، فكلاهما في علم الله تعالى سواء. وروي عن ابن عباس في تفسير

(١) المراح.

(٢) روح البيان.

ذلك: هو صاحب ريبة مستخف بالليل، وإذا خرج بالنهار أرى الناس أنه بريء من الإثم. ومعنى الآية: سواء ما أضمرت به القلوب، أو نطقت به الألسن، وسواء من أقدم على القبائح مستتراً في ظلمات الليل، أو أتى بها ظاهراً في النهار.. فإن علمه تعالى محيط بالكل.

﴿لَمْ﴾؛ أي: لكل ممن أسر أو جهر والمستخفي والسارب، أو لعالم الغيب والشهادة، أو لكل إنسان ﴿مُعَبَّتٌ﴾؛ أي: ملائكة حفظة يتعاقبون عليه ويتناوبون به، يعقب وينوب بعضهم بعضاً في المجيء إلى من ذكر، وحفظه من المضار وكتب أعماله ﴿مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾؛ أي: من قدام ذلك الإنسان ومن ورائه حرس بالليل وحرس بالنهار يحفظونه من المضار، ويراقبون أحواله لا يفارقونه، كما يتعاقب عليه ملائكة آخرون لحفظ أعماله من خير أو شر ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، فائنان عن اليمين والشمال يكتبان الأعمال، صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه، واحد من ورائه وآخر من قدامه، فهو بين أربعة أملاك بالنهار وأربعة آخرين بالليل بدلان حافظان وكتابتان كما جاء في الحديث الصحيح: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر، فيصعد إليه الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم بكم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: آتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون».

وإذ علم الإنسان أن هناك ملائكة تحصي عليه أعماله كان حذراً من وقوعه في المعاصي خيفة أن يطلع عليه الكرام الكاتبون، ويزجره الحياء عن الإقدام على فعل الموبقات، كما يحذر من الوقوع فيها إذا حضر من يستحي منه من البشر، وهو أيضاً إذا علم أن كل عمل له في كتابٍ مدخر يكون ذلك رادعاً له داعياً إلى تركه. وقال الصاوي: وهذه الآية من تدبرها وعمل بمقتضاها أورثته الإخلاص في أعماله، فيستوي عنده إسرار العبادة وإظهارها ليلاً أو نهاراً، والمراقبة؛ لأنه إذا علم أن هذه الأشياء مستوية عنده ولا يخفى عليه شيء منها.. فلا يستطيع أن يقدم على ما نهى عنه ظاهراً ولا باطناً انتهى. وليس أمر الحفظة بالبعيد عن العقل

بعد أن أثبتته الدين، وبعد أن كشف العلم أن كثيراً من الأعمال العامة يمكن إحصاؤها بآلات دقيقة لا تدع منها شيئاً إلا تحصيله. فقد أصبحت المياه والكهرباء في المدن تعد بالآلات - العدادات -، فالمياه التي يشربونها والكهرباء التي يضيئون بها منازلهم تحصى وتعد كما يعد الدرهم والدينار. وكذلك هناك آلات تحصي المسافات التي تقطعها السيارات في سيرها، وأخرى تحصي تيارات الأنهار ومساقط المياه إلى غير ذلك من دقيق الآلات التي لا تترك صغيرة ولا كبيرة من الأعمال إلا تكتبها وتحصيلها، وكلما تقدمت العلوم وكشفت ما كان غائباً عنا كان في ذلك تصديق أيما تصديق لنظريات الدين، ووسيلة حافزة إلى الاعتراف بما جاء فيه مما يخفى على بعض الماديين الذين لا يقرون إلا بما يرونه رأي العين، ولا يدعون إلا بما يقع تحت حسهم، وبهذا يصدق قول القائل: الدين والعقل في الإسلام صنوان لا يفترقان، وصديقان لا يختلفان.

والمعنى: له<sup>(١)</sup> ملائكة يتعاقب بعضهم بعضاً كائنون من أمام الإنسان ووراء ظهره؛ أي: يحيطون به من جوانبه ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ سبحانه وتعالى؛ أي: يحفظون من ذكر؛ أي: من بأسه ونقمته إذا أذنب بدعائهم له ومسألتهم ربهم أن يمهلهم رجاء أن يتوب من ذنبه أو ينيب، أو يحفظونه من المضار التي أمر الله بالحفظ منها. قال مجاهد: ما من عبد إلا له ملك موكل به يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، فما يأتيه منهم شيء يريد به إلا قال: وراءك إلا شيء يأذن الله فيه فيصيبه. أو المعنى: هم يحفظونه<sup>(٢)</sup> بأمر الله وإذنه وجميل رعايته وكلاءته، فمن الباء، فكما جعل سبحانه للمحسوسات أسباباً محسوسة ربط بها مسبباتها بحسب ما اقتضته حكمته، فجعل الجفن سبباً لحفظ العين مما يدخل فيها فيؤذيها، كذلك جعل لغير المحسوسات أسباباً، فجعل الملائكة أسباباً للحفظ، وأفعاله تعالى لا تخلو من الحكم والمصالح. وكذلك جعل لحفظ أعمالنا كراماً كاتبين، وإن كنا لا ندري ما قلمهم وما مدادهم،

(١) روح البيان.

(٢) المراعي.

وكيف كتابتهم، وأين محلهم، وما حكمة ذلك مع أن علمه تعالى بأعمال الإنسان كافر في الثواب والعقاب عليها، وقد يكون من حكمة ذلك أنه إذا علم الإنسان أن أعماله محفوظة لدى الحفظة الكرام.. كان أجدر بالإذعان لما يلقاه من ثواب وعقاب يوم العرض والحساب.

وقرأ عبيد بن زياد على المنبر<sup>(١)</sup>: ﴿له المعاقب﴾، وهي قراءة أبي وأبراهيم. وقال الزمخشري: وقرئ: ﴿له معاقب﴾. قال أبو الفتح: هو تكسير ﴿معقب﴾ - بسكون العين وكسر القاف - كمطعم ومطاعم ومقدم ومقاديم، وكان معقباً جمع على معاقبة، ثم جعلت الياء عوضاً عن الهاء المحذوفة في معاقبة. وقرئ: ﴿له معتقبات﴾ من اعتقب. وقرأ أبي من بين يديه ورقيب من خلفه. وقرأ ابن عباس: ﴿ورقباء من خلفه﴾ وذكر عنه أبو حاتم أنه قرأ له: ﴿معتقات من خلفه ورقيب من بين يديه﴾. وينبغي حمل هذه القراءات على التفسير لا أنها قرآن لمخالفتها سواد المصحف الذي أجمع عليه المسلمون فهي كلها شاذة. وقرأ علي وابن عباس وعكرمة وزيد بن علي وجعفر بن محمد: ﴿يحفظونه بأمر الله﴾. وتدل هذه القراءة الشاذة على كون ﴿من﴾ بمعنى الباء السببية في قراءة: ﴿من أمر الله﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَّا يُغَيَّرُ مَا يَقْوِمُ﴾ من العافية والأمن والنعمة والرزق، ولا يزيله عنهم ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾؛ أي: حتى يتركوا ما يلزمهم من الشكر، وينقلبوا من الأحوال الجميلة إلى القبيحة. وعبارة «البيضاوي»: أن الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بأنفسهم من الأحوال الجميلة بالأحوال القبيحة.

والمعنى<sup>(٢)</sup>: أن الله سبحانه وتعالى لا يغير ما بقوم من نعمة وعافية، فيزيلها عنهم ويذهبها حتى يغيروا ما بأنفسهم من ذلك بظلم بعضهم بعضاً، واعتداء بعضهم على بعض، وارتكابهم للشرور والموبقات التي تقوض نظم المجتمع، وتفتك بالأمم كما تفتك الجراثيم، فعند ذلك تحل نقمته بهم، وهو

(١) البحر المحيط.

(٢) المراعي.

قوله: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا﴾؛ أي: هلاكاً وعذاباً ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُمْ﴾؛ أي: فلا راد له عنهم؛ أي: لم تغن المعقبات شيئاً، فلا راد لعذاب الله ولا ناقض لحكمه؛ أي: وإذا أراد الله بقوم سوءاً من مرض وفقر ونحوهما من أنواع البلاء بما كسبت أيديهم حين أخذوا في الأسباب التي تصل بهم إلى هذه الغاية، فلا يستطيع أحد أن يدفع ذلك عنهم، ولا يرد ما قدره لهم. وفي هذا إيحاء إلى أنه لا ينبغي الاستعجال بطلب السيئة قبل الحسنة، وطلب العقاب قبل الثواب، فإنه متى أراد الله ذلك وأوقعه بهم فلا دافع له.

والخلاصة: أنه ليس من الحكمة في شيء أن يستعجلوا ذلك، ولما<sup>(١)</sup> كان سياق الكلام في الانتقام من العصاة اقتصر على قوله: ﴿سوءاً﴾ وإلا فالسوء والخير إذا أراد الله تعالى شيئاً منها.. فلا مرد له، فذكر السوء مبالغة في التخويف.

﴿وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ﴾؛ أي: وما لهؤلاء القوم الذين أراد الله هلاكهم من دون الله سبحانه وتعالى ﴿مِنَ وَالِيٍّ﴾؛ أي: وال يلي أمورهم، فيجلب لهم النفع ويدفع عنهم الضرر، فالآلهة التي اتخذوها لا تستطيع أن تفعل شيئاً من ذلك، ولا تقدر على دفع الأذى عن نفسها فضلاً عن دفعه عن غيرها. والوالي من أسمائه تعالى، وهو من ولي الأمور وملك الجمهور، والولاية: تنفيذ القول على الغير شاء الغير أم لا، والله در الأعرابي الذي رأى صنماً يبول عليه الثعلب، فثارت به حميته، فأمسكه وكسره إرباً إرباً، وقال:

أَرَبُّ يَبُولُ الثُّغْلَبَانَ بِرَأْسِهِ لَقَدْ ذَلَّ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثُّعَالِبُ  
 وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ﴾.

(١) البحر المحيط.

## الإعراب

﴿الَّتِي تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ .

﴿الَّتِي﴾ قد تقدم الكلام في هذه الحروف المقطعة الواقعة في أوائل السور بما يغني عن الإعادة، وإن قلنا إنه اسم للسورة فهو مرفوع المحل على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره: هذه السورة اسمها المر، وعلّة بنائه شبهه بالحرف شبيهاً وضعياً، أو على أنه مبتدأ خبره ما بعده، والتقدير: الأمر هذا المذكور بقولنا: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ . ﴿تِلْكَ﴾: اسم إشارة يشار به إلى آيات هذه السورة في محل الرفع مبتدأ . ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾: خبر ومضاف إليه، والجمله مستأنفة . ﴿وَالَّذِي﴾: (الواو): عاطفة . ﴿الذي﴾: مبتدأ . ﴿أُنزِلَ﴾: فعل ماضٍ مغير الصيغة، ونائب فاعله ضمير يعود على الموصول . ﴿إِلَيْكَ﴾: جار ومجرور متعلق به، والجمله صلة الموصول . ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾: متعلق أيضاً بـ﴿أُنزِلَ﴾ . ﴿الْحَقُّ﴾: خبر المبتدأ، والجمله معطوفة على الجمله التي قبلها . ﴿وَلَكِنَّ﴾: (الواو): عاطفة . ﴿لكن﴾: حرف نصب واستدراك . ﴿أَكْثَرَ النَّاسِ﴾: اسمها ومضاف إليه، وجمله ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: في محل الرفع خبر ﴿لكن﴾، وجمله ﴿لكن﴾ معطوفة على الجمله التي قبلها .

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدِيرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ .

﴿اللَّهُ الَّذِي﴾: مبتدأ وخبر، والجمله مستأنفة . ﴿رَفَعَ السَّمَوَاتِ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على الموصول، والجمله صلة الموصول . ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾: جار ومجرور ومضاف حال من ﴿السَّمَوَاتِ﴾ . ﴿تَرَوْنَهَا﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجمله في محل الجر صفة لـ﴿عَمَدٍ﴾ . ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف . ﴿أَسْتَوَىٰ﴾: فعل ماضٍ، وفاعله ضمير يعود على الموصول . ﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾: متعلق به، والجمله معطوفة على جملة ﴿رَفَعَ﴾ . ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ﴾: فعل ومفعول . ﴿وَالْقَمَرَ﴾: معطوف على ﴿الشَّمْسَ﴾ وفاعله ضمير يعود على الموصول، والجمله

معطوفة على جملة ﴿أَسْتَوَى﴾. ﴿كُلُّ﴾: مبتدأ، وسوغ الابتداء بالنكرة وصفه بصفة محذوفة تقديره: كل منهما. ﴿يَجْرِي﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿كُلُّ﴾. ﴿لِأَجَلٍ﴾: جار ومجرور متعلق به. ﴿تُسَمَّى﴾: صفة ﴿لِأَجَلٍ﴾، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من ﴿السَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾؛ أي: حالة كون كل منهما جارياً إلى أجل مسمى. ﴿يُدْبِرُ الْأَمْرَ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على ﴿اللَّهِ﴾، والجملة في محل نصب حال من فاعل ﴿أَسْتَوَى﴾؛ أي: ثم استوى على العرش حالة كونه يدبر الأمر، أو الجملة مستأنفة. ﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة معطوفة بعاطف مقدر على جملة ﴿يُدْبِرُ﴾. ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: ناصب واسمه. ﴿يَلْقَاءَ رَبِّكُمْ﴾: جار ومجرور ومضاف إله متعلق بـ ﴿تُوقِنُونَ﴾، وجملة ﴿تُوقِنُونَ﴾: في محل الرفع خبر ﴿لعل﴾، وجملة ﴿لعل﴾: تعليلية مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّرَاةِ جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ اثْنَيْنِ يُغِثِي الْأَيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي﴾: مبتدأ وخبر، والجملة مستأنفة. ﴿مَدَّ الْأَرْضَ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على الموصول، والجملة صلة الموصول. ﴿وَجَعَلَ﴾: فعل ماضٍ معطوف على ﴿مَدَّ﴾، وفاعله ضمير يعود على الموصول. ﴿فِيهَا﴾: متعلق بـ ﴿جعل﴾؛ لأنه بمعنى خلق. ﴿رَوَاسِيَ﴾: مفعول به بـ ﴿جعل﴾. ﴿وَأَنْهَارًا﴾: معطوف على ﴿رَوَاسِيَ﴾. ﴿وَمِنْ﴾ (الواو): عاطفة. ﴿مِنْ كُلِّ الشَّرَاةِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ ﴿جَعَلَ﴾ المذكور بعده. ﴿جَعَلَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعله ضمير يعود على ﴿اللَّهِ﴾. ﴿فِيهَا﴾: متعلق بـ ﴿جَعَلَ﴾. ﴿رَوَاسِيَ﴾: مفعول لـ ﴿جَعَلَ﴾. ﴿اثْنَيْنِ﴾: صفة مؤكدة لـ ﴿رَوَاسِيَ﴾، وجملة ﴿جَعَلَ﴾: معطوفة على جملة ﴿جَعَلَ﴾ الأول. ﴿يُغِثِي الْأَيْلَ﴾: فعل ومفعول أول. ﴿النَّهَارَ﴾: مفعول ثانٍ، وفاعله ضمير يعود على ﴿اللَّهِ﴾، والجملة الفعلية مستأنفة، أو حال من ضمير الفاعل في الأفعال التي قبله، أعني: رفع وسخر، ويدبر ويفصل، ومد وجعل كما ذكره أبو البقاء. ﴿إِنَّ﴾: حرف نصب وتوكيد. ﴿فِي ذَلِكَ﴾: جار ومجرور



خبر ﴿إِنَّ﴾ مقدم على اسمها. ﴿لَأَيَّتِ﴾: (اللام): ابتداء. ﴿آيات﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾ مؤخر. ﴿لِقَوْرٍ﴾: جار ومجرور صفة لـ ﴿آيات﴾. وجملة ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ صفة لـ ﴿قوم﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾: مستأنفة.

﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَوِّرَةٌ وَجَنَّتْ مِنْ أَعْتَبٍ وَرَزَعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَصَيْثٌ صِنَوَانٌ يُسْقَى بِمَاءٍ وَحِدٍ وَنَفْضِلٌ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْثَلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَأَيَّتٍ لِقَوْرٍ يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَفِي الْأَرْضِ﴾: جار ومجرور خبر مقدم. ﴿قِطْعٌ﴾: مبتدأ وخبر. ﴿مُتَجَوِّرَةٌ﴾: صفة لـ ﴿قِطْعٌ﴾، والجملة الاسمية مستأنفة. ﴿وَجَنَّتْ﴾: معطوف على ﴿قِطْعٌ﴾. ﴿مِنْ أَعْتَبٍ﴾: صفة لـ ﴿جَنَّتْ﴾. ﴿وَرَزَعٌ وَنَخِيلٌ﴾: معطوفان على ﴿قِطْعٌ﴾. ﴿صِنَوَانٌ﴾: صفة لـ ﴿نَخِيلٌ﴾ مرفوع بالضم الظاهرة؛ لأنه جمع تكسر لـ ﴿صنو﴾. ﴿وَصَيْثٌ صِنَوَانٌ﴾: معطوف على ﴿صِنَوَانٌ﴾ على كونه صفة لـ ﴿نخيل﴾. ﴿يُسْقَى﴾: فعل مضارع مغير الصيغة، ونائب فاعله ضمير يعود على المذكور من ﴿جَنَّتْ﴾ وما بعدها. ﴿بِمَاءٍ وَحِدٍ﴾: جار ومجرور متعلق بـ ﴿يُسْقَى﴾. صفة لـ ﴿مَاءٍ﴾، والجملة الفعلية صفة لـ ﴿جَنَّتْ﴾ وما بعدها، أو حال منها. ﴿وَنَفْضِلٌ بَعْضَهَا﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على ﴿اللَّهِ﴾. ﴿عَلَى بَعْضٍ﴾: متعلق به، وكذا يتعلق به الجار والمجرور في قوله: ﴿فِي الْأَكْثَلِ﴾، والجملة الفعلية مستأنفة. ﴿إِنَّ﴾: حرف نصب وتوكيد. ﴿فِي ذَلِكَ﴾: جار ومجرور خبر مقدم لـ ﴿إِنَّ﴾. ﴿لَأَيَّتِ﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾ مؤخر، واللام حرف ابتداء. ﴿لِقَوْرٍ﴾: صفة لـ ﴿آيات﴾، وجملة ﴿يَعْقِلُونَ﴾ صفة لـ ﴿قوم﴾.

﴿وَإِنْ تَعَجَّبْتَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَيْذَا كُنَّا تُرَابًا أَوْ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.

﴿وَإِنْ﴾ (الواو): استثنائية. ﴿إِنْ﴾: حرف شرط جازم. ﴿تَعَجَّبْتَ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ ﴿إِنْ﴾ الشرطية على كونها فعل شرط لها، وفاعله ضمير يعود على محمد. ﴿فَعَجَبٌ﴾: (الفاء): رابطة لجواب ﴿إِنْ﴾ الشرطية وجوباً؛ لكون الجواب جملة اسمية، ﴿عَجَبٌ﴾: خبر مقدم. ﴿قَوْلُهُمْ﴾: مبتدأ وخبر، ولا بد من حذف صفة لتتم الفائدة؛ أي: فعجب؛ أي: عجب قولهم، ويجوز أن يكون عجب مبتدأ، وسوغ الابتداء بالنكرة حينئذ ما ذكرته من الوصف المقدر، ولا يضر

حينئذ كون خبره معرفة. اهـ. «سمين»، والجملة الاسمية في محل الجزم على كونها جواباً لـ ﴿إِنْ﴾ الشرطية، وجملة ﴿إِنْ﴾ الشرطية: مستأنفة استثنافاً نحوياً لا محل لها من الإعراب. ﴿أَوَّادًا كَمَا تَرَبَّأْنَا لَفِي خَلْقِي جَدِيدًا﴾: مقول محكي لقولهم، وإن شئت قلت: (الهمزة): للاستفهام الإنكاري. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان مجرد عن معنى الشرط في محل النصب على الظرفية متعلق بمحذوف معلوم مما بعده تقديره: أنبعث إذا كنا تراباً. ﴿كَمَا﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿تَرَبَّأْنَا﴾: خبرها، وجملة كان في محل الجر مضاف إليه لـ ﴿إِذَا﴾ تقديره: أنبعث وقت كوننا تراباً لا نبعث حينئذ، والجملة المحذوفة في محل النصب مقول لقولهم. ﴿أَوَّادًا﴾: (الهمزة): للاستفهام الإنكاري مؤكدة للأولى. ﴿إِنَّا﴾: ناصب واسمه. ﴿لَفِي خَلْقِي﴾: جار ومجرور خبره، واللام حرف ابتداء. ﴿جَدِيدًا﴾: صفة لـ ﴿خَلْقِي﴾، وجملة ﴿إِنْ﴾: في محل النصب مقول لقولهم.

﴿أَوْلَيْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَعْلَىٰ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿أَوْلَيْكَ الَّذِينَ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة مستأنفة. ﴿كَفَرُوا﴾: فعل وفاعل. ﴿بِرَبِّهِمْ﴾: متعلق به، والجملة الفعلية صلة الموصول. ﴿وَأَوْلَيْكَ﴾: مبتدأ أول. ﴿الْأَعْلَىٰ﴾: مبتدأ ثان. ﴿فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾: خبر للمبتدأ الثاني، وجملة المبتدأ الثاني مع خبره خبر للأول، وجملة الأولى مع خبره معطوفة على جملة قوله: ﴿أَوْلَيْكَ الَّذِينَ﴾. ﴿وَأَوْلَيْكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾: مبتدأ وخبر معطوف على جملة ﴿أَوْلَيْكَ﴾ الأولى. ﴿هُمْ﴾: مبتدأ. ﴿فِيهَا﴾: متعلق بـ ﴿خَالِدُونَ﴾. ﴿خَالِدُونَ﴾: خبره، والجملة الاسمية في محل النصب حال من ﴿أَصْحَابُ النَّارِ﴾.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلُتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول. ﴿بِالسَّيِّئَةِ﴾: متعلق به، والجملة مستأنفة. ﴿قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾: متعلق بـ ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ﴾، أو حال من ﴿السَّيِّئَةِ﴾. ﴿وَقَدْ خَلَّتْ﴾: (الواو): حالية. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق. ﴿خَلَّتْ﴾: فعل

ماضٍ. ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿خَلَّتْ﴾. ﴿أَلْمَلَأْتُ﴾ فاعل،  
والجملة الفعلية في محل نصب حال من فاعل ﴿يَسْتَعْجِلُونَكُمْ﴾. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾:  
ناصب واسمه. ﴿لَذُو مَقْفَرَةٍ﴾: خبره ومضاف إليه، (واللام): حرف ابتداء.  
﴿لِلنَّاسِ﴾: متعلق بـ﴿مَقْفَرَةٍ﴾، وجملة ﴿إِنْ﴾: مستأنفة. ﴿عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾: جار  
ومجرور حال من ﴿الناس﴾. وقال أبو البقاء: والعامل فيها ﴿مَقْفَرَةٍ﴾ بمعنى أنه  
العامل في صاحبها، والتقدير: حالة كونهم ظالمين أنفسهم بالمعاصي، فيجوز  
العفو قبل التوبة؛ لأن قوله: ﴿لَذُو مَقْفَرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾؛ أي: حال اشتغالهم  
بظلم. اهـ. «كرخي». ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: ناصب واسمه وخبره،  
والجملة معطوفة على جملة ﴿إِنْ﴾ الأولى.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنْمَأ أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿كَفَرُوا﴾: فعل وفاعل  
صلة الموصول. ﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾: مقول محكي لـ﴿يقول﴾، وإن  
شئت قلت: ﴿لَوْلَا﴾: حرف تحضيض. ﴿أُنزِلَ﴾: فعل ماضٍ مغير الصيغة.  
﴿عَلَيْهِ﴾: متعلق به. ﴿آيَةٌ﴾: نائب فاعل لـ﴿أُنزِلَ﴾. ﴿مِنْ رَبِّهِ﴾: صفة  
لـ﴿آيَةٌ﴾، والجملة الفعلية في محل نصب مقول ﴿يقول﴾. ﴿إِنْمَأ﴾: أداة  
حصر. ﴿أَنْتَ مُنذِرٌ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة مستأنفة. ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ﴾: جار  
ومجرور خبر مقدم. ﴿هَادٍ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة مستأنفة، أو معطوفة على  
الجملة التي قبلها.

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾.

﴿اللَّهُ﴾: مبتدأ، وجملة ﴿يَعْلَمُ﴾: خبره، والجملة الاسمية مستأنفة. ﴿مَا﴾:  
موصولة، أو موصوفة في محل نصب مفعول ﴿يَعْلَمُ﴾؛ لأنه بمعنى عرف.  
﴿تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ﴾: فعل وفاعل ومضاف إليه مجرور بالفتحة المقدرة؛ لأنه اسم  
لا ينصرف لألف التانيث المقصورة، والجملة الفعلية صلة لـ﴿مَا﴾، أو صفة لها،  
والعائد أو الرابط محذوف تقديره: ما تحمله كل أنثى. ﴿وَمَا﴾: معطوف على

﴿مَا﴾ الأولى. ﴿تَعْيِضُ الْأَرْحَامِ﴾: فعل وفاعل، والجمله صلة الموصول، والعائد محذوف تقديره: وما تغيضه الأرحام. ﴿وَمَا﴾: معطوفة أيضاً على ﴿مَا﴾ الأولى. ﴿تَزْدَادُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿الْأَرْحَامِ﴾، والجمله صلة الموصول، والعائد محذوف تقديره: وما تزداده الأرحام. ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ﴾: مبتدأ ومضاف إليه. ﴿عِنْدَهُ﴾: ظرف ومضاف إليه صفة لـ ﴿شَيْءٍ﴾، أو صفة لـ ﴿كُلِّ﴾ كما ذكره أبو البقاء. ﴿بِمِقْدَارٍ﴾: جار ومجرور خبر المبتدأ، والجمله الاسمية مستأنفة.

﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ﴾ ﴿١﴾ سَوَاءٌ مِنْكَ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ. وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِيٌّ بِالنَّهَارِ ﴿٢﴾.

﴿عَلِمَ الْغَيْبِ﴾: خبر المبتدأ محذوف تقديره: هو عالم الغيب. ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾: معطوف على ﴿الْغَيْبِ﴾، والجمله مستأنفة. ﴿الْكَبِيرِ﴾: صفة لـ ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ﴾، أو خبر لمحذوف. ﴿الْمُتَعَالِ﴾: صفة لـ ﴿الْكَبِيرِ﴾ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء المحذوفة للوقف؛ لأنه رأس آية، ولولا ذلك لكان الجيد إثباتها. ذكره أبو البقاء، وحذفت في الخط تبعاً للفظ. ﴿سَوَاءٌ﴾: خبر مقدم. ﴿مِنْكَ﴾: جار ومجرور حال من الضمير المستكن في ﴿سَوَاءٌ﴾؛ لأنه بمعنى مستو. ﴿مَنْ﴾: اسم موصول في محل الرفع مبتدأ مؤخر. ﴿أَسَرَ الْقَوْلَ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَنْ﴾، والجمله الفعلية صلة الموصول. ﴿وَمَنْ جَهَرَ﴾: (الواو): عاطفة. ﴿مَنْ﴾: اسم موصول في محل الرفع معطوف على ﴿مَنْ﴾ الأولى. ﴿جَهَرَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَنْ﴾. ﴿بِهِ﴾: متعلق به، والتقدير: من أسر القول ومن جهر به مستويان في علمه تعالى حالة كونهما كائنين منكم. ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ﴾: (الواو): عاطفة. ﴿مَنْ﴾: اسم موصول في محل الرفع معطوف على ﴿مَنْ﴾ الأولى. ﴿هُوَ مُسْتَخْفٍ﴾: مبتدأ وخبر. ﴿بِاللَّيْلِ﴾: متعلق بـ ﴿مُسْتَخْفٍ﴾، والجمله الاسمية صلة الموصول. ﴿وَسَارِيٌّ﴾: معطوف على ﴿مُسْتَخْفٍ﴾. ﴿بِالنَّهَارِ﴾: متعلق به، والتقدير: ومن هو مستتر بظلام الليل، ومن هو ظاهر بضوء النهار مستويان في علمه تعالى.

﴿لَمْ مَعَقَبْتْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ .

﴿لَمْ﴾ : جار ومجرور خبر مقدم . ﴿مَعَقَبْتْ﴾ : مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية مستأنفة . ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ : جار ومجرور متعلق بـ﴿مَعَقَبْتْ﴾ . ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ : معطوف عليه، ويجوز أن يتعلق بمحذوف صفة لـ﴿مَعَقَبْتْ﴾ ، ويجوز أن يتعلق بـ﴿يَحْفَظُونَهُ﴾ ؛ أي : يحفظونه من بين يديه ومن خلفه . فإن قلت : كيف يتعلق حرفان متحذان لفظاً ومعنى بعامل واحد، وهما ﴿مِنْ﴾ الداخلة على ﴿بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ و﴿مِنْ﴾ الداخلة على ﴿أَمْرِ اللَّهِ﴾؟ .. فالجواب أن ﴿مِنْ﴾ الثانية مغايرة للأولى في المعنى كما مر، وسيأتي في مبحث الصرف . اهـ . «سمين» . ﴿يَحْفَظُونَهُ﴾ : فعل وفاعل ومفعول . ﴿مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ : جار ومجرور متعلق به، والجملة في محل الرفع صفة لـ﴿مَعَقَبْتْ﴾ ، أو حال من الضمير المستكن في الخبر الظرفي . ﴿إِنَّكَ اللَّهُ﴾ : ناصب واسمه . ﴿لَا﴾ : نافية . ﴿يُغَيِّرُ﴾ : فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿اللَّهُ﴾ ، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿إِنَّكَ﴾ ، وجملة ﴿إِنَّكَ﴾ : مستأنفة . ﴿مَا﴾ : موصولة، أو موصوفة في محل نصب مفعول به . ﴿بِقَوْمٍ﴾ : جار ومجرور صلة لـ﴿مَا﴾ ، أو صفة لها . ﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا﴾ : فعل وفاعل منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد ﴿حَتَّى﴾ بمعنى إلى . ﴿مَا﴾ : مفعول به . ﴿بِأَنْفُسِهِمْ﴾ : جار ومجرور صلة لـ﴿مَا﴾ ، أو صفة لها، والجملة الفعلية صلة أن المضمرة، أن مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بـ﴿حَتَّى﴾ بمعنى إلى تقديره : إلى تغييرهم ما بأنفسهم، والجار والمجرور متعلق بقوله : ﴿لَا يُغَيِّرُ﴾ . ﴿وَإِذَا﴾ : (الواو) : استثنائية . ﴿إِذَا﴾ : ظرف لما يستقبل من الزمان . ﴿أَرَادَ اللَّهُ﴾ : فعل وفاعل، والجملة الفعلية في محل الجبر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها على كونها فعل شرطها، والظرف متعلق بالجواب الآتي . ﴿بِقَوْمٍ﴾ : متعلق بـ﴿أَرَادَ﴾ . ﴿سُوءًا﴾ : مفعول به لـ﴿أَرَادَ﴾ . ﴿فَلَا﴾ : (الفاء) : رابطة لجواب إذا وجوباً، ﴿لَا﴾ : نافية تعمل عمل إن . ﴿مَرَدًا﴾ : في محل نصب اسمها . ﴿لَمْ﴾ : جار ومجرور خبر ﴿لَا﴾ ، والجملة الاسمية جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿إِذَا﴾ : مستأنفة . ﴿وَمَا لَهُمْ﴾ : (الواو) : عاطفة . ﴿مَا﴾ : حجازية أو تميمية . ﴿لَهُمْ﴾ : جار ومجرور خبر ﴿مَا﴾

مقدم على اسمها، أو خبر مقدم للمبتدأ. ﴿مِنْ دُونِهِ﴾: جار ومجرور حال من الضمير المستكن في الخبر. ﴿مِنْ﴾: زائدة. ﴿وَالِ﴾: اسم ﴿مَا﴾ مؤخر، أو مبتدأ مؤخر، والتقدير: وما والى كائناً، أو كائن لهم حالة كونه كائناً من دونه تعالى، والجملة الاسمية معطوفة على الجملة التي قبلها على كونها جواب ﴿إِذَا﴾.

## التصريف ومفردات اللغة

﴿بِقَرِّ عَمَدٍ﴾ العمد: السواري والأساطين، واحدها عمود كأدم وأديم، وقرىء: ﴿عُمْدٌ﴾ - بضميتين - فيكون جمع عماد كشهب وشهاب، وكتب وكتاب، أو جمع عمود كرسول ورسول هذا في الكثرة، ويجمعان في القلة على أعمدة كما في «البحر».

﴿وَسَحَّرَ الشَّمْسَ﴾ والتسخير: التذليل والطاعة. ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾ والتدبير: التصريف للأمر على وجه الحكمة.

﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ والتفصيل: التبيين، والآيات هي الأدلة التي تقدم ذكرها من الشمس والقمر. ﴿تَوْفِقُونَ﴾ واليقين: العلم الثابت الذي لا شك فيه.

﴿مَدَّ الْأَرْضَ﴾؛ أي: بسطها طولاً وعرضاً. قال الأصم: المد هو البسط إلى ما لا يدرك منتهاه.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رِوْسًا﴾ والراسي: الثوابت المستقرة التي لا تتحرك ولا تنتقل، واحدها راسية؛ لأن الأرض ترسو وتثبت بها، وتمسكها من الاضطراب.

﴿وَأَنْهَرْنَا﴾: واحدها نهر؛ وهو المجرى الواسع من الماء؛ أي: مياهاً جارية في الأرض فيها منافع الخلق، أو المراد: جعل فيها مجاري الماء.

﴿وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ﴾، ﴿زَوْجَيْنِ آتَيْنِ﴾ والشمرات: جمع ثمرة، والثمرة: غلة الشجر ومنافعه، والعرب تسمي الاثنين زوجين، والواحد من الذكور زوجاً لأنثاه، والأنثى زوجاً وزوجة لذكرها؛ أي: جعل من كل نوع من أنواع الشمرات

الموجودة في الدنيا ضربين وصنفين؛ إما في اللون كالأبيض والأسود، أو في الطعم كالحلو والحامض، أو في القدر الكبير والصغير، أو في الكيفية كالحار والبارد وما أشبه ذلك.

﴿يُقَشِّي أَلْيَلِ النَّهَارِ﴾؛ أي: يستر النهار بالليل، ومعنى تغطية هذا بذلك: الإتيان به مكانه؛ أي: الإتيان به بدله، وعد هذا في تضاعيف الآيات السفلية، وإن كان تعلقه بالآيات العلوية ظاهراً باعتبار أن ظهوره في الأرض، فإن الليل إنما هو ظلها، وفيما فوق موقع ظلها لا ليل أصلاً. ا هـ. «أبو السعود».

﴿لَقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، والفكر: هو تصرف القلب في طلب الأشياء. وقال صاحب «المفردات» الفكر: قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم، والتفكر: جريان تلك القوة بحسب نظر العقل، وذلك الإنسان دون الحيوان، ولا يقال إلا فيما يمكن أن يكون له صورة في القلب، ولهذا روي: تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله؛ إذ الله منزه أن يوصف بصورة. ا هـ. «خازن».

﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ﴾؛ أي: بقاع جمع قطعة. ﴿مُتَجَوِّزَاتٌ﴾؛ أي: متقاربات. ﴿وَنَخِيلٌ﴾ والنخل والنخيل بمعنى، والواحد نخلة. ا هـ. «مختار». لكن النخل يذكر ويؤنث، والنخيل مؤنث لا غير كما في «المصباح».

﴿صِنَوَانٌ﴾ جمع كثرة لصنو، وجمعه في القلة أصناء كحمل وأحمال، والعامية على كسر الصاد. والصنو الفرع يجمعه وآخر أصل واحد، وأصله المثل، ومنه قيل للعم: صنو ومنه الحديث: «عم الرجل صنو أبيه» وجمعه في لغة الحجاز صِنَوَان - بفتح الصاد - وهو اسم جمع لا جمع تكسير؛ لأنه ليس من أبنيته، فالصنوان: هي النخلات يجمعها أصل واحد، وتشعب فروعها ذكره في «البحر».

﴿وَنَقِصْبٌ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ﴾ الأكل - بضم تين وإسكان الثاني للتخفيف - المأكول. ا هـ. «مصباح». والمراد به هنا الثمر والحب، فالثمر من النخيل والأعناب، والحب من الزرع.

﴿وَأِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ﴾ والعجب: تغير النفس حين رؤية ما يستبعد في مجرى العادة؛ أي: تحقيق بالعجب قولهم الخ. ﴿جَدِيدٌ﴾ ضد الخلق والبالى، ويقال: ثوب جديد؛ أي: كما فرغ من عمله، وهو فاعيل بمعنى مفعول، كأنه كما قطع من النسيج، ذكره أبو حيان في «البحر».

﴿الْأَعْلَلُ﴾ جمع غُل بالضم، وهو طوق من حديد يجعل في العنق. اهـ. «خازن».

﴿الْمَثَلَتُ﴾ - بفتح فضم - جمع مثلة - بفتح فضم - كسْمُرَةٌ؛ وهي العقوبة التي تترك في المعاقب أثراً قبيحاً كصلم أذن، أو جدع أنف، أو سمل عين.

﴿لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ والغفر هنا: الستر بالإمهال وتأخير العقاب إلى الآخرة.

﴿لَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِ آيَةً مِّن رَّبِّهِ﴾ والمراد بالآية هنا الآيات الحسية، كقلب عصا موسى حية وناقة صالح.

﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ والهادي: القائد الذي يقود الناس إلى الخير، كالأنبياء والحكماء والمجتهدين.

﴿وَمَا تَنْقِضُ الْأَرْحَامُ﴾ الغيظ: النقصان، يقال: غاض الماء وغضته كما قال: ﴿وَيَغِيضُ الْمَاءَ﴾.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدُ بِمِقْدَارٍ﴾ والمراد بالعندية: عندية علم يعني: أنه تعالى يعلم كمية كل شيء وكيفيته على أكمل الوجوه. اهـ. «خازن».

﴿بِمِقْدَارٍ﴾؛ أي: بأجل لا يتجاوزه ولا ينقص عنه، والغائب: ما غاب عن الحس، والشاهد: الحاضر المشاهد ﴿الْكَبِيرُ﴾: العظيم الشأن. وفي «الخازن»: الكبير: الذي يصغر كل كبير بالإضافة إلى عظمته وكبريائه. والمتعالي: المستعلي على كل شيء بقهره وجبره ﴿سَوَاءٌ مِّنْكُمْ﴾؛ أي: مستو منكم.

﴿مَنْ أَسْرَّ﴾ أسر الشيء إذا أخفاه في نفسه، والمستخفي المبالغ في



الاختفاء، والسارب الظاهر من قولهم: سرب إذا ذهب في سربه؛ أي: طريقه. وفي «المصباح»: سرب في الأرض سروباً - من باب قعد - ذهب، وسرب الماء سروباً وسرب المال سروباً من باب قتل، رعى نهاراً بغير راع؛ فهو سارب، وسرب تسمية بالمصدر، والسرب أيضاً: الطريق، ومنه يقال: حل سربه؛ أي: طريقه. والسرب - بالكسر - النفس، وهو واسع السرب؛ أي: رخي البال، ويقال: واسع الصدر بطيء الغضب. والسَّرْب - بفتح السين - بيت في الأرض لا منفذ له؛ وهو الوكر. ١ هـ.

﴿مُعَقَّبَةٌ﴾؛ أي: ملائكة تعتقب في حفظه، وكلاءته، واحدها معقبة من عقبة؛ أي: جاء عقبه. وفي «السمين»: وفي معقبات احتمالان:

أحدهما: أن يكون جمع معقبة بمعنى معقب، والتاء للمبالغة كعلامة ونسابة؛ أي: ملك معقب، ثم جمع هذا كعلامات ونسابات.

والثاني: أن يكون معقبة صفة لجماعة، ثم جمع هذا الوصف كجمل وجمال وجماليات. ١ هـ.

﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾؛ أي: قدامه. ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ﴾؛ أي: من ورائه.

﴿مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾؛ أي: بأمره وإعانتة، و﴿مِنْ﴾ بمعنى الباء السببية.

﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾؛ أي: فلا رد، فهو مصدر ميمي بمعنى الراد.

﴿مِنْ وَالٍ﴾؛ أي: ناصر ف﴿من﴾ زائدة.

### البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضرباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: الإشارة بالبعيد إلى القريب في قوله: ﴿تِلْكَ آيَاتُ﴾ تنزيلاً للبعد الرتبي منزلة البعد الحسي؛ للدلالة على علو شأنها ورفع منزلتها.

ومنها: الدلالة على التفخيم بإدخال آل على الكتاب؛ أي: تلك آيات

الكتاب العجيب الكامل في إعجازه وبيانه .

ومنها : الكناية في قوله : ﴿ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴾ ؛ لأنه كناية عن تدليلهما لما يراد منهما ؛ وهو انتفاع الخلق بهما حيث يعلمون عدد السنين والحساب بمسير الشمس والقمر ، ينوران لهم في الليل والنهار ، ويدرآن الظلمات ، ويصلحان الأرض والأبدان والأشجار والنباتات .

ومنها : الاستعارة التصريحية التبعية في قوله : ﴿ يَغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارُ ﴾ شبه إحداث ظلمة الليل في الجو الذي هو مكان الضوء بإغشاء الأغشية الحسية على الأشياء الظاهرة بجامع الستر في كل ، فأطلق اسم الإغشاء والإلباس على ذلك الإحداث ، فاشتق منه يغشي بمعنى يحدث على طريقة الاستعارة التصريحية التبعية .

ومنها : التأكيد في قوله : ﴿ اثْنَيْنِ ﴾ ؛ لأنه تأكيد لزوجين .

ومنها : الاكتفاء في قوله : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قَطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ ﴾ لأن في الكلام حذفاً على ما قيل ؛ أي : قطع متجاورات وغير متجاورات كما في قوله تعالى : ﴿ سَرَبِيلٌ تَقِيكُمْ الْحَرَّ ﴾ ؛ أي : والبرد .

ومنها : الاستفهام الإنكاري المفيد لكمال الاستبعاد في قوله : ﴿ أءَذَا كُنَّا تَرَاتِبًا ﴾ .

ومنها : تكرير الهمزة في قوله : ﴿ لَمَنِ خَلَقَ ﴾ : لتأكيد الإنكار بالبعث .

ومنها : التكرار في قوله : ﴿ أَوْلَيْكَ ﴾ ، وفي قوله : ﴿ أءِنَّا ﴾ .

ومنها : تقديم الظرف في قوله : ﴿ وَأَوْلَيْكَ الْأَعْلَى ﴾ ، وقوله : ﴿ وَأَوْلَيْكَ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ .

ومنها : الحصر في قوله : ﴿ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ؛ لأن توسط ضمير الفصل وتقديم ﴿ فِيهَا ﴾ يفيد الحصر ؛ أي : هم الموصوفون بالخلود في النار لا غيرهم ، وإن خلودهم إنما هو في النار لا في غيرها ، فثبت أن أهل الكبائر لا يخلدون في النار ، ذكره في «روح البيان» .

ومنها: العدول عن الإضمار إلى الموصول ذمّاً لهم بكفرهم بآيات الله التي  
تخر لها الجبال، حيث لم يرفعوا لها رأساً، ولم يعدوها من جنس الآيات،  
وقالوا: ﴿لَوْلَا﴾... الخ. ا هـ. «أبو السعود».

ومنها: الطباق في قوله: ﴿تَغِيضُ﴾ و﴿تَزْدَادُ﴾، وفي قوله: ﴿الْغَيْبِ﴾  
و﴿الشَّهَادَةِ﴾، وفي قوله: ﴿أَسْرَ﴾ و﴿جَهَرَ﴾، وفي قوله: ﴿مُسْتَخْفٍ﴾ و﴿وَسَارِبٍ﴾؛  
لأن السارب الظاهر، وكلها من المحسنات البديعية اللفظية.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

\*\*\*

قال الله سبحانه جلّ وعلا:

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ السَّحَابَ الْقَثَالَ ﴿١٢﴾ وَيَسْخِبُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ﴿١٣﴾ لَمْ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَيْطٍ كَذِبٍ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِيَلْبَعُهُ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾ وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلْمُهُمُ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿١٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَلْبِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقَ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ مَثَلٍ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِمْ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ لِلْهَادِ ﴿١٨﴾ أَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَنْذُرُ أُولَئِ الْأَبْطِ ﴿١٩﴾ .

### المناسبة

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما<sup>(١)</sup> خوف عباده بأنه إذا أراد السوء بقوم، فلا يدفعه أحد.. أتبعه بذكر آيات تشبه النعم والإحسان حيناً، وتشبه العذاب والنقم حيناً آخر.

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما بين أن كل من في السماوات والأرض خاضع لقدرته منقاد لإرادته بالغدو والآصال، وفي كل وقت وحين، طوعاً أو

(١) البحر المحيط والمراعي.

كرهاً بحسب ما يريد.. أعاد الكلام مع المشركين؛ ليلزمهم الحجة، ويقنعهم بالدليل، ويضيق عليهم باب الحوار حتى لا يستطيعوا الفرار من الاعتراف بوحدانيته تعالى وشمول قدرته وإرادته، وأنه لا معبود سواه ولا رب غيره.

قوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما ضرب مثل البصير والأعمى للمؤمن والكافر، ومثل النور والظلمات للإيمان والكفر.. ضرب مثلين للحق في ثباته وبقائه، وللباطل في اضمحلاله وفنائه، ثم بين مآل كل من السعداء والأشقياء، وما أعد لكل منهما يوم القيامة، وبين أن حالهما لا يستويان عنده، وأن الذي يعي تلك الأمثال ويعتبر بها إنما هو ذو اللب السليم والعقل الراجح والفكر الثاقب.

### أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ...﴾ الآية، سبب نزول هذه الآية: ما أخرجه<sup>(١)</sup> النسائي والبخاري عن أنس - رضي الله عنه - قال: بعث رسول الله ﷺ رجلاً من أصحابه إلى رجل من عظماء الجاهلية يدعوه إلى الله تعالى فقال: إيش ربك الذي تدعوني إليه؟ أمن حديد، أم من نحاس، أو من فضة، أو من ذهب؟ فأتى النبي ﷺ، فأخبره فأعاد الثانية والثالثة، فأرسل الله عليه صاعقة، فأحرقته، ونزلت هذه الآية: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ...﴾ إلى آخرها.

وروي في أسباب نزولها: أن عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة أخا لبيد وفدا إلى رسول الله ﷺ بالمدينة، وسألاه أن يجعل لهما نصف الأمر، فأبى عليهما ذلك، فقال له عامر لعنه الله: أما والله لأملأنها عليك خيلاً جرداً، ورجالاً مردأً، فقال له رسول الله ﷺ: «يأبى الله عليك وابنا قيلة» - الأنصار من الأوس والخزرج - ثم أنهما هما بالفتك برسول الله ﷺ، فجعل أحدهما يخاطبه، والآخر

(١) لباب القول.

يستل سيفه ليقته من ورائه، فحماء الله تعالى منهما وعصمه، فخرجا من المدينة وانطلقا في أحياء العرب يجمعان لحربه، فأرسل الله تعالى على أريد سحابة فيها صاعقة فأحرقته، وأرسل الطاعون على عامر، فخرجت فيه غدة كغدة البكر، فأوى إلى بيت سلولية، وجعل يقول: يا غدة كغدة البكر وموت في سلولية حتى مات، وأنزل الله في مثل ذلك: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ...﴾.

### التفسير وأوجه القراءة

﴿هُوَ﴾ سبحانه وتعالى الإله ﴿الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ﴾ أيها الكفار المكذبون لرسولنا، وهو لمعان يظهر من خلال السحاب، وأسند<sup>(١)</sup> الإراءة إلى ذاته؛ لأنه الخالق في الأبصار نوراً يحصل به الرؤية للخلائق حالة كونكم ﴿خَوْفًا﴾؛ أي: خائفين<sup>(٢)</sup> من وقوع الصواعق، وخراب البيوت بالمطر ﴿و﴾ حالة كونكم ﴿طَمَعًا﴾؛ أي: طامعين في نزول الغيث وحصول بركته، أو حالة كون البرق ذا خوف لمن له في المطر ضرر كالمسافر، وكمن يجفف التمر والزبيب والقمح وذا طمع لمن له في نفع كالحراث. فإن<sup>(٣)</sup> المطر يكون لبعض الأشياء ضرراً ولبعضها رحمة، فيخاف منه المسافر ومن في خزنته التمر والزبيب، ومن له بيت لا يكف المطر، ويطمع فيه المقيم وأهل الزرع والبساتين، ومن البلاد ما لا ينتفع أهله بالمطر كأهل مصر، فإن انتفاعهم إنما هو بالنيل، وبالمطر يحصل الوطر.

والمعنى: أنه<sup>(٤)</sup> سبحانه وتعالى يسخر البرق، فيخاف منه بعض عباده كالمسافر ومن في جريته التمر والزبيب للتجفيف، ويطمع فيه من له فيه النفع كمن يرجو المطر لسقي زرعه، وهكذا حال كل شيء في الدنيا هو خير بالنظر إلى من يحتاج إليه في أوانه، وشر بالنظر إلى من يضره بحسب مكانه أو زمانه ﴿و﴾ هو الإله الذي ﴿ينشيء﴾؛ أي: يخلق ويوجد ﴿السَّحَابَ﴾ ويرفع الغمام المنسحب في الجو؛ أي: يتبدى إنشاء السحاب؛ أي: خلقه. وفيه دلالة على أن السحاب

(٣) روح البيان.

(٤) المراغي.

(١) روح البيان.

(٢) المراح.

يعدمه الله تعالى، ثم يخلقه جديداً، والسحاب اسم جنس، والواحدة سحابة، ولذلك وصف بقوله: ﴿الْقَالَ﴾ بالمطر، جمع ثقيلة، وقيل: جمع له كما في «الخازن». والسحاب: غريبال<sup>(١)</sup> الماء. قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وقيل: السحاب: الغيم فيه ماء، أو لم يكن فيه ماء، ولهذا قيل: سحاب جهام؛ وهو الخالي من الماء، وأصل السحب الجرّ، وسمي السحاب سحاباً؛ إما لجر الرياح له، أو لجره الماء، أو لانجراره في سيره. واختلف<sup>(٢)</sup> في أن الماء ينزل من السماء إلى السحاب، أو يخلقه الله في السحاب فيمطر. وفي «حواشي ابن الشيخ»: السحاب: جسم مركب من أجزاء رطبة مائية، ومن أجزاء هوائية، وهذه الأجزاء المائية المشوبة بالأجزاء الهوائية إنما حدثت وتكونت في جو الهواء بقدرة المحدث القادر على ما شاء، والقول بأن تلك الأجزاء تصاعدت من الأرض، فلما وصلت إلى الطبقة الباردة من الهواء بردت، فثقلت فرجعت إلى الأرض باطل؛ لأن الأمطار مختلفة، فتارة تكون قطرتها كبيرة، وتارة تكون صغيرة، وتارة متقاربة، وتارة متباعدة، وتارة تدوم زماناً طويلاً، وتارة لا تدوم، فاختلف الأمطار في هذه الصفات مع أن طبيعة الأرض واحدة، وكذا طبيعة الشمس المسخنة للبخارات واحدة لا بد أن يكون ذلك بتخصيص الفاعل المختار، وأيضاً فالتجربة دلت على أن للدعاء والتضرع في نزول الغيث أثراً عظيماً، ولذلك كانت صلاة الاستسقاء مشروعة، فعلمنا أن المؤثر فيه هو قدرة الفاعل المختار لا الطبيعة والخاصية انتهى.

والمعنى: وهو الذي يوجد السحاب منشأة جديدة مملئة ماء، فتكون ثقيلة قريبة من الأرض ﴿و﴾ هو سبحانه وتعالى الإله الذي ﴿يسبح الرعد﴾؛ أي: يسبحه وينزهه، ويقدسه من النقائص، ملك الرعد حالة كونه ملتبساً ﴿بِحَمْدِهِ﴾ سبحانه وتعالى. قيل: الرعد: اسم ملك موكل بالسحاب، والصوت المسموع لنا هو صوته بالتسييح، يسوق بصوته السحاب كما يسوق الحادي الإبل بحدائه، فإذا

(١) الخازن.

(٢) روح البيان.

سبح أوقع الهيبة على الخلق كلهم حتى الملائكة. وقيل: هو صوت الإله الذي يتولد عند ضرب السحاب بها.

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن اليهود سألت النبي ﷺ عن الرعد ما هو؟ فقال: «ملك من الملائكة موكل بالسحاب، ومعه مخاريق؛ أي: آلات من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله»، قالوا: فما الصوت الذي نسمع؟ قال: «زجره السحاب» أخرجه الترمذي وغيره وصححه. وقيل: الرعد: صوت السحاب، وتسيحه هو دلالته على وحدانية الله تعالى.

وعن ابن عباس<sup>(١)</sup> - رضي الله عنهما - أنه قال: من سمع صوت الرعد، فقال: سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير، فإن أصابه صاعقة فعلى دينه، وكان عبد الله بن الزبير إذا سمع الرعد ترك الحديث، وقال: سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته، وكان يقول: إن الوعيد لأهل الأرض شديد.

وفي الحديث: «البرق والرعد وعيد لأهل الأرض، فإذا رأيتموه فكفوا عن الحديث وعليكم بالاستغفار».

والخلاصة: أي أن<sup>(٢)</sup> في صوت الرعد لدلالة على خضوعه وتنزيهه عن الشريك والعجز، كما يدل صوت المسبح وتحميده على انقياده لقدرة ذلك الحكيم الخبير. ونحو الآية قوله سبحانه: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾.

أخرج أحمد والبخاري والترمذي والنسائي وغيرهم عن ابن عمر - رضي الله عنهما - كان رسول الله ﷺ إذا سمع صوت الرعد والصواعق يقول: «اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك، وعافنا قبل ذلك». وأخرج ابن مردويه عن أبي

(١) الخازن.

(٢) المراغي.



هريرة - رضي الله عنه -، أن رسول الله ﷺ إذا هبت الريح أو صوت الرعد..  
تغير لونه حتى يعرف ذلك في وجهه، ثم يقول للرعدي: «سبحان من سبحت له»،  
وللريح: «اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً».

﴿و﴾ هو سبحانه وتعالى الإله الذي تسبح جميع ﴿الملائكة﴾ الكرام ﴿مِنَ خِيفَتِهِ﴾؛ أي: من خوفه سبحانه وتعالى وهيبته وجلاله، وينزهونه عن اتخاذ  
الصاحبة والولد والأنداد. ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ معطوف على ﴿الرَّعْدُ﴾ عطف عام على  
خاص، وإنما<sup>(١)</sup> أفرد ﴿الرَّعْدُ﴾ بالذكر مع دخوله في ﴿الملائكة﴾ تشريفاً له على  
غيره من الملائكة، فهو كقوله: ﴿وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل﴾؛ أي:  
ويسبح الملائكة من خوف الله تعالى وخشيته وهيبته وجلاله، وذلك لأنه إذا سبح  
الرعد - وتسيحه ما يسمع من صوته - لم يبق ملك إلا رفع صوته بالتسيح، فينزل  
المطر والملائكة خائفون من الله تعالى، وليس خوفهم كخوف بني آدم، فإنه لا  
يعرف أحدهم من على يمينه ومن على يساره، ولا يشغله عن عبادة الله طعام ولا  
شراب ولا شيء أصلاً.

﴿و﴾ هو سبحانه وتعالى الإله الذي ﴿يرسل الصواعق﴾ وينزلها من السماء  
﴿فَيُصِيبُ بِهَا﴾؛ أي: بتلك الصواعق ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ إصابته بها من عباده فيهلكه.  
والصواعق<sup>(٢)</sup> جمع صاعقة؛ وهي نار لا دخان لها تسقط من السماء وتتولد في  
السحاب، وهي أقوى نيران هذا العالم، فإنها إذا نزلت من السحاب فربما  
غاصت في البحر وأحرقت الحيتان تحت البحر، والصاعقة تصيب المسلم وغيره  
ولا تصيب الذاكِر. يقول الفقير: لعل وجهه أن الصاعقة عذاب عاجل، ولا  
يصيب إلا الغافل، وأما الذاكِر فهو مع الله ورحمته، وبين الرحمة والغضب  
تباعد. وقولهم: تصيب المسلم - يشير إلى أن المصاب بالصاعقة على حاله من  
الإيمان والإسلام، ولا أثر لها فيه كما في اعتقاد بعض العوام.

(١) الخازن.

(٢) روح البيان.

وجملة قوله: ﴿وَهُمْ﴾؛ أي: هؤلاء الكفار مع ظهور هذه الدلائل ﴿يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ﴾ تعالى؛ أي: يخاصمون في الله، وينازعون في شأنه وفيما وصفه به الرسول ﷺ من كمال العلم والقدرة والتفرد بالألوهية وإعادة الناس للجزاء على أعمالهم يوم العرض والحساب جملة مستأنفة، أو في محل الحال مِنْ مَنْ وأعاد عليها الضمير جمعاً باعتبار معناها كما في «السمين».

﴿وَهُوَ﴾؛ أي: والحال أنه سبحانه وتعالى ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾؛ أي: شديد<sup>(١)</sup> المماحلة والمكايدة والمعاقبة لأعدائه؛ أي: شديد الأخذ بالعقوبة يأتيهم من حيث لا يحتسبون ولا يترقبون، وهو القادر على أن ينزل عليهم عذاباً من عنده لا يستطيعون حيلة لدفعه، ولا قوة على رده، لكنه يمهلهم لأجل معلوم بحسب ما تقضيه الحكمة كما صح في الحديث: «إن ربك لا يهمل ولكن يمهل» ومثل الآية قوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهُوَ ظَلِيمٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله: ﴿ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكروهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين﴾.

قال ابن جرير في تفسير ذلك<sup>(٢)</sup>: والله شديد في عقوبة من طغى عليه، وعتا وتمادى في كفره؛ أي<sup>(٣)</sup>: شديد المكر والكيد لأعدائه يهلكهم من حيث لا يحتسبون، من محل بفلان إذا كاده وسعى به إلى السلطان، ومنه تمحل لكذا إذا تكلف في استعمال الحيلة واجتهد فيه، فالجملة حال من الجلالة. وفي هذا تسليية لرسوله ﷺ، فإنه لما نعى على كفار قريش عنادهم في اقتراحهم الآيات الحسية كآيات موسى وعيسى عليهما السلام، وإنكارهم كون الذي جاء به عليه السلام آيةً.. سلاه بما ذكر كأنه قال له: إن هؤلاء لم يقصروا جحدهم وإنكارهم على النبوة، بل تخطوه إلى الألوهية، ألا تراهم مع ظهور الآيات البينات على التوحيد يجادلون في الله باتخاذ الشركاء، وإثبات الأولاد له، ومع إحاطة علمه وشمول

(١) الفتوحات.

(٣) روح البيان.

(٢) الطبري.

قدرته ينكرون البعث والجزاء والعرض للحساب، ومع شديد بطشه وعظيم سلطانه يقدمون على المكايدة والعتاد. . فهون عليك ولا تذهب نفسك عليهم حسرات. وقرأ الجمهور<sup>(١)</sup>: ﴿الْمَحَالِّ﴾ - بكسر الميم -، وقرأ الضحاك والأعرج شذوذاً: ﴿الْمَحَالِّ﴾ - بفتح الميم - وفسرت هذه القراءة بالحول.

﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾؛ أي: له سبحانه وتعالى لا لغيره، وتقديم<sup>(٢)</sup> الخبر لإفادة التخصيص، دعوة الحق؛ أي: الدعاء الحق على أن يكون من باب إضافة الموصوف إلى الصفة، والدعوة بمعنى العبادة، والحق بمعنى الحقيق اللائق الغير الباطل، والمعنى: إن الدعوة التي هي التضرع والعبادة قسمان: ما يكون حقاً وصواباً، وما يكون باطلاً وخطأً. فالتى تكون حقاً منها مختصة به تعالى لا يشاركه فيها غيره، أو له الدعوة المجابة على أن يكون الحق بمعنى الثابت الغير الضائع الباطل، فإنه الذي يجيب لمن دعاه دون غيره. قال في «المدارك»: المعنى: إن الله يدعى فيستجيب الدعوة، ويعطي السائل الداعي سؤاله، فكانت دعوة ملابسة لكونه حقيقاً بأن يوجه إليه الدعاء بخلاف ما لا يتفجع دعاؤه.

وعبارة الشوكاني هنا: إضافة<sup>(٣)</sup> الدعوة إلى الحق للملابسة؛ أي: الدعوة الملابسة للحق والصدق المختصة به التي لا مدخل للباطل فيها بوجه من الوجوه، كما يقال كلمة الحق، والمعنى: إن له تعالى دعوة مجابة واقعة في موقعها، لا كدعوة من دونه. وقيل: هو الله سبحانه وتعالى.

والمعنى: إن لله سبحانه دعوة المدعو الحق، وهو الذي يسمع فيجيب. وقيل: المراد بدعوة ها هنا: كلمة التوحيد والإخلاص والمعنى: لله من خلقه أن يوحده ويخلصوا له، وإنه شرعها وأمر بها. وقيل: دعوة الحق، دعاؤه سبحانه عند الخوف، فإنه لا يدعى فيه سواه، كما قال تعالى: ﴿صَلِّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَ﴾. وقيل: الدعوة: العبادة، فإن عبادة الله هي الحق والصدق انتهت. وفي هذا<sup>(٤)</sup>

(١) البحر المحيط. (٣) الشوكاني.

(٢) روح البيان. (٤) المراغي.

وما قبله وعيد للكفار على مجادلتهم لرسول الله ﷺ بحلول محاله بهم وتهديدهم بإجابة دعائه عليه السلام إن دعا عليهم.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾ مبتدأ، خبره جملة قوله: ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾؛ أي: والأصنام الذين يدعوهم المشركون ويتضرعون إليهم من دونه تعالى، متجاوزين إليهم، فحذف العائد، أو والكفار الذين يدعون الأصنام من دونه تعالى، فحذف المفعول لا يجيبونهم؛ أي: لا يجيب الأصنام. وعبر عن الأصنام بضمير العقلاء؛ لمعاملتهم إياها معاملة العقلاء؛ أي: لا تجيب الأصنام لداعيها بشيء مما يريدونه من نفع أو ضرر. والاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا كَبَسِطَ كَفْتَهُ إِلَى الْمَاءِ﴾ استثناء مفرغ من عام المصدر؛ أي: لا يستجيبونهم استجابةً إلا استجابةً مثل استجابة الماء لمن ييسط ويمد يديه إليه ﴿لِيَتَلَقَّ﴾ الماء ﴿فَأَهُ﴾؛ أي: يدعو الماء بلسانه ويشير إليه بيده ليصل إلى فمه ﴿وَمَا هُوَ﴾؛ أي: الماء ﴿بِالْبَلْغِ﴾؛ أي: يبلغ فيه؛ لأنه جماد لا يشعر بيسط كفيه ولا بعطشه وحاجته إليه، ولا يقدر أن يجيب دعاءه ويبلغ فيه، وكذا ما يدعوونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع إجابتهم ولا يقدر على نفعهم، ففي الكلام تشبيه مركب تمثيلي، كما سيأتي في مبحث البلاغة.

والمعنى: أنه تعالى شبه من يعبد الأصنام بالرجل العطشان الذي يرى الماء بعينه من بعيد، فهو يشير بكفيه إلى الماء ويدعو بلسانه، فلا يأتيه أبداً، هذا معنى قول مجاهد. وعن عطاء: كالعطشان الجالس على شفير البئر، فلا يبلغ إلى قعر البئر ليجر الماء ولا الماء يرتفع إليه، فلا ينفعه بسط الكف إلى الماء، ودعاؤه له، ولا هو يبلغه. اهـ. «خازن».

﴿وَمَا دَعَا الْكُفْرِينَ﴾ لأصنامهم ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾؛ أي: إلا<sup>(١)</sup> في ضياع وخسار وبطلان؛ لأن الآلهة لا تقدر على إجابتهم، وأما دعاؤه له تعالى فالمذهب جواز استجابته، وقد أجاب الله دعاء إبليس وغيره، ألا ترى أن فرعون كان يدعو الله في مكان خال عند نقصان النيل فيستجيب الله دعاؤه ويمده، فإذا كان الله لا

(١) روح البيان.

يضيق دعاء الكافرين، فما ظنك بالماء. أو المعنى<sup>(١)</sup>: وما عبادة الكافرين إلا في ضياع لا منفعة فيها؛ لأنهم إن عبدوا الأصنام لم يقدروا على نفعهم، وإن عبدوا الله لم يقبل منهم لإشراكهم. وقرأ الجمهور: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ - بالياء -، وقرئ بالتاء. وقرئ على هذه القراءة الشاذة: ﴿كَبَاسِطٍ كَفِيهِ﴾ - بتنوين باسط - ويكون في قوله: ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ﴾ التفات.

ثم بين عظيم قدرته تعالى، فقال: ﴿وَلِلَّهِ﴾ سبحانه وتعالى لا غيره ﴿يَسْجُدُ﴾ حقيقة بوضع الجبهة على الأرض ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾ من الملائكة وأرواح الأنبياء والمؤمنين ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ من الملائكة والمؤمنين من الثقلين ﴿طَوَّعًا﴾؛ أي: حالة كونهم طائعين مختارين في حالة السعة والرخاء ﴿وَمَنْ فِي الْكَرَاهِ﴾؛ أي: كارهين حالة الشدة والضرورة. أو المعنى: والله يعبد من في السماوات ومن في الأرض من الملائكة وبعض المؤمنين من الثقلين حالة كونهم طائعين بسهولة ونشاط، وحالة كونهم كارهين للعبادة بمشقة لصعوبة ذلك على بعض المؤمنين. وقوله: ﴿كَرَاهًا﴾ راجع لمن ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ فقط. ﴿وَمَنْ يَسْجُدُ لِلَّهِ سَبْحَانَهِ وَتَعَالَى ظِلَالُهُمْ﴾؛ أي: ظلال من في السماوات والأرض بالعرض؛ أي: تبعاً لذي الظل؛ أي: ظلال من له ظل منهم، وهو الإنس لا الجن ولا الملك؛ إذ لا ظل لهما. ﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾؛ أي: في البكر والعشايا، فالباء بمعنى في الظرفية متعلقة بـ ﴿يَسْجُدُ﴾، ويجوز أن يراد بالسجود معناه المجازي، وهو انقيادهم لأحداث ما أراده الله فيهم شأؤوا أو كرهوا، وانقياد ظلالهم لتصريفه إياها بالمد والتقليص، ونقلها من جانب إلى جانب، فالكل مذل ومسخر تحت الأحكام والتقدير:، والغدو: جمع غداة؛ وهي البكرة. والآصال: جمع أصيل؛ وهو العشي من حين زوال الشمس إلى غيوبتها كما في «بحر العلوم». وقال في «الكواشي» وغيره الأصيل: ما بين صلاة العصر وغروب الشمس؛ أي: يسجد في هذين الوقتين، والمراد بهما الدوام؛ لأن السجود سواء أريد به حقيقته، أو الانقياد والاستسلام لا اختصاص له بالوقتين، وتخصيصهما - مع أن انقياد الظلال

(١) المراح.

وميلانها من جانب إلى جانب، وطولها بسبب انحطاط الشمس، وقصرها بسبب ارتفاعها - لا يختص بوقت دون وقت، بل هي مستسلمة منقادة لله تعالى في عموم الأوقات؛ لأن الظلال إنما تزداد وتعظم فيهما. وقيل: لأنهما طرفا النهار، فيدخل وسطه فيما بينهما. وجاء<sup>(١)</sup> بـ ﴿مَنْ﴾ في قوله: ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ تغليياً للعقلاء على غيرهم، ولكون سجود غيرهم تبعاً لسجودهم، ومما يؤيد حمل السجود على الانقياد ما يفيدته تقديم الله على الفعل من الاختصاص، فإن سجود الكفار لأصنامهم معلوم، ولا ينقادون لهم كانقيادهم لله في الأمور التي يقرون على أنفسهم بأنها من الله، كالخلق والحياة والموت ونحو ذلك.

## فصل

وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة، فيسن للقارئ والمستمع أن يسجد عند قراءته واستماعه لهذه السجدة. وقد سبق<sup>(٢)</sup> في آخر الأعراف ما يتعلق بسجدة التلاوة، فارجع إليه إن شئت. وأما سجدة الشكر؛ وهي أن يكبر ويخر ساجداً مستقبل القبلة، فيحمده تعالى ويشكره، ويسبح ثم يكبر، فيرفع رأسه. وقال الشافعي: يستحب سجود الشكر عند تجدد النعم كحدوث ولد، أو نصر على الأعداء ونحوه، وعند دفع نقمة كنجاة من عدو أو غرق ونحو ذلك. وعن أبي حنيفة ومالك: أن سجود الشكر مكروه، ولو خضع فتقرب لله تعالى بسجدة واحدة من غير سبب فالأرجح أنه حرام. قال النووي: ومن هذا ما يفعله كثير من الجهلة الضالين من السجود بين يدي المشايخ، فإن ذلك حرام قطعاً بكل حال، سواء كان إلى القبلة، أو لغيرها، وسواء قصد السجود لله، أو غفل، وفي بعض صورته ما يقتضي الكفر كذا في الفتح القريب. وقرأ أبو مجلز: ﴿والإيصال﴾. قال ابن جني هو مصدر أصل؛ أي: دخل في الأصل، كما تقول: أصبح؛ أي: دخل في الإصباح.

(١) الشوكاني.

(٢) روح البيان.

﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله تعالى: ﴿مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ والاستفهام فيه للتقرير؛ أي: من مالك السماوات والأرض، ومن مدبرهما وخالقهما؟ فسيقولون: الله؛ لأنهم مقرون بأن الله خالق السماوات وما فيها والأرض وما فيها، فإذا أجابوك بذلك ف﴿قُلْ﴾ أنت يا محمد: ﴿اللَّهُ﴾ رب السماوات والأرض ومالكهما وخالقهما ومتولي أمرهما؛ إذ لا جواب لهم سواه؛ لأنه البين الذي لا مرأى فيه؛ أي: قل لهم<sup>(١)</sup>: الذي خلقها وأنشأها وسواها على أتم موضع وأحكم بناء هو الله، وقد أمر عليه السلام ليجيب بذلك؛ للإشارة إلى أنه هو وهم سواء في ذلك الجواب الذي لا محيص منه، وهم لا ينكرونه البتة كما قال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾.

وقيل<sup>(٢)</sup>: لما قال هذه المقالة للمشركين عطفوا عليه، وقال: أجب أنت، فأمره الله أن يجيبهم بقوله: ﴿قُلْ اللَّهُ﴾؛ أي: قل يا محمد الله خالقهما وربهما. وقيل: إنما جاء السؤال والجواب من جهة واحدة؛ لأن المشركين لا ينكرون أن الله خالق كل شيء، فلما لم ينكروا ذلك وأجاب النبي ﷺ بقوله: ﴿اللَّهُ﴾، فكأنهم قالوا ذلك أيضاً، ثم أزمهم الحجة على عبادتهم الأصنام بقوله: ﴿قُلْ﴾ يا محمد للمشركين ﴿أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ تعالى ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ وآلهة يعني الأصنام، فالهمزة فيه للاستفهام التوبيخي الإنكاري داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أعلمتم أن ربهما هو الذي ينقاد لأمره من فيهما كافة، فاتخذتم من دونه تعالى أصناماً ﴿أَوْلِيَاءَ لَا يَلِكُونُ﴾ أولئك الأولياء ﴿لِأَنْفُسِهِمْ نَفَقًا وَلَا ضَرًّا﴾؛ أي: لا يستطيعون لأنفسهم جلب نفع إليها ولا دفع ضرر عنها، وإذا عجزوا عن جلب النفع إلى أنفسهم، ودفع الضرر عنها.. كانوا عن نفع الغير ودفع الضرر عنه أعجز، ومن هو كذلك، فكيف يعبد ويتخذ ولياً وهذا تجهيل لهم وشهادة على غباوتهم وضلالتهم التي ليس بعدها ضلال. وفي «روح البيان» الهمزة<sup>(٣)</sup> للإنكار، والفاء للاستبعاد؛ أي: أبعد إقراركم هذا وعلمكم بأنه تعالى

(٣) روح البيان.

(١) المراغي.

(٢) الخازن.

صانع العالم ومالكة اتخذتم من دونه تعالى أصناماً، وعبدتم من غيره تعالى أولياء وأرباباً، لا يستجلبون لأنفسهم نفعاً ولا يدفعون عنها ضرراً، فبالأولى أن يكونوا عاجزين عن تحصيل المنفعة للغير ودفع المضرة عن الغير، فإذا عجزوا عن ذلك كانت عبادتهم محض العبث والسفه، وهو منكر بعيد من مقتضى العقل.

وخلاصة ذلك<sup>(١)</sup>: أفبعد أن علمتم أنه هو الخالق لهذا الخلق العظيم تتخذون من دونه أولياء هم غاية في العجز، وجعلتم ما كان يجب أن يكون سبباً في الاعتراف بالوحدانية، وهو علمكم بذلك سبباً في إشراككم به سواء من أضعف خلقه، وهو بمعنى قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾.

ثم ضرب الله سبحانه وتعالى مثلاً للمشركين الذين يعبدون الأصنام، والمؤمنين الذين يعترفون بأن لا رب غيره ولا معبود سواه، وأمر رسوله ﷺ أن يقول لهم، فقال: ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى﴾ في دينه وهو الكافر ﴿وَالْبَصِيرُ﴾ فيه وهو الموحد، فإن الأول جاهل لما يجب عليه وما يلزمه، والثاني عالم بذلك، والاستفهام فيه للتقريع والتوبيخ. والكلام على التشبيه<sup>(٢)</sup>؛ أي: فكما لا يستوي الأعمى والبصير في الحسن، كذلك لا يستوي المشرك الجاهل بعظمة الله وثوابه وعقابه، وقدرته مع الموحد العالم بذلك.

والمعنى: أي قل لهم<sup>(٣)</sup> مصوراً سخيف آرائهم مفئداً قبيح معتقداتهم: هل يستوي الأعمى الذي لا يبصر شيئاً ولا يهتدي لمحجة يسلكها إلا بأن يهدي بدليل، والبصير الذي يهدي الأعمى لسلك الطريق؟ لا شك أن الجواب أنهما غير متساويين، فكذلك المؤمن الذي يبصر الحق فيتبعه، ويعرف الهدى فيسلكه لا يستوي هو وإياكم، وأنتم لا تعرفون حقاً ولا تبصرون رشداً.

ثم ضرب مثلاً للكفر والإيمان بقوله: ﴿أَمْ هَلْ نَسْتَوِي الظَّالِمَةُ﴾ و﴿أَمْ﴾ هنا

(٣) المراغي.

(١) المراغي.

(٢) روح البيان.



منقطعة تقدر ببل وبهمزة الاستفهام الإنكاري؛ أي: بل<sup>(١)</sup> أهل تستوي الظلمات التي لا ترى فيها الطريق، فتسلك ﴿وَالنُّورُ﴾ الذي يبصر به الأشياء ويجلو ضوءه الظلام؟ لا شك أن الجواب عن ذلك أنهما لا يستويان، فكذلك الكفر بالله صاحبه منه في حيرة يضرب أبداً في غمرة لا يهتدي إلى حقيقة، ولا يصل إلى صواب، والإيمان بالله صاحبه منه في ضياء، فهو يعمل على علم بربه ومعرفة منه بأنه يثيبه على إحسانه ويعاقبه على إساءته، ويرزقه من حيث لا يحتسب ويكلؤه بعنايته في كل وقت وحين، فهو يفوض أمره إليه إذا أظلمت الخطوب وتعقدت في نظره مدلهمات الحوادث. والكلام<sup>(٢)</sup> على التشبيه أيضاً؛ أي: فكما لا تستوي الظلمات والنور، كذلك لا يستوي الشرك والإنكار، والتوحيد والمعرفة، ووجد النور وجمع الظلمة؛ لأن طريق الحق واحد والباطل طرقه كثيرة، كشرك اليهود وشرك النصارى وشرك عبدة الأوثان وشرك المجوس وغيرها بخلاف التوحيد. وقرأ<sup>(٣)</sup> الأخوان حمزة والكسائي وأبو بكر: ﴿أَمْ هَلْ يَسْتَوِي﴾ - بالياء - والجمهور: ﴿تَسْتَوِي﴾ بالتاء الفوقية. و﴿أَمْ﴾ في قوله: ﴿أَمْ هَلْ﴾ منقطعة تنقدر بـ﴿بل﴾ والهمزة على المختار، والتقدير: بل أهل تستوي، و﴿هَلْ﴾ وإن نابت عن همزة الاستفهام في كثير من المواضع، فقد جامعها في قول الشاعر:

أَهْلٌ رَأَوْنَا بِوَادِي أَلْفَقْرِ ذِي الْأَكْمِ  
 وإذا جامعها مع التصريح بها فلأن تجامعها مع أم المتضمنة لها أولى، وهل بعد أم المنقطعة يجوز أن يؤتى بها لشبهها بالأدوات الإسمية التي للاستفهام في عدم الأصالة فيه كقوله: ﴿أَمْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ﴾. ويجوز أن لا يؤتى بها بعد أم المنقطعة؛ لأن أم تتضمنها، فلم يكونوا ليجمعوا بين أم والهمزة، لذلك ذكره أبو حيان في «البحر».

و﴿أَمْ﴾ في قوله: ﴿أَمْ جَمَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ منقطعة بمعنى بل وهمزة الإنكار.

(٣) البحر المحيط.

(١) المراغي.

(٢) روح البيان.

وجملة ﴿خَلَقُوا كَخَلْقِهِ﴾ صفة لـ ﴿شُرَكَاءِهِ﴾؛ أي: بل أجعل هؤلاء المشركون الله سبحانه وتعالى شركاء وآلهة يستحقون العبادة معه تعالى خلقوا؛ أي: خلق أولئك الشركاء سماوات وأرضين وشمساً وقمرأً وجبالاً وبحاراً ورجلاً وإنساً كخلقه تعالى إياهن؛ أي: خلقوا مخلوقاً مماثلاً لما خلقه الله تعالى. ﴿فَنَسَبَهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: فاشتبه<sup>(١)</sup> عليهم مخلوق الله بمخلوق الشركاء حتى يقولوا: قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه، فاستحقوا العبادة، فنتخذهم له شركاء، ونعبدهم كما يعبد، ولكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلاً أن يقدروا على ما يقدر عليه الخالق. وهذا الاستفهام إنكاري<sup>(٢)</sup>؛ أي: ليس الأمر كذلك حتى يشتبه عليهم الأمر، بل إذا تفكروا بعقولهم وجدوا الله تعالى هو المنفرد بخلق سائر الأشياء، والشركاء مخلوقون له أيضاً لا يخلقون شيئاً حتى يشتبه خلق الله بخلق الشركاء، وإذا كان الأمر كذلك.. فقد لزمتهم الحجة؛ وهو قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ خَلِيقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾. والمعنى؛ أي: بل<sup>(٣)</sup> أخلق أوثانكم التي اتخذتموها معبودات من دون الله خلقاً كخلقه، فاشتبه عليكم أمرها فيما خلقت وخلق الله، فجعلتموها له شركاء من أجل ذلك، أم أن بكم الجهل والبعد عن الصواب؛ إذ لا يخفى على من له مسكة من العقل أن عبادة ما لا يضر ولا ينفع من الجهل بحقيقة المعبود ومن يجب له التذلل والخضوع والإنابة والزلفى والإخبارات إليه، وإنما الواجب عبادة من يرجى نفعه ويخشى عقابه وضره، وهو الذي يرزقه ويمونه آناء الليل وأطراف النهار، وإذا كان الأمر كذلك كان حكمهم بكونها شركاء لله في الألوهية محض الجهل.

ثم ذكر فذلكة لما تقدم، ونتيجة لما سبق من الأدلة والأمثال التي ضربت بها، فقال: ﴿قُلِ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين مبيناً لهم وجه الحق ﴿أَلَلَّهُ﴾ سبحانه وتعالى ﴿خَلِيقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الأجسام والأعراض، لا خالق غير الله فيشاركه في العبادة؛ أي: الله خالقكم وخالق أوثانكم، وخالق كل شيء مما يصح أن يكون

(٣) المراغي.

(١) النسفي.

(٢) الخازن.

مخلوقاً. وقوله: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ من العموم الذي يراد به الخصوص؛ لأن الله تعالى خلق كل شيء وهو غير مخلوق. قال الزجاج: والمعنى أنه خالق كل شيء مما يصح أن يكون مخلوقاً، ألا ترى أنه تعالى شيء وهو غير مخلوق انتهى.

﴿وَهُوَ﴾ سبحانه وتعالى ﴿الْوَحِيدُ﴾؛ أي: الفرد الذي لا ثاني له ﴿الْقَهَّارُ﴾؛ أي: الغالب على كل شيء سواه، فكل ما عداه مربوب مقهور مغلوب، فكيف تعبدون غيره وتشركون به ما لا يضر ولا ينفع.

ثم ضرب سبحانه مثلاً آخر للحق وذويه وللباطل ومنتحليه، فقال: ﴿أَنْزَلَ﴾ سبحانه ﴿مِنْ السَّمَاءِ﴾؛ أي: من السحاب ﴿مَاءً﴾؛ أي: مطراً كثيراً، والتنوين<sup>(١)</sup> فيه للتكثير أو للنوعية ﴿فَسَالَتْ﴾؛ أي: فجرت بذلك الماء ﴿أَوْدِيَةً﴾؛ أي: أنهار كثيرة ﴿يَقْدِرُهَا﴾؛ أي: بحسب مقدار تلك الأودية في الصغر والكبير، فإن صغر الوادي قل الماء، وإن اتسع الوادي كثر الماء. والأودية جمع وادٍ كنادٍ وأندية، وهو كل منفرج بين جبلين أو نحوهما. وفي قوله: ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةً﴾ توسع؛ أي: سال ماؤها، ومعنى بقدرها؛ أي: بقدر مائها؛ لأن الأودية ما سالت بقدر أنفسها.

وفي «روح البيان»: ﴿أَنْزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً﴾؛ أي: مطراً ينحدر منها إلى السحاب، ومنه إلى الأرض، وهو رد لمن زعم أنه يأخذه من البحر ومن زعم أن المطر إنما يتحصل من ارتفاع أبخرة رطبة من الأرض إلى الهواء، فينقصد هناك من شدة برد الهواء، ثم ينزل مرة أخرى، وعن ابن عباس<sup>(٢)</sup> - رضي الله عنهما - أن تحت العرش بحراً ينزل منه أرزاق الحيوانات يوحي الله إليه، فيمطر ما شاء من سماء إلى سماء الدنيا، ويوحي إلى السحاب أن غربله فيغربله، فليس من قطرة تقطر إلا ومعها ملك يضعها موضعها، ولا ينزل من السماء قطرة إلا بكيل

(١) الشوكاني.

(٢) روح البيان.

معلوم ووزن معلوم إلا ما كان يوم الطوفان من ماء، فإنه نزل بغير كيل ولا وزن انتهى.

شبه نزول القرآن الجامع للهدى والبيان بنزول المطر<sup>(١)</sup>؛ إذ نفع نزول القرآن يعم كعموم نفع نزول المطر، وشبه الأودية بالقلوب؛ إذ الأودية يستكن فيها الماء كما يستكن القرآن والإيمان في قلوب المؤمنين ﴿فَأَحْتَمَلَ السَّيْلُ﴾؛ أي: حمل ورفع السيل الجاري في الوادي ﴿زَيْدًا﴾؛ أي: غشاء ﴿رَأْيًا﴾؛ أي: متفخماً مرتفعاً فوق الماء طافياً عليه. والزبد: اسم لكل ما علا وجه الماء من رغوة وغيرها، سواء حصل بالغليان والاضطراب أو بغيره، وهذا هو المثل الأول ضربه الله للحق والباطل، والإيمان والكفر.

والمراد من هذا تشبيه الكفر بالزبد الذي يعلو الماء، فإنه يضمحل ويعلق بجنبات الوادي وتدفعه الرياح، فكذلك يذهب الكفر ويضمحل.

والمعنى<sup>(٢)</sup>: أي أنزل من السحاب مطراً فسالت مياه الأودية بحسب مقدارها في الصغر والكبر، فحمل السيل الذي حدث من ذلك الماء زبداً عالياً مرتفعاً فوقه طافياً عليه، وقد تم المثل الأول. ثم شرع سبحانه في ذكر المثل الثاني، فقال: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾ خبر مقدم لقوله: زبد مثله، و﴿عَلَيْهِ﴾ متعلق بـ﴿يُوقِدُونَ﴾، والإيقاد: جعل النار تحت الشيء ليذوب، و﴿فِي النَّارِ﴾ حال من الضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾؛ أي: ومما يوقد الناس عليه من جواهر الأرض كالذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد، حالة كونه ثابتاً في النار ليذوب ويخلص عن الخبث. وقوله: ﴿أَبْتِغَاءَ جَلِيَّةٍ أَوْ مَتَاجٍ﴾ مفعول لأجله؛ أي: لأجل طلب اتخاذ زينة من حلي كالسوار والطورق، أو اتخاذ متاع كالأواني والقدور وغيرها من آلات الحرب والحصد وأدوات المصانع وأدوات القتال والنزال ﴿زَيْدًا﴾؛ أي: وسخ وخبث ﴿مِثْلَهُ﴾؛ أي: مثل زبد الماء ووسخه في أن كلاً منهما شيء من الأكدار، والمعنى؛ أي: وزيد مثل زبد السيل كائن وناشئ من الجواهر التي

(٢) المراغي.

(١) الشوكاني.

يوقدون عليها النار ﴿كَذَلِكَ﴾؛ أي: مثل هذا التبيين للأمر الأربعة الماء والجوهر والزبدين ﴿يَصْرَبُ اللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى، ويبين ﴿الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾؛ أي: الإيمان والكفر؛ أي: يبين مثلهما وشبههما في الثبات والاضمحلال؛ أي: وما مثل الحق والباطل إذا اجتمعا إلا مثل السيل والجوهر وزيديهما، فكما أن الزبد لا يثبت مع الماء ولا مع الذهب والفضة ونحوهما مما يسبك في النار، بل يذهب ويضمحل، فالباطل لا يثبت له ولا دوام أمام الحق. ثم فصل هذا بقوله: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ﴾ من الماء والجوهر ﴿فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾؛ أي: مضمحلاً متلاشياً لا منفعة فيه ولا بقاء له؛ أي: فينعدم مرمياً؛ أي: يرميه الماء إلى الساحل ويرميه الكبير ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ من الماء الصافي والجوهر الخالص ﴿فَيَمَكُّ فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: يبقى ويثبت في الأرض، فالماء يثبت بعضه في منافعه، ويسلك بعضه في عروق الأرض إلى العيون والآبار والجوهر، يصاغ من بعضه أنواع الحلبي، ويتخذ من بعضه أصناف الآلات، فينتفع بكل من ذلك مدة طويلة.

والمعنى<sup>(١)</sup>: أي فأما الزبد الذي يعلو السيل.. فيذهب مرمياً في جانبي الوادي، ويعلق بالشجر، وتنسفه الرياح، وكذلك خبث الحديد والنحاس والذهب والفضة يذهب ولا يرجع منه شيء، وأما ما ينفع الناس من الماء والذهب والفضة.. فيمكث في الأرض، فالماء نشربه ونسقي به الأرض، فينبت جيد الزرع الذي ينتفع به الناس والحيوان. والذهب والفضة نستعملهما في الحلبي وصك النقود، والحديد والنحاس ونحوهما نستعملها في متاعنا من الحرث والحصد، وفي المعامل والمصانع ووسائل الدفاع ونحو ذلك.

واعلم: أن وجه<sup>(٢)</sup> المماثلة بين الزبدتين في الزبد الذي يحمله السيل، والزبد الذي يعلو الأجسام المنطرفة: أن تراب الأرض لما خالط الماء وحمله معه صار زبداً رابياً فوقه، وكذلك ما يوقد عليه في النار حتى يذوب من الأجسام المنطرفة، فإن أصله من المعادن التي تنبت في الأرض، فيخالطها التراب، فإذا أذيب صار

(٢) الشوكاني.

(١) المراغي.

ذلك التراب الذي خالطها خبثاً مرتفعاً فوقها.

وقال الزجاج: مثل المؤمن واعتقاده ونفع الإيمان له كمثل الماء المنتفع به في نبات الأرض وحياة كل شيء، وكمثل نفع الذهب والفضة وسائر الجواهر؛ لأنها كلها تبقى منتفعاً بها. ومثل الكافر وكفره كمثل الزبد الذي يذهب جفاء، وكمثل خبث الحديد وما تخرجه النار من وسخ الفضة والذهب الذي لا ينتفع به. ا هـ.

﴿كَذَلِكَ﴾؛ أي: مثل ذلك الضرب العجيب ﴿يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾؛ أي: يبين الله أمثال الحق والباطل، فيجعلها في غاية الوضوح؛ أي: ومثل ضربنا لهذه الأمثال البديعة التي توضح للناس ما أشكل عليهم من أمور دينهم، وتظهر الفوارق بين الحق والباطل والكفر والإيمان نضرب لهم الأمثال، ونبين لهم الأشباه في كل باب حتى تستبين لهم طريق الهدى، فيسلكوها، وطرق الباطل فينحرفوا عنها، وتتم لهم سعادة المعاش والمعاد، ويكونوا المثل العليا بين الناس كما قال: ﴿كُتِّمَ خَيْرٌ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾.

وفي «الصحيحين» عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً، فكان منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلاً والعشب، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وورعوا وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه الله بما بعثني به، ونفع به الناس فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به».

وروى أحمد عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد ناراً، فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي يقعن في النار يقعن فيها، وجعل يحجزهن ويغلبهن فيقتحمن فيها، فذلك مثلي ومثلكم، أنا آخذ بحُجْرِكُمْ عن النار: هلم عن النار، فتغلبوني فتقتحمون فيها».

وقرأ الجمهور<sup>(١)</sup>: ﴿بِقَدْرِهَا﴾ - بفتح الدال -، وقرأ الأشهب العقيلي وزيد بن علي وأبو عمرو في رواية شذوذاً بسكونها. وقرأ حمزة والكسائي وحفص وابن محيصة ومجاهد وطلحة ويحيى وأهل الكوفة: ﴿يوقدون﴾ بالياء على الغيبة؛ أي: يوقد الناس. وقرأ باقي السبعة والحسن وأبو جعفر والأعرج وشيبة ﴿توقدون﴾ بالتاء على الخطاب. وقرأ روية شاذاً: ﴿جفالاً﴾ باللام بدل الهمزة من قولهم: جفلت الريح السحاب إذا حملته وفرقته، وعن أبي حاتم: لا يقرأ بقراءة روية؛ لأنه كان يأكل الفأر بمعنى: أنه كان أعرابياً جافياً. وعن أبي حاتم أيضاً: لا تعتبر قراءة الأعراب في القرآن.

ولما فرغ سبحانه وتعالى<sup>(٢)</sup> من بيان شأن كل من الحق والباطل في الحال والمآل، وأتم البيان.. شرع يبين حال أهلها مآلاً ترغيباً فيهما، وترهيباً وتكملة لوسائل الدعوة إلى الحق والخير، وتنفيراً عن سلوك طرق الباطل والشر، فقال: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾؛ أي: للمؤمنين الذي أجابوا ربهم في الدنيا إلى ما دعاهم إليه من التوحيد والتزام الشرائع الواردة على لسان رسوله ﴿الْحُسْنَى﴾؛ أي: المثوبة الحسنة في الآخرة والمنفعة الدائمة الخالصة عن شوائب المضرة المقرونة بالإجلال؛ وهي الجنة، وسميت بذلك؛ لأنها في نهاية الحسن؛ أي: للذين أطاعوا الله ورسوله وانقادوا لأوامره وصدقوا ما أخبر به فيما نزل عليه من عند ربه المثوبة الحسنى الخالصة من الكدر والنصب؛ الدائمة المقترنة بالتعظيم والإجلال والآية بمعنى قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرٍ يُسْرًا﴾.

﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾ سبحانه وتعالى دعوته إلى التوحيد؛ أي: والأشقياء الذين لم يجيبوا دعوته تعالى إلى التوحيد على لسان رسوله ﷺ، ولم يطيعوه ولم يمثلوا أوامره، ولم ينتهوا عما نهى عنه، وعاندوا الحق واستمروا على كفرهم وشركهم وما كانوا عليه. ﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ من

(١) البحر المحيط.

(٢) المراغي.

نقودها وأمتعتها وضياعها؛ أي: لو ثبت كون جميع ما في الأرض لهم من أصناف الأموال التي يملكها العباد، ويجمعونها بحيث لا يخرج عن ملكهم منها شيء ﴿و﴾ أن ﴿مثله﴾؛ أي: مثل ما في الأرض جميعاً لهم حالة كونه كائناً ﴿مَعْتَدٌ﴾؛ أي: كائناً مع ما في الأرض ومنضماً إليه ﴿لَاقْتَدَرُوا يَوْمَ﴾؛ أي: بمجموع ما ذكر، وهو ما في الأرض ومثله؛ أي: لجعلوا ما في الأرض ومثله فداء أنفسهم من العذاب الأليم؛ لأن محبوب كل إنسان ذاته، فإذا كانت نفسه في ضرر وكان مالكاً لكل شيء فإنه يرضى أن يجعل جميع ملكه فداء لها؛ لأنه حب ما سواها ليكون وسيلة إلى مصالحتها.

والحاصل: أن للذين لم يستجيبوا لربهم أنواعاً من العذاب:

الأول منها: أنهم من شدة ما يرون من هول العذاب لو استطاعوا أن يجعلوا ما في الأرض جميعاً ومثله معه فديةً لأنفسهم.. لفعلوا، ولو فادوا به.. لم يقبل منهم، فإن المحبوب أولاً لكل إنسان هو ذاته، وما سواها فيحبه لكونه وسيلةً إلى مصالحتها، فإذا كان مالكاً لهذا العالم كله ولما يساويه جعله فداء لنفسه، وفي هذا من التهويل الشديد ومن سوء ما يلقاهم في ذلك اليوم ما لا يخفى على من اعتبر وتذكر.

والثاني منها: ما ذكره بقوله: ﴿أُولَئِكَ﴾ المعاندون الذين لم يستجيبوا لربهم ﴿لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾؛ أي: قبيح الحساب وشديد المناقشة، فيناقشون على الجليل والفقير والحقير، وهو من إضافة الصفة إلى الموصوف؛ أي: الحساب السيء، وهو أن يحاسب الرجل على كل ما عمل من الذنوب، ولا يغفر له شيء منه، والمناقشة في الحساب أن يستقصى فيه بحيث لا يترك منه شيء، يقال: ناقشه الحساب إذا عاسره فيه واستقصى فلم يترك قليلاً ولا كثيراً. وفي الحديث: «من نوقش الحساب عذب». وقال النواوي: هذا لمن لم يحاسب نفسه في الدنيا، فيناقش بالصغيرة والكبيرة، فأما من تاب وحاسب نفسه.. فلا يناقش كما في «الفتح القريب» ذلك أن كفرهم أحبط أعمالهم، وارتكابهم للشرور والآثام ران على قلوبهم وجعلها تستمرى الغواية والضلالة، وجهم للدنيا جعلهم يعرضون



عما يقربهم إلى الله زلفى، فباؤوا بالخسران والهوان والنكال.

والثالث منها: ما ذكره بقوله: ﴿وَمَا أُولَئِكَ بِمُعْجِزِينَ﴾؛ أي: مقرهم في الآخرة بعد المناقشة والحساب ﴿جَهَنَّمَ﴾؛ أي: نار جهنم. فإن قلت: هلا قيل: وما أوامهم النار؟ قلت: لأن في ذكر جهنم تهويلاً وتفظيلاً، ويحتمل أن يكون جهنم هي أبعد النار قعرًا، من قولهم: بئر جهنم بعيدة القعر. قال بعضهم: جهنم: لفظ معرب، وكأنه في الفرس: جَهْ نم. ﴿وَيَسِّرْ لِّلْهَادِ﴾؛ أي: وبش المسكن مسكنهم في الآخرة، والمخصوص بالذم هي؛ أي: جهنم وقيل المهاد: الفراش، يعني: وبش الفراش يفرش لهم في جهنم، إذ أنهم غفلوا عما يقربهم إلى ربهم، وينيلهم كرامته ورضوانه، واتبعوا أهواءهم وانغمسوا في لذاتهم، فحقت عليهم كلمته ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾. ونزل في حمزة - رضي الله عنه - وأبي جهل كما روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْلِكُ أَن نَّأَنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقَّ كَمَا هُوَ أَعْمَى﴾. وقيل: نزلت في عمار بن ياسر رضي الله عنه وأبي جهل بن هشام، فالأول هو حمزة أو عمار رضي الله عنهما، والثاني أبو جهل، وحمل الآية على العموم أولى، وإن كان السبب مخصوصاً كما في «الخازن». والهمزة فيه للاستفهام الإنكاري الاستبعادي داخله على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف كما هو مذهب الزمخشري، والتقدير: أيستوي المؤمن والكافر، فمن يعلم ويصدق أن القرآن الذي أنزل إليك من ربك هو الحق كحمزة بن عبد المطلب أو عمار رضي الله عنهما كمن هو أعمى قلبه، فينكر القرآن كأبي جهل؛ أي: لا يستوي من يعلم أن الذي أنزله الله عليك من عنده هو الحق الذي لا شك فيه ولا امتراء، ومن لا يعلم ذلك فهو أعمى لا يهتدي إلى خير يفهمه، ولو فهمه ما انقاد إليه ولا صدقه، فيبقى حائراً في ظلمات الجهل وغياهب الضلالة. قال قتادة: هؤلاء قوم انتفعوا بما سمعوا من كتاب الله وعقلوه ووعوه، وهؤلاء قوم كمن هو أعمى عن الحق، فلا يبصره ولا يعقله. اهـ.

والمعنى: لا يستوي من يبصر الحق ويتبعه ومن لا يبصر الحق ولا يتبعه، وإنما شبه الكافر والجاهل بالأعمى؛ لأن الأعمى لا يهتدي لرشد وربما وقع في

مهلكة وكذلك الكافر والجاهل لا يهتديان للرشد، وهما واقعان في المهلكة.

﴿إِنَّا نَذَكِّرُ أُولَ الْأَنْبِيَاءِ﴾؛ أي: إنما يتعظ ذوو العقول السليمة الصحيحة، وهم الذين ينتفعون بالمواعظ والأذكار؛ أي: ما يعتبر بهذه الأمثال ويتعظ بها ويصل إلى لبها وسرها إلا أولو العقول السليمة والأفكار الرجيحة. والمعنى: لا يقبل نصح القرآن ولا يعمل به إلا ذوو العقول الصافية من معارضة الوهم.

## الإعراب

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي﴾: مبتدأ وخبر، والجملة مستأنفة. ﴿يُرِيكُمُ الْبَرْقَ﴾: فعل ومفعولان؛ لأنه من رأى البصرية تعدى بالهمزة إلى مفعولين، وفاعله ضمير يعود إلى الموصول، والجملة صلة الموصول. ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾: حالان من الكاف في ﴿يُرِيكُمُ﴾؛ أي: حال كونكم خائفين وطامعين، ويجوز أن يكون مفعولاً من أجله، ذكره أبو البقاء، ومنعه الزمخشري؛ لعدم اتحاد الفاعل يعني: أن فاعل الإراءة وهو الله تعالى غير فاعل الخوف والطمع، وهو ضمير المخاطبين، فاختلف فاعل الفعل المعلل وفاعل العلة، وهذا يمكن أن يجاب عنه بأن المفعول في قوة الفاعل، فإن معنى يريكم: يجعلكم راثين فتخافون وتطمعون. اهـ. «سمين». ﴿وَيُنشِئُ السَّحَابَ﴾: فعل ومفعول. ﴿الثِّقَالَ﴾: صفة لـ ﴿السَّحَابَ﴾، وفاعله ضمير يعود على الموصول، والجملة معطوفة على جملة ﴿يُرِيكُمُ﴾ على كونها صلة الموصول.

﴿وَيَسْبِغُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾ (١٣).

﴿وَيَسْبِغُ الرِّعْدُ﴾: فعل وفاعل. ﴿بِحَمْدِهِ﴾: متعلق به، والجملة معطوفة على جملة الصلة، والعاثد ضمير ﴿بِحَمْدِهِ﴾. ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾: معطوف على ﴿الرِّعْدُ﴾. ﴿مِنْ خِيفَتِهِ﴾: متعلق بـ ﴿يسبغ﴾ أيضاً. ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على الموصول، والجملة معطوفة على جملة الصلة.

﴿فَيُصِيبُ﴾: (الفاء): عاطفة. ﴿يُصِيبُ﴾: فعل مضارع معطوف على ﴿يُرْسَلُ﴾، وفاعله ضمير يعود على الموصول. ﴿بِهَا﴾: جار ومجرور متعلق به. ﴿مَنْ﴾: اسم موصول في محل النصب مفعول ﴿يُصِيبُ﴾. ﴿يَشَاءُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة صلة ﴿مَنْ﴾ الموصولة، والعائد محذوف تقديره: يشاءه. ﴿وَهُمْ﴾: مبتدأ، وجملة ﴿يُجِدُّونَ﴾: خبره، والجملة الاسمية مستأنفة، أو في محل النصب حال من ﴿مَنْ﴾ الموصولة، وأعاد عليها الضمير جمعاً باعتبار معناها. اهـ. «سمين». ﴿فِي اللَّهِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿يُجِدُّونَ﴾. ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾: مبتدأ وخبر ومضاف إليه، والجملة الاسمية في محل النصب حال من لفظ الجلالة.

﴿لَمْ دَعَوْهُ الْحَقُّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَسِطَ كَفْتَهُ إِلَى الْمَاءِ لِيَلْبَغُ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغٍ وَمَا دَعَا الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلٰلٍ ﴿١٤﴾﴾.

﴿لَمْ﴾: خبر مقدم. ﴿دَعَوْهُ الْحَقُّ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة مستأنفة. ﴿وَالَّذِينَ﴾: مبتدأ. ﴿يَدْعُونَ﴾: فعل وفاعل صلة الموصول، والعائد محذوف تقديره: والأصنام الذين يدعونهم. ﴿مِنْ دُونِهِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿يَدْعُونَ﴾ أو حال من الضمير المحذوف. ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ﴾: فعل وفاعل. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلق به. ﴿بِشَيْءٍ﴾: متعلق به أيضاً، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ من عام المصدر. ﴿كَبَسِطَ كَفْتَهُ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه، وهو من إضافة الوصف إلى مفعوله. ﴿إِلَى الْمَاءِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿بِاسْطَ﴾ الجار والمجرور صفة لمصدر محذوف تقديره: لا يستجيبون لهم استجابةً إلا استجابةً مثل استجابة الماء لمن بسط فيه إليه. ﴿لِيَلْبَغُ﴾: (اللام): حرف جر وتعليل. ﴿بِالْبَغِ فَاهُ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود إلى ﴿الْمَاءِ﴾، والجملة الفعلية في تأويل مصدر مجرور باللام تقديره: لبلوغ الماء فاه، والجار والمجرور متعلق بـ﴿بِاسْطَ﴾. ﴿وَمَا﴾: (الواو): حالية. ﴿مَا﴾: نافية، أو حجازية. ﴿هُوَ﴾: مبتدأ، أو اسمها. ﴿بِالْبَغِ﴾: خبر المبتدأ، أو خبرها، والباء زائدة، والجملة الاسمية في محل

النصب حال من فاعل ﴿يَبْلُغُ﴾.

وفي «السمين»: ﴿وَمَا هُوَ بِبَلِغٍ﴾ في ﴿هُوَ﴾ ثلاثة أوجه:  
أحدها: أنه ضمير ﴿الْمَاءِ﴾، والهاء في ﴿بِلِغٍ﴾ للضم؛ أي: وما الماء ببالغ فيه.

والثاني: أنه ضمير الفم، والهاء في ﴿بِلِغٍ﴾ لـ ﴿الْمَاءِ﴾؛ أي: وما الفم ببالغ الماء؛ إذ كل واحد منهما لا يبلغ الآخر على هذه الحال، فنسبة الفعل إلى كل واحد وعدهما صحيحان.

والثالث: أن يكون ﴿هُوَ﴾ ضمير ﴿الباسط﴾، والهاء في ﴿بِلِغٍ﴾ لـ ﴿الْمَاءِ﴾؛ أي: وما باسط كفيه إلى الماء يبلغ الماء. اهـ. ﴿وَمَا﴾: (الواو): استثنائية. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿دُعَاةَ الْكٰفِرِيْنَ﴾: مبتدأ ومضاف إليه. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿فِي ضَلٰلٍ﴾: جار ومجرور خبر المبتدأ، والجملة مستأنفة.

﴿وَلِلّٰهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظَلٰلًا لَهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْاَصَالِ﴾ ﴿١٥﴾.

﴿وَلِلّٰهِ﴾ (الواو): استثنائية. ﴿لِلّٰهِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَسْجُدُ﴾. ﴿يَسْجُدُ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿فِي السَّمٰوٰتِ﴾: جار ومجرور صلة ﴿مَنْ﴾ الموصولة. ﴿وَالْاَرْضِ﴾: معطوف على ﴿السَّمٰوٰتِ﴾. ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾: حالان من ﴿مَنْ﴾ الموصولة، ولكنه في تأويل مشتق؛ أي: حالة كونهم طائعين وراضين بالسجود، وحال كونهم كارهين؛ أي: غير راضين به. ﴿وَظَلٰلًا لَهُمْ﴾: معطوف على ﴿مَنْ﴾ الموصولة. ﴿بِالْغُدُوِّ﴾: جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَسْجُدُ﴾، والباء بمعنى في الظرفية. ﴿وَالْاَصَالِ﴾: معطوف على ﴿الغُدُوِّ﴾.

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ قُلِ اللّٰهُ قُلْ اَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُوْنِهٖ اَوْلِيَاَ لَا يَمْلِكُوْنَ لِاَسْمِئِهِمْ شَيْئًا وَلَا صَرْفًا﴾.

﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة. ﴿مَنْ رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ﴾: مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿مَنْ﴾: اسم استفهام للاستفهام التقريري في محل الرفع خبر مقدم وجوباً للزومها صدر الكلام. ﴿رَبُّ السَّمٰوٰتِ﴾: مبتدأ مؤخر ومضاف إليه. ﴿وَالْاَرْضِ﴾: معطوف على ﴿السَّمٰوٰتِ﴾،

والجملة في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾. ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد ﷺ. ﴿اللَّهُ﴾: خبر لمبتدأ محذوف تقديره: رب السماوات والأرض الله، أو مبتدأ خبره محذوف؛ أي: الله رب السماوات والأرض، والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾، وجملة القول مستأنفة. ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد ﷺ، والجملة مستأنفة. ﴿أَفَاتَّخَذْتُمْ﴾ إلى قوله: ﴿قُلْ﴾: مقول محكي لـ ﴿قُلْ﴾، وإن شئت قلت: (الهمزة): للاستفهام التوبيخي داخل على محذوف، و(الفاء): عاطفة على ذلك المحذوف كما مر، والتقدير: أعلمتم أن ربهما هو الذي يتقاد لأمره من فيهما كافة. ﴿فاتخذتم﴾: فعل وفاعل. ﴿مِنْ دُونِهِ﴾: جار ومجرور حال من الفاعل؛ أي: حالة كونكم مجاوزين الله إلى غيره، أو متعلق باتخذ؛ أي: من غيره تعالى والمفعول الأول لاتخذ محذوف تقديره: فاتخذتم الأصنام من دونه أولياء. ﴿أَوْلِيَاءَ﴾: مفعول ثان، وجملة ﴿اتخذتم﴾ في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾. ﴿لَا يَلِكُونُ﴾: فعل وفاعل. ﴿لِلْأَسْمِمْ﴾: متعلق به. ﴿فَقَمًا وَلَا صَرًّا﴾: مفعول به لـ ﴿يَلِكُونُ﴾، والجملة الفعلية في محل النصب صفة لـ ﴿أَوْلِيَاءَ﴾.

﴿أَمْ هَلْ سَتَرِيَ الظُّلُمَاتُ وَالتُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ المَلَأُ عَلَيْهِمْ قُلْ اللَّهُ خَلَقَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الوَّاحِدُ القَهَّارُ﴾.

﴿أَمْ﴾: منقطعة بمعنى بل وهمزة الاستفهام الإنكاري. ﴿هَلْ﴾: حرف تحقيق بمعنى قد. ﴿سَتَرِيَ الظُّلُمَاتُ﴾: فعل وفاعل. ﴿والتُّورُ﴾: معطوف على ﴿الظُّلُمَاتُ﴾، والجملة الفعلية مستأنفة.

فائدة: وقال في «الفتوحات»: قوله: ﴿أَمْ هَلْ سَتَرِيَ﴾ هذه ﴿أَمْ﴾ المنقطعة، فتقدر ببل والهمزة عند الجمهور، وببل وحدها عند بعضهم، وقد تقدم ذلك محرراً وقد يتقوى بهذه الآية من يرى تقديرها ببل فقط بوقوع هل بعدها، فلو قدرناه ببل والهمزة. . لزم اجتماع حرفي معنى واحد، فتقدرها وحدها، ولقائل أن يقول: لا نسلم أن ﴿هَلْ﴾ هذه استفهامية، بل هي بمعنى قد، وإليه ذهب جماعة، فقد ثبت مجيؤها بمعنى قد إن لم تجامعها الهمزة، كقوله تعالى: ﴿هَلْ

أَنَّ عَلَى الْإِنْسَانِ؛ أي: قد أتى، فهنا أولى والسماع. قد ورد بوقوع هل بعد أم وبعده، فمن الأول هذه الآية، ومن الثاني ما بعدها من قوله: ﴿أَمْ جَعَلُوا﴾: انتهى. ﴿أَمْ﴾: منقطعة بمعنى بل وهمزة الإنكار. ﴿جَعَلُوا﴾: فعل وفاعل، والمفعول الأول محذوف. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلق بـ﴿شُرَكَاءَ﴾ أو حال ثانٍ. ﴿شُرَكَاءَ﴾ مفعول ثانٍ، والتقدير: أم جعلوا الأصنام شركاء لله، والجملة مستأنفة. ﴿خَلَقُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة صفة لـ﴿شُرَكَاءَ﴾. ﴿كَخَلْقِهِ﴾: جار ومجرور صفة لمصدر محذوف تقديره: خلقاً كائناً كخلقه. ﴿فَنَشِيبَهُ﴾: (الفاء): حرف عطف وتفریع. ﴿تَشَابَهُ الْخَلْقِ﴾: فعل وفاعل. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: متعلق به، والجملة معطوفة على جملة ﴿خَلَقُوا﴾. ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة. ﴿اللَّهُ خَلَقَ﴾ إلى آخر الآية: مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾: مبتدأ وخبر ومضاف إليه، والجملة في محل نصب مقول ﴿قُلْ﴾. ﴿وَهُوَ الْوَّاحِدُ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة في محل نصب مقول ﴿قُلْ﴾. ﴿الْقَهْرُ﴾: صفة لـ﴿الْوَّاحِدِ﴾، أو خبر ثانٍ.

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَهُمْ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾.

﴿أَنْزَلَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة مستأنفة. ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾: جار ومجرور متعلق به. ﴿مَاءً﴾: مفعول به. ﴿فَسَالَتْ﴾: (الفاء): حرف عطف وتفریع. ﴿سَالَتْ أَوْدِيَهُمْ﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿أَنْزَلَ﴾. ﴿بِقَدَرِهَا﴾: متعلق بـ﴿سَالَتْ﴾ أو صفة لـ﴿أَوْدِيَهُمْ﴾. ﴿فَاحْتَمَلَ﴾: (الفاء): حرف عطف وتفریع. ﴿احْتَمَلَ السَّيْلُ﴾: فعل وفاعل. ﴿زَبَدًا﴾: مفعول به. ﴿رَابِيًا﴾: صفة لـ﴿زَبَدًا﴾، والجملة مفرعة معطوفة على جملة ﴿سَالَتْ﴾.

﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ نَارٍ﴾.

﴿وَمِمَّا﴾: (الواو): عاطفة. ﴿مِمَّا﴾: جار ومجرور خبر مقدم. ﴿يُوقِدُونَ﴾: فعل وفاعل. ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلق به، والجملة صلة لـ﴿مِمَّا﴾ أو صفة لها. ﴿فِي النَّارِ﴾: متعلق بـ﴿يُوقِدُونَ﴾، أو حال من الضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾. ﴿ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ﴾: مفعول لأجله، ومضاف إليه. ﴿أَوْ مَتَاعٍ﴾: معطوف على ﴿حِلْيَةٍ﴾. ﴿زَبَدٌ﴾: مبتدأ مؤخر.

﴿مَثَلَةٌ﴾: صفة لـ ﴿زَيْدٌ﴾، والجملة الاسمية معطوفة على جملة ﴿أَنْزَلَ﴾.

﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّيْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾.

﴿كَذَلِكَ﴾: جار ومجرور صفة لمصدر محذوف. ﴿يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ﴾: فعل وفاعل ومفعول. ﴿وَالْبَاطِلَ﴾: معطوف على ﴿الْحَقَّ﴾، والتقدير: يضرب الله الحق والباطل وبينهما ضرباً مثل ضرب الأمور الأربعة: الماء والجوهر والزبد، وتبييناً مثل تبيينها، والجملة الفعلية مستأنفة. ﴿فَأَمَّا﴾: (الفاء): فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفت الأمثال والأمور المذكورة، وأردت بيان عاقبتها.. فأقول لك أما، ﴿أما﴾: حرف شرط وتفصيل. ﴿الزَّيْدُ﴾: مبتدأ. ﴿يَذْهَبُ﴾: (الفاء): رابطة لجواب ﴿أما﴾ واقعة في غير موضعها؛ لأن موضعها موضع ﴿أما﴾، ﴿يذهب﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿الزَّيْدُ﴾. ﴿جُفَاءً﴾: حال من ضمير الفاعل، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: جواب ﴿أما﴾، لا محل لها من الإعراب، وجملة أما في محل نصب مقول لجواب إذا المقدر، وجملة إذا المقدره مستأنفة. ﴿وَأَمَّا﴾: (الواو): عاطفة. ﴿أما﴾: حرف شرط وتفصيل. ﴿مَا﴾: اسم موصول في محل الرفع مبتدأ. ﴿يَنْفَعُ النَّاسَ﴾: فعل ومفعول وفاعله ضمير يعود على ﴿مَا﴾، والجملة صلة لـ ﴿مَا﴾. ﴿فَيَمْكُثُ﴾: (الفاء): عاطفة. ﴿يَمْكُثُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَا﴾. ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: متعلق به، والجملة معطوفة على جملة الصلة. ﴿كَذَلِكَ﴾: صفة لمصدر محذوف. ﴿يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والتقدير: ضرباً مثل هذا الضرب العجيب يضرب الله سبحانه وتعالى أمثال الحق والباطل وبينهما، والجملة الفعلية مستأنفة مسوقة لتأكيد جملة قوله: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾.

﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ﴾.

﴿لِلَّذِينَ﴾: جار ومجرور خبر مقدم. ﴿اسْتَجَابُوا﴾: فعل وفاعل صلة

الموصول. ﴿لِرَبِّهِمْ﴾: جار ومجرور متعلق به. ﴿الْحُسَيْنُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية مستأنفة. ﴿وَالَّذِينَ﴾: مبتدأ. ﴿لَمْ يَسْتَجِيبُوا﴾: فعل وفاعل. ﴿لَهُ﴾: متعلق به، والجملة صلة الموصول. ﴿تَوَّ﴾: حرف شرط. ﴿أَنْتَ﴾: حرف نصب. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور خبر مقدم لـ ﴿أَنْتَ﴾. ﴿مَا﴾: اسم موصول في محل نصب اسم ﴿أَنْتَ﴾. ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: جار ومجرور صلة لـ ﴿مَا﴾. ﴿جَمِيعًا﴾: حال من ضمير الصلة، أو من ﴿مَا﴾. ﴿وَمِثْلَهُ﴾: معطوف على اسم ﴿أَنْتَ﴾. ﴿مَعَهُ﴾: ظرف ومضاف إليه حال من ﴿مِثْلَهُ﴾، والتقدير: لو أن ما في الأرض ومثله كائنان لهم، وجملة ﴿أَنْتَ﴾ في تأويل مصدر مرفوع على الفاعلية بفعل محذوف تقديره: لو ثبت كون ما في الأرض مثله معه كائناً لهم، والجملة الفعلية فعل شرط لـ ﴿تَوَّ﴾. ﴿لَا فَتَدْرَأُ﴾: (اللام): رابطة لجواب ﴿تَوَّ﴾. ﴿افْتَدُوا﴾: فعل وفاعل. ﴿بِهِ﴾: متعلق به، والجملة الفعلية جواب ﴿تَوَّ﴾: الشرطية وجملة ﴿تَوَّ﴾ الشرطية: في محل الرفع خبر أول للمبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على الجملة التي قبلها.

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ لِلْهَادِ﴾.

﴿أُولَئِكَ﴾: مبتدأ أول. ﴿لَهُمْ﴾: خبر مقدم للمبتدأ الثاني. ﴿سُوءُ الْحِسَابِ﴾: مبتدأ ثان مؤخر عن خبره، وجملة الثاني في محل الرفع خبر للأول، وجملة الأول في محل الرفع خبر ثان لقوله: ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا﴾. ﴿وَمَا وَنَهُمْ جَهَنَّمُ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية في محل الرفع خبر ثالث لقوله: ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا﴾. ﴿وَيَسَّرَ لِلْهَادِ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر مقدم للمخصوص بالذم المحذوف وجوباً تقديره: وبس المهاد هي؛ أي: جهنم، والجملة الاسمية جملة إنشائية مستأنفة لا محل لها من الإعراب.

﴿أَفَنْ يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنَ رَّبِّكَ الْهَقُّ كَمَا هُوَ آخِرُ مَا بَدَّلْنَا بَدَلًا لِلْأَلْبَابِ﴾.

﴿أَفَنْ﴾ (الهمزة): للاستفهام الإنكاري داخل على محذوف. (الفاء): عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أيستوي المؤمن والكافر، ﴿من يعلم﴾: ﴿من﴾: اسم موصول في محل الرفع مبتدأ. ﴿يَعْلَمُ﴾: فعل مضارع، وفاعله



ضمير يعود على ﴿من﴾، والجمله صلة الموصول. ﴿أَنَّ﴾: ﴿أن﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿ما﴾: اسم موصول في محل نصب اسم ﴿أن﴾. ﴿أَنْزَلَ﴾: فعل ماضٍ مغير الصيغة، ونائب فاعله ضمير يعود على ﴿ما﴾. ﴿إِلَيْكَ﴾: متعلق به. ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾: يتعلق به أيضاً، أو حال من ضمير النائب، والجمله الفعلية صلة ﴿ما﴾ الموصولة. ﴿الْمَلُوكُ﴾: خبر ﴿أن﴾، وجمله ﴿أن﴾ في تأويل مصدر ساد مسد مفعولي علم تقديره: أفمن يعلم كون ما أنزل إليك من ربك الحق. ﴿كَمَنْ﴾: جار ومجرور خبر ﴿من﴾ الموصولة في قوله: ﴿أَفَمَنْ يَمَلِكُ﴾، والجمله الإسمية معطوفة على الجمله المحذوفة، والجمله المحذوفة جملة إنشائية لا محل لها من الإعراب. ﴿هُوَ أَعْمَرُ﴾: مبتدأ وخبر، والجمله الاسمية صلة الموصول. ﴿إِنَّمَا﴾: أداة حصر ونفي بمعنى ما النافية وإلا المثبتة. ﴿يَذَكَّرُ أَوْلَآءَ الْآلِبِ﴾: فعل وفاعل ومضاف إليه، والجمله الفعلية مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها.

### التصريف ومفردات اللغة

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ﴾: البرق<sup>(١)</sup>: ما يرى من النور لامعاً خلال السحاب، من برق الشيء بريقاً إذا لمع.

﴿الرَّعْدُ﴾: هو الصوت المسموع خلال السحاب. وفي «المصباح»: رعدت السماء رعداً - من باب قتل - وعوداً لاح منها الرعد. ا هـ. وسببها على ما بين في العلوم الطبيعية أن البرق يحدث من تقارب سحابتين مختلفتي الكهربائية حتى يصير ميل إحداهما للاقتراب من الأخرى أشد من قوة الهواء على فصلهما، فتهجم كل منهما على الأخرى بنور زاهر وصوت قوي شديد، فذلك النور هو البرق، والصوت هو الرعد الذي نشأ من تصادم دقائق الهواء الذي تطرده كهربائية البرق أمامها.

﴿الصَّوَاعِقُ﴾: جمع صاعقة، وسببها أن السحب قد تمتلىء بكهربائية، والأرض بكهربائية أخرى، والهواء يفصل بينهما، فإذا قاربت السحب وجه

(١) المراغي.

الأرض تنقض الشرارة الكهربائية منها، فتتزل صاعقة تهلك الحرث والنسل.

﴿السَّحَابُ الثَّقَالُ﴾ والسحاب<sup>(١)</sup> اسم جنس واحده سحابة، فلذلك وصف بالجمع، وهو الثقال جمع ثقيلة ككريمة وكرام.

﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ﴾: من المجادلة، وأصلها من الجدل، وهو شدة الخصومة، وأصله من جدلت الحبل إذا أحكمت فتله كأن المجادلين يقتل كل منهما الآخر عن رأيه. ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾؛ أي: شديد المماحلة والمكايدة لأعدائه، يقال: محل فلان بفلان إذا كايده وعرضه للهلاك، وتمحل إذا تكلف في استعمال الحيلة، ولعل أصله المحل بمعنى القحط. وقيل<sup>(٢)</sup>: فعال من المحال بمعنى القوة، فالميم أصلية. وقيل: أصله مفعل من الحول، أو الحيلة أعل على غير قياس، ويعضده أنه قرئ بفتح الميم على أنه مفعل من حال يحول إذا احتال. اهـ. «بيضاوي». وقوله: وقيل مفعل؛ أي: والميم على هذا زائدة، وقوله: أعل على غير قياس؛ إذ القياس فيه صحة الواو كمحور ومرود ومقود؛ لأن شرط قلب الواو ألفاً فتح ما قبلها. اهـ. «شهاب». وفي «القاموس»<sup>(٣)</sup>: والمِحَال - ككتاب - الكيد وروم الأمر بالحيل والتدبير والقدرة والعذاب والعقاب والعداوة، والمعادلة كالمماحلة والقوة والشدة والهلاك والإهلاك، ومحل به - مثلث الحاء محلاً ومحالاً - كاده بسعاية إلى السلطان، وماحله مباحلةً ومحالاً قاواه حتى يتبين أيهما أشد. اهـ.

﴿لَمْ دَعَوْهُ الْحَقُّ﴾ من إضافة<sup>(٤)</sup> الموصوف لصفته؛ أي: الدعوة الحق المطابقة للواقع. اهـ. شيخنا.

﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ﴾؛ أي: لا يجيبون، فالسين والتاء زائدتان.

﴿وَوَظَلُّهُمْ﴾ والظلال: جمع ظل؛ وهو الخيال الذي يظهر للجرم، فسجود<sup>(٥)</sup> الظلال ميلها من جانب إلى جانب بسبب ارتفاع الشمس ونزولها، يقال: سجدت

(٤) الفتوحات.

(٥) القرطبي.

(١) الفتوحات.

(٢) البيضاوي.

(٣) القاموس.

النخلة إذا مالت.

﴿بِالْقُدْرِ وَالْأَصَالِ﴾ والغدو: جمع غداة كقني جمع قناة، وهي البكرة أول النهار. والأصال: جمع أصيل، والأصل: جمع أصيل: وهو ما بين العصر إلى الغروب.

﴿فَسَاكَتْ أَوْدِيَةٌ﴾ الأودية: جمع وادٍ؛ وهو الموضع الذي يسيل فيه الماء، والفرجة بين الجبلين، وقد يراد به الماء الجاري فيه. قال أبو علي الفارسي: لا نعلم فاعلاً جمع على أفعله إلا هذا، وكأنه حمل على فعيل، فجمع على أفعله مثل: جريب وأجربة، كما أن فعياً حمل على فاعل فجمع على أفعال مثل يتيم وأيتام وشريف وأشرف كأصحاب وأنصار في صاحب وناصر.

﴿بِقَدْرِهَا﴾؛ أي: بمقدارها المتفاوت قلة وكثرة بحسب تفاوت أمكنتها صغراً وكبراً. قال الواحدي: والقدر: مبلغ الشيء، والمعنى: بقدرها من الماء، فإن صغر الوادي قل الماء، وإن اتسع كثر.

﴿فَأَحْتَمَلَ السَّبِيلُ﴾؛ أي: حما فافتعل هنا بمعنى المجرد. ﴿زَبَدًا رَابِيًا﴾ والزبد: ما يعلو وجه الماء حين الزيادة كالحب، وما يعلو القدر عند غليانها، والرابي: العالي المرتفع فوق الماء الطافي عليه.

﴿يُوقِدُونَ عَلَيْهِ﴾ وفي «المصباح»: وقدت النار وقداً - من باب وعد - ووقوداً، والوقود - بالفتح -: الحطب، وأوقدتها إيقاداً، ومنه على الاستعارة ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾؛ أي: كلما دبروا مكيدة وخديعة أبطلها، وتوقدت النار: اتقدت. والوقد - بفتحين -: النار نفسها، والموقد: موضع الوقود مثل المجلس لموضع الجلوس، واستوقدت النار استوقدتها يتعدى ولا يتعدى. وفي «الخازن»: الإيقاد: جعل الحطب في النار لتتقد تلك النار تحت الشيء المذوب. اهـ.

﴿أَبْتَعَا حَبِيَّةً أَوْ مَنَعًا﴾ والحلية<sup>(١)</sup>: ما يعمل للنساء مما يُتزين به من الذهب

(١) البحر المحيط.

والفضة. والمتاع: ما يُتخذ من الحديد والنحاس وما أشبههما من الآلات التي هي قوام العيش كالأواني والمساحي وآلات الحرب وقطاعات الأشجار والسكك وغير ذلك. فالمراد بالحلية: ما يُتزين به، وبالمتاع ما يُتمتع به؛ أي: يُتفح به.

﴿جَفَاءً﴾ قال ابن<sup>(١)</sup> الأنباري: والجفاء: المتفرق، يقال: جفأت الريح السحاب؛ أي: قطعت وفترّقت، وقيل: الجفاء ما يرمي به السيل، ويقال: جفأت القدر بزبدها تجفأ من باب قطع، وجفأ السيل بزبده وأجفأ وأجفل باللام وفي همزة جفاء وجهان:

أظهرهما: أنها أصل لثبوتها في تصاريف هذه المادة كما رأيت.

والثاني: أنها بدل من واو، وكأنه مختار أبي البقاء، وفي نظر؛ لأن مادة جفا يجفو لا يليق معناها هنا، والأصل عدم الاشتراك. اهـ. «سمين». فالمراد بالجفاء ما رمى به الوادي من الزبد إلى جوانبه.

﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ أَحْسَنُ﴾؛ أي: أجابوا في الدنيا إلى التوحيد، فالسين والتاء فيه زائدتان. والحسن مؤنث الأحسن، كالفضلى مؤنث الأفضل، وهو صفة الموصوف محذوف؛ أي: المثوبة الحسنى، وهي الجنة، وسميت بذلك؛ لأنها في نهاية الحسن.

﴿لَا تَقْتَدُوا بِهِ﴾؛ أي: لجعلوه فداء أنفسهم من العذاب.

﴿لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾؛ أي: لهم الحساب السيء، فهو من إضافة الصفة إلى الموصوف.

## البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضرباً من الفصاحة، وأنواعاً من البلاغة والبيان

والبديع:

(١) الفتوحات.

ومنها: الطباق بين ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾.

ومنها: عطف العام على الخاص في قوله: ﴿وَيَسِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ  
وَالْمَلَائِكَةُ﴾ قيل المراد بهؤلاء الملائكة أعوان ملك السحاب، جعل الله تعالى مع  
الملك الموكل بالسحاب المسمى بالرعد أعواناً من الملائكة، وقيل: المراد جميع  
الملائكة، وهو أولى. اهـ. «خازن».

ومنها: الالتفات في قوله: ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَّهُمْ﴾ على قراءة ﴿والذين تدعون﴾  
- بالناء الفوقية - وحق العبارة لا يستجيبون لكم، وإن كانت هذه القراءة شاذة.

ومنها: التشبيه<sup>(١)</sup> المركب التمثيلي في قوله: ﴿كَبَيْطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ يَلْتَفِعُ فَأَهُ  
وَمَا هُوَ بِبَلِيغٍ﴾ شبه حال الأصنام مع من دعاهم من المشركين؛ وهو عدم  
استجابتهم دعاء المشركين، وعدم فوز المشركين من دعائهم الأصنام شيئاً من  
الاستجابة والنفع بحال الماء الواقع بمرأى من العطشان الذي يبسط إليه كفيه  
يطلب منه أن يبلغ فاه وينفعه من احتراق كبده، ووجه الشبه عدم استطاعة  
المطلوب منه إجابة الدعاء، وخيبة الطالب عن نيل ما هو أحوج إليه من  
المطلوب، وهذا الوجه كما ترى منتزع من عدة أمور.

ومنها: إسناد السجود إلى الظلال في قوله: ﴿وَوَلَّانَهُمْ﴾ تبعاً لصاحبها.

ومنها: الطباق بين الغدو والآصال في قوله: ﴿بِالْغُدْرِ وَالْآصَالِ﴾ وفيه أيضاً  
إطلاق الطرفين وإرادة الكل.

ومنها: القصر في قوله: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ﴾.

ومنها: الطباق في قوله: ﴿طَوَّعًا وَكَرْهًا﴾.

ومنها: الاستفهام التقريري في قوله: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾  
والإنكاري التوبيخي في قوله: ﴿قُلْ أَنَا تَخَذْتُمْ﴾.

(١) روح البيان.

ومنها: الطباق في قوله: ﴿تَمَّأَ وَلَا ضَرًّا﴾ وفي قوله: ﴿الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ وفي قوله: ﴿الظُّلْمَتُ وَالنُّورُ﴾.

ومنها: التشبيه في قوله: ﴿خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ وفيه أيضاً الجناس المغاير.

ومنها: التشبيه البليغ في قوله: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ لأن المعنى: هل يستوي من هو كالأعمى ومن هو كالبصير؛ أي: فكما<sup>(١)</sup> لا يستوي الأعمى والبصير في الحسن، كذلك لا يستوي المشرك الجاهل بعظمة الله وثوابه وعقابه وقدرته مع الموحد العالم بذلك. وكذا قوله: ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلْمَتُ وَالنُّورُ﴾ وارد<sup>(٢)</sup> على التشبيه أيضاً؛ أي: فكما لا تستوي الظلمات والنور، كذلك لا يستوي الشرك والإنكار والتوحيد والمعرفة. وقيل: فيه الاستعارة التصريحية الأصلية؛ لأنه استعار لفظ الظلمات والنور للكفر والإيمان، وكذلك لفظ الأعمى للمشرك الجاهل، والبصير للمؤمن العاقل.

ومنها: الإيجاز بالحذف في قوله: ﴿قُلِ اللَّهُ﴾؛ أي: الله خالق السماوات والأرض.

ومنها: التشبيه التمثيلي في قوله: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةً﴾ الآية. شبه تعالى الحق والباطل بتشبيه رائع يسمى التشبيه التمثيلي؛ لأن وجه الشبه فيه منتزع من متعدد، فمثل الحق بالماء الصافي الذي يستقر في الأرض، والجوهر الصافي من المعادن الذي به ينتفع العباد، ومثل الباطل بالزبد والرغوة التي تظهر على وجه الماء، والخبث من الجوهر الذي لا يلبث أن يتلاشى ويضمحل.

ومنها: المجاز العقلي في قوله: ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةً﴾ من إسناد ما للحال إلى المحل، كما يقال: جرى النهر، والأصل: جرت المياه في الأودية.

(٣) الفتوحات.

(١) روح البيان.

(٢) روح البيان.

ومنها: تنكير<sup>(١)</sup> الأودية في قوله: ﴿فَسَأَلَتْ أَوْدِيَةٌ﴾ إشعاراً بالمناوبة؛ لأن المطر ينزل في البقاع على المناوبة فتسيل بعض أودية الأرض دون بعض.

ومنها: تعريف السيل في قوله: ﴿فَأَحْتَمَلَ السَّيْلُ﴾؛ لأنه قد فهم من الفعل قبله، وهو ﴿فَسَأَلَتْ﴾، وهو لو ذكر لكان نكرة، فلما أعيد... أعيد بلفظ التعريف، نحو رأيت رجلاً، فأكرمت الرجل. اهـ. «سمين».

ومنها: اللف والنشر المشوش في قوله: ﴿فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ فإنه يرجع إلى الباطل الذي ذكر أخيراً في قوله: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ وفي قوله: ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ فإنه راجع إلى الحق المذكور أولاً.

ومنها: التأكيد في قوله: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ فإن فيه تفخيماً لشأن هذا التمثيل وتأكيداً لقوله: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾.

ومنها: طباق السلب في قوله: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا﴾.

ومنها: الاستعارة التبعية في قوله: ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ شبه الجهل والكفر بالعمى بجامع عدم الاهتداء في كلِّ، فاشتق من العمى بمعنى الجهل والكفر أعمى بمعنى الجاهل الكافر على سبيل الاستعارة التبعية.

ومنها: الاستفهام الإنكاري في قوله: ﴿أَفَنَنْ يَعْلَمُ﴾.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

\*\*\*

قال الله سبحانه جلّ وعلا:

﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْعَيْثُقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِعَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ ﴿٢٦﴾ وَقَوْلُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّي قُلْ إِنَّ اللَّهَ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَنَطَمَنُوا قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا تَابَ ﴿٢٩﴾ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِيَتَلَّوْا عَلَيْهِمُ الَّذِينَ آوَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُفِّرَتْ بِهِ أَلْمُوتُ بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِصِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْعَيْقَادَ ﴿٣١﴾ .

### المناسبة

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْعَيْثُقَ ﴿٢٠﴾﴾ إلى قوله: ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما ضرب الأمثال لمن اتبع الحق وسلك سبيل الرشاد، ولمن ركب رأسه وسار في سبيل الضلالة لا يلوي على شيء، ولا يقف لدى غاية... بين أن من جمع صفات الخير الآتية يكون ممن اتبعوا الحق، وملكوا نواحي الإيمان، وأقاموا دعائمه، وهؤلاء قد كتب لهم حسنى العقبى والسعادة في الدنيا والآخرة.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر أوصاف المتقين وما أعد لهم



عنده في دار الكرامة بما كان لهم من كريم الصفات وفاضل الأخلاق.. بين حال الأشقياء وما ينتظرهم من العذاب والنكال، وأتبع الوعد بالوعيد، والثواب بالعقاب على سنة القرآن الدائبة في مثل هذا ﴿تَبَيَّنَ عِبَادِي أَيُّ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ۝﴾.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر<sup>(١)</sup> أن من نقض عهد الله من بعد ميثاقه، ولم يقر بوحدانيته، وأنكر نبوة محمد ﷺ؛ فهو ملعون في الدنيا ومعذب في الآخرة.. بين هنا أنه تعالى يبسط الرزق لبعض عباده ويضيقه على بعض آخر، على ما اقتضته حكمته وسابق علمه بعباده، ولا تعلق لذلك بإيمان ولا كفر، وربما وسَّع على الكافر استدراجاً، وضيَّق على المؤمن زيادةً في أجره، ثم ذكر مقالة لهم كثر في القرآن تردادها، وهي طلبهم منه آية تدل على نبوته لإنكارهم أن يكون القرآن آية دالة على ذلك، ثم ذكر حال المؤمنين المتقين ومآلهم عند ربهم في جنات تجري من تحتها الأنهار.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر طلبهم من رسوله ﷺ الآيات، كما أنزل على الرسل السالفين كموسى وعيسى وغيرهما من النبيين والمرسلين، وبين أن الهدى هدى الله، فلو أوتوا من الآيات ما أوتوا ولم يرد الله هدايتهم، فلا يجديهم ذلك قليلاً ولا قطميراً.. ذكر هنا أن محمداً ليس ببدع من الرسل، وأن قومه سبقهم أقوام كثيرون، وطلبوا الآيات من أنبيائهم وأجابوهم إلى ما طلبوا، ولم تغنهم الآيات والنذر، فكانت عاقبتهم البوار والنكال، فأنزل على كل قوم من العذاب ما أتى عليهم جميعاً، وأصبحوا معه كأمس الدابر، ولو أن كتاباً تسير به الجبال على أماكنها، أو تشقق به الأرض، فتجعل أنهاراً وعيوناً.. لكان هذا القرآن الذي أنزلناه عليه، ثم أبان أن الله تعالى قادر على الإتيان بما

(١) المراغي.

اقترحوه، لكنه لم يرد ذلك؛ لأنه لا ينتج المقصود من إيمانهم ثم أتبع ذلك بالتيئيس منه وبالتهديد بقارعة تحل بهم، وبتسليية النبي ﷺ على استهزائهم به.

## أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ...﴾ الآية، سبب نزولها<sup>(١)</sup>: ما أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه عن عطية العوفي: قال: قالوا للنبي ﷺ: لو سيرت لنا جبال مكة حتى تتسع فنحرت فيها، أو قطعت لنا الأرض كما كان سليمان يقطع لقومه بالريح، أو أحييت لنا الموتى كما كان عيسى يحيي الموتى لقومه، فأنزل الله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا...﴾ الآية.

وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر وغيرهما عن الشعبي قال: قالت قريش لرسول الله ﷺ: إن كنت نبياً كما تزعم فباعد جبلي مكة أخشيها - إسمي الجبلين - هذين مسيرة أربعة أيام أو خمسة، فإنها ضيقة حتى نزرع فيها ونرعى، وابعث لنا آباءنا من الموتى حتى يكلمونا ويخبرونا أنك نبي، أو احملنا إلى الشام أو اليمن أو إلى الحيرة حتى نذهب ونجىء في ليلة كما زعمت أنك فعلته، فنزلت هذه الآية. وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن ابن عباس أنهم قالوا: سير بالقرآن الجبال، قطع بالقرآن الأرض، أخرج به موتانا، فنزلت.

وقال الزبير بن العوام<sup>(٢)</sup>: قالت قريش لرسول الله ﷺ: ادع الله أن يسير عنا هذه الجبال، ويفجر لنا الأرض أنهاراً فنزرع، أو يحيي لنا موتانا فنكلمهم، أو يصير هذه الصخرة ذهباً، فتغنينا عن رحلة الشتاء والصيف، فقد كان للأنبياء آيات، فنزلت هذه الآية، ونزل قوله: ﴿وَمَا مَعْنَا أَنْ تُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ﴾.

## التفسير وأوجه القراءة

﴿الَّذِينَ﴾ الموصولات موصلاتها مبتدآت خبرها قوله الآتي: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَغْنَى

(٢) المراغي.

(١) لباب القول.

الدَّارِ ﴿١﴾: ﴿يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾: مصدر مضاف إلى مفعوله؛ أي: بما عاهدوا الله وعقدوه على أنفسهم من الشهادة والاعتراف بربوبيته حين قالوا في عالم الذر بلى شهدنا. ﴿وَلَا يَنْقُضُونَ أَلَيْمُتَّقَ﴾؛ أي: العهد المؤكد باليمين؛ أي: لا يخلفون ذلك العهد الذي بينهم وبين ربهم الذي وثقوه وأكدوه بالإيمان، وكذا عهودهم بينهم وبين الناس، فهذا تعميم بعد تخصيص؛ لأنه يدخل تحت الميثاق كل ما أوجبه العبد على نفسه كالنذور ونحوها. ويحتمل<sup>(١)</sup> أن يكون الأمر بالعكس، فيكون من التخصيص بعد التعميم على أن يراد بالعهد جميع عهود الله؛ وهي أوامره ونواهيها التي وصى بها عباده، ويدخل في ذلك الالتزامات التي يلزم بها العبد نفسه، ويراد بالميثاق: ما أخذه الله على عباده حين أخرجهم من صلب آدم في عالم الذر المذكور في قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ...﴾ الآية.

والمعنى: ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾؛ أي: الذين يوفون بما عقدوه على أنفسهم فيما بينهم وبين ربهم، وفيما بينهم وبين العباد، وشهدت فطرتهم في هذه الحياة بصحته، وأنزل عليهم في الكتاب إيجابه. قال قتادة: إن الله ذكر الوفاء بالعهد والميثاق في بضع وعشرين موضعاً من القرآن عناية بأمره واهتماماً بشأنه ﴿وَلَا يَنْقُضُونَ أَلَيْمُتَّقَ﴾؛ أي: العهد الذي وثقوه وأكدوه بينهم وبين ربهم من الإيمان به، وبينهم وبين الناس من العقود كالبيع والشراء وسائر المعاملات والعهود التي تعاهدوا على الوفاء بها إلى أجل. وفي الحديث: «آية المنافق ثلاث: إذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر، وإذا حدث كذب».

﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ﴾ مفعوله محذوف تقديره: ما أمرهم الله ﴿بِهِ﴾ من الإيمان والرحم وغيرهما، وقوله: ﴿أَنْ يُوصَلَ﴾ بدل من الضمير المجرور؛ أي: أمرهم بوصله، ومعنى وصل الإيمان<sup>(٢)</sup>: أن يؤمنوا بجميع الكتب والرسل ولا يفرقوا بين أحد منهم. وفي «المراح» وصل ما أمر الله به<sup>(٣)</sup>: هو رعاية جميع الحقوق الواجبة للعباد، فيدخل فيه صلة الرحم والقربة الثابتة بسبب أخوة الإيمان

(٣) المراح.

(١) الشوكاني.

(٢) الخازن.

وعيادة المريض وشهود الجنائز، وإفشاء السلام على الناس والتبسم في وجوههم وكف الأذى عنهم، ومن تمام المواصلة المصافحة عند الملاقاة، ويستحب مع المصافحة البشاشة بالوجه والدعاء بالمغفرة وغيرها. ويدخل في العباد كل حيوان حتى الدجاجة والهرة. وعن الفضيل: أن العبد لو أحسن الإحسان كله، وكانت له دجاجة، فأساء إليها.. لم يكن من المحسنين.

وهذه الآية يندرج فيها أمور<sup>(١)</sup>:

**الأول:** صلة الرحم، واختلف في حدّ الرحم التي يجب صلتها، فقيل: كل ذي رحم محرم بحيث لو كان أحدهما ذكراً والآخر أنثى حرمت مناكحتهما، فعلى هذا لا يدخل أولاد الأعمام والعمات وأولاد الأخوال والخالات، وقيل: هو عام في كل ذي رحم محرماً كان أو غير محرم، وارثاً كان أو غير وارث، وهذا القول هو الصواب. قال النووي: وهذا أصحّ، والمحرم من لا يحل له نكاحها على التأييد لحرمتها، فقولنا: على التأييد احتراز عن أخت الزوجة، وقولنا: لحرمتها احتراز عن الملاعنة، فإن تحريمها ليس لحرمتها، بل للتغليظ.

**والثاني:** الإيمان بكل الأنبياء عليهم السلام، فقولهم: نؤمن ببعض ونكفر ببعض قطع لما أمر الله به أن يوصل.

**والثالث:** موالاة المؤمنين، فإنه يستحب استحباباً شديداً زيارة الإخوان والصالحين والجيران والأصدقاء والأقارب وإكرامهم وبرهم وصلتهم، وضبط ذلك يختلف باختلاف أحوالهم ومراتبهم وفراغهم، وينبغي للزائر أن تكون زيارته على وجه لا يكرهون، وفي وقت يرتضون، فإن رأى أخاه يحب زيارته ويأنس به أكثر زيارته والجلوس عنده، وإن رآه منشغلاً بعبادة أو غيرها، أو رآه يحب الخلوة يقل زيارته حتى لا يشغله عن عمله، وكذا عائد المريض لا يطيل الجلوس عنده إلا أن يأنس به المريض، ومن تمام المواصلة المصافحة عند الملاقاة كما مر آنفاً.

(١) روح البيان.

والرابع: مراعاة حقوق كافة الخلق حتى الهرة والدجاجة. والمعنى: أي: والذين<sup>(١)</sup> يصلون الرحم التي أمرهم الله تعالى بوصولها، فيعاملون الأقارب بالمودة والحسنى، ويحسنون إلى المحاويج وذوي الخلقة منهم بإيصال الخير إليهم ودفع الأذى عنهم بقدر الاستطاعة، ويصلون المؤمنين بسبب قرابة الإيمان بالإحسان إليهم ونصرتهم والشفقة عليهم، وإفشاء السلام وعبادة المرضى، ومراعاة حق الأصحاب والخدم والجيران، والرفقة في السفر إلى غير ذلك مما مر آنفاً. وأكثر المفسرين على أن المراد بالوصل هنا صلة الرحم.

واعلم<sup>(٢)</sup>: أن قطع الرحم حرام، والصلة واجبة، ومعناها: التفقد بالزيارة والإهداء والإعانة بالقول والفعل، وعدم النسيان، وأقله التسليم وإرسال السلام والمكتوب، ولا توقيت فيها في الشرع، بل العبرة بالعرف والعادة كذا في «شرح الطريقة» وصلة الرحم سبب لزيادة الرزق. وزيادة العمر، وهي أسرع أثراً كعقوق الوالدين، فإن العاق لهما لا يمهل في الأغلب، ولا تنزل الملائكة على قوم فيهم قاطع رحم.

### فصل في ذكر الأحاديث الواردة في صلة الرحم وقطيعتها

عن عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تبارك وتعالى: «أنا الله وأنا الرحمن، خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته»، أو قال: «بتته». أخرجه أبو داود والترمذي.

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله». متفق عليه.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «من سره أن يبسط له في رزقه، وأن يُنْسَأ له في أثره، فليصل رحمه». أخرجه البخاري، صلة الرحم: ميرة الأهل والأقارب والإحسان إليهم، وضده: القطع.

(٢) روح البيان.

(١) المراغي.

قوله: «وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ» الأثر هنا: الأجل، وسمي الأجل أثراً؛ لأنه تابع للحياة وسابقها، ومعنى ينسأ: يؤخر، والمراد به تأخير الأجل، وهو على وجهين: أحدهما: أن يبارك الله له في عمره، فكأنما قد زاد فيه.

والثاني: أن يزيده في عمره زيادة حقيقية، والله يفعل ما يشاء.

وعن جبير بن مطعم أن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة قاطع». متفق عليه. زاد في رواية: قال سفيان: يعني قاطع رحم.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس الواصل بالمكافئ، الواصل من إذا قطعت رحمه وصلها». أخرجه البخاري.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبة في الأهل، ومثراة في المال، ومنسأة في الأثر». أخرجه الترمذي.

﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾؛ أي: وعيده عموماً، والخشية<sup>(١)</sup>: خوف مقرون بالتعظيم والعلم بمن تخشاه، ومن ثم خص الله بها العلماء بدينه وشرائعه والعالمين بجلاله وجبروته في قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾. والمعنى: إنهم يخشون ربهم خشيةً تحملهم على فعل المأمورات واجتناب المنهيات، ويخافونه خوف مهابة وإجلال. ﴿وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾؛ أي: استقصاءه خصوصاً، فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا؛ أي: ويخافون مناقشة ربهم إياهم في الحساب وعدم الصفح لهم عن ذنوبهم، فهم لرهبتهم جادون في طاعته محافظون على اتباع أوامره وترك نواهيه، و﴿سُوءَ الْحِسَابِ﴾؛ أي: شديده: وهو الاستقصاء فيه والمناقشة للعبد، فمن نوقش الحساب عذب، ومن حق هذه الخيفة أن يحاسبوا أنفسهم قبل أن يحاسبوا.

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على ما تكرهه النفوس من أنواع المصائب ومخالفة الهوى من مشاق التكاليف؛ أي: والذين صبروا<sup>(٢)</sup> على فعل العبادات وعلى ثقل

(٢) المراح.

(١) المرافي.

الأمراض والمضار والغموم وعلى ترك المشتبهات ﴿أَبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: طلباً لرضا ربهم من غير أن ينظروا إلى جانب الخلق رياء وسمعة، ولا إلى جانب النفس زينة وعجباً، فكما أن العاشق يرضى بضرب معشوقه للتذاهد بالنظر إلى وجهه، فكذلك العبد يرضى بالمحنة لاستغراقه في معرفة الله تعالى ومحبه.

وإنما<sup>(١)</sup> قيد الصبر بقوله: ﴿أَبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾؛ لأن الصبر ينقسم إلى نوعين:

الأول: الصبر المذموم؛ وهو أن الإنسان قد يصبر ليقال ما أكمل صبره وأشد قوته على ما تحمل من النوازل، وقد يصبر لثلاث يعاب على الجزع، وقد يصبر لثلاث تشمت به الأعداء، وكل هذه الأمور وإن كان ظاهرها الصبر، فليس ذلك داخلاً تحت قوله: ﴿أَبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ لأنها لغير الله تعالى.

النوع الثاني: الصبر المحمود؛ وهو أن يكون الإنسان صابراً لله تعالى راضياً بما نزل به من الله طالباً في ذلك الصبر ثواب الله محتسباً أجره على الله، فهذا هو الصبر الداخل تحت قوله: ﴿أَبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ يعني: صبروا على ما نزل بهم تعظيماً لله تعالى، وطلباً لرضوانه سبحانه، وجاءت<sup>(٢)</sup> الصلة هنا بلفظ الماضي، وفي الموصولين قبل بلفظ المضارع في قوله: ﴿الَّذِينَ يُؤْتُونَ﴾، ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ وما عطف عليهما على سبيل التفنن في الفصاحة، وقيل: إن اختصاص هذه الصلة بالماضي وتينك بالمضارع أن تينك الصلتين قصد بهما الاستصحاب والالتباس دائماً، وهذه الصلة قصد بها تقدمها على تينك الصلتين وما عطف عليهما؛ لأن حصول تلك الصلاة إنما هي مترتبة على حصول الصبر وتقدمه عليها، ولذلك لم تأت صلة الصبر في القرآن إلا بصيغة الماضي؛ إذ هو شرط في حصول التكليف وإيقاعها والله أعلم.

﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ المفروضة؛ أي: داوموا على إقامتها؛ أي: أدوها على ما رسمه الدين من خشوع القلب واجتناب الرياء والخشية لله تعالى مع تمام أركانها

(٢) البحر المحيط.

(١) الخازن.

وهيئاتها احتساباً لوجهه، وأفردها<sup>(١)</sup> بالذكر تنبيهاً على كونها أشرف من سائر العبادات، ولا يمتنع إدخال النوافل فيها ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾؛ أي: وأنفقوا بعض ما رزقناهم ﴿سِرًّا﴾ فيما بينهم وبين ربهم لمن لم يعرف بالمال، أو لمن لا يتهم بترك الزكاة، أو عند إعطائه من تمنعه المروءة من أخذه ظاهراً أو في التطوع ﴿وَعَلَانِيَةً﴾ بحيث يراهم الناس لغير ذلك سواء كان الإنفاق واجباً كالإنفاق على الزوجة والولد والأقارب والفقراء وفي الزكاة، أو مندوباً كالإنفاق على الفقراء والمحاويج من الأجانب.

وقال الحسن<sup>(٢)</sup>: والمراد بهذا الإنفاق الزكاة المفروضة، فإن لم يتهم بترك أداء الزكاة، فالأولى أن يؤديها سرّاً، وإن كان متهماً بترك أداء الزكاة، فالأولى أن يؤديها علانية، وقيل: إن المراد بالسر: ما يخرج من الزكاة بنفسه، والمراد بالعلانية: ما يؤديه إلى الإمام، وقيل: المراد بالسر: صدقة التطوع، وبالعلانية: الزكاة الواجبة، وحمّله على العموم أولى كما فرسنا ذلك آنفاً، وانتصابهما<sup>(٣)</sup> على الحال؛ أي: ذوي سر وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين، أو على الظرف؛ أي: وقتي سر وعلانية، أو على المصدر؛ أي: إنفاق سر وعلانية كما سيأتي في مبحث الإعراب إن شاء الله تعالى.

واعلم: أن الله تعالى أسند الإنفاق إليهم، وإعطاء الرزق إلى ذاته تعالى، تنبيهاً على أنهم أمناء الله فيما أعطاهم ووكلاؤه، والوكيل دخيل في التصرف لا أصيل، فينبغي له أن يلاحظ جانب الموكل لا جانب نفسه ولا جانب الخلق، وقد قالوا: من طمع في شكر أو ثناء فهو يبيع لا جواد؛ لأنه اشترى المدح بماله، والمدح لذيد مقصود في نفسه، والجود هو بذل الشيء من غير غرض. ﴿وَيَذَرُونِ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾؛ أي: يدفعون سيئة من أساء إليهم بالإحسان إليه، كما في قوله تعالى: ﴿أَدْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، أو يدفعون بالعمل الصالح العمل السيء، أو يدفعون الشر بالخير، أو المنكر بالمعروف، أو الظلم بالعفو، أو

(٣) روح البيان.

(١) المراح.

(٢) الخازن.



الذنب بالتوبة، ولا مانع من حمل الآية على جميع هذه الأمور.

قال عبد الله بن المبارك<sup>(١)</sup>: هذه ثمان خلال مشيرة إلى أبواب الجنة

الثمانية.

قلت: إنما هي تسع خلال، فيحتمل أنه عد خلتين بوحدة. ولما ذكر الله سبحانه وتعالى هذه خلال من أعمال البر... ذكر بعدها ما أعد للعاملين بها من الثواب، فقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ﴾ الذين وصفناهم بتلك المحاسن والكمالات التي بلغت الغاية في الشرف والكمال هم الذين ﴿لَهُمْ﴾ ﴿عُقُبَى الدَّارِ﴾؛ أي: العقبي الحسنة والمرجع الحسن والمسكن الطيب في الدار الآخرة، وسميت الدار الآخرة عقبي؛ لأنها عاقبة الدنيا ومرجع أهلها. والعقبي: مصدر<sup>(٢)</sup> كالعاقبة، والمراد بالدار الدنيا وعقباها الجنة، وقيل: المراد بالدار: الدار الآخرة وعقباها الجنة للمطيعين، والنار للعاصين.

ثم بين هذه العقبي، فقال: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ﴾ بدل من ﴿عُقُبَى الدَّارِ﴾؛ أي: لهم جنات عدن، أو خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: تلك العقبي هي جنات عدن وإقامة مؤبدة، والعدن: أصله الإقامة، ثم صار علماً لجنة من الجنان، ولكن المراد به هنا المعنى العام. وجملة قوله: ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ صفة لـ ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ﴾؛ أي: تلك العقبي جنات عدن يدخلونها؛ أي: يدخل هؤلاء الموصوفون بالصفات السابقة تلك الجنات، ويخلدون فيها لا يخرجون منها بعد الدخول أبداً.

ثم ذكر ما يكون فيها من الأنس باجتماع الأهل والمحبين الصالحين، فقال: ﴿وَمَنْ صَلَحَ﴾ معطوف على الضمير المرفوع في ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ وإنما ساغ للفصل بالضمير؛ أي: يدخل تلك الجنات هؤلاء الموصوفون بالصفات الحميدة، ويدخلها معهم من صلح وآمن معهم كما آمنوا ﴿مِنْ آبَائِهِمْ﴾؛ أي: من أصولهم، وإن علوا ذكوراً كانوا أو إناثاً. قال في «بحر<sup>(٣)</sup> العلوم» وآبائهم: جمع أبوي كل

(١) الخازن.

(٢) روح البيان.

(٣) الشوكاني.

واحد منهم، كأنه قيل من آبائهم وأمهاتهم، والمعنى: أنه يلحق بهم الصلحاء من أبويهم ﴿و﴾ من ﴿أزواجهم﴾ اللاتي متن في عصمتهم ونكاحهم سواء متن قبلهم أم لا ﴿و﴾ من ﴿ذرياتهم﴾ وأولادهم وإن لم يبلغوا مبلغ فضلهم تبعاً لهم وتعظيماً لشأنهم، وتكميلاً لفرحهم؛ لأن الله تعالى جعل من ثواب المطيع سروره بحضور أهله معه في الجنة، وإن لم يعملوا مثل أعمالهم.

والمعنى: أي ويجمع فيها بينهم وبين أحبابهم من الآباء والأزواج والأبناء ممن عمل صالحاً لتقرّب بهم أعينهم، ويزدادوا سروراً برؤيتهم حتى لقد ورد أنهم يتذاكرون أحوالهم في الدنيا، فيشكرون الله على الخلاص منها. وفي الآية إيماء<sup>(١)</sup> إلى أنه في ذلك اليوم لا تجدي الأنساب إن لم يسعها العمل الصالح، فالآباء والأزواج والذرية لا يدخلون الجنة إلا بعملهم، وقد أشار إلى ذلك الكتاب الكريم: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٧﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٨﴾﴾.

ثم ذكر ما لهم من الكرامة فيها بتسليم الملائكة عليهم، فقال: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ من أبواب المنازل التي يسكنونها في قدر<sup>(٢)</sup> كل يوم وليلة ثلاث مرات بالهدايا وبشارات الرضا؛ أي: وتدخل عليهم الملائكة من ها هنا وهنا للتسليم عليهم والتهنئة بدخول الجنة والإقامة في دار السلام في جوار الصديقين والأنبياء والمرسلين. وجملة قوله: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ محكية لقول محذوف تقديره: أي: قائلين لهم سلام عليكم؛ أي: أمان عليكم من المكاره والمخاوف التي تحيق بغيركم ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ متعلق بـ ﴿عَلَيْكُمْ﴾، أو بمحذوف؛ أي: هذه الكرامة العظمى بسبب صبركم على الطاعات وترك المحرمات وعلى المحن والمتاعب والآلام التي لاقيتموها في دار الحياة الدنيا ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾؛ أي: نعم عاقبة الدار التي كنتم عملتم فيها هذه الكرامات التي ترونها، والمخصوص بالمدح الجنة؛ أي: فنعمت الجنة التي أعقبت و عوضت لكم عن الدار التي عملتم فيها هذه الأعمال الصالحة وهي دار الدنيا.

(٢) النسفي.

(١) المراغي.

وقرأ الجمهور<sup>(١)</sup>: ﴿جَنَّتٌ﴾ بالجمع، وقرأ النخعي شذوذاً: ﴿جنة﴾ بالإفراد، وروي عن ابن كثير وأبي عمرو ﴿يدخلونها﴾ مبنياً للمفعول وهي رواية شاذة. وقرأ ابن أبي عبله شذوذاً: ﴿ومن صلح﴾ - بضم اللام -، وقرأ الجمهور بفتحها وهو أفصح. وقرأ عيسى الثقفي: ﴿وذريتهم﴾ بالتوحيد، والجمهور بالجمع. وقرأ ابن يعمر شاذاً: ﴿فنعم﴾ - بفتح النون وكسر العين - وهي الأصل. وقرأ ابن وثاب شاذاً: ﴿فَنَعَمَ﴾ - بفتح النون وسكون العين - وتخفيف فعل لغة تميمية، والجمهور ﴿فَنِعْمَ﴾ - بكسر النون وسكون العين - وهي أكثر استعمالاً.

ولما ذكر الله سبحانه وتعالى أحوال السعداء وما أعد لهم من الكرامات والخيرات.. ذكر بعده أحوال الأشقياء وما لهم من العقوبات، فقال: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ مبتدأ خبره قوله الآتي: ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْبَرَكَاتُ﴾؛ أي: والكفار الذين يخلفون عهد الله سبحانه وتعالى ويتركون وفاء عهده المأخوذ عليهم بالطاعة والإيمان ﴿مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾؛ أي: من بعد توكيد ذلك العهد بالإقرار والقبول في عالم الذر، وهو العهد الذي جرى بينهم؛ إذا أخرجهم من ظهر آدم وعاهدتهم على التوحيد والعبودية، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَعْهَدْ لَكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا الشَّيْطَانَ﴾.

ونقضه<sup>(٢)</sup>: إما بأن لا ينظروا فيه، فلا يمكنهم العمل بموجبه، وإما بأن ينظروا فيه ويعلموا صحته، ثم هم بعد يعاندون فيه ولا يعملون بما علموه واعتقدوا صحته. وقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾؛ أي: من بعد اعترافهم به وإقرارهم بصحته ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾؛ أي: ويتركون وصل ما أمر الله سبحانه بوصله من الإيمان به وبجميع أنبيائه الذين جاؤوا بالحق، فأمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعض، وقطعوا الرحم وموالاتة المؤمنين، وكانوا حرباً على المؤمنين وعوناً للكافرين، ومنعوا المساعدات العامة التي توجب التألف والمودة بين المؤمنين، كما جاء في الحديث: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»،

(١) البحر المحيط.

(٢) المراغي.

وجاء أيضاً: «المؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو اشتكى باقي الأعضاء بالسهر والحمى».

ولم يتعرض هنا لنفي الخشية والخوف عنهم وما بعدهما من الأوصاف المتقدمة<sup>(١)</sup>؛ لدخولها في النقض والقطع ﴿وَيُقْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بظلمهم لأنفسهم بعبادة غير الله تعالى، وبظلمهم لغيرهم بدعوتهم إلى الشرك وانتهاب أموالهم واغتصابها بلا حق، وتهييج الفتن بين المسلمين، وإثارة الحرب عليهم وإظهار العدوان لهم.

وفي الحديث<sup>(٢)</sup>: «الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها» وهي إيقاع الناس في الاضطراب والاختلال والاختلاف والمحنة والبلية بلا فائدة دينية، وذلك حرام؛ لأنه فساد في الأرض وإضرار للمسلمين وزينج وإلحاد في الدين.

فمن الفتنة أن يغري الناس على البغي والخروج على السلطان، وذلك لا يجوز وإن كان ظالماً؛ لكونه فتنة وفساداً في الأرض، وكذا معاونة المظلومين إذا أرادوا الخروج عليه، وكذا المعاونة له لكونه إعانة على الظلم، وذلك لا يجوز.

ومنها: أن يقول للناس ما لا تصل عقولهم إليه، وفي الحديث: «أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم». ومنها أن يذكر للناس ما لا يعرفه بكنهه ولا يقدر على استخراجها، فيوقعهم في الاختلاف والاختلال، والفتنة والبلية، كما هو شأن بعض الوعاظ في زماننا.

ومنها: أن يحكم أو يفتي بقول مهجور أو ضعيف أو قوي يعلم أن الناس لا يعلمون به، بل ينكرونه أو يتركون بسببه طاعة أخرى كمن يقول لأهل القرى والبوادي والعجائز والعبيد والإماء: لا تجوز الصلاة بدون التجويد وهم لا يقدر على التجويد، فيتركون الصلاة رأساً، وهي جائزة عند البعض، وإن كان ضعيفاً فالعمل به واجب.

وكم يقول للناس: لا يجوز البيع والشراء والاستقراض بالدرهم والدنانير

(١) الشوكاني.

(٢) روح البيان.

إلا بالوزن؛ لأن رسول الله ﷺ نص عليها بالوزن، فهو وزني أبداً وإن ترك الناس فيه الوزن، فهذا القول قوي في نفسه، وهو قول الإمام أبي حنيفة ومحمد مطلقاً. وقول أبي يوسف في غير ظاهر الرواية وهي خروجها عن الوزنية بتعامل الناس إلى العددية، فهذه الرواية وإن كانت ضعيفة فالقول بها واجب ولازم فراراً من الفتنة، فيجب على القضاة والمفتين والوعاظ معرفة أحوال الناس وعاداتهم في القبول والرد والسعي والكسل ونحوها، فيكلمونهم بالأصلح والأوفق لهم حتى لا يكون كلامهم فتنة للناس، وكذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنه يجب على الأمر والناهي معرفة أحوال الناس وعاداتهم وطبائعهم ومذاهبهم؛ لئلا يكون فتنة للناس وتهيجاً للشعر، وسبباً لزيادة المنكر وإشاعة المكروه.

ثم حكم عليهم بما يستحقون بما دسوا به أنفسهم، فقال: ﴿أُولَٰئِكَ﴾ الموصوفون بهذه الصفات الذميمة ﴿كُفُّوا﴾ بسبب تلك الصفات المذكورة ﴿الَّذِينَ﴾ في الآخرة؛ أي: الطرد والإبعاد من رحمة الله تعالى ورضوانه ﴿وَلَهُمْ سَوْءُ الدَّارِ﴾؛ أي: الدار السيئة القبيحة، وهي جهنم دار البوار جزاء وفاقاً لما اجترحوه من السيئات وأتوا به من الشرور والآثام، فاللعنة وسوء العاقبة لاصقان بهم لا يعدوانهم إلى غيرهم، وفيه تنفير للمسلمين عن هذه الخصال الثلاث، وأن لا ترفع همتهم حول ذلك الحمى.

ولما كان<sup>(١)</sup> كثير من الأشقياء فتحت عليهم نعم الدنيا ولذاتها أخبر تعالى أنه هو الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، والكفر والإيمان لا تعلق لهما بالرزق، فقال: ﴿اللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى وحده هو الذي ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ ويوسعه في الدنيا ﴿لِمَن يَشَاءُ﴾ بسطه وتوسيعه عليه ﴿وَيَقْدِرُ﴾؛ أي: يضيق الرزق على من يشاء من عباده، ويعطيه بقدر كفايته لا يفضل عنه شيء. كأنه قيل<sup>(٢)</sup>: لو كان من نقض عهد الله ملعونين في الدنيا ومعذبين في الآخرة.. لِمَ فتح الله عليهم أبواب النعم واللذات في الدنيا. فقيل: إن فتح باب الرزق في الدنيا لا تعلق له بالكفر والإيمان، بل هو متعلق بمجرد مشيئة الله، فقد يضيق على المؤمن امتحاناً لصبره

(٢) روح البيان.

(١) البحر المحيط.

وتكفيراً لذنوبه ورفعاً لدرجاته، ومن هذا القبيل ما وقع لأكثر الأصحاب - رضي الله عنهم - من المضايقة، ويوسع على الكافر استدراجاً، ومنه ما وقع لأكثر كفار قريش من التوسعة، ثم إن الله تعالى جعل الغنى لبعضهم صلاحاً، وجعل الفقر لبعضهم صلاحاً، وقد جعل في غنى بعضهم فساداً كالفقر، وفي الكل حكمة ومصالحة.

والمعنى: الله<sup>(١)</sup> سبحانه وتعالى يوسع الرزق لمن يشاء من عباده ممن هو حاذق في جمع المال وله من الحيلة في الحصول على كسبه واستنباطه بشتى الوسائل ما يخفى على غيره، ولا علاقة لهذا بإيمان ولا كفر، ولا صلاح ومعصية، ويقدر على من يشاء ممن هو ضعيف الحيلة، وليس بالحَوْل<sup>(٢)</sup> القَلْبُ في استنباط أسبابه ووسائله، وما الغنى والفقر إلا حالان يمران على البر والفاجر، كما يمر عليهما الليل والنهار والصبح والمساء.

ثم ذكر أن مشركي مكة بطروا بغناهم، فقال: ﴿وَفَرَحُوا﴾؛ أي: وفرح الذين نقضوا العهد والميثاق من مشركي مكة وغيرهم ﴿بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾؛ أي: بيسط الرزق عليهم في الحياة الدنيا، وعدوه أكبر متاع لهم، وأعظم حظوة عند الناس. والفرح<sup>(٣)</sup>: لذة في القلب لنيل المشتهى؛ أي: فرحوا بها فرح بطر وأشر، لا فرح شكر وسرور بفضل الله وأنعامه عليهم. وفيه دليل على أن الفرح بالدنيا حرام. قال في «شرح الحكم» عند قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ إنما لم يؤمر العبد برفض الفرح جملة؛ لأن ذلك من ضرورات البشر التي لا يمكن رفعها، بل ينبغي صرفها للوجه اللائق بها، وكذا جميع الأخلاق كالطمع والبخل والحرص والشهوة والغضب لا يمكن تبديلها، بل يصح أن تصرف إلى وجه لائق بها حتى لا تنصرف إلا فيه انتهى. وقيل: في هذه الآية تقديم

(١) المراغي.

(٢) قوله بالحول القلب: الحَوْلُ بوزن سُكَّر، أي: بصير بتحويل الأمور وتبديلها وتقليلها وهو حَوْلٌ قَلْبٍ اهـ مختار.

(٣) روح البيان.

وتأخير، والتقدير: الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل، ويفسدون في الأرض، وفرحوا بالحياة الدنيا، فيكون ﴿فرحوا﴾ معطوفاً على ﴿يفسدون﴾. ﴿وَمَا لِحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾؛ أي: وما نعيم الحياة الدنيا الفاني ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾؛ أي: بالنسبة إلى نعيم الآخرة الباقي ﴿إِلَّا مَتَّعٌ﴾؛ أي: إلا شيء قليل ونزر يسير سريع الزوال يتمتع به قليلاً، فهو كزاد الراعي يتزود بها إلى الآخرة، وعجالة الراكب؛ وهي ما يتعجل به من تميرات أو شربة سويق أو نحو ذلك، فلا حق لهم في البطر والأشر بما أوتوا من حظوظها، وانتفعوا به من خيراتها، فهم قد اعتزوا بالقليل السريع الزوال. و﴿فِي﴾ في قوله: ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ ليست<sup>(١)</sup> ظرفاً لـ ﴿لِحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ ولا لـ ﴿الدُّنْيَا﴾؛ لأنهما لا يقعان فيها، بل هي حال، والتقدير: وما الحياة القريبة إلى الزوال حالة كونها كائنة في جنب حياة الآخرة؛ أي: بالقياس والنسبة إليها إلا متاع، ف﴿فِي﴾: للمقايسة، وهي الداخلة بين مفضول سابق وفاضل لاحق.

وأخرج الترمذي عن المستورد قال<sup>(٢)</sup>: قال رسول الله ﷺ: «ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه في اليم، فلينظر بم يرجع»، وأشار بالسبابة.

وأخرج الترمذي عن ابن مسعود وصححه قال: نام رسول الله ﷺ على حصير، فقام وقد أثر في جنبه، فقلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك، فقال: «ما لي وللدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها».

قال في «الحكم العطائية»<sup>(٣)</sup>: إن أردت أن لا تعزل، فلا تتول ولاية لا تدوم لك، وكل ولايات الدنيا كذلك، وإن لم تعزل عنها بالحياة عزلت عنها بالممات، قال: وقد جعل الله الدنيا محلاً للأغيار ومعدناً لوجود الأكدار تزهيداً لك فيها حتى لا يمكنك استناد إليها ولا تعريج عليها. وقد قيل: إن الله تعالى

(٣) روح البيان.

(١) روح البيان.

(٢) المراعي.

أوحى إلى الدنيا: تضيقي وتشددي على أوليائي، وترفهي وتوسعي على أعدائي، تضيقي على أوليائي حتى لا يشتغلوا بك عني، وتوسعي على أعدائي حتى يشتغلوا بك عني، فلا يتفرغوا لذكري انتهى.

فغاية<sup>(١)</sup> متاع الدنيا أنها مثل القصة والقدح والقدر ينتفع بها، ثم تذهب، والعاقل لا يفرح بما يفارقه عن قريب ويورثه حزناً طويلاً، وإن حدثته نفسه بالفرح به يكذبها. قال الشاعر:

وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ لَا يَرَىٰ مَا يَسُوؤُهُ فَلَا يَتَّخِذْ شَيْئًا يَخَافُ لَهُ فَقْدًا  
ولما أبان سبحانه وتعالى أنهم قد انخدعوا بالسراب واكتفوا بالحباب -  
نفاخات الماء التي تعلوه - . . . ذكر ما ترتب على ذلك الغرور من اقتراحهم على  
رسوله ﷺ الآيات، فقال: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ أي: ثبتوا واستمروا على كفرهم  
وعنادهم من أهل مكة وغيرهم ﴿لَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِ﴾؛ أي: هلا أنزل على محمد ﷺ  
﴿آيَةً﴾؛ أي: علامة عظيمة ومعجزة باهرة كائنة ﴿مِنْ رَبِّهِ﴾؛ أي: من رب  
محمد ﷺ مثل آيات موسى وعيسى عليهما السلام من العصا وإحياء الموتى  
ونحوهما؛ لتكون دليلاً وعلامة على صدقه.

والمعنى<sup>(٢)</sup>: أي ويقول الذي كفروا من أهل مكة هلاً أنزل على محمد آية  
كما أرسل على الأنبياء والرسل السابقين، كسقوط السماء عليهم كسفاً، أو  
تحويل الصفا ذهباً، أو إزاحة الجبال من حول مكة حتى يصير مكانها مروجاً  
وبساتين إلى نحو أولئك من الاقتراحات التي حكاها القرآن عنهم كقولهم:  
﴿فَلْيَأْتِنَا بِنَايَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ وكانهم لفرط عنادهم وعظيم مكابرتهم قد ادعو  
أن ما أتى به من باهر الآيات كالقرآن وغيره ليس عندهم من الآيات التي توجب  
الإذعان والإيمان، أو التي لا تقبل شكاً ولا جدلاً، ثم أمر رسوله أن يبين لهم أن  
إنزال الآيات لا دخل له في هداية ولا ضلال، بل الأمر كله بيده، فقال: ﴿قُلْ﴾ يا  
محمد لهؤلاء الكفرة المعاندين ﴿إِنَّكَ اللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى ﴿يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ﴾

(٢) المراغي.

(١) روح البيان.



إضلاله باقتراح الآيات تعنتاً بعد تبين الحق وظهور المعجزات، فلا تغنى عنه كثرة المعجزات شيئاً إذا لم يهده الله تعالى ﴿وَهَدِيَّتِي﴾ سبحانه تعالى ﴿إِلَيْهِ﴾؛ أي: من أقبل إلى الحق ورجع عن العناد، فضمير ﴿إِلَيْهِ﴾؛ أي: إلى الحق أو إلى الإسلام، أو إلى جنابه تعالى ﴿مَنْ أَنَابَ﴾؛ أي: من أقبل إلى الحق ورجع عن العناد: فضمير ﴿إِلَيْهِ﴾ راجع إلى الحق، أو من<sup>(١)</sup> رجع إلى الله التوبة والإقلاع عما كان عليه. وأصل الإنابة: الدخول في نوبة الخير.

والمعنى<sup>(٢)</sup>: أي إنه لا فائدة لكم في نزول الآيات إن لم يرد الله تعالى هدايتكم، فلا تشغلوا أنفسكم بها، ولكن تضرعوا إليه واطلبوا منه الهداية، فإن الضلال والهداية بيده، وإليه مقاليدها، وادعوه أن يهيبء لكم من أمره رشداً، وأن يمهد لكم وسائل النجاة والسعادة، ويدفع عنكم نزعات الشيطان ووساوسه؛ لتظفروا بالحسنى في الدارين.

والخلاصة: أن في القرآن وحده غنى عن كل آية، فلو أراد الله هدايتكم لصرف اختياركم إلى تحصيل أسبابها، وكان لكم فيه مرشداً أيما مرشد، ولكن الله جعلكم سادرين في الضلالة لا تلوون على شيء، ولا ينفعكم إرشاد ولا نصح؛ لسوء استعدادكم وكثرة لجاجكم وعنادكم، ومن كانت هذه حاله فأني له أن يهتدي ولو جاءتته كل آية كما قال: ﴿وَمَا تَغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾، وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّا زَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتُ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾.

أما<sup>(٣)</sup> من أقبلوا إلى الله وتأملوا في دلائله الواضحة، وسلكوا طريقه المعبدة، فالله ينير بصائرهم ويشرح صدورهم، وهم لا بد واصلون إلى الفوز

(٣) المراغي.

(١) الشوكاني.

(٢) المراغي.

بالحسنى، وحاصلون على السعادة في الدنيا والآخرة، وهم من أشار إليهم بقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ محله النصب على البدلية من قوله: ﴿مَنْ أَنَابَ﴾ أو خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هم الذين آمنوا بالله وبرسوله وبكل ما جاء به ﴿وَتَطْمِئِنُّ قُلُوبُهُمْ﴾؛ أي: تسكن قلوبهم وتستأنس ﴿بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ تعالى؛ أي: هم الذين آمنوا بالله وبرسوله، واطمأنت واستأنست قلوبهم بذكر الله سبحانه بألستهم كتلاوة القرآن والتسبيح والتحميد والتكبير والتوحيد، أو بسماع ذلك من غيرهم؛ أي: إذا سمعوا ذكر الله أحبوه واستأنسوا به، فالمؤمنون يستأنسون بالقرآن وذكر الله الذي هو الاسم الأعظم ويحبون استماعها، والكفار يفرحون بالدنيا، ويستبشرون بذكر غير الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (٢٥).

وقيل<sup>(١)</sup>: المراد بالذكر هنا الطاعة، وقيل: بوعد الله، وقيل: بذكر رحمته، وقيل: بذكر دلائله الدالة على توحيده. ﴿الآلَاءِ﴾؛ أي: انتبهوا من غفلتكم واعلموا أنه ﴿بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ سبحانه وتعالى ﴿تَطْمِئِنُّ﴾. وتستأنس ﴿الْقُلُوبُ﴾؛ أي: قلوب المؤمنين ويستقر اليقين فيها؛ أي: ألا بذكر الله وحده لا بغيره تطمئن قلوب المؤمنين، ويزول القلق والاضطراب من خشيته بما يفيضه عليها من نور الإيمان الذي يذهب الهلع والوحشة، وهي بمعنى قوله في الآية الأخرى: ﴿ثُمَّ تَلِيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾.

فإن قلت<sup>(٢)</sup>: أليس قد قال الله تبارك وتعالى في أول سورة الأنفال ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾ والوجل استشعار الخوف وحصول الاضطراب، وهو ضد الطمأنينة، فكيف وصفهم بالوجل والطمأنينة، وهل يمكن الجمع بينهما في حال واحدة؟

قلت: إنما يكون الوجل عند ذكر الوعيد والعقاب، والطمأنينة إنما تكون عند ذكر الوعد والثواب، فالقلوب توجل إذا ذكرت عدل الله وشدة حسابه

(٢) الخازن.

(١) الشوكاني.

وعقابه، وتطمئن إذا ذكرت فضل الله ورحمته وكرمه وإحسانه؛ أي: فالمؤمنون<sup>(١)</sup> إذا ذكروا عقاب الله، ولم يأمّنوا من وقوعهم في المعاصي وجلت قلوبهم، كما قال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ﴾ وإذا ذكروا وعده بالشواب والرحمة سكنت نفوسهم واطمأنت إلى ذلك الوعد، وزال منها القلق والوحشة كما قال: ﴿أَلَا يَذَكِّرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾. وفي الآية إيماء إلى أن الكفار أفندتهم هواء؛ إذ لم تسكن نفوسهم إلى ذكره، بل سكنت إلى الدنيا وركنت إلى لذاتها، ثم بين سبحانه جزاء المطمئنين وثوابهم، فقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾؛ أي: الذين جمعوا بين الإيمان بالقلب والعمل الصالح بالجوارح، وهو مبتدأ خبره ﴿طُوبَى لَهُمْ﴾؛ أي: لهم عند ربهم في الآخرة حالة طيبة وعيشة طيبة ومثوبة حسنى وفرح وسرور، وقيل: طوبى: شجرة في الجنة، وقيل: هي الجنة. ﴿و﴾ لهم ﴿حَسَنَ مَأْبٍ﴾؛ أي: ولهم عند ربهم مأب حسن ومرجع حسن ومنقلب طيب ينقلبون ويرجعون إليه في الآخرة وهو الجنة.

وفي هذا من الترغيب في طاعته والتحذير من معصيته ومن شديد عقابه ما لا خفاء فيه.

وخلاصة ذلك: أن أهل الجنة منعمون بكل ما يشتهون كما جاء في الحديث: «فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر». وقرأ بكرة الأعرابي شذوذاً<sup>(٢)</sup>: ﴿طِيبِي﴾ - بكسر الطاء - لتسلم الياء من القلب، وإن كان وزنها فعلى كما كسروا في بيض لتسلم الياء، وإن كان وزنه فعلاً كحمر. وقرئ شذوذاً: ﴿وَحُسْنَ مَأْبٍ﴾ - بفتح النون ورفع مأب - ف﴿حَسَنٌ﴾: فعل ماضٍ أصله، وحسن نقلت ضمة سينه إلى الحاء، وهذا جائز في فعل إذا كان للمدح، أو الذم، كما قالوا: حسن ذا أدباً. وقرأ الجمهور: ﴿وَحُسْنُ مَأْبٍ﴾ بالرفع على أنه معطوف على ﴿طُوبَى﴾. وقرأ عيسى الثقفي بالنصب، وخرّج ذلك ثعلب على أنه معطوف على ﴿طُوبَى﴾ وأنها في موضع نصب على المصدرية كسقياً

(٢) البحر المحيط.

(١) المراعي.

لك، وحسن مآب معطوف عليها.

﴿كَذَلِكَ﴾؛ أي: مثل إرسالنا الرسل إلى أممهم قبلك وإعطائنا إياهم كتباً تتلى عليهم ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾ وبعثناك يا محمد ﴿فِي أُمَّةٍ﴾؛ أي: إلى جماعة كثيرة. ﴿فِي﴾<sup>(١)</sup> هنا بمعنى: إلى، كما في قوله تعالى: ﴿فَرَدَّوْا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾. وفي «بحر العلوم» وإنما عدى الإرسال بـ﴿فِي﴾ وحقه أن يعدى بيالي؛ لأن الأمة موضع الإرسال؛ أي: أرسلناك إلى أمة ﴿فَدَّخَلَتْ﴾ ومضت وتقدمت ﴿مِنْ قَبْلِهَا﴾؛ أي: من قبل هذه الأمة التي أرسلناك إليها، فالضمير عائد على أمة باعتبار لفظها ﴿أُمَّمٍ﴾؛ أي: قد مضت من قبل هذه الأمة أمم كثيرة وقرون عديدة قد أرسلنا إليهم رسلنا من قبلك، فليس يبدع إرسالك إلى أمتك، فكيف ينكرون رسالتك. ثم علل الإرسال، فقال: ﴿لِتَتْلُوْا عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: على أمتك، فالضمير راجع إلى ﴿أُمَّةٍ﴾ باعتبار معناها، ولو عاد إلى لفظها، لقال: لتتلوا عليها؛ أي: أرسلناك إليهم لكي تقرأ على تلك الأمة الكتاب العظيم ﴿الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ وهو القرآن وما فيه من شرائع الإسلام وتزينهم بحلية الإيمان، فإن المقصود<sup>(٢)</sup> من نزول القرآن هو العمل بما فيه، وتحصيل السيرة الحسنة لا التلاوة المحضة والاستماع المجرد، فالعامي المتعبد راجل سالك، والعالم المتهاون ركب نائم. وجملة قوله: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ حال من ﴿أُمَّةٍ﴾؛ أي: أرسلناك إلى أمة قد خلت من قبلها أمم، والحال أنهم؛ أي: أن أمتك يكفرون وينكرون بالله الواسع الرحمة، ولا يعرفون قدر رحمته وإنعامه عليهم بإرسالك وإنزال الكتاب العظيم عليهم، والضمير في ﴿وَهُمْ﴾ عائد على ﴿أُمَّةٍ﴾ من حيث المعنى، ولو عاد على لفظها لكان التركيب: وهي تكفر بالرحمن. ا هـ. «سمين».

والمعنى: أي كما<sup>(٣)</sup> أرسلنا إلى الأمم الماضية رسلاً فكذبوهم، كذلك أرسلناك في هذه الأمة لتبليغهم رسالة الله إليهم، وكما أوقعنا بأسنا ونقمنا

(١) روح البيان.

(٢) روح البيان.

(٣) المراغي.

بأولئك، فليحذر هؤلاء من حلول النقم بهم.

وخلاصة ذلك: أننا كما أرسلنا إلى أمم من قبلك، وأعطيناهم كتباً تتلى عليهم أرسلناك وأعطيناك هذا الكتاب لتتلوه عليهم، فلماذا يقترحون غيره ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾؛ أي: والحال أنهم كفروا بمن أحاطت بهم نعمه ووسعت كل شيء رحمته، ولم يشكروا نعمه وفضله عليهم، ولا سيما إحسانه إليهم بإرسالك وإنزال القرآن عليك، وهو الكفيل بمصالح الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٧﴾.

وكفرهم به أنهم جحدوه بتاتاً، أو أثبتوا له الشركاء. وروي أن أبا جهل سمع النبي ﷺ وهو في الحجر يدعو ويقول: «يا الله يا رحمن»، فرجع إلى المشركين، وقال: إن محمداً يدعو إلهين يدعو الله، ويدعو آخر يسمى الرحمن، ولا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة يعني به: مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة، وهي بلدة في البادية، فنزلت هذه الآية. ﴿قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدٌ هُوَ﴾؛ أي: الرحمن الذي كفرتم به وأنكرتم معرفته ﴿رَبِّي﴾؛ أي: خالقي ومتولي أموري. وقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ خبر بعد خبر؛ أي: هو جامع لهذين الوصفين من الربوبية والألوهية، فلا مستحق للعبادة سواه. ومعنى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ هو الواحد المختص بالإلهية، فلا يستحق العبادة له والإيمان به سواه.

والمعنى: قل لهم يا محمد إن الرحمن الذي كفرتم به هو خالقي ومتولي أمري ومبلغي مراتب الكمال، لا رب غيره ولا معبود سواه، فهو الواحد الأحد الفرد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. وعن قتادة قال: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ زمن الحديبية حين صالح قريشاً كتب في الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم، فقالت قريش: أما الرحمن فلا نعرفه، وكان أهل الجاهلية يكتبون: باسمك اللهم، فقال أصحابه: دعنا نقاتلهم، قال: «لا اكتبوا كما يريدون». اهـ.

﴿عَلَيْهِ﴾ سبحانه وتعالى لا على غيره ﴿تَوَكَّلْتُ﴾ واعتمدت في جميع أموري، وإليه أسندت أمري في العصمة من شركم والنصرة عليكم ﴿وَالِيَهُ﴾ تعالى

لا إلى غيره ﴿مَتَابٍ﴾؛ أي: توبتي، وهو مصدر ميمي لتاب يتوب، وأصله<sup>(١)</sup> متابي بالإضافة إلى ياء المتكلم، ولكنها حذفت اجتزاء عنها بالكسرة؛ أي: مرجعي ومرجعكم فيرحمني وينتقم لي منكم، والانتقام من الرحمن أشد، ولذا قيل: نعوذ بالله من غضب الحليم.

وفي هذا<sup>(٢)</sup>: بيان لفضل التوبة ومقدار عظمها عند الله، وبعث للكفار على الرجوع عما هم عليه بأبلغ وجهٍ وألطف سبيل؛ إذا أمر بها عليه السلام وهو منزه عن اقرار الذنوب، فتوبتهم وهم عاكفون على أنواع الكفر والمعاصي أحق وأجدر.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَا﴾؛ أي: ولو ثبت أن كتاباً من الكتب السماوية ﴿سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾؛ أي: نقلت بتلاوته عن أماكنها، وأذهبت عن وجه الأرض بقراءته عليها، كما فعل ذلك بالطور لموسى عليه السلام ﴿أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ﴾؛ أي: أو شقت الأرض بتلاوته عليها، وجعلت أنهاراً وعيوناً، كما فعل بالحجر حين ضربه موسى بعصاه ﴿أَوْ كَلِمَةٍ بِهِ الْمَوْتُ﴾؛ أي: أو كلم أحد به الموتى في قبورهم بأن أحياهم بقراءته عليهم، فتكلم معهم كما وقع لعيسى عليه السلام، وجواب ﴿لَوْ﴾ محذوف تقديره: لو ثبت أمر من هذه الأمور الثلاثة لكتاب من الكتب السماوية لثبت لهذا الكتاب العظيم، ولهذا القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لما انطوى عليه من الآيات الكونية الدالة على بديع صنع الله في الأنفس والآفاق، ولما اشتمل عليه من الحكم والأحكام التي فيها صلاح البشر وسعادتهم في الدار الفانية والدار الباقية، واشتمل عليه من قوانين العمران التي تكون خيراً لمتبعميها وفوزاً لسالكها، ويجعل منهم خير أمة أخرجت للناس.

أو التقدير: لو ثبت أمر من هذه الأمور الثلاثة لكتاب من الكتب السماوية.. لكان هو هذا القرآن لكونه ينطوي على عجائب آثار قدرة الله تعالى،

(١) روح البيان.

(٢) المراعي.

ولكن لم يفعل، بل فعل ما عليه الشأن الآن وهذا بمعنى قوله: ﴿لَوْ أَرَدْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جِبَلٍ لَرَأَيْتَهُمْ خَشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾.

خلاصة ذلك<sup>(١)</sup>: لو أن ظهور أمثال ما اقترحوه مما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة؛ لكان مظهر ذلك هو القرآن الذي لم يعدوه آية، واقترحوا غيره. ولا يخفى ما في هذا من تعظيم شأنه الكريم، ووصفهم بسخف العقل وسوء التدبير والرأي، وبيان أن تلك المقترحات لا ينبغي أن يؤبه لها ولا يلتفت إليها؛ لأنها صادرة عن التشهي والهوى والتمادي في الضلال، والمكابرة والعناد، لا عن تقدير للأمور على وجهها الصحيح، وتأمل في حقائقها، وما يجب أن يكون لها من الاعتبار.

ويجوز أن يكون المعنى: لو أن كتاباً فعلت بوساطته هذه الأفاعيل العجيبة.. لما آمنوا به لفرط عنادهم وعلوهم في مكابرتهم، وهذا بمعنى قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّا زَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلِئِكَةَ وكَلَّمَهُمُ الْوَقْوَقَ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾.

﴿بَلِ لِلَّهِ﴾ سبحانه وتعالى لا لغيره ﴿الْأَمْرُ﴾ الذي يدور<sup>(٢)</sup> عليه فلك الأكوان ﴿جَمِيعًا﴾ وجوداً وعدماً إن شاء فعل، وإن شاء لم يفعل، فله التصرف في كل شيء، وله القدرة على ما أراد، وهو قادر على الإتيان بما اقترحوه من الآيات إلا أن إرادته لم تتعلق بذلك؛ لعلمه بأنه لا تنفعهم الآيات، وأن قلوبهم لا تلين بذلك، ولا يجدي هذا فائدة في إيمانهم.

والمعنى: بل مرجع الأمور كلها بيد الله تعالى ما شاء كان وما لم يشاء لم يكن، ومن يضل فلا هادي له، ومن يهد فما له من مضل. وهذه الجملة إضراب<sup>(٣)</sup> عن ما تضمنته لو من معنى النفي؛ أي: بل الله قادر على الإتيان بما اقترحوه من الآيات إلا أن إرادته لم تتعلق بذلك، لعلمه بأنه لا تلين له

(٣) البيضاوي.

(١) المراغي.

(٢) المراح.

شكيمتهم، ويؤيد ذلك قوله: ﴿أَفَلَمْ يَأْتِنِسَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ والهمزة فيه داخله على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، و﴿يَأْتِنِسَ﴾ هنا بمعنى يعلم و﴿أَنْ﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، والتقدير: أغفل الذين آمنوا كون الأمر جميعاً لله تعالى، فلم يعلموا أن الشأن والحال لو شاء الله سبحانه وتعالى هداية الناس أجمعين لهداهم جميعاً من غير أن يشاهدوا الآيات التي اقترحوها، فإنه ليس ثمة حجة ولا معجزة أنجع في العقول من هذا القرآن الذي لو أنزل على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله، ولكنه لم يشأ هداية جميع الناس. وقيل<sup>(١)</sup>: إن الإيأس على معناه الحقيقي؛ أي: أفلم ييأس الذين آمنوا من إيمان هؤلاء الكفار لعلمهم أن الله تعالى لو أراد هدايتهم لهداهم؛ لأن المؤمنين تمنوا نزول الآيات التي اقترحها الكفار طمعاً في إيمانهم.

وحاصله: أن في معنى الآية قولين:

أحدهما: أن يشس بمعنى علم.

والقول الثاني: أنه من اليأس المعروف، وتقدير القولين ما تقدم. ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالرحمن وهم كفار مكة ﴿تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا﴾؛ أي: بسبب ما صنعوا وفعلوا من كفرهم وأفعالهم الخبيثة ﴿قَارِعَةً﴾؛ أي: داهية ومصيبة تفرعهم وتفجأهم، وتفرعهم من القتل والأسر والحرب والجذب. وأصل القرع: الضرب والصدع.

وتلخيصه<sup>(٢)</sup>: ولا يزال كفار مكة معذبين بقارعة من البلايا والرزايا ﴿أَوْ تَحُلُّ قَارِعَةً﴾ أي: تنزل ﴿قَرِيْبًا﴾؛ أي: مكاناً قريباً ﴿مِنْ دَارِهِمْ﴾ مكة فيفزعون فيها، ويقلعون ويتطايروا عليهم شرارها ويتعدى إليهم شرورها، ويجوز أن يكون ﴿تَحُلُّ﴾ خطاباً للنبي ﷺ، فإنه حل بجيشه قريباً من دارهم حيث حاصر أهل الطائف، وحيث حل بالحديبية في عامها. وقيل: هذا وعيد للكفار على العموم، لا خصوص أهل مكة ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾؛ أي: حتى ينجز الله سبحانه وتعالى وعده الذي وعدك فيهم بظهورك عليهم وفتحك أرضهم وقهرك إياهم بالسيف

(٢) روح البيان.

(١) الشوكاني.



﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ سبحانه وتعالى ﴿لَا يُخَلِّفُ أَلْمِيعَادَ﴾؛ أي: لا يترك وفاء الوعد الذي وعده لعباده؛ لامتناع الخلف في حقه تعالى؛ لكونه نقصاً منافياً للألوهية، وكمال الشيء، فما جرى به وعده فهو كائن لا محالة؛ أي: إن الله تعالى منجزك ما وعذك من النصر عليهم؛ لأنه لا يخلف وعده كما قال: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلِّفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾. والمعاد<sup>(١)</sup>: بمعنى الوعد كالميلاد والميثاق بمعنى الولادة والتوثقة، والوعد عبارة عن الإخبار بإيصال المنفعة قبل وقوعها.

وقرأ علي وابن عباس قال الزمخشري<sup>(٢)</sup>، وجماعة من الصحابة والتابعين، وقال غيره: وعكرمة وابن أبي مليكة والجحدري وعلي بن الحسين وابنه زيد وأبو زيد المزني وعلي بن نديمة وعبد الله بن يزيد: ﴿أَفَلَمْ يَتَّبِعُوا﴾ من بينت كذا إذا عرفته وهي قراءة شاذة وليست متواترة، وتدل هذه القراءة الشاذة على أن معنى: ﴿أَفَلَمْ يَأْتِيَنَّ﴾ هنا معنى العلم، كما تضافرت النقول أنها لغة لبعض العرب، وهذه القراءة ليست قراءة تفسير لقوله: ﴿أَفَلَمْ يَأْتِيَنَّ﴾ كما يدل عليه ظاهر كلام الزمخشري، بل هي قراءة مسندة إلى الرسول ﷺ. وقرأ مجاهد وابن جبير: ﴿أو يحل﴾ بالياء على الغيبة وهي قراءة شاذة أيضاً، واحتمل أن يكون عائداً على معنى القارعة، وهو أوضح، راعى فيه التذكير؛ لأنها بمعنى البلاء أو العذاب، أو تكون الهاء في ﴿قَارِعَةٌ﴾ للمبالغة فهو بمعنى قارع، واحتمل أن يكون عائداً على الرسول ﷺ؛ أي: أو يحل الرسول قريباً. وقرىء شذوذاً أيضاً: ﴿من ديارهم﴾ بالجمع وهي واضحة.

## الإعراب

﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِمَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَقْنُصُونَ أَلْمِيعَاتِ﴾.

﴿الَّذِينَ﴾ مع ما عطف عليه: مبتدأ أول، خبره جملة قوله: ﴿أُولَئِكَ لَمْ عَقَبَى الدَّارِ﴾، أو بدل من ﴿أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ﴾، أو نعت له، وجملة قوله: ﴿أُولَئِكَ لَمْ عَقَبَى الدَّارِ﴾: مستأنفة. ﴿يُؤْفُونَ﴾: فعل وفاعل. ﴿بِمَهْدِ اللَّهِ﴾: متعلق به، والجملة صلة

(٢) البحر المحيط.

(١) روح البيان.

الموصول. ﴿وَلَا يَنْقُضُونَ الْعَيْتُقَ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة معطوفة على جملة ﴿يُؤْتُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾.

﴿وَالَّذِينَ﴾: اسم موصول معطوف على الموصول الأول. ﴿يَصِلُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول. ﴿مَا﴾: موصولة، أو موصوفة في محل نصب مفعول به. ﴿أَمَرَ اللَّهُ﴾: فعل وفاعل. ﴿بِهِ﴾: متعلق به، ومفعوله محذوف تقديره: ما أمرهم الله به. ﴿أَنْ﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿يُوصَلَ﴾: فعل مضارع مغير الصيغة منصوب بـ﴿أَنْ﴾ المصدرية، ونائب فاعله ضمير يعود على ﴿مَا﴾، والجملة في تأويل مصدر مجرور على كونه بدلاً من ضمير به، والتقدير: والذين يصلون ما أمر الله بوصله. ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿يَصِلُونَ﴾. ﴿وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿يَصِلُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿وَالَّذِينَ﴾: اسم موصول في محل الرفع معطوف على الموصول الأول. ﴿صَبَرُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية صلة الموصول. ﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾: يجوز أن يكون مفعولاً له، وهو الظاهر، وأن يكون حالاً؛ أي: مبتغين، والمصدر مضاف لمفعوله. اهـ. «سمين». ولكن الكلام على حذف مضاف؛ أي: ابتغاء ثوابه ورضاه. ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿صَبَرُوا﴾. ﴿وَأَنفَقُوا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿صَبَرُوا﴾. ﴿مِمَّا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أَنفَقُوا﴾. ﴿رَزَقْنَاهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول أول، والمفعول الثاني محذوف تقديره: إياه، والجملة الفعلية صلة لـ﴿مَا﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط الضمير المحذوف الذي قدرناه آنفاً. ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾: حالان من فاعل ﴿وَأَنفَقُوا﴾، ولكنه على تأويله بالمشتق تقديره: وأنفقوا حالة كونهم مسرين ومعلنين، أو على المصدرية؛ أي: إنفاق سر وعلانية، أو على الظرفية؛ أي: وقتي سر وعلانية. ذكره في «روح البيان» كما تقدم. ﴿وَيَدْرُؤُونَ﴾: فعل وفاعل

معطوف على ﴿صَبْرًا﴾. ﴿بِالْحَسَنَةِ﴾: متعلق به. ﴿السَّيِّئَةِ﴾: مفعول به. ﴿أَوْلِيَّكَ﴾: مبتدأ ثان. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور خبر مقدم لما بعده. ﴿عُقَى الدَّارِ﴾: مبتدأ ثالث ومضاف إليه، والجملة من المبتدأ الثالث وخبره في محل الرفع خبر للمبتدأ الثاني، والجملة من المبتدأ الثاني وخبره في محل الرفع خبر للأول، والجملة من المبتدأ الأول وخبره مستأنفة.

﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿١٣﴾﴾.

﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ﴾: خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هي جنات عدن، والجملة في محل الرفع بدل من ﴿عُقَى الدَّارِ﴾، أو عطف بيان منه. ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾: فعل وفاعل، ومفعول، والجملة في محل الرفع صفة لـ ﴿جَنَّتٍ﴾، ولكنها سببية. ﴿وَمَنْ﴾: الواو ﴿للمعية﴾ من: اسم موصول في محل الرفع معطوف على المرفوع في ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾، وإنما ساغ العطف بلا توكيد، لوجود الفصل بالضمير المنصوب. ﴿صَلَحَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَنْ﴾، والجملة صلة الموصول. ﴿مِنْ آبَائِهِمْ﴾: جار ومجرور حال من فاعل ﴿صَلَحَ﴾. ﴿وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾: معطوفان على ﴿آبَائِهِمْ﴾. ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾: مبتدأ. ﴿يَدْخُلُونَ﴾: فعل وفاعل. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: متعلق به، وكذا قوله: ﴿مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾: يتعلق به، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر المبتدأ، أو الجملة الاسمية مستأنفة.

﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿١٤﴾﴾.

﴿سَلَامٌ﴾: مبتدأ، وسوغ الابتداء بالنعرة قصد الدعاء. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: جار ومجرور خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب مقول لقول محذوف حال من فاعل ﴿يَدْخُلُونَ﴾، والتقدير: والملائكة يدخلون عليهم من كل باب حالة كونهم قائلين: سلام عليكم. ﴿بِمَا﴾: (الباء): حرف جر وسبب. ﴿مَا﴾: مصدرية: ﴿صَبَرْتُمْ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة ﴿مَا﴾ المصدرية، ﴿مَا﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بالباء تقديره: بسبب صبركم في الدنيا على مشاق

التكاليف، الجار والمجرور متعلق بالاستقرار الذي تعلق به الخبر. ﴿فَتَعْمَ عُقْبَىٰ الدَّارِ﴾: (الفاء): عاطفة. ﴿نعم﴾: فعل ماضٍ لإنشاء المدح. ﴿عُقْبَىٰ الدَّارِ﴾: فاعل ومضاف إليه، وجملة ﴿نعم﴾: في محل الرفع خبر مقدم لمبتدأ محذوف هو مخصوص بالمدح تقديره: جنات عدن، والجملة الاسمية في محل النصب معطوفة على جملة قوله: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ على كونها مقولاً لقول محذوف.

﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (١٥).

﴿وَالَّذِينَ﴾: اسم موصول للجمع المذكر مبتدأ أول. ﴿يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة صلة الموصول. ﴿مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿يَتَّقُونَ﴾. ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿يَتَّقُونَ﴾. ﴿أَمَرَ اللَّهُ﴾: فعل وفاعل. ﴿بِهِ﴾: متعلق به، والجملة الفعلية صلة الموصول. ﴿أَنْ يُوصَلَ﴾: ناصب وفعل مضارع مغير الصيغة، ونائب فاعله ضمير يعود على ﴿مَا﴾، والجملة في تأويل مصدر مجرور على كونه بدلاً من الضمير المجرور. ﴿وَيُفْسِدُونَ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿يَتَّقُونَ﴾. ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: متعلق به. ﴿أُولَئِكَ﴾: مبتدأ ثان. ﴿لَهُمْ﴾: خبر مقدم لما بعده. ﴿اللَّعْنَةُ﴾: مبتدأ ثالث، والجملة من المبتدأ الثالث في محل الرفع خبر للمبتدأ الثاني، والجملة من المبتدأ الثاني وخبره خبر للأول، وجملة الأول معطوفة على جملة قوله: ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾: ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾: مبتدأ وخبر معطوف على جملة قوله: ﴿لَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾.

﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ (١٦).

﴿اللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿يَسْطُرُ الرِّزْقَ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على ﴿اللَّهُ﴾، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة. ﴿لِمَنْ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿يَسْطُرُ﴾. ﴿يَشَاءُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿اللَّهُ﴾، والجملة صلة ﴿مَنْ﴾ الموصولة، والعائد محذوف تقديره:

لمن يشاء البسط له. ﴿وَيَقْدِرُ﴾: فعل مضارع معطوف على ﴿يَسْطُرُ﴾. ﴿وَفَرِحُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿بِالْحَيَاةِ﴾: متعلق به. ﴿الدُّنْيَا﴾: صفة لـ ﴿الحياة﴾. ﴿وَمَا الْحَيَاةُ﴾: (الواو): استئنافية. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿الْحَيَاةُ﴾: مبتدأ. ﴿الدُّنْيَا﴾: صفة لـ ﴿الْحَيَاةُ﴾. ﴿فِي﴾: حرف جر ومقايضة بمعنى الباء. ﴿الْآخِرَةُ﴾: مبتدأ. الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من المضاف المحذوف الواقع معطوف به، الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من المضاف المحذوف الواقع مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿مَتَّعٌ﴾: خبر المبتدأ، والتقدير: وما نعيم الحياة الدنيا حالة كونه مقاساً بنعيم الآخرة إلا متاع.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ﴾.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿كَفَرُوا﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾: مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿لَوْلَا﴾: حرف تحضيض بمعنى هلا. ﴿أُنزِلَ﴾: فعل ماضٍ مغير الصيغة. ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلق به. ﴿آيَةٌ﴾: نائب فاعل. ﴿مِنْ رَبِّهِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه صفة لـ ﴿آيَةٌ﴾؛ أي: آية كائنة من ربه، والجملة من الفعل المغير ونائب فاعله في محل نصب مقول لـ ﴿يقول﴾. ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة. ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: ناصب واسمه. ﴿يُضِلُّ مَنْ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على ﴿اللَّهِ﴾، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾: في محل نصب مقول ﴿قُلْ﴾. ﴿يَشَاءُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿اللَّهِ﴾، والجملة صلة ﴿مَنْ﴾ الموصولة، والعائد محذوف تقديره: من يشاء إضلاله. ﴿وَيَهْدِي﴾: فعل مضارع معطوف على ﴿يُضِلُّ﴾، وفاعله ضمير يعود على ﴿اللَّهِ﴾. ﴿إِلَيْهِ﴾: متعلق به. ﴿مَنْ﴾: اسم موصول في محل نصب مفعول يهدى. ﴿أُنَابَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَنْ﴾، والجملة صلة الموصول.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (١٨).

﴿الَّذِينَ﴾ بدل من ﴿مَنْ﴾ في قوله: ﴿مَنْ أَنَابَ﴾ بدل كل من كل، أو عطف بيان منه. ﴿ءَامَنُوا﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿وَتَطْمِئِنُّ قُلُوبُهُمْ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿ءَامَنُوا﴾. ﴿يَذْكُرِ اللَّهُ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿تَطْمِئِنُّ﴾. ﴿آلَا﴾: حرف تنبيه. ﴿يَذْكُرِ اللَّهُ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بما بعده. ﴿تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة.

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجْرُهُ﴾ (١٦).

﴿الَّذِينَ﴾: مبتدأ أول. ﴿ءَامَنُوا﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿ءَامَنُوا﴾. ﴿طُوبَىٰ﴾: مبتدأ ثان، وجاز الابتداء به: إما لأنه علم لشيء بعينه، وإما لأنها نكرة في معنى الدعاء، كسلام عليك، وويل له. اهـ. «سمين». ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور خبر للمبتدأ الثاني. ﴿وَحَسُنَ مَا أَجْرُهُ﴾: معطوف على ﴿طُوبَىٰ﴾، والجملة من المبتدأ الثاني وخبره في محل الرفع خبر للمبتدأ الأول، وجملة الأول مستأنفة.

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾.

﴿كَذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور صفة لمصدر محذوف. ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول. ﴿فِي أُمَّةٍ﴾: جار ومجرور متعلق به، والتقدير: أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمة إرسالاً مثل إرسالنا الرسل السالفة إلى أممهم، والجملة الفعلية مستأنفة. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق. ﴿خَلَّتْ﴾: فعل ماضٍ. ﴿مِن قَبْلِهَا﴾: جار ومجرور متعلق به. ﴿أُمَّةٍ﴾: فاعل ﴿خَلَّتْ﴾، والجملة الفعلية في محل الجر صفة لـ﴿أُمَّةٍ﴾، ولكنها صفة سببية. ﴿لِّتَتْلُوَ﴾: (اللام): حرف جر وتعليل. ﴿تتلو﴾: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة جوازاً بعد لام كي، وعلامة نصبه فتحة ظاهرة؛ لأنه فعل معتل الواو، وفاعله ضمير يعود على محمد. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: متعلق به. ﴿الَّذِي﴾: اسم موصول في محل النصب مفعول ﴿تتلو﴾، وجملة ﴿تتلو﴾: صلة أن المضمرة، أن مع صلتها في تأويل مصدر مجرور باللام تقديره: لتلاوتك عليهم الذي أوحينا إليك، الجار والمجرور متعلق بـ﴿أرسلنا﴾.

﴿أَوْحَيْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿إِلَيْكَ﴾: متعلق به، والجملة الفعلية صلة الموصول، والعاثد محذوف تقديره: الذي أوحينا إليك. ﴿وَهُمْ﴾: (الواو): حالية أو استئنافية. ﴿هُمْ﴾: مبتدأ. ﴿يَكْفُرُونَ﴾: فعل وفاعل. ﴿بِالرَّحْمَنِ﴾: متعلق به، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من ﴿أُمَّةٍ﴾، أو من الضمير في ﴿عَلَيْهِمْ﴾.

﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ﴾.

﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة. ﴿هُوَ رَبِّي﴾ إلى آخر الآية: مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿هُوَ رَبِّي﴾: مبتدأ وخبر أول، والجملة في محل نصب مقول ﴿قُلْ﴾. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿إِلَّا﴾: في محل نصب اسم ﴿لَا﴾، وخبر ﴿لَا﴾ محذوف جوازاً تقديره: موجود. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ، ولفظ الجلالة بدل من الضمير المستكن في خبر ﴿لَا﴾، وجملة ﴿لَا﴾ في محل الرفع خبر ثان للمبتدأ. ﴿عَلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلق بما بعده. ﴿تَوَكَّلْتُ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ثالث للمبتدأ، أو مستأنفة. ﴿وَإِلَيْهِ﴾: جار ومجرور خبر مقدم. ﴿مَتَابٌ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة مناسبة لياء المتكلم المحذوفة اجتزاء عنها بالكسرة، والجملة الاسمية معطوفة على جملة قوله: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمٌ بِهِ الْمَوْتُ بَلَّ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِئِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾.

﴿وَلَوْ﴾ (الواو): استئنافية. ﴿لَوْ﴾: حرف شرط. ﴿أَنَّ﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿قُرْءَانًا﴾: اسمها. ﴿سُيِّرَتْ﴾: فعل ماضٍ مغير الصيغة. ﴿بِهِ﴾: متعلق به. ﴿الْجِبَالُ﴾: نائب فاعل، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿أَنَّ﴾. ﴿أَوْ قُطِعَتْ﴾: فعل ماضٍ مغير الصيغة. ﴿بِهِ﴾: متعلق به. ﴿الْأَرْضُ﴾: نائب فاعل، والجملة في محل الرفع معطوفة على جملة ﴿سُيِّرَتْ﴾. ﴿أَوْ كَلِمٌ﴾: فعل ماضٍ مغير الصيغة. ﴿بِهِ﴾: متعلق به. ﴿الْمَوْتُ﴾: نائب فاعل والجملة معطوفة على

جملة ﴿سُيِّرَتْ﴾. وجملة ﴿أَنَّ﴾ في تأويل مصدر مرفوع على كونه فاعلاً لفعل محذوف بعد ﴿لَوْ﴾ الشرطية، والجملة المحذوفة مع فاعلها المنسبك من ﴿أَنَّ﴾: فعل شرط لـ ﴿لَوْ﴾، وجوابها محذوف تقديره: لو ثبت تسيير الجبال بكتاب من الكتب السماوية، أو تقطيع الأرض به، أو تكليم الموتى به.. لثبت كونه هذا القرآن، أو لما آمنوا به، وجملة ﴿لَوْ﴾ الشرطية: مستأنفة. ﴿بَلَّ﴾: حرف إضراب. ﴿لِلَّهِ﴾: خبر مقدم. ﴿الْأَمْرُ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿جَمِيعًا﴾: حال من ﴿الْأَمْرُ﴾، أو من الضمير المستكن في الخبر، والجملة الاسمية مستأنفة. ﴿أَفَلَمْ﴾: (الهمزة): للاستفهام التوبيخي داخل على محذوف، و(الفاء): عاطفة على ذلك المحذوف. ﴿لَمْ﴾: حرف نفي وجزم. ﴿يَأْتِيَنَّ الَّذِينَ﴾: فعل وفاعل، والتقدير أغفلوا عن كون الأمر لله جميعاً، فلن يعلم الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً، والجملة المحذوفة مستأنفة. ﴿ءَامَنُوا﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿أَنَّ﴾: مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوفاً؛ أي: أنه ﴿لَوْ﴾ حرف شرط. ﴿يَشَاءَ اللَّهُ﴾: فعل وفاعل فعل شرط لـ ﴿لَوْ﴾. ﴿لَهْدَى﴾: اللام: رابطة لجواب ﴿لَوْ﴾ ﴿هدى الناس﴾: فعل ومفعول. ﴿جَمِيعًا﴾: حال من الناس وفاعله ضمير يعود على ﴿اللَّهُ﴾، والجملة الفعلية جواب ﴿لَوْ﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿لَوْ﴾ الشرطية: في محل الرفع خبر ﴿أَنَّ﴾: المخففة: وجملة ﴿أَنَّ﴾ المخففة في تأويل مصدر ساد مسد مفعولي يش؛ لأنه بمعنى علم، والتقدير: أفلم يعلم الذين آمنوا هداية الله الناس جميعاً لو شاء هدايتهم، ولكنه لم يشأ هدايتهم جميعاً لحكمة اقتضت ذلك.

﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلِفُ الْوَعْدَ﴾.

﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿كَفَرُوا﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿تُصِيبُهُمْ﴾: فعل ومفعول. ﴿بِمَا﴾: (الباء): حرف جر وسبب. ﴿مَا﴾: مصدرية. ﴿صَنَعُوا﴾: فعل وفاعل صلة ﴿مَا﴾ المصدرية، ﴿مَا﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بـ(الباء) تقديره: تصيبهم بسبب صنعتهم القبيحة، الجار والمجرور متعلق بـ﴿تصيب﴾. ﴿قَارِعَةٌ﴾: فاعل ﴿تصيب﴾، وجملة



﴿تُصِيبُهُمْ﴾: في محل نصب خبر (زال)، وجملة زال مستأنفة. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف وتقسيم. ﴿تَحُلُّ﴾: فعل مضارع مرفوع، وفاعله ضمير يعود على ﴿قَارِعَةٌ﴾، أو على محمد ﷺ، والجملة في محل نصب معطوفة على جملة ﴿تُصِيبُ﴾ على كونها خبر (زال). وفي «حاشية الصاوي على الجلالين» قوله: ﴿أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا﴾: معطوف على ﴿قَارِعَةٌ﴾، والمعنى: تصيبهم بما صنعوا قارعة، أو حلولك قريباً من دارهم، والعطف يقتضي المغايرة، فالمراد بالقارعة غير حلوله، وإن كان من أعظم القوارع انتهى. ﴿قَرِيبًا﴾: منصوب على الظرفية المكانية متعلق بـ﴿تَحُلُّ﴾؛ لأنه صفة لمكان محذوف. ﴿مِنْ دَارِهِمْ﴾: متعلق بـ﴿قَرِيبًا﴾. ﴿حَتَّى﴾: حرف جر وغاية. ﴿يَأْتِي وَعَدُّ اللَّهِ﴾: فعل وفاعل منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد ﴿حَتَّى﴾، والجملة الفعلية صلة أن المضمرة، أن مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بـ﴿حَتَّى﴾، بمعنى: إلى تقديره إلى إتيان وعد الله، الجار والمجرور متعلق بـ﴿تُصِيبُهُمْ﴾، أو بـ﴿تَحُلُّ﴾. ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: ناصب واسمه، وجملة ﴿لَا يُخْلِفُ أَلْمِيعَادَ﴾: في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾: مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها.

### التصريف ومفردات اللغة

﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ أَلَيْتَقَ﴾ (١) والفرق بين العهد والميثاق أن العهد<sup>(١)</sup>: جميع ما عهد الله عليهم من أوامره ونواهيته التي وصى بها عبده على السنة الرسل وفي الكتب السماوية، ويدخل في ذلك الالتزامات التي يلزم بها العبد نفسه. والميثاق: هو ما أخذه الله تعالى على عباده حين أخرجهم من صلب آدم في عالم الذر المذكور في قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ...﴾ الآية.

﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ قال أبو هلال العسكري<sup>(٢)</sup>: الفرق بين الخوف والخشية أن الخوف: يتعلق بالمكروه نفسه ويمتزل المكروه، يقال: خفت زيداً وخفت المرض، كما قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ قُوَّتِهِمْ﴾، وقال: ﴿وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾. والخشية: تتعلق بمنزل المكروه، فتقول: خشيت الله، ولا يسمى

(٢) روح البيان بزيادة.

(١) الشوكاني.

الخوف من نفس المكروه خشية، فلا تقول: خشيت المرض، بل تقول: خفت المرض، ولهذا قال: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾، والإضافة في ﴿سُوءَ الْحِسَابِ﴾ من إضافة الصفة إلى الموصوف؛ أي: الحساب السيء، وهو؛ أي: الحساب السيء: المؤاخذة بكل ما عملوه.

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾، والصبر: حبس النفس على أنواع البلايا والمصائب وعلى مخالفة الهوى بامثال المأمورات واجتناب المنهيات.

واعلم أن مواد الصبر كثيرة:

منها: الصبر على العمى، وفي الحديث القدسي: «إذا ابتليت عبدي بحبيتيه - أي العينين، وسميتا بذلك، لأنهما أحب الأشياء إلى الشخص - فصبر على البلاء راضياً بقضاء الله تعالى عوضته منهما الجنة» والأعمى: أول من يرى الله تعالى يوم القيامة.

ومنها: الصبر على الحمى وصداع الرأس وموت الأولاد والأحباب، وغير ذلك من أنواع الابتلاء.

ومنها: الصبر على الصوم، فإن فيه صبراً على ما تكرهه النفس من حيث أنها مألوفة بالأكل والشرب والصوم ربع الإيمان بمقتضى قوله عليه السلام: «الصوم نصف الصبر، والصبر نصف الإيمان» ذكره في «روح البيان».

﴿أَتَيْتَآ وَجْهَ رَبِّهِمْ﴾ والابتغاء: كناية عن الإخلاص، وهو إخلاص العمل للخالق عن ملاحظة المخلوق رياءً وسمعةً وعجباً وزينةً.

﴿وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾؛ أي: يدفعونها بها، فيجازون الإساءة بالإحسان، أو يتبعون السيئة بالحسنة، فتمحوها. اهـ. «بيضاوي». وقوله: يدفعونها بها كدفع<sup>(١)</sup> شتم غيرهم بالكلام الحسن، وإعطاء من حرمهم، وعفو من ظلمهم، ووصف من قطعهم. اهـ. «زادة».

﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ فيه ذكر الموصوف مع حذف صفته<sup>(٢)</sup>، والإضافة فيه

(٢) الفتوحات بتصرف.

(١) زاده.

على معنى في؛ أي: العقبي المحمودة في الدار الآخرة، فالعقبى المحمودة هي الجنة، والدار الآخرة أعم منها؛ لأنها تشمل الجنة والنار، والدليل على هذا النعت المحذوف قوله في المقابل: ﴿وَلَكُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾. ١ هـ. شيخنا. وقيل: المراد بالدار: دار الدنيا وعقبها؛ أي: عاقبتها هي الجنة ١ هـ. وفي «الخطيب» والعقبى: الانتهاء الذي يؤدي إليه الابتداء من خير أو شر. ١ هـ.

﴿جَنَّتُ عَدْنٍ﴾ في «المصباح»: عدن بالمكان عدناً وعدوناً - من بابي ضرب وقعد - إذا أقام فيه، ومنه جنات عدن؛ أي: جنات إقامة، واسم المكان معدن، وزان مجلس، لأن أهله يقيمون عليه الصيف والشتاء، أو لأن الجوهر الذي خلقه الله فيه عدن ربه ١ هـ.

﴿وَأَزْوَاجِهِمْ﴾: جمع زوج، ويقال للمرأة الزوج والزوجة، والزوج أفصح.

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ يقال: قَدَّرَ زيد إذا قتر وضيق على عياله، وفي «المصباح»: وقدَّر الله الرزق يقدره من باب ضرب، ويقدره من باب نصر. وقرأ السبعة بكسر الدال فهو أفصح.

﴿إِلَّا مَتَّعٌ﴾؛ أي: متعة قليلة لا دوام لها ولا بقاء. وقيل: المتاع<sup>(١)</sup> واحد الأمتعة كالقصة والسكرجة ونحوهما. وقيل: المعنى شيء قليل ذاهب من متع النهار إذا ارتفع، فلا بد له من زوال. وقيل: زاد كزاد الركب يتزود به منها إلى الآخرة.

﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن أُنَابَ﴾؛ أي: رجع عن العناد، وأقبل على الحق. وفي «القاموس»: ناب إلى الله تعالى كأناب، والإضلال<sup>(٢)</sup> خلق الضلالة في العبد، والهداية خلق الاهتداء، والدلالة على طريق يوصل إلى المطلوب مطلقاً، وقد يسند كل منهما إلى الغير مجازاً بطريق السبب، والقرآن ناطق بكلا المعنيين، فيسند الإضلال إلى الشيطان في مرتبة الشريعة، وإلى النفس في مرتبة الطريقة، وإلى الله في مرتبة الحقيقة كذا ذكره في «روح البيان».

(٢) روح البيان.

(١) الشوكاني.

﴿وَتَطْمِئِنُّ قُلُوبُهُمْ﴾؛ أي: تسكن عن القلق والاضطراب وتخضع. ﴿يَذْكُرِ اللَّهُ﴾؛ أي: عند ذكر الله؛ أي: عند ذكر وعده بالخير والثواب، فالكلام على حذف مضاف كما قدرناه. وعبارة «الشهاب»: ﴿وَتَطْمِئِنُّ قُلُوبُهُمْ يَذْكُرِ اللَّهُ﴾؛ أي: لا تضطرب للمكاره لأنسبها بالله واعتمادها عليه. ا هـ. وفي «أبي السعود» وقيل: تطمئن قلوبهم بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته، أو بذكر دلائله الدالة على وحدانيته، أو بذكره تعالى أنساً به وتبتلاً إليه. ا هـ. ﴿أَلَّا يَذْكُرِ اللَّهُ﴾؛ أي: بذكره وحده دون غيره من الأمور التي تميل إليها النفوس من الدنياويات. ا هـ. «أبو السعود».

﴿طُوبَى لَهْمَ﴾؛ أي: لهم العيش الطيب وقرة العين والغبطة والسرور، فهو مصدر من الطيب كبشرى ورجعى وزلفى، فالمصدر قد يجيء على وزن فعلى. وقولنا: من الطيب فيه دلالة على أنه يائي، وأصله طيبى، قلبت الياء واواً لوقوعها ساكنة إثر ضمة، كما قلبت في موقن وموسر من اليقين واليسر. ا هـ. «شيخنا».

﴿وَحَسُنُ مَنَابٍ﴾، والمآب: المرجع والمنقلب.

﴿قَدْ حَلَّتْ﴾؛ أي: مضت. ﴿مَنَابٍ﴾؛ أي: توبتي ومرجعي. ﴿قُطِعَتْ﴾؛ أي: شقت.

﴿يَأْتِيسٍ﴾؛ أي: يعلم، وهو لغة هوازن. وفي «المختار»: واليأس: القنوط، وقد يئس من الشيء من باب فهم، وفيه لغة أخرى يئس يئس - بالكسر فيهما -، وهو شاذ، ويئس أيضاً بمعنى علم في لغة النخع، ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِيسِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾. ا هـ. وفيه أيضاً أيس من الأمر لغة في يئس، وبابهما فهم. ا هـ.

﴿قَارِعَةٌ﴾؛ أي: رزية تفرع القلوب وتفجؤها، أو تفرعهم؛ أي: تهلكهم وتستأصلهم. وفي «المختار»: قرع الباب من باب قطع، والقارعة الشديدة من شدائد الدهر، وهي الداھية.

﴿لَا يَخْلَفُ الْمِعَادَ﴾ والميعاد: مصدر ميمي بمعنى الوعد، كالميلاد بمعنى الولادة، والميثاق بمعنى التوثقة كما مر.

## البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضرباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبدیع:

فمنها: التأكيد في قوله: ﴿وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾؛ لأن عطفه على ما قبله من قبيل التوكيد، كما في «الجمل»؛ لأن عدم النقص يستلزمه الوفاء.

ومنها: الطباق بين ﴿سِرًّا﴾ و﴿عَلَانِيَةً﴾، وبين ﴿الْحَسَنَةَ﴾ و﴿السَّيِّئَةَ﴾، وبين ﴿يُسْطُطُّ﴾ و﴿يُقَدَّرُ﴾، وبين ﴿يُضِلُّ﴾ و﴿يَهْدِي﴾ للتضاد بين كل من اللفظين منها، وبين ﴿الدُّنْيَا﴾ و﴿الْآخِرَةِ﴾ أيضاً.

ومنها: التشبيه البليغ في قوله: ﴿إِلَّا مَتَّعٌ﴾ لحذف الأداة ووجه الشبه فيه؛ أي: إلا مثل المتاع الذي يستمتع به الإنسان في الحاجات المؤقتة في سرعة الزوال.

ومنها: الإظهار في مقام الإضمار في قوله: ﴿أَلَا يَنْكُرُ اللَّهُ تَطْمِينُ الْقُلُوبِ﴾؛ لأن حق العبارة ألا به تطمئن، وفيه أيضاً التكرار.

ومنها: الحصر في قوله: ﴿لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ وفي قوله: ﴿إِلَّا مَتَّعٌ﴾.

ومنها: التحضيض في قوله: ﴿لَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِ آيَةً مِنْ رَبِّي﴾.

ومنها: التعبير بالمضارع في قوله: ﴿وَتَطْمِئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ إفادة للتجدد والاستمرار؛ لأن الطمأنينة تتجدد بعد الإيمان حيناً بعد حين. ا هـ. «شهاب». وفي الكرخي المضارع قد لا يلاحظ فيه زمان معين من حال أو استقبال، فيدل إذ ذاك على الاستمرار، ومنه الآية. ا هـ.

ومنها: التشبيه في قوله: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ﴾.

ومنها: التغليب في قوله: ﴿أَوْ كَلِمَٰتٍ بِهٖ ٱلْمَوْتُ﴾؛ لأن تذكير كلم خاصة دون الفعلين قبله؛ لأن الموتى تشتمل على المذكر الحقيقي، فكان حذف التاء لتغليبه أحسن، والجبال والأرض ليسا كذلك. اهـ. «كرخي».

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

\* \* \*

قال الله سبحانه جلّ وعلا:

﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلِ مِن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَن هُوَ قَائِدٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبَهُمْ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَبْظَهَرُ مِنَّا الْقَوْلُ بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ ﴿٣٤﴾﴾  
﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظُلُّهَا نَبَاتٌ عُنْفَىٰ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُنْفَىٰ الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَخْرَابِ مَن يُبَكِّرُ بَعْضُهُمْ قُلُوبًا إِنَّمَا أُنزِلَتْ أَن أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أَشْرِكُ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٦﴾﴾  
﴿وَكَذَلِكَ أُنزِلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلِيُنَبِّئَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾  
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِطَايِبَةٍ إِلَّا يَأْذِنَ اللَّهُ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾  
﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنشِئُ مَا يَشَاءُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾﴾  
﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾  
﴿أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنفُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾  
﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسِعَعَتِ الْكُفْرُ لِمَن عُنْفَىٰ النَّارِ ﴿٤٢﴾﴾  
﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْنَا مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾﴾.

### المناسبة

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلِ مِن قَبْلِكَ...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه لما كان الكفار يسألون النبي ﷺ هذه الآية على سبيل الاستهزاء والسخرية، وكان ذلك يشق عليه، ويتأذى منه.. أنزل الله تسلية له على سفاهة قومه قوله: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلِ مِن قَبْلِكَ...﴾ الآية.

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر<sup>(١)</sup> ما أعده للكافرين من العذاب

(١) المراغي.

والنكال في الدنيا والآخرة.. أتبعه بذكر ثواب المتقين في جنات تجري من تحتها الأنهار، ثم أرففه ذكر فرح المؤمنين من أهل الكتاب بما أنزل عليه من ربه، وإنكار بعض منهم لذلك، ثم حث الرسول ﷺ على القيام بحق الرسالة وتحذيره من مخالفة أوامره، ثم ختم هذا بذكر الجواب عن شبهات كانوا يوردونها لإبطال نبوته ﷺ، كقولهم: إنه كثير الزوجات ولو كان رسولاً من عند الله لما اشتغل بأمر النساء.

وخلاصة الجواب: أن محمداً ليس ببدع من الرسل، فكثير منهم كان له أزواج وذرية ولم يقدح ذلك في رسالاتهم، وكقولهم: إنه لو كان رسولاً من عند الله لم يتوقف فيما يطلب منه من المعجزات، فأجيبوا بأن أمر المعجزات مفوض إلى الله، إن شاء أظهرها، وإن شاء لم يظهرها، ولا اعتراض لأحد عليه. وقولهم: إن ما يخوفنا من العذاب وظهور النصرة له ولقومه لم يتحقق بعد، فليس بنبي ولا صادق فيما يقول، فأجيبوا عن ذلك بقوله: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾؛ أي: لكل حادث وقتاً معيناً لا يتقدم عنه ولا يتأخر، فتأخر المواعيد لا يدل على ما تدعون.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مَا تُرِيدُكَ بَعْضَ الَّذِي فَعَدُّهُمْ أَوْ تَوَفَّيْنَاكَ...﴾ الآيات. مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر<sup>(١)</sup> أنهم اقترحوا عليه الآيات استهزاء به، وطلبوا استعجال السيئة التي توعددهم بها، وكان ﷺ يتمنى وقوع بعض ما توعدوا؛ ليكون زاجراً لغيرهم.. ذكر هنا لرسوله أن وظيفته التبليغ ولا يهمه ما سينالهم من الجزاء، فعلينا حسابهم، وهل هم في شك من حصول ما توعدناهم به، وهم يرون بلادهم تنقص من جوانبها بفتح المسلمين لها، وقتل أهلها وأسرهم وتشريدهم، والله يحكم في خلقه كما يريد، وقد حكم للمسلمين بالعز والإقبال، وعلى أعدائهم بالقهر والإذلال.

ثم بين أن قومه ليسوا ببدع في الأمم، فقد مكر من قبلهم بأنبيائهم، ولم

(١) المراغي.



يكن مكرهاً لِيُضِيرَهُمْ شَيْئاً، فَكَانَتِ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَأَهْلَكَ اللَّهُ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ، وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُونَ حِينَ يَحِلُّ بِهِمُ الْعَذَابُ لِمَنْ حَسَنَ الْعَاقِبَةُ. ثُمَّ ذَكَرَ انْكَارَ الْيَهُودِ لِرِسَالَتِهِ، وَأَمْرَهُ بِالْجَوَابِ عَنْ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ شَهِدَ لَهُ بِأَنَّهُ صَادِقٌ فِيهَا، فَأَيَّدَهُ بِالْأَدْلَةِ وَالْحَجِجِ، وَفِي شَهَادَتِهِ غِنَى عَنْ شَهَادَةِ أَيِّ شَهِيدٍ آخَرَ، وَكَذَلِكَ شَهِدَ مَنْ آمَنَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ بِأَنَّهُمْ يَجِدُونَ وَصْفَهُ فِي كِتَابِهِمْ.

### أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ...﴾ قال الكلبي<sup>(١)</sup>: عيرت اليهود رسول الله ﷺ، وقالت: ما نرى لهذا الرجل مهمة إلا النساء والنكاح، ولو كان نبياً كما زعم لشغله أمر النبوة عن النساء، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً...﴾.

### التفسير وأوجه القراءة

وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ . الخ. تسلية<sup>(٢)</sup> لرسول الله ﷺ، ووعيد للمستهزئين به والمقترحين عليه بالآيات، والتنكير في ﴿رسل﴾ للتكثير، والإملاء<sup>(٣)</sup>: الإمهال، وأن يترك ملاوة من الزمان؛ أي: مدة طويلة منه في دعة وراحة وأمن كالبهيمة في المرعى؛ أي: وعزتي وجلالي لقد استحققر واستهين وأوذى وكذب برسول كثيرة من قبلك؛ أي: استهزأ بهم قومهم كما أن قومك يا محمد استهزؤوا؛ أي: إن<sup>(٤)</sup> يستهزئ بك هؤلاء المشركون من قومك، ويطلبوا منك الآيات تكذيباً لما جئتهم به.. فاصبر على آذاهم، وامض لأمر ربك، فلقد استهزأت أمم من قبلك برسولهم. ثم بين سبحانه شأنه مع المكذبين، فقال: ﴿فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ أي: فأمهلت للمستهزئين الذين كفروا بالله وبرسوله، وأطلت لهم مدة من الزمان في أمن وسعة وراحة؛ أي: فتركتهم ملاوة؛ أي: مدة من الزمان في أمن ودعة وراحة، كما يملي للبهيمة في المرعى ﴿ثُمَّ﴾ بعد الإملاء

(٣) روح البيان.

(٤) المراغي.

(١) أسباب النزول.

(٢) البيضاوي.

والإمهال والاستدراج ﴿أَخَذْتَهُمْ﴾ بالعقوبة والعذاب الذي أنزلته بهم. والاستفهام في قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِي﴾ للتقريع<sup>(١)</sup> والتهديد، أو التعجيب؛ أي: فكيف كان عقابي لهؤلاء الكفار الذين استهزؤوا بالرسول، فأملت لهم ثم أخذتهم؛ أي: على أي حالة وقع عقابي لهم، هل كان ظلماً لهم أو كان عدلاً؛ أي: هو واقع موقعه؛ أي: هو عدل، فكذاك أفعل بمن استهزأ بك يا محمد.

والمعنى: كيف<sup>(٢)</sup> رأيت يا محمد ما صنعت بمن استهزأ برسلي، ولم ير النبي ﷺ عقوبتهم إلا أنه علم بالتحقيق، فكأنه رأى عياناً. وفي «بحر العلوم»: فإنكم تمرّون على بلادهم ومساكنهم، فتشاهدون أثر ذلك، وهذا تعجيب من شدة أخذه لهم؛ سلى رسول الله ﷺ عن استهزائهم به وأذاهم وتكذيبهم واقتراحهم الآيات بأن له في الأنبياء أسوة، وأن جزاء ما يفعلون به ينزل بهم كما نزل بالمستهزئين بالأنبياء جزاء ما فعلوا. وفيه إشارة إلى أن من أمارات الشقاء الاستهزاء بالأنبياء والأولياء.

والخلاصة<sup>(٣)</sup>: أي ثم أحللت بهم عذابي ونقمتي حين تمادوا في غيهم وضلالهم، فانظر كيف كان عقابي إياهم حين عاقبتهم، ألم أذقهم أليم العذاب، وأجعلهم عبرة لأولي الألباب؟ وقد صدق الله وعده ونصر رسوله على عدوه، فدخل في دين الله من دخل، ومن أبى قتل، ودانت العرب كلها له، وانضوت تحت لوائه، وحقّت عليهم كلمة ربك.

وفي هذا: تعجيب مما حلّ بهم، ودلالة على شدته وفضاعة أمره كما لا يخفى. ثم ذكر سبحانه ما يجري مجرى الحجاج عليهم، وما فيه توبيخ لهم وتعجيب من عقولهم، وكيف أنها وصلت إلى حدّ لا ينبغي لعاقله أن يقبله ولا يرضى به، فقال: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ (الهمزة) فيه للاستفهام الإنكاري داخله<sup>(٤)</sup> على محذوف، و(الفاء): عاطفة على ذلك المحذوف،

(١) الشوكاني.

(٢) روح البيان.

(٣) المراغي.

(٤) الصاوي.

﴿من﴾ الموصولة مبتدأ خبره محذوف تقديره: كمن ليس كذلك من شركائهم التي لا تضر ولا تنفع، دل على ذلك المحذوف قوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ نظير قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِالْإِسْلَامِ﴾ تقديره: كمن قسا قلبه يدل عليه قوله: ﴿قَوْلِ الْقَنَسِيَّةِ قُلُوبُهُمْ﴾، وقد جاء مبيناً كقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ وقوله: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾. وتقدير الكلام هنا: أعميتكم<sup>(١)</sup> وسويتم بين الله وبين خلقه، فمن هو قائم ورفيق على كل نفس وحافظها ورازقها وعالم بها وبما عملت من خير وشر، ويجازيها بما كسبت فيثيبها إن أحسنت، ويعاقبها إن أساءت وهو الله سبحانه وتعالى وحده، كمن ليس بقائم عليها، بل هو عاجز عن نفسه، ومن كان عاجزاً عن نفسه فهو عن غيره أعجز، وهي الأصنام التي لا تضر ولا تنفع؛ أي: ليسا مستويين، بل القائم على كل نفس بما كسبت هو المستحق للألوهية والربوبية، لا الأصنام التي لا تضر ولا تنفع.

ومعنى القيام<sup>(٢)</sup>: التولي لأمر خلقه والتدبير للأرزاق والآجال، وإحصاء الأعمال للجزاء، يقال: قام فلان بفلان إذا كفاه وتولاه.

والمعنى: أي أفمن هو<sup>(٣)</sup> قائم بحفظ أرزاق الخلق، ومتولي أمورهم، وعالم بهم وبما يكسبونه من الأعمال من خير أو شر، ولا يعزب عن شيء كمن ليس بهذه الصفة من معبوداتكم التي لا تسمع ولا تبصر، ولا تدفع عن نفسها ولا عن عبيدها ضرراً ولا تجلب لهم نفعاً.

وخلاصة ذلك: أنه لا عجب من إنكارهم لآياتك الباهرة مع ظهورها، وإنما العجب كل العجب من جعلهم القادر على إنزالها المجازي لهم على إعراضهم عن تدبر معانيها بقوارع تترى واحدة بعد أخرى يشاهدونها رأي العين كمن لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً، فضلاً عن اتخاذه رباً يُرجى نفعه أو يُخشى ضره.

(٣) المراغي.

(١) الصاوي.

(٢) روح البيان.

ثم أكد هذا بقوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾؛ أي: وجعل المشركون الأصنام شركاء لله سبحانه وتعالى، والظاهر أن هذه الجملة مستأنفة جيء بها للدلالة على الخبر المحذوف كما تقدم تقريره يعني<sup>(١)</sup>: إن الكفار سوا بين الله وبين الأصنام، واتخذوها شركاء له في العبادة، وإنما تكون سواء وشركاء فيها لو كانت سواء وشركاء في القيام على كل نفس، فما أعجب كفرهم وإشراكهم وتسويتهم مع علمهم التفاوت بينهما؛ أي: تعجبوا من ذلك. وقيل<sup>(٢)</sup>: الواو للحال، والتقدير: أضمن هو قائم على كل نفس صالحة وطالحة، والحال أنهم جعلوا له شركاء كمن هو ليس كذلك، فأقيم الظاهر وهو لفظ الجلالة مقام المضمّر تقريراً للإلهية وتصريحاً بها. وقيل: ﴿وَجَعَلُوا﴾ معطوف على ﴿أَسْتَهْزِئُ﴾ بمعنى: ولقد استهزؤوا وجعلوا لله شركاء. وقال أبو البقاء: هو معطوف على ﴿كَسَبْتُ﴾؛ أي: وجعلهم لله شركاء. اهـ. «سمين»؛ أي: وجعلوا لله شركاء عبدوها معه تعالى من أصنام وأوثان وأنداد.

ثم أعقب ذلك بتوبيخ إثر توبيخ، فقال: ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿سَمُّهُمْ﴾؛ أي: بينوا<sup>(٣)</sup> شركاءكم بأسمائهم وصفوهم بصفاتهم، فانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة والشركة، يشير إلى أن الأسماء مأخذاً من الصفات، فإن لم تروا منهم شيئاً من صفات الله، فكيف تسمونهم!؟

وفي هذا: تبيكت لهم وتوبيخ؛ لأنه إنما يقال هذا في الشيء المستحقر الذي لا يستحق أن يلتفت إليه، فيقال: سمه إن شئت يعني: أنه أحقر من أن يسمى. وقيل: إن المعنى سموهم بالآلهة كما تزعمون، فيكون ذلك تهديداً لهم. وقيل: سموهم من هم وما أسماؤهم، فإنهم ليسوا ممن يذكر ويسمى، فإنما يسمى من ينفع ويضر.

﴿أَمْ﴾ في قوله: ﴿أَمْ تَتَعَوَّنَهُ﴾ منقطعة تقدر بيل وهمزة الاستفهام الإنكاري؛

(٣) روح البيان.

(١) روح البيان.

(٢) الفتوحات.

أي: بل أتنبئون الله سبحانه وتعالى وتخبرونه ﴿يَمَا لَا يَعْلَمُ﴾ الله سبحانه وتعالى وجوده ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ ولا في السموات من الشركاء الذين تعبدونهم مع كونه العالم بما في السموات والأرض، أو تخبرونه بصفات لهم يستحقون لأجلها العبادة وهو لا يعلمها. وفي هذا نفي لوجودها؛ لأنها لو كانت موجودة لعلمها الله سبحانه وتعالى؛ لأنه لا تخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وإنما خص<sup>(١)</sup> الأرض بنفي الشريك عنها، وإن لم يكن له شريك في غير الأرض؛ لأنهم ادعوا له شريكاً في الأرض ﴿أَمْ يَظَاهِرُونَ الْقَوْلَ﴾؛ أي: بل أتسمونهم شركاء بظاهر وهذا من القول من غير أن تكون له حقيقة ولا معنى. وقيل المعنى: قل لهم أتنبئون الله بباطن لا يعلمه أم بظاهر يعلمه، فإن قالوا بباطن لا يعلمه فقد جاؤوا بدعوى باطلة، وإن قالوا بظاهر يعلمه، فقل لهم: سموهم، فإذا سموا اللات والعزى ونحوهما، فقل لهم: إن الله لا يعلم لنفسه شريكاً. وقيل معنى: ﴿أَمْ يَظَاهِرُونَ الْقَوْلَ﴾؛ أي: بزائل من القول باطل، وقيل: يكذب من القول، وقيل: معنى ﴿يَظَاهِرُونَ الْقَوْلَ﴾؛ أي: بحجة من القول ظاهرة على زعمهم.

وخلاصة حجاجه على المشركين<sup>(٢)</sup>: نفي الدليل العقلي والدليل النقلي على أحقية عبادتها، فبعد أن هدم قاعدة الإشراك بقوله: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ يَمَا كَسَبَتْ﴾ زاد ذلك إيضاحاً، فقال: وليتهم إذ أشركوا بربهم - الذي لا ينبغي أن يشرك به - أشركوا به من له حقيقة واعتبار، ومن ينفع ويضر، لا من لا اسم له فضلاً عن المسمى، بل من لا يعرف له وجود في الأرض ولا في السماء، ويريدون أن ينبثوا عالم السر والنجوى بما لا يعلمه، ثم زاد على ذلك، فقال: وما تلك التسمية إلا بظاهر من القول من غير أن يكون تحتها طائل، وما هي إلا أصوات جوفاء كثيرة المباني خالية عن المعاني، وما هي إلا كالألفاظ المهملة التي هي أجراس لا تدل على مكان، ولا يتكلم بها عاقل تنفراً منها واستقباحاً.

(١) الشوكاني.

(٢) المراغي.

وقوله: ﴿بَلْ زَيْنَ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إضراب عن محاجتهم بالكلية، فكأنه يقول: لا يفيد فيهم الاحتجاج؛ أي: دع هذا<sup>(١)</sup> الحجاج وألق به جانباً، فإنه لا فائدة فيه؛ لأنه زين له مكرهم وكيدهم لاستسلامهم للشرك وتماديهم في الضلال. والمكر<sup>(٢)</sup>: صرف الغير عما يقصده بحيلة، والمزين هو الله تعالى؛ لأنه هو الفاعل المختار على الإطلاق، لا يقدر أحد أن يتصرف في الوجود إلا بإذنه، فتزيين الشيطان إلقاء الوسوسة فقط، ولا يقدر على إضلال أحد وهدايته إلا الله سبحانه وتعالى، ويدل على هذا سياق الآية، وهو قوله: ﴿وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَآ لَمْ مِّنْ هَادٍ﴾. ا هـ. «خازن». ﴿وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾ - بضم الصاد؛ أي: وصرخوا عن سبيل الحق بما زين لهم من صحة ما هم عليه؛ أي: صدهم الله تعالى أو صدهم الشيطان وافتحها؛ أي: صدوا غيرهم ومنعواهم عن سبيل الحق، أو عن المسجد الحرام. ﴿وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَآ لَمْ مِّنْ هَادٍ﴾؛ أي: ومن يرد الله سبحانه وتعالى إضلاله وخذلانه لسوء اعتقاده وفساد أعماله واجترأحه للأثام والمعاصي. . فلا هادي له يوفقه إلى النجاة ويوصله إلى طرق السعادة، ونحو الآية قوله: ﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِّنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾. وقوله: ﴿إِن تَحْرِضْ عَلَىٰ هُدْيَتِهِمْ فَلَانَ اللَّهُ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ (٧).

وقرأ الحسن شاذاً<sup>(٣)</sup>: ﴿تنبئونه﴾ من أنبأ. وقرأ مجاهد شذوذاً أيضاً: ﴿بَلْ زَيْنَ﴾ على البناء للفاعل ﴿مكرهم﴾ بالنصب. والجمهور: ﴿زَيْنَ﴾ على البناء للمفعول ﴿مكرهم﴾ بالرفع. وقرأ عاصم وحمزة والكسائي ﴿وَصُدُّوا﴾ هنا وفي غافر بضم الصاد مبنياً للمفعول فالفعل متعدٍ. وقرأ باقي السبعة بفتحها فاحتمل التعدي واللزوم؛ أي: صدوا أنفسهم أو غيرهم، وقرأ ابن وثاب: ﴿وَصُدُّوا﴾ - بكسر الصاد - وهي كقراءة ﴿رِدَّتْ إِلَيْنَا﴾ - بكسر الراء -، كلاهما شاذ. وفي «اللوامح»: نسب الكسائي لابن يعمر ﴿وَصُدُّوا﴾ بالكسر لغة وأما في المؤمن فالبكسر لابن وثاب انتهى. وقرأ ابن أبي إسحاق شاذاً أيضاً: ﴿وَصُدُّوا﴾ بالتونين

(٣) البحر المحيط.

(١) المرآغي.

(٢) روح البيان.

عظفاً على مكرهم. وقرأ الجمهور<sup>(١)</sup>: ﴿هَادٍ﴾ بدون إثبات الياء على اللغة الكثيرة الفصيحة، وقرىء بإثباتها على اللغة القليلة.

ثم بين سبحانه ما يستحقونه، فقال: ﴿لَهُمْ﴾؛ أي: لهؤلاء المشركين ﴿عَذَابٌ﴾ شاق ﴿فِي﴾ هذه ﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بالقتل والأسر وسائر الآفات التي يصيبهم بها ﴿وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ﴾؛ أي: ولتعذيب الله سبحانه إياهم في الدار الآخرة ﴿أَشَقُّ﴾؛ أي: أشد من تعذيبه إياهم في الدنيا، وأصعب لشدته ودوامه. ثم أيأسهم من صرف العذاب عنهم، فقال: ﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾؛ أي: من عذابه ﴿مِنَ﴾ ﴿وَأَقْبِ﴾؛ أي: حافظ ومانع حتى لا يعذبوا، ف﴿مِنَ﴾ الثانية زائدة، والأولى متعلقة ب﴿وَأَقْبِ﴾؛ أي: وما لهم حافظ يعصمهم من عذاب الله، إذ لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه ولا يأذن لأحد في الشفاعة لمن كفر به ومات على كفره.

ثم لما ذكر سبحانه ما يستحقه الكفار من العذاب في الأولى والأخرى.. ذكر ما أعدده للمؤمنين، فقال: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ﴾ مبتدأ خبره محذوف؛ أي: صفة الجنة والبساتين التي وعد الله بها المتقين بامثال المأمورات واجتناب المنهيات وأعطاهم إياها كفاء إخبارتهم له وإنابتهم إليه ودعائهم إياه مخلصين له الدين لا شريك له كائنه هي فيما قصصنا وقرأنا عليك يا محمد حالة كونها ﴿تَجْرِي﴾ وتسيل ﴿مِنَ تَحْتِهَا﴾؛ أي: من تحت أشجارها وقصورها ﴿الْأَنْهَارِ﴾ الأربعة: الماء واللبن والخمر والعسل؛ أي: مقدراً جريان أنهارها تحتها؛ أي: صفتها العجيبة الشأن التي هي في الغرابة كالمثل كائنه فيما نقصه ورتلوه ونقرؤه عليكم. وقوله: ﴿تَجْرِي﴾.. إلخ تفسير<sup>(٢)</sup> لذلك المحذوف، وقيل: إن قوله: ﴿تَجْرِي﴾ هو نفس الخبر. ا هـ. من «البيضاوي». ووجه الأخير أن المثل هنا بمعنى الصفة، فهو كقولك: صفة زيد أنه طويل، ويجوز أن يكون ﴿تَجْرِي﴾ مستأنفاً. ا هـ. من «السمين». وقرأ علي وابن مسعود: ﴿أمثال الجنة﴾ على الجمع؛ أي: صفاتها وفي «اللوامح»: علي السلمي: ﴿أمثال الجنة﴾ جمع: مثل ذكره أبو حيان وكلتا القراءتين شاذتان.

(٢) الفتوحات.

(١) الشوكاني.

﴿أَكْلُهَا﴾؛ أي: ما يؤكل فيها ويشرب من الفواكه والمطاعم والمشارب  
﴿دَائِمٌ﴾ لا ينقطع ولا يمنع بخلاف ثمر الدنيا؛ أي: دائم بحسب نوعه، فكل  
شيء أكل يتجدد غيره لا بحسب شخصه، إذا عين المأكل لا ترجع. وقوله:  
﴿وَزَلُّهَا﴾ مبتدأ حذف خبره؛ أي: وظل<sup>(١)</sup> تلك الجنة دائم لا ينسخ في الدنيا  
بالشمس، لأنه لا شمس في الجنة ولا حر ولا برد، فالمراد بدوام الظل دوام  
الاستراحة، وإنما عبر عنه به لندرة الظل عند العرب، وفيه معظم استراحاتهم في  
أرضهم. وبعد أن وصف الجنة بهذه الصفات الثلاث بين أنها مآل المتقين ومنتهى  
أمرهم، فقال: ﴿تِلْكَ﴾ الجنة التي بلغك وصفها، وسمعت بذكرها ﴿عُقْبَى الَّذِينَ  
أَنفَقُوا﴾ الله تعالى بامثال المأمورات واجتناب المنهيات؛ أي: مآلهم وعاقبة  
أمرهم. ثم بين عاقبة الكافرين بعد ما بين عاقبة المتقين، فقال: ﴿وَعُقْبَى  
الْكَافِرِينَ﴾؛ أي: وعاقبة الكافرين بالله تعالى هي ﴿النَّارُ﴾ الأخروية لا غيرها بما  
اقترفوا من الذنوب ودنسوا به أنفسهم من الآثام، فالتقوى طريق إلى الجنة،  
والكفر طريق إلى النار أعادنا الله منه ومنها. وفي الآية فتح باب الطمع على  
مصراعيه للمتقين، وإقفاله بالرتاج على الكافرين.

ثم بين أن أهل الكتاب انقسموا ففتين: فئة فرحت بنزول القرآن، وفرقه  
أنكرته وكفرت ببعضه، فقال: ﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ﴾ وأعطيناهم ﴿الْكِتَابَ﴾؛ أي:  
التوراة والإنجيل يريد المسلمين من اليهود كعبد الله بن سلام وأصحابه، ومن  
النصارى وهم ثمانون رجلاً: أربعون بنجران، وثمانية باليمن، واثان وثلاثون  
بالحبشة ﴿يَفْرَحُونَ﴾ ويسرون ﴿بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾؛ أي: بجميع ما أنزل إليك وهو  
القرآن كله؛ لأنه من فضل الله ورحمته على العباد، ولا شك أن المؤمن الموقن  
يسره ما جاء إليه من باب الفضل والإحسان، لما في كتبهم من الشواهد على  
صدقه والبشارة به، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ  
يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾. ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ﴾؛ أي: ومن أحزابهم وجماعتهم الذين تحزبوا  
وتجمعوا واتفقوا على رسول الله ﷺ بالعداوة كععب بن الأشرف وأتباعه، والسيد

(١) روح البيان.



والعاقب أسقفي نجران وأشياعهما وسائر المشركين، وهو مبتدأ خبره قوله: ﴿مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُمْ﴾؛ أي: بعض ما أنزل إليك من القرآن، وهو ما لا يوافق ما حرفوه من كتابهم وشرائعهم.

فإن قلت: إن<sup>(١)</sup> الأحزاب من المشركين وغيرهم من أهل الكتاب ينكرون القرآن كله، فكيف قال: ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُمْ﴾؟

قلت: إن الأحزاب لا ينكرون القرآن بجملته؛ لأنه قد ورد فيه آيات دالة على توحيد الله وإثبات قدرته لا ينكرون ذلك أبداً. والقول الثاني: إن المراد بالكتاب التوراة والإنجيل، والمراد بأهله الذين أسلموا من اليهود والنصارى مثل عبد الله بن سلام وأصحابه، ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون كما مر فرحوا بالقرآن، لكونهم آمنوا به وصدقوه ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ﴾ يعني: بقية أهل الكتاب من اليهود والنصارى وسائر المشركين ﴿مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُمْ﴾. وقيل: كان ذكر الرحمن قليلاً في القرآن في الابتداء، فلما أسلم عبد الله بن سلام ومن معه من أهل الكتاب من اليهود والنصارى ساءهم قلة ذكر الرحمن في القرآن مع كثرة ذكره في التوراة، فلما كرر الله تعالى ذكر لفظة الرحمن في القرآن. فرحوا بذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْتَبَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ﴾ يعني: مشركي مكة ﴿مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُمْ﴾ وذلك لما كتب رسول الله ﷺ كتاب الصلح يوم الحديبية كتب فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، فقالوا: ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة، يعنون مسيلمة الكذاب، فأنزل الله: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي﴾ وإنما قال: ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُمْ﴾؛ لأنهم كانوا لا ينكرون الله وينكرون الرحمن.

ولما ذكر سبحانه اختلاف أهل الكتاب في شأنه ﷺ. . . بين بإيجاز ما يحتاج إليه المرء ليفوز بالسعادتين، فقال: ﴿قُلْ﴾ يا محمد في جواب المنكرين ﴿إِنَّمَا أُنزِلَتْ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ﴾؛ أي: إنما أمرت<sup>(٢)</sup> فيما أنزل إلي بأن أعبد الله وأوحده ولا أشرك به شيئاً، وهو العمدة في الدين، لا سبيل لكم إلى إنكاره،

(٢) روح البيان.

(١) الخازن.

وأما ما تنكرونه لما يخالف شرائعكم، فليس ببدع مخالفة الشرائع والكتب الإلهية في جزئيات الأحكام؛ لأن الله الحكيم ينزل بحسب ما يقتضيه صلاح أهل العالم، كالطبيب يعامل المريض بما يناسب مزاجه من التدبير والعلاج.

وقد اتفق<sup>(١)</sup> القراء على نصب ﴿وَلَا تُشْرِكْ بِهِ﴾ عطفاً على ﴿اعْبُدْ﴾. وقرأ أبو خلود عن نافع: ﴿ولا أشرك﴾ بالرفع على القطع؛ أي: وأنا لا أشرك به، وجوز أن يكون حالاً؛ أي: أن أعبد الله غير مشرك. والمعنى: أي<sup>(٢)</sup>: قل لهم صادعاً بالحق، ولا تكثرث بمن ينكره: إني أمرت فيما أنزل إلي بأن أعبد الله وحده، ولا أشرك به شيئاً سواه، وذلك ما لا سبيل إلى إنكاره، وأطبقت عليه الشرائع والكتب، كما قال: ﴿يَأْهَلْ أَلِكُنْبِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَّامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْآلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا﴾. وذلك ما دلت الدلائل التي في الآفاق والأنفس على وجوب الإذعان له، والاعتراف به، وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد.

﴿إِلَيْهِ﴾؛ أي: إلى توحيد الله سبحانه وتعالى وطاعته وإخلاص العبادة له وحده، لا إلى غيره ﴿أَدْعُوا﴾ الناس أو أخصه بالدعاء والنداء إليه في جميع مهامه ﴿وَالِئْتِهِ﴾ سبحانه وتعالى وحده ﴿مَقَابٍ﴾؛ أي: مآبى ومرجعي ومصيري ومرجعكم للجزاء لا إلى غيره، وهذا هو القدر المتفق عليه بين الأنبياء، فأما ما عدا ذلك من التفاريع فمما يختلف بالأعصار والأمم، فلا معنى لإنكار المخالف فيه.

وهذه الآية جامعة لشؤون النشأة الأولى والآخرة، فقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ﴾ توحى إلى ما جاء به التكليف، وقوله: ﴿إِلَيْهِ أَدْعُوا﴾ تشير إلى مهام الرسالة، وقوله: ﴿وَالِئْتِهِ مَقَابٍ﴾ تشير إلى البعث والجزاء للحساب يوم القيامة، ثم بين سبحانه أنه أرسل رسوله بلغة قومه كما أرسل من قبله رسلاً بلغات أقوامهم، فقال: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ﴾؛ أي: وكما أرسلنا من قبلك المرسلين

(٢) المراغي.

(١) الشوكاني.

وأنزلنا عليهم الكتب بلغة أمهم، أو مثل هذا الإنزال المشتمل على أصول الديانات المجمع عليها ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾؛ أي: أنزلنا عليك القرآن حالة كونه ﴿حُكْمًا﴾؛ أي: حاكماً يحكم في كل شيء يحتاج إليه العباد على مقتضى الحكمة والصواب، فالحكم مصدر بمعنى الحاكم، ولما<sup>(١)</sup> كان جميع التكليف الشرعية مستنبطاً من القرآن كان سبباً للحكم، فأسند إليه الحكم إسناداً مجازياً، ثم جعل نفس الحكم على سبيل المبالغة، وقيل معنى: ﴿حُكْمًا﴾؛ أي: محكماً لا يقبل النسخ والتغيير ﴿عَرَبِيًّا﴾؛ أي: مترجماً بلسان العرب؛ أي: بلسانك ولسان قومك، ليسهل عليهم فهم معناه، وحفظه على ظهر القلب. وانتصاب<sup>(٢)</sup> ﴿حُكْمًا﴾ على أنه حال موطئة، و﴿عَرَبِيًّا﴾ صفته، والحال الموطئة اسم جامد موصوف بصفة هي الحال، فكأن الاسم الجامد وطأ الطريق لما هو حال في الحقيقة؛ لمجيئه قبلها موصوفاً بها.

وروي أنه لما كان المشركون يدعونهم ﷺ إلى اتباع ملة آبائهم المشركين، وكان اليهود يدعونهم إلى الصلاة إلى قبلتهم؛ أي: بيت المقدس بعد ما حول عنها.. نزل قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾؛ أي: وعزتي وجلالي لئن اتبعت يا محمد أهواء هؤلاء الأحزاب من اليهود والمشركين التي يدعونك إليها لتقرير دينهم ابتغاء مرضاتهم، كالتوجه إلى قبلتهم وعدم مخالفتهم في شيء مما يعتقدونه جعل ما يدعونهم إليه من الدين الباطل، والطريق الزائغ هوى، وهو ما يميل إليه الطبع وتهواه النفس بمجرد الاشتهاة من غير سند مقبول ودليل مقبول؛ لكونه هوى محضاً. ﴿بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْآلِوْرِ﴾ الذي علمه الله إياه والدين المعلوم صحته بالبراهين ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ﴾؛ أي: من عذابه ﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾ يلي أمرك وينصرك ﴿وَلَا﴾ من ﴿وَاقٍ﴾ يفيك ويحفظك من عذابه، والخطاب لرسول الله ﷺ تعريضاً لأمته.

والمعنى<sup>(٣)</sup>: أي ليس لك من دون الله ولي ولا ناصر ينصرك، فينقذك منه إن هو أراد عقابك، ولا واق يفيك عذابه إن شاء عذابك، فاحذر أن تتبع أهوائهم

(٣) المراغي.

(١) روح البيان.

(٢) روح البيان.

وتنهج نهجهم، وقد تقدم أن مثل هذا من قبيل قولهم: إياك أعني واسمعي يا جارة، فهو إنما جاء لقطع أطماع الكافرين وتهيج المؤمنين على الثبات في الدين، لا للنبي ﷺ، فهو بمكان لا يحتاج فيه إلى باعث ولا مهيج.

ونزل لما عابت<sup>(١)</sup> اليهود رسول الله ﷺ بكثرة النساء، فقالوا: لو كان نبياً كما زعم لشغله أمر النبوة عن النساء قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا﴾؛ أي: وعزتي وجلالي لقد أرسلنا رسلاً بشراً مثلك ﴿مِّن قَبْلِكَ﴾ يا محمد ﴿وَحَكَّمْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾؛ أي: نساء وأولاد كما هي لك، فإذا جاز ذلك في حقهم، فلم لا يجوز مثله أيضاً في حقك؟ وهو جواب لقول اليهود ما نرى لهذا الرجل همة إلا في النساء والنكاح، ولو كان نبياً لاشتغل بالزهد والعبادة، وقد كان لمحمد ﷺ سبعة أولاد؛ أربع إناث، وثلاثة ذكور.

والمعنى: أي وكما أرسلناك رسولاً بشرياً كذلك بعثنا المرسلين قبلك بشراً يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، ويأتون الزوجات ويولد لهم.

وفي «الصحيحين» أن رسول الله ﷺ قال: «أما أنا فأصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأكل اللحم وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني». وقد كان من حكمة تعدد زوجاته أمهات المؤمنين أن اطلعن منه على الأحوال الخفية التي تكون بين الرجل والمرأة وعلمن منه أحكامها ونشرنها بين المؤمنين، وناهيك بأمر المؤمنين عائشة، وفيها يقول رسول الله ﷺ: «خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء». ومن ثم كانت أكثر من حدّث عن رسول الله ﷺ بعد أبي هريرة، وأكثر من حدّث عن شمائله وأخلاقه في السر والعلن، ومنها علم المسلمون كثيراً من أحكام دينهم، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يختلفون إليها للحديث والفتيا، وكانت تحاجهم وتجادلهم وتلزمهم الحجة، ولا يجدون معدلاً عن التسليم لرأيها.

وروي<sup>(٢)</sup>: أنه كان لداود عليه السلام مئة امرأة منكوحه وثلاث مئة سرية،

(٢) روح البيان.

(١) روح البيان.

ولابنه سليمان عليه السلام ثلاث مئة امرأة مهرية وسبع مئة سرية، فكيف يضر كثرة الأزواج لنبينا عليه الصلاة والسلام. وروي أن المشركين طعنوا في نبوته لعدم إتيانه بما يقترحونه من الآيات، فنزل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾ من الرسل الكرام وما صح لواحد منهم، ولم يكن في وسعه ﴿أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ﴾ تقترح عليه ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وأمره وإرادته، لا باختيار نفسه ورأيه، فإنهم عبيد مريبون منقادون، وهو جواب لقول المشركين: لو كان رسولاً من عند الله لكان عليه أن يأتي بأي شيء طلبنا منه من المعجزات ولا يتوقف فيه، وفيه إشارة إلى أن حركات عامة الخلق وسكناتهم بمشيئة الله تعالى وإرادته، وأن حركات الرسل وسكناتهم بإذن الله ورضاه.

أي: وما<sup>(١)</sup> كان في وسع رسول من الرسل أن يأتي من أرسل إليهم بمعجزة يقترحونها إلا متى شاء الله وعلم أن في الإتيان بها حكماً ومصالح لعباده، وقد جاء من الآيات بما فيه عبرة لمن اعتبر، وغناء لمن تفكر وتدبر، ولكنهم أبوا إلا التمادي في الغواية والضلال. والآيات المقترحة لا تأتي إلا على مقتضى الحكمة في أزمان يعلمها الله، وقد جعل لكل زمن من الأحكام ما فيه الصلاح والخير للناس، ولا صلاح فيما اقترحوه، وهل من الصلاح أن يرضع المراهق اللبن من ظثره، وأن يجعل له مهد ينام فيه، كذلك لا حكمة في إنزال الآيات التي اقترحوها، وهذا إيضاح قوله: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ﴾ ووقت ﴿كِتَابٌ﴾؛ أي: حكم<sup>(٢)</sup> مكتوب مفروض فيه يليق بصلاح حال أهله، فإن الحكمة تقتضي اختلاف الأحكام على حسب اختلاف الأعصار والأمم، وهو جواب لقولهم: لو كان نبياً ما نسخ أكثر أحكام التوراة والإنجيل. وقال الشيخ في «تفسيره».. أي: لكل شيء قضاه الله تعالى وقت مكتوب معلوم لا يزداد عليه ولا ينقص منه، أو لا يتقدم ولا يتأخر عنه. اهـ.

ففي الكلام تقديم وتأخير؛ أي: لكل<sup>(٣)</sup> كتاب أجل؛ أي: لكل أمر كتبه الله

(٣) المراغي.

(١) المراغي.

(٢) روح البيان.

أجل معين ووقت معلوم، فلا آية من المقترحات بنازلة قبل أوانها، ولا عذاب مما خوفوا به بحاصل في غير وقته، ولا نبوة بحاصلة في غير الزمان المقدر لها، فموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام جاؤوا في أزمنة رأى الله الصلاح في وجودهم فيها، لا يتقدمون عنها ولا يتأخرون، وهكذا انقضاء أعمار الناس ووقوع أعمالهم وآجالهم كلها كتبت في آجال ومدد معينة، لا تقديم فيها ولا تأخير، ونحو الآية قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ نَبَأٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾.

فما مثل الدنيا من كواكبها وشمسها وأرضها وزرعها إلا مثل مصنع رتبت أعماله ووضعت عماله في حجر معينة، ووزع بينهم العمل على نظم خاصة في أوقات معينة، ولهم مناهج يتبعونها، فتراهم كل يوم يعملون وينصرفون من أماكنهم ثم يعودون إليها على نهج لا يتغير ولا يتبدل، فالدنيا قد جعل الله لها نظاماً على مقتضى الحقائق الثابتة التي تعلق بها علمه، وعلى هذا النظام جرت الشمس والقمر والكواكب، وظهر النبات والحيوان، وتعاقب الموت والحياة، وظهرت نجوم وفنيت أخرى، ونبت زرع وحصد آخر، ومات نبي وقام آخر، وامتد دين وانتشر وتقلص دين ونسخ.

وكل كوكب من الكواكب التي تصلح للحياة كأرضنا كأنه صحيفة يكتب فيها ويمحى، وذلك تابع لما في المنهج الأصلي، ومن ثم تتعاقب الأمم والأجيال والدول والنظم على قطر كمصر، فيتعاقب عليه قدماء المصريين واليونان والرومان، ولا شك أن كل هذا محو وإثبات على مقتضى المنهج المرسوم، وهكذا تنسخ آية من القرآن ويؤتى بغيرها، كما ينسخ زرع بزراع وليل بنهار، وقوم بقوم ودين نبي بآخر في ميقاته المعين في علمه تعالى، وهذا ما عناه سبحانه وتعالى بقوله: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ محوه ﴿وَيُثَبِّتُ﴾ ما يشاء إثباته، فينسخ<sup>(١)</sup> ما يستصوب نسخه، ويثبت بدله ما هو خير منه أو مثله، ويترك ما تقتضيه حكمته غير منسوخ، أو يمحو سيئات التائب ويثبت الحسنات مكانها.

(١) روح البيان.

وقد أثر عن أئمة السلف فيها أقوال لا تناقض فيها، بل هي داخلة فيما سلف<sup>(١)</sup>:

١ - قال الحسن: يمحو الله من جاء أجله، ويثبت من بقي أجله.

٢ - وقال عكرمة والسدي: يمحو الله القمر ويثبت الشمس، كما قال تعالى: ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾.

٣ - وقال الربيع: يقبض الله الأرواح حين النوم، فيميت من يشاء ويمحوه، ويرجع من يشاء فيثبته.

٤ - وقال آخرون: يمحو الله ما يشاء من الشرائع بالنسخ، ويثبت ما يشاء فلا ينسخه ولا يبدله.

٥ - وقال آخرون: يمحو الله المحن والمصائب بالدعاء. وقيل: يمحو الآباء ويثبت الأبناء. وقيل: يمحو ما يشاء من القرون، ويثبت ما يشاء منها. وقيل: يمحو الدنيا ويثبت الآخرة.

وظاهر النظم القرآني<sup>(٢)</sup>: العموم في كل شيء مما في الكتاب، فيمحو ما يشاء محوه من شقاوة أو سعادة أو رزق أو عمر أو خير أو شر، ويبدل هذا بهذا، ويجعل هذا مكان هذا، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، وإلى هذا ذهب عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وابن عباس وأبو ائيل وقتادة والضحاك وابن جريج وغيرهم، وهذا القول أولى كما تفيده ما في قوله: ﴿مَا يَشَاءُ﴾ من العموم.

﴿وَعِنْدَهُ﴾ سبحانه وتعالى ﴿أُمُّ الْكِتَابِ﴾؛ أي: أصله<sup>(٣)</sup> الذي لا يتغير منه شيء، وهو ما كتبه في الأزل، وهو العلم الأزلي الأبدي السرمدي القائم بذاته، وقد أحاط بكل شيء علماً بلا زيادة ولا نقصان، وكل شيء عنده بمقدار. وقيل: ﴿أُمُّ الْكِتَابِ﴾؛ أي: أصله<sup>(٤)</sup> وهو اللوح المحفوظ، فالمراد من الآية أنه يمحو

(٣) روح البيان.

(٤) روح البيان.

(١) المراغي.

(٢) الشوكاني.

ما يشاء مما في اللوح المحفوظ، فيكون كالعدم، ويثبت ما يشاء مما فيه، فيجري فيه قضاؤه وقدره على حسب ما تقتضيه مشيئته، وهذا لا ينافي ما ثبت عنه ﷺ من قوله: «جف القلم» وذلك لأن المحو والإثبات هو من جملة ما قضاه الله سبحانه، وقيل: إن أم الكتاب هو علم الله تعالى بما خلق وما هو خالق.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم<sup>(١)</sup>: ﴿وَيُنِثُّ﴾ مخففاً من أثبت، وباقي السبعة مثقلاً من ﴿نُتِبَ﴾. ﴿وَإِنْ مَا نُزِيْنَا﴾ يا محمد ﴿بَعْضَ الَّذِي نَعُدُّهُمْ﴾ من العذاب في حياتك، والجواب محذوف تقديره: فذاك شافيك من أعدائك، ودليل على صدقك ﴿أَوْ تَوَفِّيْنَا﴾؛ أي: نقبضنك قبل أن نريك ذلك. وهذه الجملة شرط ثان لعطفه على الشرط قبله، وجوابه أيضاً محذوف تقديره: فلا تقصير منك ولا لوم عليك. وقوله: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ﴾ تعليل لهذا المحذوف؛ أي: ليس عليك إلا تبليغ الرسالة إليهم، والبلاغ اسم مصدر أقيم مقام التبليغ ﴿وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ لا عليك؛ أي: أن نحاسبهم يوم القيامة، فنجازيهم بأعمالهم، فننتقم منهم أشد الانتقام، فلا يهمنك إعراضهم ولا تستعجل بعذابهم.

والمعنى: أي إن أريناك<sup>(٢)</sup> أيها الرسول في حياتك بعض الذي نعد هؤلاء المشركين بالله من العقاب على كفرهم، أو توفيناك قبل أن نريك ذلك، فما عليك إلا تبليغ رسالة ربك لا طلب صلاحهم ولا فسادهم، وعلينا محاسبتهم ومجازاتهم بأعمالهم إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، ونحو الآية قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۗ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ۗ إِلَّا مَنْ تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ۗ فَعَذَابُهُ ۗ اللَّهُ الْعَذَابُ الْأَكْبَرُ ۗ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۗ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ۗ﴾. وهذا تسلية من<sup>(٣)</sup> الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ وإخبار له أنه قد فعل ما أمره الله به وليس عليه غيره، وأن من لم يجب دعوته ويصدق نبوته.. فالله سبحانه محاسبه على ما اجترم واجترأ عليه من ذلك. والهمزة في قوله: ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا﴾ للاستفهام الإنكاري داخلة على محذوف، والواو عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أنكر أولئك

(٣) الشوكاني.

(١) البحر المحيط.

(٢) المراعي.



المشركون من أهل مكة وغيرهم نزول ما وعدناهم أو شكوا في ذلك، ولم يروا ﴿أَنَا نَاتِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: أرض الكفرة من مكة وغيرها؛ أي: يأتي أمرنا أرض الكفرة حالة كوننا ﴿نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾؛ أي: ننقص أرض الكفرة من أطرافها ونواحيها بالفتوح على المسلمين منها شيئاً فشيئاً، فما زاد<sup>(١)</sup> في بلاد الإسلام باستيلائهم عليها جبراً وقهراً نقص من ديار الكفرة، والله تعالى إذا قدر على جعله بعض ديار الكفرة للمسلمين.. فهو قادر على أن يجعل الكل لهم، أفلا يعتبرون؛ أي: أنكر<sup>(٢)</sup> أهل مكة نزول ما وعدناهم ولم يروا أننا نأخذ أرضهم نفتحها من نواحيها للمسلمين شيئاً فشيئاً، ونلحقها بدار الإسلام، ونذهب منها أهلها بالقتل والأسر والإجلاء، أليس هذا من ذلك.

**والخلاصة:** أي أشك<sup>(٣)</sup> أولئك المشركون من أهل مكة الذين يسألونك الآيات ولم يروا أننا نأتي الأرض، فنفتحها لك أرضاً بعد أرض، ونلحقها بدار الإسلام، ونذهب منها أهلها بالقتل والأسر والإجلاء، أليس هذا مقدمة لما وعدناهم بحصوله ونذيراً بما سيحل بهم من النكال والوبال في الدنيا والآخرة لو تدبروا، فما لهم عن التذكرة معرضين، ونحو الآية قوله: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ وقرأ الضحاك: ﴿نَنْقُصُهَا﴾ مثقلاً من نقص عداه بالتضعيف من نقص اللازم.

﴿وَاللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى ﴿يَحْكُمُ﴾ في خلقه ما يشاء من الأزل إلى الأبد<sup>(٤)</sup>، فيرفع هذا ويضع هذا، ويحيي هذا ويميت هذا، ويغني هذا ويفقر هذا، وقد حكم بعزة الإسلام وعلوه على الأديان. وجملة قوله: ﴿لَا مَعْقَبَ لِحُكْمِهِ﴾؛ أي: لا راد لحكمه في محل النصب على الحال؛ أي: والله يحكم حالة كونه نافذاً حكمه خالياً عن المعارض والمناقض. ومعنى المعقب: الذي يعقب الشيء بالرد والإبطال. والمعنى: أنه حكم للإسلام بالغلبة والإقبال، وعلى الكفر بالإدبار والانتكاس، وذلك كائن لا يمكن تغييره. وقيل: جملة ﴿لَا﴾ معترضة. ﴿وَهُوَ﴾

(٣) المراغي.

(٤) الشوكاني.

(١) روح البيان.

(٢) المراح.

سبحانه وتعالى ﴿سَكْرِيحُ الْحِسَابِ﴾ فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته على السرعة، فعما قريب<sup>(١)</sup> سيحاسبهم في الآخرة كفاء ما دنسوا به أنفسهم، وران على قلوبهم بارتكاب الآثام بعد أن يعذبهم في الدنيا بالقتل والأسر، فلا تستبطيء عقابهم، فإنه آت لا محالة وكل آت قريب. ثم بين أن قومه ليسوا ببدع في الأمم، فقد مكر كثير ممن قبلهم بأنبيائهم، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، فقال: ﴿وَقَدْ مَكَرَ﴾ الكفار ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾؛ أي: من قبل كفار مكة بمن أرسله الله إليهم من الرسل، فكادوهم وكفروا بهم، فنمرود مكر بإبراهيم، وفرعون مكر بموسى، واليهود مكروا بعمسى كما مكر أولئك بك في دار الندوة حيث أرادوا قتلك، ثم دارت الدائرة على الظالمين وأهلك الله الظالمين. والمكر: إيصال المكروه للممكور به خفية من حيث لا يشعر.

وفي هذا تسلية لرسول الله ﷺ وتصبير بأن العاقبة له لا محالة حيث أخبره أن هذا ديدن الكفار من قديم الزمان مع رسل الله سبحانه، ثم أخبره بأن مكروهم هذا كالعدم، وأن المكر كله لله، فقال: ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ لا اعتداد بمكر غيره، وهذا تعليل لمحذوف تقديره: فلا عبرة بمكروهم ولا تأثير له. ثم فسر سبحانه هذا المكر الثابت له دون غيره، فقال: ﴿يَعْلَمُ﴾ سبحانه ﴿مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ من خير وشر، فيجازيها على ذلك، ومن علم ما تكسب كل نفس وأعد لها جزاءها. . كان المكر كله له؛ لأنه يأتيهم من حيث لا يشعرون. وقال الواحدي: إن مكر الماكرين مخلوق، فلا يضر إلا بإرادته. ا هـ. فإثباته لهم باعتبار الكسب، ونفيه عنهم باعتبار الخلق، فلا يرد كيف أثبت لهم مكرًا ثم نفاه عنهم بقوله: ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾؟ وفيه تسلية للنبي ﷺ وأمان له من مكروهم. ا هـ. «كرخي». ومكر الله سبحانه وتعالى صفة ثابتة له تعالى نثبته ولا نعطله، لا نمثله ولا نكيفه. وقيل: مكر<sup>(٢)</sup> الله إهلاكهم من حيث لا يشعرون، شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة.

والمعنى: يعلم<sup>(٣)</sup> سبحانه وتعالى ما تكسب كل نفس، فيعصم أوليائه

(١) المراغي.

(٢) المراغي.

(٣) روح البيان.

ويعاقب الماكرين بهم، ليوفي كل نفس جزاء ما كسبت. وفي هذا ما لا يخفى من شديد الوعيد والتهديد للكافرين الماكرين. ثم أكد هذا التهديد بقوله: ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ﴾ إذا قدموا إلى ربهم يوم القيامة حين يدخل الرسول والمؤمنون الجنة، ويدخلون النار ﴿لَمَنْ عُقِيَ الدَّارِ﴾؛ أي: لمن العاقبة المحمودة من الفريقين في الدار الآخرة، وإن جهلوا ذلك من قبل؛ أي: سيعلم<sup>(١)</sup> جنس الكافر لمن العاقبة المحمودة من الفريقين في دار الدنيا، أو الدار الآخرة، أو فيهما. وقيل: المراد بالكافر: أبو جهل.

وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر<sup>(٢)</sup>: ﴿الكافر﴾ بالإنفراد والمراد به الجنس. وقرأ الباقون: ﴿الكَافِرُ﴾ بالجمع جمع تكسير، وابن مسعود شاذاً: ﴿الكافرون﴾ جمع سلامة. وأبي شاذاً أيضاً: ﴿الذين كفروا﴾. وقرأ جناح بن حبيش: ﴿وسيعلم الكفار﴾ مبنياً للمفعول من أعلم؛ أي: وسيخبر وهي شاذة أيضاً.

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قدم علي رسول الله ﷺ أسقف من اليمن، فقال له عليه السلام: «هل تجدني في الإنجيل رسولاً؟» قال: لا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ أي: ويقول المشركون أو جميع الكفار ﴿لَسْتَ﴾ يا محمد ﴿مُرْسَلًا﴾ من عند الله إلى الناس. أي: ويقول الجاحدون لنبوتك الكافرون برسالتك: لست مرسلًا من عند الله، أرسلك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور، وتدعوهم إلى عبادة إله واحد لا شريك له، وتنقذهم من عبادة الأصنام والأوثان، وتصلح حال المجتمع البشري، وتمنع عنه الظلم والفساد، فأمر الله سبحانه بأن يجيب عليهم، فقال: ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿كَفَى بِاللَّهِ﴾ سبحانه وتعالى من جهة كونه ﴿شَهِيدًا﴾؛ أي: شاهداً ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ فهو يعلم صحة رسالتي وصدق دعوتي، ويعلم كذبكم.

أي: قل حسبي الله شاهداً بتأييد رسالتي وصدق مقالتي؛ إذ أنزل علي هذا

(٢) البحر المحيط.

(١) الشوكاني.

الكتاب الذي أعجز البشر قاطبةً أن يأتوا بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، والمراد بشهادة الله تعالى: إظهار المعجزات الدالة على صدقه في دعوى الرسالة ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾؛ أي: وكفى شهيداً بيني وبينكم من عنده علم الكتاب السماوي، وهم من أسلم من أهل الكتابين التوراة والإنجيل كعبد الله بن سلام وكعب الأحبار وسلمان الفارسي وتميم الداري وأصف بن برخيا، فكل من كان عالماً بالتوراة والإنجيل علم أن محمداً مرسل من عند الله تعالى. وقد كان المشركون من العرب يسألون أهل الكتاب ويرجعون إليهم، فأرشدهم الله سبحانه في هذه الآية إلى أن أهل الكتاب يعلمون ذلك. وقيل: المراد<sup>(١)</sup> بالكتاب القرآن، ومن عنده علم منه هم المسلمون. وقيل: المراد من عنده علم اللوح المحفوظ، وهو الله سبحانه وتعالى، واختار هذا الزجاج. وقال: لأن الأشبه أن الله لا يستشهد على خلقه بغيره.

﴿من﴾ في قراءة<sup>(٢)</sup> الجمهور في موضع خفض عطفاً على لفظ ﴿الله﴾، أو موضع رفع عطفاً على موضع ﴿الله﴾؛ إذ هو في مذهب من جعل الباء زائدة فاعل بكفى. وقال ابن عطية: ويحتمل أن يكون في موضع رفع الابتداء، والخبر محذوف تقديره: أعدل وأمضى قولاً، ونحو هذا مما يدل عليه لفظة ﴿شَهِيداً﴾ ويراد بذلك الله تعالى. وقرئ شذوذاً<sup>(٣)</sup>: ﴿بمن﴾ بدخول الباء على ﴿من﴾ عطفاً على ﴿بِاللَّهِ﴾. وقرأ علي وأبي وابن عباس وعكرمة وابن جبيرة وعبد الرحمن بن أبي بكرة والضحاك وسالم بن عبد الله بن عمر وابن أبي إسحاق ومجاهد والحكم والأعمش: ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾ بجعل ﴿من﴾ حرف جر وجر ما بعده به، وارتفاع ﴿علم﴾ بالابتداء، والجار والمجرور في موضع الخبر. وقرأ علي أيضاً وابن السميعة والحسن بخلاف عنه: ﴿ومن عنده﴾ بجعل ﴿من﴾ حرف جر، ﴿علم الكتاب﴾ بجعل ﴿علم﴾ فعلاً ماضياً مبنياً للمفعول، و﴿الكتاب﴾ رفع به. وقرئ شذوذاً أيضاً: ﴿ومن عنده﴾ بحرف جر، ﴿علم الكتاب﴾ مشدداً مبنياً

(٣) البحر المحيط.

(١) الشوكاني.

(٢) البحر المحيط.

للمفعول، و﴿الكتاب﴾ رفع به أيضاً، وانضمير في ﴿عنده﴾ في هذه القراءات الثلاث عائد على ﴿الله﴾ تعالى، و﴿من﴾ لا ابتداء الغاية؛ أي: ومن عند الله سبحانه وتعالى حصل علم القرآن؛ لأن أحداً لا يعمله إلا من تعليمه.

ولما<sup>(١)</sup> أمر الله سبحانه نبيه أن يحتج عليهم بشهادة الله على رسالته، ولا يكون ذلك إلا بإظهار القرآن، ولا يعلم العبد كون القرآن معجزاً إلا بعد العلم بما فيه من أسرار.. بين الله تعالى أن هذا العلم لا يحصل إلا من عند الله تعالى.

### خلاصة ما في هذه السورة<sup>(٢)</sup>

ترى مما تقدم في تفسير هذه السورة أنها اشتملت على الأمور الآتية:

١ - إقامة الأدلة على التوحيد بما يرى من خلق السماوات والأرض، والجبال والأنهار، والزرع والنبات على اختلاف ألوانه وأشكاله، وهذا تفصيل لما أجمله في السورة قبلها من قوله: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ آيَاتٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّنَّ عَلَيْهَا وَهُنَّ مُعْرِضُونَ ﴿١٥﴾﴾.

٢ - إثبات البعث ويوم القيامة، والتعجب من إنكارهم له.

٣ - استعجالهم العذاب من الرسول ﷺ، وبيان أنه واقع بهم لا محالة، كما وقع لمن قبلهم من الأمم الغابرة.

٤ - بيان أن للإنسان ملائكة تحفظه وتحرسه، وتكتب عليه ما يكتسبه من الحسنات والسيئات بأمر الله.

٥ - ضرب الأمثال لمن يعبد الله وحده ولمن يعبد الأصنام بالسيل والزبد.

الرابي.

٦ - بيان حال المتقين الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم

(١) المراح.

(٢) المراغي.

ويخافون سوء الحساب، وأقاموا الصلاة وأنفقوا في السر والعلن، وبيان ما لهم يوم القيامة.

٧ - بيان حال الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويفسدون في الأرض، وبيان ما لهم.

٨ - إنكار الشركاء مع إقامة الأدلة على أن لا شريك لله.

٩ - وصف الجنة التي وعد بها المتقون، وبيان أنها مآل المتقين، ومآل الكافرين النار وبئس القرار.

١٠ - بيان أن كثيراً ممن أسلموا من أهل الكتاب يفرحون بما ينزل من القرآن؛ إذ يرون فيه تصديقاً لما بين أيديهم من الكتاب.

١١ - بيان مهمة الرسول، وأن خلاصة ما جاء به عبادة الله وحده وعدم الشرك به، ودعاؤه لجلب النفع ودفع الضرر، وأن إليه تعالى المرجع والمآب.

١٢ - بيان أن كل رسول أرسل بلغة قومه؛ ليسهل عليهم قبول دعوته وفهمها.

١٣ - تحذير الرسول ﷺ وأُمَّته من قبول دعوة المشركين من بعد ما جاءهم من العلم.

١٤ - أن جميع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم كان لهم أزواج وذرية.

١٥ - أن المعجزات ليست بمشيئة الرسل يأتون بها كلما أرادوا، وإنما هي بإذن الله وإرادته.

١٦ - بيان أن هذه الحياة الدنيا إنما هي محو وإثبات، وموت وحياة، فيزيل الله قوماً ويوجد آخرين، وكل ذلك محفوظ في علم الله الذي لا تغيير فيه ولا تبديل.

١٧ - أن مهمة الرسول إنما هي التبليغ، أما الجزاء على مخالفة الأوامر فأمر ذلك إلى الله تعالى، ولا يعني الرسول أن يحصل في زمنه أو بعد وفاته.

١٨ - أن انتقام الله من المكذبين قد بدأ في حياة الرسول بقتل أعدائه

وأسرهم وتشريدهم في البلاد.

١٩ - أن مكر أولئك الكافرين بالرسول ليس ببدع جديد، فكثير من الأمم السابقة مكروا بأبيائهم، وكان النصر حليف المتقين، ونكل الله بالقوم الظالمين.

٢٠ - إلحاف الكافرين في إنكار رسالته ﷺ، مع أن الله تعالى شهيد على ذلك بما أقام من الأدلة على صدقه، وكذلك شهادة من آمن من أهل الكتاب بوجود آمارات رسالته ﷺ في كتبهم وتبشيرها بها.

## الإعراب

﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بُرْسِلَ مِنْ قَبْلِكُمْ فَأَمَلْتُمْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾.

﴿وَلَقَدْ﴾ (الواو): استئنافية، و(اللام): موطئة للقسم. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق. ﴿اسْتَهْزَيْتُمْ﴾: فعل ماضٍ مغير الصيغة. ﴿بُرْسِلَ﴾: جار ومجرور في محل الرفع نائب فاعل. ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: جار ومجرور صفة لـ ﴿بُرْسِلَ﴾، والجملة الفعلية جواب القسم لا محل لها من الإعراب. ﴿فَأَمَلْتُمْ﴾: (الفاء): عاطفة. ﴿أَمَلْتُمْ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿اسْتَهْزَيْتُمْ﴾. ﴿لِلَّذِينَ﴾: جار ومجرور متعلق به. ﴿كَفَرُوا﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف وترتيب. ﴿أَخَذْتُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿أَمَلْتُمْ﴾. ﴿فَكَيْفَ﴾: (الفاء): فاء الفصيحة؛ لأنها أفصح عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفت استهزاءهم بالرسول فإملائي لهم فأخذي إياهم.. فأقول لك يا محمد: كيف كان عقابي إياهم، هل هو واقع محله أم لا؟. ﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام للاستفهام التعجبي مع التقريع لهم في محل النصب خبر ﴿كَانَ﴾ مقدم عليه وجوباً. ﴿كَانَ﴾: فعل ماضٍ ناقص. ﴿عِقَابِ﴾: اسمها مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة اجتزاء عنها بالكسرة الممنوعة بسكون الوقف: ﴿عِقَابِ﴾: مضاف وياء المتكلم المحذوفة في محل الجر مضاف إليه، وجملة ﴿كَانَ﴾: في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة.

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِدٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ لِلنَّبِيِّينَ

﴿أَفْتَنَ﴾: (الهمزة): للاستفهام الإنكاري داخله على محذوف، و(الفاء): عاطفة على ذلك المحذوف، و﴿مَنْ﴾: اسم موصول في محل الرفع مبتدأ، خبره محذوف تقديره: كمن ليس كذلك من شركائهم التي لا تضر ولا تنفع، دل على ذلك قوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾. ﴿هُوَ﴾: مبتدأ. ﴿قَائِمٌ﴾: خبره، والجملة الاسمية صلة الموصول، والتقدير: أعميتم وسويتم بين الله وبين خلقه، فمن هو قائم على كل نفس كائن كمن ليس كذلك، لا ليسوا مستويين، والجملة المحذوفة مستأنفة. ﴿عَلَى كُلِّ نَفْسٍ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق ب﴿قَائِمٌ﴾. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور حال من ﴿كُلِّ نَفْسٍ﴾؛ أي: حالة كونها ملتبسة بما كسبت. ﴿كَسَبَتْ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿كُلِّ نَفْسٍ﴾، والجملة صلة ل﴿مَا﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف تقديره: بما كسبته. ﴿وَجَعَلُوا﴾: فعل وفاعل، وهو يتعدى إلى مفعولين أولهما محذوف تقديره: وجعلوا الأصنام شركاء لله. ﴿لِلَّهِ﴾: جار ومجرور متعلق ب﴿شُرَكَاءَ﴾. ﴿شُرَكَاءَ﴾: مفعول ثان، والجملة الفعلية مستأنفة، أو حال من ﴿كُلِّ نَفْسٍ﴾ كما مر في بحث التفسير. ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة الفعلية مسانفة. ﴿سَمَّوْهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول به؛ لأنه بمعنى اذكروا أسماءهم أو صفوهم، والجملة الفعلية في محل النصب مقول ل﴿قُلْ﴾. ﴿أَمْ﴾: منقطعة بمعنى بل الإضرابية وهمزة الاستفهام الإنكاري. ﴿تَتَّبِعُونَ﴾: فعل وفاعل ومفعول أول مرفوع بثبوت النون. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور في محل المفعول الثاني، والجملة مستأنفة. ﴿لَا يَعْلَمُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿اللَّهِ﴾: ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ متعلق به، والجملة صلة ل﴿مَا﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط المفعول المحذوف تقديره: بما لا يعلمه في الأرض ولا في السماوات. ﴿أَمْ﴾: منقطعة بمعنى بل التي للإضراب الإبطالي كما في «الصاوي»، وهمزة الاستفهام الإنكاري داخله على محذوف تقديره: بل أتسمونهم بظاهر من القول. ﴿يُظَاهِرُ﴾: جار ومجرور في محل المفعول الثاني للفعل المحذوف. ﴿مِنَ الْقَوْلِ﴾: جار ومجرور ل﴿ظَاهِرُ﴾؛ أي: بل أتسمون تلك الأصنام بلفظ خالٍ عن المعنى، والجملة المحذوفة مستأنفة.



﴿بَلْ زَيْنَ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾ .  
 ﴿بَلْ﴾ : حرف ابتداء وإضراب . ﴿زَيْنَ﴾ : فعل ماضٍ مغير الصيغة .  
 ﴿لِلَّذِينَ﴾ : جار ومجرور متعلق به ، وجملة ﴿كَفَرُوا﴾ : صلة الموصول .  
 ﴿مَكْرَهُمْ﴾ : نائب فاعل ، والجملة مستأنفة . ﴿وَصُدُّوا﴾ : فعل ونائب فاعل معطوف على ﴿زَيْنَ﴾ . ﴿عَنِ السَّبِيلِ﴾ : متعلق به . ﴿وَمَن﴾ : (الواو) : استثنائية .  
 ﴿مَن﴾ : اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ ، والخبر جملة الشرط ، أو الجواب ، أو هما . ﴿يُضِلِلِ اللَّهُ﴾ : فعل وفاعل مجزوم بـ ﴿مَن﴾ على كونه فعل شرط لها ، والرباط محذوف تقديره : ومن يضلله الله . ﴿فَمَا﴾ : (الفاء) : رابطة لجواب ﴿مَن﴾ الشرطية وجوباً . ﴿مَا﴾ : تيمية أو حجازية . ﴿لَهُمْ﴾ : جار ومجرور خبر مقدم للمبتدأ ، أو لـ ﴿مَا﴾ الحجازية . ﴿مِنَ﴾ : زائدة . ﴿هَادٍ﴾ : مبتدأ مؤخر ، أو اسم ﴿مَا﴾ مؤخر ، والجملة الاسمية في محل الجزم بـ ﴿مَن﴾ الشرطية على كونها جواباً لها ، وجملة ﴿مَن﴾ الشرطية : مستأنفة . ﴿هَادٍ﴾ بثبوت الياء وحذفها وقفاً سبعيتان ، وفي الرسم محذوفة لا غير كالوصل .

﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ﴾ ﴿٢٤﴾ .  
 ﴿لَهُمْ﴾ : جار ومجرور خبر مقدم . ﴿عَذَابٌ﴾ : مبتدأ مؤخر ، والجملة مستأنفة .  
 ﴿فِي الْحَيَاةِ﴾ : جار ومجرور صفة لعذاب الدنيا ، صفة لـ ﴿الْحَيَاةِ﴾ . ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ﴾ : (الواو) : عاطفة . (اللام) : حرف ابتداء ، ﴿عَذَابُ الْآخِرَةِ﴾ : مبتدأ ومضاف إليه .  
 ﴿أَشَقُّ﴾ : خبر ، والجملة معطوفة على الجملة التي قبلها . ﴿وَمَا﴾ : (الواو) : عاطفة .  
 ﴿مَا﴾ : نافية . ﴿لَهُمْ﴾ : جار ومجرور خبر مقدم . ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ : جار ومجرور متعلق بـ ﴿وَأَقٍ﴾ . ﴿مِنَ﴾ : زائدة . ﴿وَأَقٍ﴾ : مبتدأ مؤخر ، والتقدير : وما واقٍ من عذاب الله كائن لهم ، والجملة معطوفة على الجملة التي قبلها .

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكْلُهَا دَائِمٌ وَظُلْمُهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ ﴿٢٥﴾ .

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾ : مبتدأ ومضاف إليه . ﴿الَّتِي﴾ : صفة لـ ﴿الْجَنَّةِ﴾ . ﴿وَعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ : فعل ونائب فاعل ، والجملة الفعلية صلة الموصول ، والعائد محذوف

تقديره: وعدها المتقون، وخبر المبتدأ محذوف تقديره: مثل الجنة التي وعدها المتقون كائن فيما يتلى عليك، والجملة مستأنفة. ﴿تَجْرَى﴾: فعل مضارع. ﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾: متعلق به. ﴿الْأَنْهَارُ﴾: فاعل، والجملة الفعلية مفسرة لذلك المحذوف، أو مستأنفة. ﴿أَكُلُهَا دَائِمًا﴾: مبتدأ وخبر، والجملة مفسرة أو مستأنفة. ﴿وِظَلْمًا﴾: مبتدأ حذف خبره لدلالة ما قبله عليه تقديره: وظلها دائم، والجملة معطوفة على جملة ﴿أَكُلُهَا دَائِمًا﴾. ﴿تِلْكَ عُقَى الَّذِينَ﴾: مبتدأ وخبر ومضاف إليه، والجملة مستأنفة. ﴿أَنْقَوُا﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿وَعُقَى الْكٰفِرِينَ النَّارُ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة معطوفة على الجملة التي قبلها.

﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَهُ إِلِيهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَقَابِلُ﴾.

﴿وَالَّذِينَ﴾: (الواو): استئنافية. ﴿الذين﴾: مبتدأ. ﴿آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾: فعل وفاعل ومفعولان صلة الموصول. ﴿يَفْرَحُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿يَفْرَحُونَ﴾. ﴿أُنزِلَ﴾: فعل ماضٍ مغير الصيغة، ونائب فاعله ضمير يعود على ﴿مَا﴾. ﴿إِلَيْكَ﴾: متعلق به، والجملة صلة لـ﴿مَا﴾، أو صفة لها. ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ﴾: جار ومجرور خبر مقدم. ﴿مَنْ﴾: اسم موصول في محل الرفع مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية معطوفة على الجملة التي قبلها. ﴿يُنْكِرُ بَعْضَهُ﴾: فعل ومفعول، وفاعل ضمير يعود على ﴿مَا﴾، والجملة صلة الموصول. ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، ومفعول محكي، وإن شئت قلت ﴿إِنَّمَا﴾: أداة حصر. ﴿أُمِرْتُ﴾: فعل ونائب فاعل، والجملة في محل النصب مقول محكي. ﴿أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ﴾: ناصب وفعل ومفعول، وفاعل ضمير يعود على محمد، والجملة الفعلية مع ﴿أَنْ﴾ المصدرية في تأويل مصدر مجرور بحرف جر محذوف تقديره: إنما أمرت بعبادة الله، الجار والمجرور متعلق بـ﴿أُمِرْتُ﴾. ﴿وَلَا أُشْرِكَ﴾: فعل مضارع معطوف على ﴿أَعْبُدُ﴾. ﴿بِهِ﴾ متعلق به، وفاعل ضمير يعود على محمد، والتقدير: أمرت بعبادة الله وعدم الإشراك به. ﴿إِلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أَدْعُوا﴾. ﴿أَدْعُوا﴾: فعل

مضارع، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة ﴿أُرِثْتُ﴾. ﴿وَالْيَايُ﴾ (الواو): عاطفة. ﴿إِلَيْهِ﴾: جار ومجرور خبر مقدم. ﴿مَثَابٍ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوف اجتزاء عنها بالكسرة الممنوعة بسكون الوقف. ﴿مَثَابٍ﴾: مضاف وياء المتكلم المحذوفة في محل الجر مضاف إليه، والجملة الاسمية في محل النصب معطوفة على جملة ﴿أُرِثْتُ﴾.

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٢٧﴾﴾.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ (الواو): استئنافية. ﴿كذلك﴾: جار ومجرور صفة لمصدر محذوف. ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والتقدير: وأنزلنا هذا القرآن عليك إنزالاً مثل إنزالنا الكتب السالفة على الرسل المتقدمة عليك، والجملة مستأنفة. ﴿حُكْمًا﴾: حال موطئة من ضمير المفعول، ولكنه في تأويل حاكماً. ﴿عَرَبِيًّا﴾: صفة لـ ﴿حُكْمًا﴾. ﴿وَلَئِنْ﴾: (الواو): استئنافية، و(اللام): موطئة للقسم. ﴿إِنْ﴾: حرف شرط. ﴿اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول في محل الجزم بـ ﴿إِنْ﴾ الشرطية على كونه فعل شرط لها. ﴿بَعْدَ مَا﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بـ ﴿اتَّبَعْتَ﴾. ﴿جَاءَكَ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَا﴾. ﴿مِنْ الْعِلْمِ﴾: حال من فاعل ﴿جَاءَكَ﴾، والجملة الفعلية صلة لـ ﴿مَا﴾، أو صفة لها. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿لَكَ﴾: جار ومجرور خبر مقدم. ﴿مِنْ اللَّهِ﴾: متعلق بـ ﴿وَلِيٍّ﴾. ﴿مِنْ﴾ زائدة. ﴿وَلِيٍّ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿وَلَا وَاقٍ﴾: معطوف على ﴿وَلِيٍّ﴾ والتقدير: ما ولي ولا واق من الله كائن لك، والجملة الاسمية جواب القسم لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم مستأنفة، وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب القسم تقديره، وإن اتبعت أهوائهم بعد ما جاءك من العلم.. فما لك من الله من ولي ولا واق، وجملة الشرط معترضة بين القسم وجوابه.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَكُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ﴾ (الواو): استثنائية. (اللام): موثقة للقسم. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق.  
 ﴿أَرْسَلْنَا رَسُولًا﴾: فعل وفاعل ومفعول. ﴿مِنْ قَبْلِكَ﴾: جار ومجرور صفة  
 لـ ﴿رَسُولًا﴾، أو متعلق بـ ﴿أَرْسَلْنَا﴾، والجملة الفعلية جواب القسم لا محل لها من  
 الإعراب، وجملة القسم مستأنفة. ﴿وَجَعَلْنَا﴾: فعل وفاعل معطوف على  
 ﴿أَرْسَلْنَا﴾. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلق بـ ﴿جَعَلْنَا﴾. ﴿أَرْوَجًا﴾: مفعول به؛ لأن  
 جعل هنا بمعنى خلق. ﴿وَدُرِّيَّةٌ﴾: معطوف على ﴿أَرْوَجًا﴾. ﴿وَمَا كَانَ﴾: (الواو):  
 استثنائية. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿لِرَسُولٍ﴾: جار ومجرور  
 خبر مقدم لـ ﴿كَانَ﴾. ﴿أَنْ﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿يَأْتِي﴾: فعل مضارع  
 منصوب بـ ﴿أَنْ﴾. ﴿بِنَائِيَّةٍ﴾: متعلق به، وفاعله ضمير يعود على ﴿رسول﴾.  
 ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: جار ومجرور متعلق بالاستقرار الذي  
 تعلق به الخبر، والجملة الفعلية في تأويل مصدر مرفوع على كونه اسم ﴿كَانَ﴾  
 تقديره: وما كان الإتيان بآية من الآيات كائناً لرسول من الرسل إلا بإذن الله،  
 والجملة مستأنفة. ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ﴾: جار ومجرور خبر مقدم. ﴿كِتَابٌ﴾: مبتدأ  
 مؤخر، والجملة مستأنفة.

﴿يَمَحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٦﴾﴾.

﴿يَمَحُوا اللَّهُ مَا﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة مستأنفة. ﴿يَشَاءُ﴾: فعل  
 مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿اللَّهُ﴾، والجملة صلة لـ ﴿مَا﴾، أو صفة لها،  
 والعائد أو الرابط محذوف تقديره: ما يشاء. ﴿وَيُثَبِّتُ﴾: فعل مضارع، وفاعله  
 ضمير يعود على ﴿اللَّهُ﴾، والجملة معطوفة على جملة ﴿يَمَحُوا﴾. ﴿وَعِنْدَهُ﴾:  
 ظرف ومضاف إليه خبر مقدم. ﴿أُمُّ الْكِتَابِ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة مستأنفة.

﴿وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّعَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾.

﴿وَإِنْ﴾ (الواو): استثنائية. ﴿إِنْ﴾: حرف شرط جازم. ﴿مَا﴾: زائدة.  
 ﴿نُرِيَنَّكَ﴾: فعل مضارع ومفعول أول في محل الجزم بـ ﴿إِنْ﴾ الشرطية على كونه  
 فعل شرط لها، وفاعله ضمير يعود على الله. ﴿بَعْضَ الَّذِي﴾: مفعول ثان ومضاف  
 إليه. ﴿نَعِدُهُمْ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة صلة

الموصول، وجواب الشرط محذوف تقديره: فذاك شافيك من أعدائك، وجملة الشرط مستأنفة. ﴿أَوْ تَتَوَفَّيَنَّكَ﴾: فعل ومفعول في محل الجزم معطوف على ﴿تُرِيَنَّكَ﴾ على كونه شرطاً ثانياً، وفاعله ضمير يعود على الله، وجواب الشرط محذوف أيضاً تقديره: فلا تقصير منك ولا لوم عليك. ﴿فَإِنَّمَا﴾: (الفاء): تعليلية للجواب المحذوف. ﴿إِنَّمَا﴾: أداة حصر. ﴿عَلَيْكَ﴾: خبر مقدم. ﴿الْبَلَّغُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها. ﴿وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿إِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾.

﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾.

﴿أَوْلَمْ﴾ (الهمزة): للاستفهام الإنكاري داخل على محذوف. (الواو): عاطفة على ذلك المحذوف. ﴿لم﴾: حرف نفي وجزم. ﴿يَرَوْا﴾: فعل وفاعل مجزوم بـ﴿لم﴾ والتقدير: أنكروا نزول ما وعدناهم، أو شكوا في ذلك ولم يروا أنا نأتي الأرض، والجملة المحذوفة مستأنفة. ﴿أَنَّا﴾: ناصب واسمه. ﴿نَأْتِي الْأَرْضَ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿أن﴾، وجملة ﴿أن﴾: في تأويل مصدر ساد مسد مفعولي رأى تقديره: أولم يروا إتياننا الأرض حالة كوننا نناقصها. ﴿نَنْقُصُهَا﴾: فعل ومفعول وفاعله ضمير يعود على الله. ﴿مِنْ أَطْرَافِهَا﴾: متعلق به، والجملة الفعلية في محل النصب حال من فاعل ﴿نَأْتِي﴾. ﴿وَاللَّهُ﴾: مبتدأ، وجملة ﴿يَحْكُمُ﴾: خبره، والجملة الاسمية مستأنفة. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿مُعَقِّبَ﴾: في محل النصب اسمها. ﴿لِحُكْمِهِ﴾: متعلق به، وخبرها محذوف تقديره: موجود، وجملة ﴿لَا﴾: في محل الرفع معطوفة على جملة ﴿يَحْكُمُ﴾ على كونها خبر المبتدأ. ﴿وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة مستأنفة.

﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسِعَعِلُ الْكَفْرُ لِمَنْ عَقِبَ الدَّارِ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿وقد﴾ (الواو): استئنافية. ﴿قد﴾: حرف تحقيق. ﴿مَكَرَ الَّذِينَ﴾: فعل

وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: جار ومجرور صلة الموصول. ﴿فَلِلَّهِ﴾: (الفاء): تعليلية. ﴿لِلَّهِ﴾: خبر مقدم. ﴿الْمَكْرُ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿جَمِيعًا﴾: حال من الضمير المستكن في الخبر، والجملة الاسمية في محل الجر مسوقة لتعليل ما قبلها. ﴿يَعْلَمُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير مستتر يعود على ﴿اللَّهِ﴾، والجملة مستأنفة. ﴿مَا﴾: اسم موصول في محل النصب مفعول به لـ ﴿يَعْلَمُ﴾؛ لأنه بمعنى عرف. ﴿تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة لـ ﴿مَا﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف تقديره: ما تكسبه كل نفس. ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿لِمَنْ﴾: (اللام): حرف جر. ﴿مَنْ﴾: اسم استفهام في محل الجر باللام، الجار والمجرور خبر مقدم. ﴿عُقُبَى الدَّارِ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية سادة مسد مفعولي علم معلق عنها باسم الاستفهام.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ (٤٢).

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿كَفَرُوا﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾: فعل ناقص واسمه وخبره، والجملة في محل النصب مقول لـ ﴿يقول﴾. ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة. ﴿كَفَىٰ بِاللَّهِ﴾: إلى آخر الآية: مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿كَفَىٰ بِاللَّهِ﴾: فعل وفاعل، و(الباء): زائدة. ﴿شَهِيدًا﴾: تمييز لفاعل ﴿كَفَىٰ﴾، والجملة في محل النصب مقول القول. ﴿بَيْنِي﴾: ظرف متعلق بـ ﴿شَهِيدًا﴾. ﴿وَبَيْنَكُمْ﴾: معطوف عليه. ﴿وَمَنْ﴾: اسم موصول في محل الرفع معطوف على فاعل ﴿كَفَىٰ﴾. ﴿عِنْدَهُ﴾: خبر مقدم. ﴿عِلْمُ الْكِتَابِ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية صلة ﴿مَنْ﴾ الموصولة.

### التصريف ومفردات اللغة

﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ﴾ ومعنى الاستهزاء<sup>(١)</sup>: الاستحقار والاستهانة، والأذى

(١) روح البيان.

والتكذيب.

﴿فَأَمَلَيْتُ﴾ والإملاء: الإمهال وأن يترك ملاءة من الزمان؛ أي: مدة طويلة منه في دعة وراحة وأمن، كالبهيمة في المرعى؛ أي: أطلت لهم المدة في أمن وسعة بتأخير العقوبة ليطمادوا في المعصية. ﴿ثُمَّ﴾ بعد الإملاء والاستدراج أخذتهم بالعقوبة.

﴿أَفَنَنْ هُوَ قَائِمٌ﴾؛ أي: رقيب ومتول للأمر.

﴿سَيَتَوَنَّهُ﴾؛ أي: تخبرونه. ﴿يُظَاهِرُ مِنَ الْقَوْلِ﴾؛ أي: يباطل منه لا حقيقة له في الواقع.

﴿بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ﴾ بتخيلهم أباطيل، ثم ظنهم إياها حقاً والمكر<sup>(١)</sup>: صرف الغير عما يقصده بحيلة، والحيلة<sup>(٢)</sup>: ما يتوصل به إلى المقصود بطريق خفي.

﴿وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾ والصد: المنع، والسبيل: هو سبيل الحق وطريقه؛ أي: منعوا عن طريق الهدى. وقرئ بفتح الصاد؛ أي: منعوا الناس عنه. وقد يستعمل صد لازماً بمعنى أعرض؛ أي: أعرضوا عنه.

﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وأصل العذاب<sup>(٣)</sup> في كلام العرب من العذب، وهو المنع، يقال: عذبتة عذباً إذا منعتة، وسمي الماء عذباً؛ لأنه يمنع العطش، وسمي العذاب عذاباً؛ لأنه يمنع المعاقب من معاودة مثل جرمه، ويمنع غيره من مثل فعله.

﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾؛ أي: أشد وأصعب لدوامه، وهو عذاب النار، وعذاب نار القطيعة وألم البعد وحسرة التفريط في طاعة الله وندامة الإفراط في الذنوب والمعاصي، والحصول على الخسارات والهبوط من الدرجات ونزول الدرجات.

(٣) روح البيان.

(١) روح البيان.

(٢) قسطلاني على البخاري.

﴿مِنْ وَاقٍ﴾؛ أي: حافظ ومانع حتى لا يعذبوا. ﴿وَأَقٍ﴾: اسم فاعل من وقى بقي فهو واق بوزن قاض، أصله: واقى استثقلت الحركة على الياء، ثم حذفت فالتقى ساكنان وهما الياء والتنوين، ثم حذفت الياء لبقاء دالها، فصار واقٍ، فأعراب واق إعراب منقوص، فهو بحركة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين.

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ المثل: الصفة والنعت. قال ابن قتيبة: المثل الشبه في أصل اللغة، ثم قد يصير بمعنى صورة الشيء وصفته، يقال: مثلت لك كذا؛ أي: صورته ووصفته، فأراد هنا بمثل الجنة صورتها وصفتها. ا هـ. «الشوكاني».

﴿أَكْلُهَا﴾ والأكل - بضمين - ما يؤكل من طعامها. ﴿دَائِبَةٌ﴾؛ أي: لا ينقطع ولا يمنع منه بخلاف ثمر الدنيا، والمراد بدوام الأكل: الدوام بالنوع لا الدوام بالجزء والشخص، فإنه إذا فنى منه شيء جيء ببدله، وهذا لا ينافي الهلاك لحظة، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ على أن دوامه مضاف إلى ما بعد دخول الجنة كما يقتضيه سوق الكلام عند هلاك كل شيء قبل الدخول لا ينافي وجوده وبقائه بعده.

﴿وَوَظْلُهُا﴾ دائم، والظل: واحد الظلال، والظلول والأظلال.

﴿تِلْكَ عُقُبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ والعقبى: مصدر كالبشرى والرجعى؛ أي: مآلهم ومنتهى أمرهم.

﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ﴾ والأحزاب واحدهم حزب: وهو الطائفة المتحزبة؛ أي: المجتمعة لشأن من الشؤون كحرب أو عداوة أو نحو ذلك. والمآب: المرجع. الواقي: الحافظ.

﴿لِكُلِّ أَجَلٍ﴾ والأجل: الوقت والمدة. ﴿كِتَابٌ﴾ والكتاب: الحكم المعين الذي يكتب على العباد بحسب ما تقتضيه الحكمة، والمراد بالأجل: أزمته الموجودات، فلكل موجود زمان يوجد فيه محدود ولا يزداد عليه ولا ينقص، والمراد بالكتاب: صحف الملائكة التي تنسخها من اللوح المحفوظ. والمحو:



ذهاب أثر الكتابة.

﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أصله: وهو علم الله تعالى، أو اللوح المحفوظ الذي لا يبدل ولا يغير. والأم<sup>(١)</sup>: أصل الشيء، والعرب تسمي كل ما يجري مجرى الأصل للشيء أمأ له، ومنه أم الرأس للدماغ، وأم القرى لمكة، والعندية عندية علم، والكتاب هو المذكور أولاً بقوله: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ على القاعدة المشهورة عند البلغاء أن النكرة إذا أعيدت معرفة كانت عين الأولى.

﴿وَإِنْ مَا نُزِيتَكَ﴾ مضارع أرى البصرية تعدى إلى مفعولين بالهمزة، وأكد بالنون الثقيلة.

﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ والبلاغ: اسم مصدر لبلغ تبليغاً أقيم مقام المصدر، كالأداء مقام التأدية؛ أي: تبليغ الرسالة وأداء الأمانة لا غير.

﴿مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ والأطراف: الجوانب. ﴿لَا مُعَقَّبَ﴾ والمعقب: الذي يكر على الشيء فيبطله، ويقال لصاحب الحق: معقب؛ لأنه يقفو غريمه بالاقتضاء والطلب.

﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ والمكر: إرادة المكروه في خفية.

## البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات أنواعاً من البلاغة، وضروباً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: الإظهار في مقام الإضمار في قوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ﴾؛ لأن حق العبارة، وجعلوا له، فأقيم الظاهر مقام المضمرة تقريراً للألوهية وتصريحاً بها.

ومنها: الاستفهام الإنكاري في قوله: ﴿أَفَنْ هُوَ قَائِمٌ﴾.

قال الطيبي<sup>(٢)</sup>: في هذه الآية احتجاج بليغ مبني على فنون من علم البيان:

(٢) الفتوحات.

(١) الفتوحات.

أولها: ﴿أَفَنَنْ هُوَ قَائِدٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ كمن ﴿ليس كذلك﴾ احتجاج عليهم، وتوبيخ لهم على القياس الفاسد؛ لفقد الجهة الجامعة لهما.

ثانيهما: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ من وضع المظهر موضع المضمرة للتنبية على أنهم جعلوا شركاء لمن هو فرد واحد لا يشاركه أحد في اسمه.

ثالثها: ﴿قُلْ سَمُوهُمْ﴾؛ أي: عينوا أسماءهم، فقولوا: فلان وفلان، فهو إنكار لوجودها على وجه برهاني، كما تقول: إن كان الذي تدعيه موجوداً فسمه؛ لأن المراد بالاسم العلم.

رابعها: ﴿أَمْ تَتَّبِعُونَ مَا لَا يُعَلِّمُ﴾ احتجاج من باب نفي الشيء أعني: العلم بنفي لازمه، وهو المعلوم، وهو كناية.

خامسها: ﴿أَمْ يَظَاهِرُونَ مِنَ الْقَوْلِ﴾ احتجاج من باب الاستدراج، والهمزة للتقرير لبعثهم على التفكير. المعنى: أتقولون بأفواهكم من غير روية وأنتم الباء، فتفكروا فيه لتقفوا على بطلانه.

سادسها: التدرج في كل من الإضرابات على ألطف وجه، وحيث كانت الآية مشتملة على هذه الأساليب البديعة مع اختصارها.. كان الاحتجاج المذكور منادياً على نفسه بالإعجاز، وأنه ليس من كلام البشر. اهـ.

ومنها: الاكتفاء في قوله: ﴿بِمَا لَا يُعَلِّمُ فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: ولا في السماوات، وإنما خص الأرض، بنفي الشريك عنها، وإن لم يكن له شريك في غير الأرض؛ لأنهم ادعوا له شريكاً في الأرض.

ومنها: الإيجاز بالحذف في قوله: ﴿أَكُلُّهَا ذَائِبٌ وَظُلُمَاتٌ﴾؛ أي: وظلها دائم حذف منه الخبر بدليل السياق.

ومنها: المقابلة في قوله: ﴿تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ وهو من المحسنات البديعية.

ومنها: التشبيه المرسل المجمل في قوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ﴾.

ومنها: جناس الاشتقاق في قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا﴾.

ومنها: تنكير ﴿رُسُلًا﴾ للدلالة على الكثرة.

ومنها: القصر في قوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ﴾ وفي قوله: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ وكلاهما قصر إضافي من باب قصر الموصوف على الصفة؛ أي: ليس لك من الصفات إلا صفة التبليغ.

ومنها: التهيج<sup>(١)</sup> والإلهاب والبعث للسامعين على الثبات على الدين، والتصلب فيه، لثلا يزل زال عند الشبه بعد استمساكه بالحجة في قوله: ﴿وَلَيْبِنَ أَتَبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ وإلا فالرسول معصوم من اتباع أهوائهم؛ لأنه ﷺ كان من شدة الشكيمة بمكان.

ومنها: المجاز المرسل في قوله: ﴿أَنَا نَائِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: يأتيها أمرنا وعذابنا.

ومنها: الاستفهام الإنكاري في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأِي الْأَرْضِ﴾.

ومنها: الالتفات في قوله: ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ﴾ من التكلم إلى الغيبة لما في<sup>(٢)</sup> بناء الحكم على الاسم الجليل من الدلالة على الفخامة وتربية المهابة، وتحقيق مضمون الخبر بالإشارة إلى العلة.

فائدة: فسر بعضهم قوله تعالى: ﴿تَنْقُضَهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ أن نقصانها بموت علمائها وفقهائها وأهل الخير والصلاح، وهذا مروى عن مجاهد وابن عباس في رواية عنه، وأنشد بعضهم<sup>(٣)</sup>:

(٣) ابن كثير.

(١) الكشاف.

(٢) أبو السعود.

الْأَرْضُ تَحِيًّا إِذَا مَا عَاشَ عَالِمُهَا مَتَى يَمُتْ عَالِمٌ مِنْهَا يَمُتْ طَرَفُ  
كَالْأَرْضِ تَحِيًّا إِذَا مَا أَلْعَيْتُ حَلَّ بِهَا وَإِنْ أَبِي عَادَ فِي أَكْنَافِهَا أَلْتَلَفُ  
والله سبحانه وتعالى أعلم<sup>(١)</sup>

\* \* \*

---

(١) وقد حصل الفراغ من تفسير سورة الرعد بتوفيق الله تعالى وتيسيره قبيل الغروب، في اليوم الخامس من شهر الله رجب الفرد من شهور سنة ألف وأربع مئة وإحدى عشرة (١٤١١/٧/٥ هـ) من الهجرة المصطفوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية وصلى الله سبحانه وتعالى وسلم على سيدنا ومولانا محمد ﷺ خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين آمين.

## سورة إبراهيم عليه السلام

سورة إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام مكية كلها، كما<sup>(١)</sup> أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس، وأخرجه ابن مردويه أيضاً عن الزبير، وحكاه القرطبي عن الحسن وعكرمة وجابر بن زيد وقتادة إلا آيتين منها مدنيتين. وقيل: إلا ثلاث آيات نزلت في الذين حاربوا رسول الله ﷺ وهي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا فِعْمَتَ اللَّهِ كَفْرًا﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾. وأخرج النحاس في ناسخه عن ابن عباس قال: وهي مكية إلا آيتين منها نزلتا بالمدينة، وهي: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا فِعْمَتَ اللَّهِ كَفْرًا﴾. . . الآيتين. نزلتا في قتلى بدر من المشركين.

التسمية: سميت بسورة إبراهيم<sup>(٢)</sup>؛ لذكر قصته فيها. فإن قلت: إن قصة إبراهيم قد ذكرت في غير هذه السورة ك: الأنبياء والبقرة.

قلت: إن علة التسمية لا تقتضي اطراد التسمية، بل التسمية أمر توقيفي. وآياتها إحدى، أو اثنتان، أو أربع، أو خمس وخمسون آية، ففي آياتها أربعة أقوال. وكلماتها<sup>(٣)</sup> ثمان مئة وإحدى وستون كلمة، وحروفها ثلاثة آلاف وأربع مئة وأربعة وثلاثون حرفاً.

المناسبة: ومناسبة هذه السورة للسورة التي قبلها من وجوه<sup>(٤)</sup>:

١ - أنه قد ذكر سبحانه في السورة السابقة أنه أنزل القرآن حكماً عربياً، ولم يصرح بحكمة ذلك وصرح بها هنا.

٢ - أنه ذكر في السورة السالفة قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وهنا ذكر أن الرسل قالوا: ﴿وَمَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَنٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

(٣) الخازن.

(١) الشوكاني.

(٤) المراغي.

(٢) الصاوي.

٣ - ذكر هناك أمره ﷺ بالتوكل على الله وهنا حكى عن إخوانه المرسلين أمرهم بالتوكل عليه جلّ شأنه.

٤ - اشتملت تلك السابقة على تمثيل الحق والباطل، واشتملت هذه على ذلك أيضاً.

٥ - ذكر هناك رفع السماء بغير عمد، ومدّ الأرض، وتسخير الشمس والقمر، وذكر هنا نحو ذلك.

٦ - ذكر هناك مكر الكفار، وذكر مثله هنا، وذكر من وصفه ما لم يذكر هناك.

الناسخ والمنسوخ: وقال أبو<sup>(١)</sup> عبد الله محمد بن حزم - رحمه الله تعالى - في كتابه «الناسخ والمنسوخ»: سورة إبراهيم عند جميع المفسرين محكمة ليس فيها منسوخ إلا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، فإنه قال: فيها آية منسوخة، والجمهور على خلاف قوله، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ نسخت بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٨﴾ في سورة النحل آية (١٨) انتهى.

فضلها: ومن فضائلها ما روي عن النبي ﷺ أنه قال<sup>(٢)</sup>: «من قرأ سورة إبراهيم أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من عبد الأصنام وعدد من لم يعبد» رواه ابن مردويه والثعلبي والواحدي، وهو موضوع كما ذكره العراقي.

والله أعلم

\*\*\*

(١) الناسخ والمنسوخ.

(٢) الخازن.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَسْعَوْنَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا يَلْسَانُ قَوْمِهِ لِتُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَخْرَجَكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدْعُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَى إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَفِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَنَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنْصَبِرَ عَلَى مَا أَادَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾ .

### المناسبة

مناسبة أول هذه السورة للسورة قبلها واضح جداً<sup>(١)</sup>؛ لأنه ذكر في السورة

(١) البحر المحيط .

قبلها: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾، ثم ذكر قوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾، ثم قوله: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾، فناسب هذه قوله في هذه السورة: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾ وأيضاً، فإنهم لما قالوا في السورة السابقة على سبيل الاقتراح: ﴿لَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ﴾، وقيل له: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ﴾. . . أنزل في هذه السورة: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾؛ وهي الضلال. ﴿إِلَى النُّورِ﴾: وهو الهدى.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها<sup>(١)</sup>: أن الله سبحانه وتعالى لما بين أنه أرسل نبيه محمداً ﷺ إلى الناس ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وأن في هذا الإرسال نعمة له ولقومه. . . أتبع ذلك بذكر قصص بعض الأنبياء، وتفصيل ما لاقوه من أقوامهم من شديد الأذى والتمرد والعناد؛ لما في ذلك من التسلية له وجميل التأسى بهم، وبيان أن المقصود من بعثة الرسل واحد: وهو إخراج الخلق من ظلمات الضلالات إلى أنوار الهدايا.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ...﴾ الآية، مناسبة لما قبلها: أنه<sup>(٢)</sup> لما تقدم أمره تعالى لموسى بالتذكير بأيام الله. . . ذكرهم بما أنعم تعالى عليهم من نجاتهم من آل فرعون، وفي ضمنها تعداد شيء مما جرى عليهم من نقم الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿الرَّ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمٌ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودٌ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر ما ذكر به موسى قومه بما أولاهم به من نعمة، ورفع عنهم من نقمة، ثم ذكر وعده تعالى بالزيادة لمن شكر ووعيده بالعذاب لمن كفر، ثم حذرهم بأن الكفران لا يضير ربهم، وأنه غني عن حمدهم، وحمد من في الأرض جميعاً، يذكرهم بأيام الله فيمن قبلهم من الأمم السالفة والأجيال البائدة بأسلوب طلي ومقال

(١) المراغي.

(٢) البحر المحيط.



جلي.. فذكر القول أولاً على سبيل الإجمال، ثم أتبعه بمحاورة بين الرسل وأقوامهم، أقام فيها الرسل الحجة على أممهم، ودحض ما تمسكوا به من الترهات والأباطيل.

### أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا يَلْسَانٍ قَوِيَّةٍ...﴾ الآية، سبب نزولها: أن قريشاً قالوا: ما بال الكتب كلها أعجمية وهذا عربي؟ فنزلت هذه الآية.

### التفسير وأوجه القراءة

﴿الر﴾<sup>(١)</sup> يشير بالألف إلى القسم بآلائه ونعمائه، وباللام إلى لطفه وكرمه وبالراء إلى القرآن، يعني: قسماً بالآتي ونعمائي إن صفة لظفي وكرمي اقتضت إنزال القرآن وهو كتاب... إلخ، وتقدم في سورتي يونس وهود طريقة قراءته، والمعنى: المراد منه بما أغنى عن إعادته هنا. وقوله: ﴿كَتَبٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هذا القرآن المشتمل على هذه السورة وغيرها كتاب ﴿أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾ يا محمد بواسطة جبرائيل حالة كونه حجة على رسالتك بإعجازه. ثم بين المصلحة في إنزال الكتاب على رسول الله ﷺ بقوله: ﴿لِنُخْرِجَ النَّاسَ كَافَّةً بَدْعَاتِكَ وَإِرْشَادِكَ إِيَّاهُمْ إِلَى مَا تَضَمَّنَهُ الْكِتَابُ مِنَ الْعَقَائِدِ الْحَقَّةِ وَالْأَحْكَامِ النَّافِعَةِ. ﴿بَيْنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾؛ أي: من أنواع الضلالة إلى الهدى، ومن ظلمة الكفر والنفاق والشك والبدعة إلى نور الإيمان والإخلاص واليقين والسنة ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: بحوله وقوته؛ أي: لا سبيل له إلى ذلك إلا به، وإنما قال: ﴿رَبِّهِمْ﴾: لأنه تعالى مربيهم، ولم يقل: بإذن ربك، ليعلم أن هذه التربية من الله تعالى، لا من النبي عليه السلام..

واعلم<sup>(٢)</sup>: أن الدعوة عامة، والهداية خاصة كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى نَارِ السَّلْوِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ وإذن الله شامل لجميع الناس

(٢) روح البيان.

(١) روح البيان.

في الظلمات، إذ المقصود من إيجاد العوالم وإنشاء النشآت كلها ظهور الإنسان الكامل، وقد حصل وهو الواحد الذي كالألف وهو السواد الأعظم، فلا تقتضي الحكمة إتفاق الكل على الحق؛ لأن الله تعالى جماًلاً وجمالاً وجمالاً لا بد لكليهما من أثر.

والمعنى: هذا القرآن الذي نتلوه عليك كتاب أنزلناه إليك أيها الرسول؛ لتنفذ<sup>(١)</sup> الناس من ظلمات الضلالة والكفر إلى نور الإيمان وضيائه، وتبصّر به أهل الجهل والعمى سبيل الرشاد والهدى بما اشتمل عليه من واضح الآيات البيّنات المرشدة إلى النظر في حقائق الكون الدالة على وحدانية الله تعالى، وأنه لا شريك له، وأن الواجب عبادته وحده، ثم دعاؤه لجلب النفع وكشف الضر، وفيها أيضاً سعادة البشر وصلاحهم في الدنيا والآخرة بإذن ربهم، وتوفيقه ولطفه بهم بإرسال نور الهدى إلى قلوبهم، فيسلكون طرق الفلاح والصلاح.

وقوله: ﴿إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ بدل من قوله: ﴿إِلَىٰ التَّوْبِ﴾ بتكرير العامل وإضافة الصراط إلى العزيز، وهو الله على سبيل التعظيم له، والمراد به: دين الإسلام، فإنه طريق موصل إلى الجنة والقربة والوصلة، والعزيز: الغالب الذي ينتقم لأهل دينه من أعدائهم، والحميد: المحمود الذي يستوجب بذلك الحمد من عباده.

والمعنى: لتخرج الناس إلى الصراط المستقيم، وهو الطريق الذي ارتضاه الله لخلقه وشرعه لهم؛ وهو العزيز الذي لا يغالب المحمود في جميع أفعاله وأقواله وأمره ونهيه. ونحو الآية قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ...﴾ الآية، وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ ءَايَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىٰ النُّورِ...﴾ الآية. وقوله: ﴿اللَّهُ﴾ بالجر عطف بيان لـ ﴿الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾؛ لأنه علم للذات الواجب الوجود الخالق العالم، وقوله: ﴿الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ من الموجودات من العقلاء وغيرهم صفة للجلالة؛

(١) المراغي.

أي: هو الله المتصف بملك ما فيهما خلقاً وتصرفاً وتدبيراً.

وفيه<sup>(١)</sup> إشارة إلى أن سير السائرين إلى الله لا ينتهي بالسير في الصفات وهو العزيز الحميد، وإنما ينتهي بالسير في الذات وهو الله، فالمكونات أفعاله، فمن بقي في أفعاله لا يصل إلى صفاته، ومن بقي في صفاته لا يصل إلى ذاته، ومن وصل إلى ذاته وصولاً بلا اتصال ولا انفصال، بل وصولاً بالخروج من أنانيته إلى هويته تعالى ينتفع به في صفاته وأفعاله، قال الملائم الجامي رحمه الله تعالى:

سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا وَأَلْهَمْتَنَا لَنَا إِلَهًا مَا  
وهذه<sup>(٢)</sup> الجملة الدالة على عظمة خالق الأكوان المنفرد بالعظمة والسلطان قد كررت في كثير من سور الكتاب الكريم للتنبيه إلى أن من أهم مقاصد هذا الدين أن يكون في المسلمين حكماء ربانيون يتفهمون حقائق هذا الكون، ويدركون أسرار بدائعه، ويستخرجون للناس ما في باطن الأرض، ويتنفعون بما في ظاهرها، ويتأملون فيما في السماوات من بديع الصنع وما تقدمه لنا من الخير العميم الذي ينتفع منه الإنسان والحيوان في مأكلهما ومشربهما ومسكنهما وسائر حاجاتهما ومرافقهما.

وجاء في سورة يوسف توبيخاً للغافلين، وحثاً لهمم المستبصرين: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾<sup>(٣)</sup> ومع كل هذا فوأسفأ رأينا كثيراً من المسلمين الذين تتلى عليهم هذه الآية صباح مساء يكتفون بمجرد تلاوتها والإيمان بها دون بحث ولا تفهم لمغزاها ولا المراد منها، ولا استبصار بما تنطوي عليه من المقاصد والمرامي، ولو كان ذلك كافياً؛ لكان ذكر الخبز حين الجوع كافياً في الشبع، والنظر إلى الماء كافياً في الري.

وقرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر<sup>(٣)</sup>: ﴿الله﴾ - بالرفع - على أنه خبر مبتدأ

(٣) البحر المحيط والشوكاني.

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

محذوف؛ أي: هو الله المتصف بملك ما في السماوات وما في الأرض. وقرأ باقي العشرة والأصمعي عن نافع: ﴿اللَّهُ﴾ - بالجرّ - على أنه بدل في قول ابن عطية والحوفي وأبي البقاء، وعلى أنه عطف بيان على قول الزمخشري؛ لكونه من الأعلام الغالبة كالنجم على الثريا؛ لغلبته واختصاصه بالمعبود الذي يحق له العبادة، فلا يصح وصف ما قبله به؛ لأن العلم لا يوصف به. وقيل: يجوز أن يوصف به من حيث المعنى. وقال أبو عمرو: إن قراءة الجرّ محمولة على التقديم والتأخير، والتقدير: إلى صراط الله العزيز الحميد، وكان يعقوب إذا وقف على الحميد رفع، وإذا وصل خفض. قال ابن الأنباري: من خفض وقف على ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.

ثم توعّد سبحانه الذين جحدوا آياته وكفروا بوحدانيته، فقال: ﴿وَوَيْلٌ﴾ الويل<sup>(١)</sup>: الهلاك والدمار، وهو مبتدأ خبره ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ بالكتاب، وأصله: النصب كسائر المصادر إلا أنه لم يشتق منه فعل، لكنه عدل به إلى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه، فيقال: ويل لهم كسلام عليكم ﴿مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ ﴿مِنْ﴾: لبيان الجنس صفة لـ ﴿ويل﴾، أو حال من ضميره في الخبر، أو ابتدائية متعلقة بالويل على معنى: إنهم يولون ويصيحون ويضجون من العذاب الشديد الذي صاروا إليه، ويقولون: يا ويلاه كقوله تعالى: ﴿دَعُوا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾.

والمعنى: أي وهلاك<sup>(٢)</sup> ودمار بشديد العذاب يوم القيامة لمن كفر بك ولم يستجب دعوتك بإخلاص التوحيد لخالق السماوات والأرض، وترك عبادة من لا يملك لنفسه شيئاً، بل هو مملوك له تعالى؛ لأنه بعض ما في السماوات ثم وصف سبحانه أولئك الكافرين بصفات ثلاث:

١ - ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ الموصول في محل الجر

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

بدل من ﴿الكافرين﴾ أو صفة له، والاستحباب: استفعال من المحبة؛ أي: وويل وهلاك بعذاب شديد كائن للكافرين الذين يختارون الحياة الدنيا ويؤثرونها على الحياة الآخرة الأبدية، فإن المؤثر للشيء على غيره، كأنه يطلب من نفسه أن يكون أحب إليها وأفضل عندها من غيره.

قال ابن عباس<sup>(١)</sup> - رضي الله عنهما -: يأخذون ما تعجل فيها تهاوناً بأمر الآخرة، وهذا من أوصاف الكافر الحقيقي، فإنه يجد ويجتهد في طلب الدنيا وشهواتها، ويترك الآخرة بإهمال السعي في طلبها، واحتمال الكلفة والمشقة في مخالفة هوى النفس وموافقة الشرع، فينبغي للمؤمن الحقيقي أن لا يرضى باسم الإسلام، ولا يقنع بالإيمان التقليدي، فإنه لا يخلو عن الظلمات بخلاف الإيمان الحقيقي، فإنه نور محض وليس فيه تغيير أصلاً.

والمعنى: أي إن أولئك الكافرين يطلبون الدنيا ويعملون لها ويتمتعون بلذاتها، ويقتربون الآثام ويرتكبون الموبقات، ويؤثرون ذلك على أعمال الآخرة التي تقربهم إلى الله زلفى، وينسون يوماً تجازى فيه كل نفس بما عملت، يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه وفصيلته التي تؤيه ومن في الأرض جميعاً.

٢ - ﴿وَيَصِدُّونَ﴾ الناس ويمنعونهم ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾؛ أي: عن قبول دينه الذي شرعه لعباده، وجملة ﴿يصدون﴾ وكذلك ﴿وَيَبْغُونَ﴾ معطوفتان على ﴿يَسْتَحِبُّونَ﴾؛ أي: ويمنعون من تتجه عزائمهم إلى الإيمان بالله، واتباع رسوله فيما جاء به من عند ربه أن يؤمنوا به ويتبعوه؛ لما زين لهم الشيطان من سلوك سبيل الطغيان، وران على قلوبهم من الفجور والعصيان، والبعد عن كل ما يقرب إلى الرحمن. وقرأ الحسن شذوذاً<sup>(٢)</sup>: ﴿وَيُصِدُّونَ﴾ مضارع أصد الداخلة عليه همزة النقل، من صد اللزوم صدوداً.

٣ - ﴿وَيَبْغُونَ﴾؛ أي: ويبغون لها، فحذف الجار وأوصل الفعل إلى

(١) روح البيان.

(٢) البحر المحيط.

الضمير ﴿عَوَجًا﴾؛ أي: ويطلبون لها زيغاً واعوجاجاً وميلاً عن الحق؛ لموافقة أهوائهم وقضاء حاجاتهم وأغراضهم؛ أي: يقولون لمن يريدون صده وإضلاله: إنها سبيل ناكبة وزائغة غير مستقيمة.

والمعنى: أي<sup>(١)</sup> ويطلبون لها الزيغ والعوج، وهي أبعد ما تكون من ذلك، ويقولون لمن يريدون صدهم وإضلالهم عن سبيل الله ودينه، إن ذلك الدين ناء عن الصراط المستقيم وزائغ عن الحق واليقين، وإنك لتسمع كثيراً من الملحدين يقول: إن القوانين الإسلامية في الحدود والجنايات شديدة غاية الشدة، وإنها تصلح للأمم العربية في البادية، لا للأمم التي أخذت قسطاً عظيماً من الحضارة ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾.

فتلك شريعة دانت لها أمة غيرت وجه البسيطة<sup>(٢)</sup>، وملكت ناصية العالم ردحاً من الزمان، وكانت مضرب الأمثال في العدل وترك الجور، وثلت عروش الأكاسرة والقياسرة، وامتلكت بلادهم، وأزالت عزهم وسلطانهم إلى أن غير أهلها معالمها، فأركسهم الله بما كسبوا، فبدل عزهم ذلاً وسعادتهم شقاء، وتلك سنة الله أن الأرض يرثها عباده الصالحون لاستعمارها. واجتماع هذه الخصال الثلاثة نهاية الضلال، ولهذا وصف ضلالهم بالبعد عن الحق، فقال: ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بالقبائح المذكورة ﴿فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ عن طريق الحق؛ أي: ضلوا ووقعوا عنه بمراحل، فلا يوجد ضلال أكمل من هذا الضلال.

والبعد في الحقيقة من أحوال الضال<sup>(٣)</sup>؛ لأنه هو الذي يتباعد عن الطريق، فوصف به فعلة مجازاً للمبالغة، وفي جعل الضلال محيطاً بهم إحاطة الظرف بما فيه ما لا يخفى من المبالغة؛ أي: فهم باختيارهم لأنفسهم حب العاجلة، وصددهم عن الدين وابتغائهم له الزيغ والعوج في ضلال بعيد عن الحق، لا يرجى لهم فلاح، وأنى لهم ذلك وقد كبوا على وجوههم، وزين لهم الفساد والغبي،

(٣) روح البيان.

(١) المراغي.

(٢) المراغي.

فيرون حسناً ما ليس بالحسن، وقبيحاً ما ليس بالقبيح. ثم بين سبحانه كمال نعمته وإحسانه إلى عباده، فذكر أنه يرسل رسله إلى أقوامهم بلغاتهم كي لا يشق عليهم فهم الدين وحفظه، فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ﴾؛ أي: وما أرسلنا رسولاً من الرسل قبلك إلى أمة من الأمم من قبل قومك ﴿إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾؛ أي: إلا متلبساً بلغة قومه الذين أرسلناه إليهم ﴿لِيُبَيِّنَ﴾ ذلك الرسول ﴿لَهُمْ﴾؛ أي: لقومه ويفهمهم ما أرسل به إليهم من أمره ونهيه بسهولة ويسر، ولتقوم عليهم الحجة وينقطع العذر، وقد جاء هذا الكتاب بلغتهم، وهو يتلى عليهم، فأبي عذر لهم في أن لا يفقهوه، وما الذي صدهم عن أن يدرسوه ليعلموا ما فيه من حكم وأحكام وحلال وحرام وإصلاح لنظم المجتمع ليسعدوا في حياتهم الدنيا والآخرة. ولفظ اللسان يستعمل فيما هو بمعنى العضو وبمعنى اللغة، والمراد هنا: هو الثاني؛ أي: بلغة قومه الذي هو منهم وبعث فيهم.

فإن قلت: لم يُبعث<sup>(١)</sup> رسول الله ﷺ إلى العرب وحدهم وإنما بعث إلى الناس جميعاً بدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ بل هو مبعوث إلى الثقيلين الجن الإنس وهم على ألسنة مختلفة ولغات شتى، وقوله: ﴿بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ وليس قومه سوى العرب يقتضي بظاھر أنه مبعوث إلى العرب خاصة، فكيف يمكن الجمع؟

قلتُ: بُعث رسول الله ﷺ من العرب وبلسانهم، والناس تبع للعرب، فكان مبعوثاً إلى جميع الخلق؛ لأنهم تبع للعرب، ثم إنه ﷺ يبعث الرسل إلى الأطراف والنواحي، فيترجمون لهم بألسنتهم، ويدعونهم إلى الله تعالى بلغاتهم. والنبي<sup>(٢)</sup> ﷺ وإن أرسل إلى الناس جميعاً ولغاتهم متباينة وألسنتهم مختلفة، فأرساله بلسان قومه أولى من إرساله بلسان غيره، لأنهم يبينونه لمن كان على غير لسانهم ويوضحونه لهم حتى يصير مفهوماً لهم كما فهموه، ولو نزل بلغات من أرسل إليهم وبينه لكل قوم بلسانهم... لكان ذلك مظنة للاختلاف وفتحاً لباب التنازع؛ لأن كل أمة قد تدعي

(٢) المراغي.

(١) الخازن.

من المعاني في لسانها ما لا يعرفه غيرها، وقد يفضي ذلك إلى التحريف والتصحيف بسبب الدعاوي الباطلة التي يقع فيها المتعصبون.

وقيل<sup>(١)</sup>: يحتمل أنه أراد بـ﴿قَوْمِهِ﴾ أهل بلده وفيهم العرب وغير العرب، فيدخل معهم من كان من غير جنسهم في عموم الدعوى. وقيل: إن الرسول إذا أرسل بلسان قومه، وكانت دعوته خاصة، وكان كتابه بلسان قومه. . وكان أقرب لفهمهم عنه، وقيام الحجة عليهم في ذلك، فإذا فهموه ونقل عنهم انتشر عنهم علمه، وقامت التراجم بيانه وتفهيمة لمن يحتاج إلى ذلك ممن هو من غير أهله، وإذا كان الكتاب واحداً بلغة واحدة مع اختلاف الأمم وتباين اللغات. . كان ذلك أبلغ في اجتهاد المجتهدين في تعليم معانيه وتفهم فوائده وغوامضه وأسواره وعلومه، وجميع حدوده وأحكامه.

قلت: هذا الإشكال لا يأتي من أول الأمر، لأن معنى الآية: وما أرسلنا قبلك يا محمد من رسول من الرسل الكرام قبلك إلى أمة من الأمم الذين قبل أمتك إلا بلغة قومه؛ ليبين لهم، لأن ذلك الرسول مرسل إلى قومه خاصة كما أشرنا إليه في الحل بخلاف رسالتك، فإنها عامة وأنت سيد الأنبياء وخاتم المرسلين، وأمتك خير الأمم وأفضلهم، فأردنا أن نجمع أمتك على كتاب واحد منزل بلسان هو سيد الألسنة وأشرفها وأفضلها إعطاء للأشرف الأشرف، وذلك هو اللسان العربي الذي هو لسان قومه، ولسان أهل الجنة، فكان سائر الألسنة تابعاً له كما أن الناس تابع للعرب انتهى.

وفي «الفتوحات»: والأولى<sup>(٢)</sup> أن يحمل القوم على من أرسل إليهم الرسول أياً كان، وهم بالنسبة لغير سيدنا محمد ﷺ خصوص عشيرة رسولهم، وبالنسبة إليه كل من أرسل إليه من سائر القبائل وأصناف الخلق وهو ﷺ كان يخاطب كل قوم بلغتهم، وإن لم يثبت أنه تكلم باللغة التركية؛ لأنه لم يتفق أنه خاطب أحداً من أهلها، ولو خاطبه لكلمه بها، تأمل. انتهى.

(١) الخازن.

(٢) الفتوحات.



وقرأ أبو السمال وأبو الجوزاء وأبو عمران الجوني شذوذاً<sup>(١)</sup>: ﴿بلسن قومه﴾ بإسكان السين، قالوا: هو كالريش والرياش. وقال صاحب «اللوامح» واللسن: خاص باللغة، واللسان قد يقع على العضو وعلى الكلام. وقال ابن عطية مثل ذلك، قال اللسان في هذه الآية يراد به اللغة، ويقال: لسن ولسان في اللغة، فأما العضو فلا يقال فيه: لسن. وقال أبو رجاء وأبو المتوكل والجحدري شذوذاً أيضاً: ﴿لسن﴾ بضم اللام والسين، وهو جمع لسان كعماد وعمد. وقرىء شاذاً أيضاً بضم اللام وسكون السين مخففاً كرسل ورسل.

وبعد أن بين سبحانه أنه لم يكن للناس من عذر في عدم فهم شرائعه.. ذكر أن الهداية والإضلال بيده ومشيئته، فقال: ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ إضلاله؛ أي: يخلق فيه الكفر والضلال لمباشرة الأسباب المؤدية إليه ﴿وَيَهْدِي﴾ سبحانه وتعالى ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ هدايته؛ أي: يخلق فيه الإيمان والاهتداء لاستحقاقه له لما فيه من الإنابة والإقبال إلى الحق. وجملة قوله: ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ﴾ استئناف إخبار، ولا يجوز نصبه عطفاً على ما قبله؛ لأن المعطوف كالمعطوف عليه في المعنى، والرسول أرسلت للبيان لا للإضلال. قال الزجاج: لو قرىء بنصبه على أن اللام لام العاقبة جاز. ا هـ. «سمين».

والخلاصة<sup>(٢)</sup>: أي إن الناس فريقان: فريق هداه الله وأضاه نور قلبه وشرح صدره للإسلام، فاتبع سبيل الرشاد، وفريق رانت على قلبه الغواية والضلالة بما اجترح من الآثام، وأوغل فيه من المعاصي والذنوب، وذلك كله بتقديره تعالى ومشيئته، لا راد لقضائه ولا دافع لحكمه.

﴿وَهُوَ﴾ سبحانه وتعالى ﴿الْعَزِيزُ﴾؛ أي: الغالب على كل شيء، فلا يغالب في مشيئته ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه الذي لا يفعل شيئاً من الإضلال والهداية إلا لحكمة بالغة، فلا يفعل إلا ما تقتضيه السنن العامة في خلقه والنواميس التي وضعها لصالح

(١) البحر المحيط.

(٢) المراعي.

حال عباده وضلالهم ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ .  
وفيه<sup>(١)</sup> أن ما فوض إلى الرسل إنما هو تبليغ الرسالة، وتبيين طريق الحق، وأما الهداية  
والإرشاد إليه فذلك بيد الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .

ثم لما بين سبحانه وتعالى أن المقصود من بعثة نبينا محمد ﷺ هو إخراج  
الناس من الظلمات إلى النور . . . أراد أن يبين أن الغرض من إرسال الأنبياء لم  
يكن إلا ذلك . وخص موسى<sup>(٢)</sup> بالذكر؛ لأن أمته أكثر الأمم المتقدمة على هذه  
الأمّة المحمدية، فقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾؛ أي: وكما أرسلناك أيها  
الرسول وأنزلنا عليك الكتاب؛ لتخرج الناس من الظلمات إلى النور، وعزتي  
وجلالتي لقد أرسلنا موسى بن عمران إلى بني إسرائيل، وأيدناه بآياتنا التسع التي  
سلف ذكرها في سورة الأعراف في قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجُرَادَ وَالْقُمَّلَ﴾  
الآية . وأمرناه بـ﴿أَنْ أَخْرِجَ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾؛ أي: وأمرناه  
بأن يدعو قومه إلى الإيمان بالله وتوحيده؛ ليخرجوا من ظلمات الجهل والضلال  
إلى نور الهدى والإيمان .

وقال أبو السعود<sup>(٣)</sup>: الآيات معجزاته التي أظهرها لبني إسرائيل، والمراد:  
إخراجهم بعد مهلك فرعون من الكفر والجهالات التي أدتهم إلى أن يقولوا: يا  
موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة إلى الإيمان بالله وتوحيده وسائر ما أمروا به  
انتهى . ولما<sup>(٤)</sup> كان نبينا محمد ﷺ مبعوثاً إلى الناس كافة . . قال تعالى في حقه:  
﴿لِنُخْرِجَ النَّاسَ﴾ ولم يقل: لتخرج قومك كما قال في موسى عليه السلام أن أخرج  
قومك وخصص . وقال هنالك: ﴿يَا ذِينَ رَيْبِهِمْ﴾ وطواه هنا؛ لأن الإخراج بالفعل  
قد تحقق في دعوته ﷺ، فكانت أمته أمة دعوة وإجابة، ولم يتحقق في دعوة  
موسى، إذ لم يجبه القبط إلى أن هلكوا، وإن أجابه بنو إسرائيل، والعمدة في  
رسالته كان القبط .

﴿و﴾ أمرناه بأن ﴿ذكرهم﴾؛ أي: ذكر قومك وعظهم مرغباً لهم في ثواب

(٣) أبو السعود .

(٤) روح البيان .

(١) روح البيان .

(٢) الشوكاني .

الله بتذكيرهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾؛ أي: بنعم الله سبحانه وتعالى عليهم وعلى من قبلهم ممن آمن بالرسول في الأمم السابقة؛ ليكون في ذلك حافزاً لهم على العمل، ويكون لهم بمن سلف أسوة، وذكرهم وعظهم مخوفاً لهم بتذكيرهم بأس الله وعذابه وانتقامه ممن كذب الرسل من الأمم الغابرة كعاد وثمود؛ ليكون لهم في ذلك مزدجر، وليحذروا أن يحل بهم مثل ما حلّ بهم.

والمعنى: عظمهم بالترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، وأيام الله<sup>(١)</sup> في جانب موسى عليه السلام، منها ما كان محنة وبلاء، وهي الأيام التي كان فيها بنو إسرائيل تحت قهر فرعون واستعباده، ومنها ما كانت نعمة كإنجائهم من عدوهم وقلق البحر لهم، وإنزاله المن والسلوى عليهم.

وفي «تفسير ابن جرير»: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾؛ أي: بأنواع عقوباته الفاضلة، ونعمه الباطنة التي أفاضها على القرون السالفة واللاحقة، فمن أحاط علمه بذلك عظم خوفه اهـ.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ التذكير بأيام الله، أو في نفس أيام الله ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ عظيمة أو كثيرة؛ أي: لدلائل دالة على وحدانية الله تعالى وقدرته ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾؛ أي: كثير الصبر على المحن والبلايا ﴿شَكُورٍ﴾؛ أي: كثير الشكر على المنح والعطايا؛ لأنه<sup>(٢)</sup> إذا سمع بما نزل على من قبله من البلاء وأفيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه من الصبر والشكر. اهـ. «بيضاوي»<sup>(٣)</sup> قال: لكل مؤمن كامل؛ إذ الإيمان نصفان: نصفه صبر، ونصفه شكر، وتخصيص الآيات بهم؛ لأنهم المتفجعون بها، لا لأنها خافية عن غيرهم، فإن التبيين حاصل بالنسبة إلى الكل، وتقديم الصبر لكون الشكر عاقبته. وعبارة «الكرخي»: وتقديم الصبار على الشكور؛ لتقدم متعلق الصبر، أعني: البلاء على متعلق الشكر، أعني: النعماء وكون الشكر عاقبة الصبر. اهـ.

(٣) روح البيان.

(١) المراغي.

(٢) البيضاوي.

قال قتادة: نعم العبد عبد إذا ابتلي صبر، وإذا أعطي شكر، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «إن أمر المؤمن كله عجب لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيراً، إن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له، وإن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له».

وفي هذا<sup>(١)</sup> إيحاء إلى أن الإنسان في هذه الحياة يجب أن يكون بين صبر وشكر أبداً؛ لأنه: إما في مكروه يصبر عليه، وإما في محبوب يشكر عليه، والوقت في هذه الحياة ذهب، فمتى ضاع من حياتنا زمن دون عمل نسدي فيه خدمة لأنفسنا ولديننا ووطننا، فقد كفرنا النعمة وأضعنا الفرصة، ولم نعتبر بما حل بمن قبلنا من الأمم الغابرة، فليحذر كل امرئ أن يضيع حياته بلا عمل، وليخف على وقت يضيع، ثم بعده عذاب سريع.

ولما سمع موسى أمر ربه امتثله، وأخذ يذكر قومه بأيام الله كما حكى الله عنه، فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾؛ أي: واذكر يا محمد لقومك قصة إذ قال موسى لقومه بني إسرائيل: يا قوم ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: تذكروا إنعام الله سبحانه وتعالى عليكم ﴿إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾؛ أي: وقت إنجائه إياكم من فرعون وآله؛ أي: قومه حين كانوا ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾؛ أي: يذيقونكم أشد العذاب، ويكلفونكم من الأعمال ما لا يطاق مع القهر والإذلال ﴿وَيَذِثُّونَكُمْ تَذِيحًا كَثِيرًا﴾ أبناءكم المولودين صغاراً ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾؛ أي: ويبقون نساءكم وبناتكم في الحياة ذليلات في الخدمة مستضعفات فيها، وهذا رزء من أشد الأرزاء، وأعظم أنواع البلاء. قال شاعرهم:

وَمِنْ أَعْظَمِ الرُّزْءِ فِيمَا أَرَى بَقَاءَ الْبَنَاتِ وَمَوْتُ الْبَنِينَ  
وفي «الكرخي»: فإن قيل<sup>(٢)</sup>: استحياء النساء كيف يكون ابتلاء؟

قلنا: كانوا يستخدمونهن بالاستعباد والإرقاق، ويفردونهن عن الأزواج،

(١) المراغي.

(٢) الفتوحات.

وذلك من أعظم المضار والابتلاء؛ إذ الهلاك أسهل من هذا. ا هـ.

وقوله: ﴿وَيَذِخُّونَ أَنْبَاءَكُمْ﴾ من عطف<sup>(١)</sup> الخاص على العام، كأن التذبيح لشدته وفضاعته وخروجه عن مرتبة العذاب المعتاد جنس آخر، ولو جاء بحذف الواو كما في البقرة والأعراف.. لكان تفسيراً للعذاب، وبياناً له، وإنما فعلوا ذلك؛ لأن فرعون رأى في المنام أن ناراً أقبلت من نحو بيت المقدس، فأحرقت بيوت القبط دون بيوت بني إسرائيل، فخوفه الكهنة، وقالوا له: إنه سيولد منهم ولد يكون على يده هلاكك وزوال ملكك، فشمّر عن ساق الاجتهاد، وحسر من ساق العناد، وأراد أن يدفع القضاء وظهوره، ويأبى الله إلا أن يتم نوره.

فإن قلت<sup>(٢)</sup>: قال في سورة البقرة ﴿يُذِخُّونَ﴾ بغير واو، وقال هنا: ﴿وَيَذِخُّونَ﴾ بزيادة واو، فما الفرق بين الموضعين؟

قلت: إنما حذفت الواو في سورة البقرة؛ لأن قوله: ﴿يُذِخُّونَ﴾ تفسير لقوله: ﴿يَسْؤُمُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ وفي التفسير لا يحسن ذكر الواو، كما تقول: جاءني القوم زيد وعمرو إذا أردت تفسير القوم، وأما دخول الواو هنا في هذه السورة؛ فلأن آل فرعون كانوا يعذبونهم بأنواع من العذاب غير التذبيح كالأعمال الشاقة والتذبيح أيضاً، فقوله: ﴿وَيَذِخُّونَ﴾ نوع آخر من العذاب، لا أنه تفسير للعذاب.

﴿وَفِي ذَلِكُمْ﴾ المذكور من أفعالهم الفظيعة ﴿بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾؛ أي: محنة عظيمة لا تطاق واقعة من ربكم. فإن قلت: كيف يكون فعل آل فرعون بلاء من ربهم؟

قلت: تمكينهم وإمهالهم حتى فعلوا بهم ما فعلوا بلاء من الله تعالى واختبار منه، ويجوز أن تكون الإشارة إلى الإنجاء، والمراد بالبلاء حينئذ: النعمة؛ لأن الابتلاء كما يكون بالنقمة يكون بالنعمة، كما قال: ﴿وَيَلْوَنُهُمْ بِالْمَسْئَاتِ وَالنِّعَاتِ

(١) روح البيان.

(٢) الخازن.

لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ». وقال: ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ والمعنى حينئذ: وفي ذلكم الإنجاء نعمة عظيمة واقعة لكم من ربكم. وقرأ ابن محيصة<sup>(١)</sup>: ﴿ويذبحون﴾ بالتحفيف مضارع ذبح الثلاثي. وقرأ زيد بن علي كذلك إلا أنه حذف الواو.

وقوله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾ من كلام موسى معطوف على ﴿نِعْمَةَ اللَّهِ﴾؛ أي: واذكر يا محمد لقومك قصة إذ قال موسى لقومه: تذكروا إنعام الله عليكم، واذكروا يا بني إسرائيل حين آذنتكم ربكم وأعلمكم بوعدته إعلاماً بليغاً، فقال: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾؛ أي: وعزتي وجلالي لئن شكرتم ما خولتكم من نعمة الإنجاء وغيرها من النعم بالإيمان الخالص والعمل الصالح بطاعتي فيما أمركم به وأنهاكم عنه.. لأزيدنكم من نعمي عليكم نعمةً إلى نعمة، ولأضاعفن لكم ما آتيتكم. قيل: شكر الموجود صيد المفقود. وقيل: لئن شكرتم بالطاعة لأزيدنكم في الثواب. وأصل الشكر<sup>(٢)</sup>: تصور النعمة وإظهارها، وحقيقته الاعتراف بنعمة المنعم مع تعظيمه، وتوطين النفس على هذه الطريقة.

وقد دلت التجارب أن العضو الذي يناط به عمل، كلما مرن عليه ازداد قوة<sup>(٣)</sup>، وإذا عطل عن العمل ضمير وضعف، وهكذا النعم إن استعملت فيما خلقت له بقيت، وإن أهملت ذهبت.

أخرج البخاري في «تاريخه»: والضياء في «المختارة»: عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من ألهم خمسة لم يحرم خمسة» وفيها «من ألهم الشكر لم يحرم الزيادة».

والخلاصة: أن من شكر الله على ما رزقه.. وسع عليه في رزقه، ومن شكره على ما أقدره عليه من طاعته.. زاد في طاعته، ومن شكره على ما أنعم عليه من صحة.. زاده الله صحة إلى نحو أولئك من النعم. ﴿وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ﴾ نعمي وجحدتموها، فلم تقوموا بواجب حقها عليكم من شكر المنعم بها،

(٣) المراغي.

(١) البحر المحيط.

(٢) الخازن.

وقابلتموها بالنسيان والكفران، والجواب محذوف تقديره: لأعذبكم على ذلك الكفران، ويكون قوله: ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ تعليلاً للجواب المحذوف، وإنما<sup>(١)</sup> حذف الجواب هنا وصرح به في جانب الوعد؛ لأن من عادة الكرام التصريح بالوعد والتعريض بالوعيد، فما ظنك بأكرم الأكرمين حيث لم يقل: إن عذابي لكم؛ أي: إن عذابي لشديد بحرمانكم منها، وسلبكم ثمراتها في الدنيا والآخرة، فتعذبون في الدنيا بزوالها، وفي الآخرة بعذاب لا قبل لكم به. وفي الحديث: «إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه».

ثم بين سبحانه وتعالى أن منافع الشكران ومضار الكفران لا تعود إلا إلى الشاكر أو الكافر بتلك النعم، أما المعبود المشكور فهو متعالٍ عن أن ينتفع بالشكر، أو يضره الكفر، فلا جرم قال: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرًا﴾ نعمه تعالى ولم تشكروها ﴿أَنْتُمْ﴾ يا بني إسرائيل ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ من الثقلين ﴿جَمِيعًا﴾ حال من المعطوف والمعطوف عليه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾ سبحانه وتعالى تعليلاً للجواب المحذوف؛ أي: إن تكفروا لم يرجع وباله إلا عليكم، فإن الله تعالى ﴿لَغَنِيٌّ﴾ عن شكركم وشكر غيركم ﴿حَمِيدٌ﴾؛ أي: محمود في ذاته وصفاته وأفعاله لا تفاوت له بإيمان أحد ولا كفره، وإن لم يحمده أحد، بل كل ذرة من ذرات العالم ناطقة بحمده.

والمعنى<sup>(٢)</sup>: أي وإن تجحدوا نعمة الله التي أنعمها عليكم ويفعل مثل فعلكم من في الأرض جميعاً، فما أضررتكم بالكفر إلا أنفسكم إذ حرمتموها من مزيد الإنعام، وعرضتموها للعذاب الشديد، وإن الله غني عن شكركم وشكر غيركم، وهو المحمود وإن كفر به من كفر، وهذا كقوله: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ﴾.. الآية، وقوله: ﴿فَكْفُرُوا وَتَوَلَّوْا وَأَسْتَفْتَىٰ اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.

وقد يكون موسى قال هذه المقالة حين عاين منهم دلائل العناد ومخايل الإصرار على الكفر والفساد، وتيقن أنه لا ينفعهم الترغيب، ولا التعريض

(٢) المراغي.

(١) البيضاوي.

بالترهيب. وفي خطابه لهم تحقير لشأنهم، وتعظيم لله تعالى، وكذلك في ذكر هاتين الصفتين. وقرأ ابن مسعود: ﴿وَإِذ قَالَ رَبُّكُمْ﴾ كأنه فسر قوله: تأذن؛ لأنه بمعنى: أذن؛ أي: أعلم، وأعلم يكون بالقول.

والاستفهام في قوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ للتقرير المضمن للتوبيخ، والخطاب فيه يحتمل أن يكون من موسى لقومه تذكيراً لهم بالقرون الأولى وأخبارهم ومجيء رسل الله إليهم، ويحتمل أنه ابتداء خطاب من الله سبحانه لقوم محمد ﷺ تحذيراً لهم عن مخالفته، والنبأ: الخبر العظيم الشأن. وقوله: ﴿قَوْمِ نُوحٍ﴾ بدل من الموصول، أو عطف بيان منه ﴿وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ معطوفات على ﴿قَوْمِ نُوحٍ﴾؛ أي: ألم يأتكم يا بني إسرائيل، بل أتاكم أخبار الأمم الذين من قبلكم؛ أي: ألم يأتكم خبر قوم نوح أغرقوا بالطوفان حيث كفروا ولم يشكروا نعم الله، وخبر عاد قوم هود أهلكوا بالريح الصرصر، وخبر ثمود قوم صالح أهلكوا بالصيحة، وخبر الذين من بعدهم؛ أي: من بعد هؤلاء المذكورين من قوم إبراهيم وأصحاب مدين، والمؤتفكات وغير ذلك. وجملة قوله: ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ معترضة بين المفسر بفتح السين: وهو ﴿نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ وتفسيره: وهو ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ﴾، أو حال من ﴿الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾، أو من الضمير المستكن في ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾؛ لوقوعه صلة؛ أي: حالة كون تلك الأمم لا يعلم عددهم لكثرتهم، ولا يحيط بذواتهم وصفاتهم وأسمائهم وسائر ما يتعلق بهم إلا الله سبحانه وتعالى، فإنه انقطعت أخبارهم وعفت آثارهم.

وكان مالك بن أنس يكره أن ينسب الإنسان نفسه أباً أباً إلى آدم<sup>(١)</sup>، وكذا في حق النبي عليه السلام؛ لأن أولئك الآباء لا يعلمهم أحد إلا الله، وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية قال: كذب النسابون، يعني: أنهم يدعون علم الأنساب، وقد نفى الله علمها عن العباد. وجملة قوله: ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ مستأنفة مسوقة لبيان النبأ المذكور في قوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ كأنه<sup>(٢)</sup> قيل: وما

(٣) الفتوحات.

(١) البحر المحيط.

(٢) روح البيان.



خبرهم؛ أي: ما قصتهم وما شأنهم، فقال: ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ﴾؛ أي: جاءت تلك الأمم المذكورة رسلهم بالمعجزات الظاهرة والبيّنات الباهرة، وبين كل رسول لأمة طريق الحق ودعاهم إليه؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ﴾؛ أي: جعلت الأمم أيدي أنفسهم ﴿فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ ليعضوها غيظاً مما جاءت به الرسل؛ لنفرتهم عن استماع كلامهم؛ إذ سفّهوا أحلامهم وشتّموا أصنامهم، وقد فعلت العرب مثل ذلك مع النبي ﷺ، كما قال سبحانه: ﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾، أو المعنى<sup>(١)</sup>: وضعوا أيديهم على أفواههم مشيرين إلى الرسل؛ أي: كفوا عن هذا الكلام واسكتوا. وقال أبو عبيدة والأخفش<sup>(٢)</sup>: وَنَعَمًا قالوا: «هو مثل»، والمراد: أنهم لم يؤمنوا ولم يجيبوا، والعرب تقول للرجل إذا أمسك عن الجواب وسكت: قد رد يده في فيه.

﴿وَقَالُوا﴾؛ أي: قال الكفار للرسل: ﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ من البيّنات على زعمكم؛ أي: إنا كفرنا بما زعمتم أن الله تعالى أرسلكم به من البيّنات التي أظهرتموها حجة على صحة رسالتكم، وإنما يقصدون من الكفر بها الكفر بدلالاتها على صدق رسالتهم ﴿وَإِنَّا لَنَافِي شَكٍّ﴾؛ أي: وإننا لكائنون في شك عظيم ﴿يَمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ﴾؛ أي: في حقيقة ما تدعوننا إليه من الإيمان بالله وحده وترك ما سواه، وجملة ما جئتم به من الشرائع. ﴿مُرِيبٍ﴾؛ أي: موجب للريب والقلق والاضطراب وعدم طمأنينة النفس، ف﴿مُرِيبٍ﴾ صفة توكيدية.

وخلاصة مقالهم: أنهم جاحدون نبوتهم قاطعون بعدم صحتها، لأن ما جاؤوا به من التعاليم والشرائع مما يشك في صدقه، وأن الله سبحانه يدعو إلى مثله.

فإن قلت<sup>(٣)</sup>: إنهم قالوا: إنا كفرنا بما أرسلتم، فكيف يقولون ثانياً: وإنا لفي شك، والشك دون الكفر، أو داخل فيه؟

قلت: إنهم لما صرحوا بكفرهم بالرسل، فكأنهم حصل لهم شبهة توجب

(٣) الخازن.

(١) المراح.

(٢) المراعي.

لهم الشك، فقالوا: إن لم ندع الجزم في كفرنا، فلا أقل من أن نكون شاكين مرتابين في ذلك.

أو يقال في الجواب<sup>(١)</sup>: إنهم كانوا فرقتين: إحداهما جزمت بالكفر، والأخرى شكّت، أو يقال: المراد بقولهم إنا كفرنا بما أرسلتم به؛ أي: المعجزات والبيّنات، وقولهم: مما تدعوننا إليه: الإيمان والتوحيد.

وحاصله: أن كفرهم بالمعجزات وشكهم في التوحيد، فلا تخالف. ١ هـ. شيخنا.

وقرأ طلحة<sup>(٢)</sup>: ﴿مما تدعوننا﴾ بإدغام نون الرفع في الضمير، كما تدغم في نون الوقاية في مثل ﴿أَتَحْجُبُنِي﴾. فردت الرسل عليهم منكبين متعجبين من تلك المقالة الحمقاء، كما أشار إلى ذلك سبحانه بقوله: ﴿قَالَتْ﴾ لهم ﴿رُسُلُهُمْ أَفِي﴾ وجود ﴿اللَّهِ﴾ سبحانه وتعالى ووجدانيته ﴿شَكٌّ﴾ وريب، وكيف يتصور ذلك لا شك في وجوده ووجدانيته؛ لأن الفطرة شاهدة بوجوده ومجبولة على الإقرار به، فالاعتراف به ضروري لدى كل ذي رأي حصيف كما جاء في الحديث: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه». وهذه الجملة مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: فماذا قالت لهم الرسل؟ والاستفهام فيه للإنكار المضمن للتوبيخ والتقريع؛ أي: أفي وجدانيته سبحانه شك، وهي في غاية الوضوح والجلاء، ولكن قد يعرض لبعضها شك واضطراب، فتحتاج إلى النظر في الأدلة الموصلة إلى ذلك، ومن ثم ذكرت الرسل بعد إنكارهم على الكفار ما يؤكد ذلك الإنكار من الشواهد الدالة على عدم الشك في وجوده سبحانه وتعالى ووجدانيته، فقالوا: ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ أي: خالقهما ومخترعهما ومبدعهما وموجدتهما بعد العدم؛ أي: هو سبحانه الذي خلقهما وأبدعهما على غير مثال سابق، ودلائل الحدوث ظاهرة عليهما، فلا بدّ لهما من صانع وهو الله الذي لا إله إلا هو خالق كل شيء وإلهه

(٢) البحر المحيط.

(١) الفتوحات.

ومليكه، وقد جاء هذا الوصف في محاورات الأنبياء جميعاً، وهو نفس الوصف الذي جاء في أول السورة على لسان نبينا ﷺ، ومن هذا يعلم أن كل نبي جعل مطمح نظره توجه النفوس إلى علوم السماوات والأرض. وقرأ زيد بن علي<sup>(١)</sup>: ﴿فَاطِرٌ﴾ نصباً على المدح. ولما أقاموا الدليل على وجوده وصفوه بكمال الرحمة بقولهم: ﴿يَدْعُوكُمْ﴾ سبحانه وتعالى إلى الإيمان به وتوحيده بإرساله إيانا لنخرجكم من ظلمات الوثنية إلى نور الوحدانية وإخلاص العبادة له، وهو الواحد القهار ﴿لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ﴾؛ أي: ليغفر لكم ذنوبكم إذا آمنتم وصدقتم. فحرف ﴿مِّنْ﴾ صلة، وقيل: إنها ليست صلة، بل هي تبعية؛ أي: يدعوكم إلى الإيمان؛ لمغفرة بعض ذنوبكم، وهي الذنوب التي بينكم وبين ربكم من الكفر والمعاصي، لا المظالم وحقوق العباد.

والمتبع لأسلوب الكتاب الكريم<sup>(٢)</sup>، يرى أن كل موضع ذكر فيه مغفرة الذنوب للكافرين جاء بلفظ ﴿مِّنْ﴾، كقوله: ﴿وَأَنْقُوهُ وَأَطِيعُوهُ﴾ (٣) ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ﴾، وقوله: ﴿يَقَوْمًا أَجِبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ﴾؛ لأنه يخاطبهم في أمر الإيمان وحده.

وفي المواضع التي يذكر فيها مغفرة الذنوب للمؤمنين تجيء بدون ذكر ﴿مِّنْ﴾، كقوله: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾؛ لأن المغفرة منصرفة إلى المعاصي ومتوجهة إليها. ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ﴾؛ أي: يؤخر موتكم ﴿إِلَّا أَجَلٍ مُّسَكًّى﴾؛ أي: إلى وقت معين عند الله تعالى؛ أي: إلى وقت سماه الله وجعله منتهى أعماركم إن أنتم آمنتم به، وإلا عاجلكم بالهلاك وعذاب الاستئصال جزاء كفرانكم بدعوة الرسل إلى التوحيد، وإخلاص العبادة للواحد القهار.

ثم حكى الله سبحانه رد الأمم على مقالة الرسل، وهو يتضمن ثلاثة أشياء:

١ - ﴿قَالُوا﴾؛ أي: قالت الأمم مجيبين للرسول ﴿إِن أَنْتُمْ﴾؛ أي: ما أنتم

(١) البحر المحيط.

(٢) المراغي.

في الصورة والهيئات ﴿إِلَّا بَشَرٌ﴾ آدميون ﴿وَتَلْنَا﴾ تأكلون وتشربون كما نأكل ونشرب، فلا فضل لكم علينا، فلم خصصتم بالنبوة وأطلعكم الله على الغيب، وجعلكم مخالطين لزمرة الملائكة دوننا إلى أنه لو كان الأمر كما تدعون.. لوجب أن تخالفونا في الحاجة إلى الأكل والشرب وقربان النساء وما شاكل ذلك، ولو شاء الله أن يرسل إلى البشر رسلاً.. لأرسل من جنس أفضل منهم، وهم الملائكة على زعمهم من حيث عدم التدنس بالشهوات وما يتبعها.

٢ - ﴿تُرِيدُونَ﴾ أيها المدعون بالرسالة ﴿أَنْ تَصَلُّوْنَا﴾؛ أي: أن تصرفونا بتخصيص العبادة بالله ﴿عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾؛ أي: عن عبادة ما استمر آباؤنا على عبادته؛ وهو الأصنام من غير شيء يوجبه ولا حجة لكم على ما تدعون، وليس من حصافة العقل أن تترك أمراً قبل أن يقوم الدليل على خطئه. وقرأ طلحة شاذاً<sup>(١)</sup>: ﴿أَنْ تَصَدُّوْنَا﴾ بتشديد النون جعل أن هي المخففة من الثقيلة، وقدر فصلاً بينها وبين الفعل، وكان الأصل أنه تصدوننا، فأدغم نون الرفع في الضمير، والأولى أن تكون أن الثنائية التي تنصب المضارع، ولكنه هنا لم يعملها، بل ألغاهما كما ألغاهما من قرأ شذوذاً أيضاً: ﴿لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ برفع ﴿يتم﴾ حملاً على ﴿ما﴾ المصدرية أختها.

﴿فَأَتُونَا﴾؛ أي: إن لم يكن<sup>(٢)</sup> الأمر كما قلنا، بل كنتم رسلاً من جهة الله كما تدعونه فأتونا ﴿بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ﴾؛ أي: ببرهان ظاهر وحجة واضحة تدل على صدقكم وفضلكم، واستحقاقكم لتلك الرتبة حتى نترك ما لم نزل نعبده أباً عن جد، كأنهم لم يعتبروا ما جاءت به رسلم من الحجج والبيانات، واقترحوا عليهم آية أخرى تعتناً ولجاجاً.

فكأنهم قالوا: أما ذكر السماوات والأرض وعجائبيهما<sup>(٣)</sup>، فلسنا نحفل بهما، والعجائب الأرضية والسماوية لا نعقلها، والبشر لا يخضعون إلا لمن يأتي

(٣) المراغي.

(١) البحر المحيط.

(٢) روح البيان.

لهم بما هو خارج عن طور معتادهم، وحينئذ يعظمونه ويبجلونه، وهذه المشاهدات لا نرى فيها شيئاً خارقاً للعادة، وإذاً فلا إيمان ولا تسليم إلا بما هو فوق طاقتنا كقلب العصا حية، ونقل الجبال وما أشبه ذلك.

وبعد أن حكى عن الكفار شبهاتهم في الطعن في النبوة.. حكى عن الأنبياء جوابهم عنها، فأجابوا عن الأولى والثانية بالتسليم، لكن التماثل لا يمنع من اختصاص بعض البشر بمنصب النبوة؛ لأن هذا منصب يمنُّ الله به على من يشاء من عباده، كما لا يمنع من أن يخص بعض عباده بالتميز بين الحق والباطل، والصدق والكذب، وأن يحرم الجمع العظيم منه، وهذا ما أشار إليه بقوله: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ﴾ زاد<sup>(١)</sup> لفظ ﴿لَهُمْ﴾ هنا لاختصاص الكلام بهم حيث أريد إلزامهم بخلاف ما سلف من إنكار وقوع الشك في الله، فإن ذلك عام، وإن اختص بهم ما يعقبه؛ أي: قالوا لهم معترفين بالبشرية ومشيرين إلى منة الله عليهم ﴿إِنْ نَحْنُ﴾؛ أي: ما نحن ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾؛ أي: إلا آدميون مثلكم كما تقولون لا ننكره ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ﴾ سبحانه وتعالى ﴿يُمُنُّ﴾؛ أي: يتفضل بالنبوة والوحي ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ ويصطفي من يشاء منهم لهذا المنصب العظيم الشريف. وفيه<sup>(٢)</sup> دلالة على أن النبوة عطائية كالسلطنة، لا كسبية كالولاية والوزارة.

وأجابوا عن الشبهة الثالثة بأن ما جئنا به حجة قاطعة وبينة ظاهرة على صدق رسالتنا، وما اقترختموه من الآيات، فأمره إلى الله إن شاء أظهره، وهو زائد على قدر الكفاية، وذلك ما أومؤوا إليه بقولهم: ﴿وَمَا كَانَ﴾؛ أي: وما صح وما استقام ﴿لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَنٍ﴾؛ أي: بحجة من الحجج فضلاً عن السلطان المبين، ولا بشيء من الأشياء، ولا سبب من الأسباب ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ سبحانه وتعالى ومشيئته وإرادته، فإنه أمر يتعلق بمشيئة الله تعالى إن شاء كان، وإلا فلا، تلخيصه إنما نحن عبيد مربوبون، وليس ذلك في قدرتنا.

(١) روح البيان.

(٢) روح البيان.

والخلاصة<sup>(١)</sup>: أي وليس لنا مع ما خصنا الله به من النبوة وشرفنا به من الرسالة أن نأتيكم بآية وبرهان ومعجزة تدل على صدقنا إلا بإذن الله به لنا في ذلك. وبعد<sup>(٢)</sup> أن أجابهم الأنبياء عن شبهاتهم أخذ المشركون يخوفونهم ويتوعدونهم بالانتقام منهم وإيذائهم قدر ما يستطيعون، فقال لهم الأنبياء: إنا لا نخاف تهديدكم ولا وعيدكم، بل نتوكل على الله ونعتمد عليه، ولا نقيم لما تقولون وزناً، ولا نأبه به، وهذا ما إشار إليه سبحانه بقوله حكاية عنهم: ﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾ سبحانه وتعالى وحده دون ما عداه مطلقاً ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ في دفع شرور أعدائهم عنهم، وفي الصبر على معاداتهم؛ أي: وحق المؤمنين أن لا يتوكلوا على غير الله تعالى، فلنتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم. وقرأ الحسن شذوذاً بكسر لام الأمر في قوله: ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ﴾ وهو الأصل ذكره في «البحر». وهذا أمر<sup>(٣)</sup> منهم للمؤمنين بالتوكل على الله دون ما عداه، وكان الرسل قصدوا بهذا الأمر للمؤمنين الأمر لهم أنفسهم قصداً أولاً، ولهذا قالوا: ﴿وَمَا لَنَا﴾؛ أي: وأي عذر ثبت لنا في ﴿أَلَّا تَتَوَكَّلَ﴾ ونعتمد ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ سبحانه وتعالى في دفع شروركم عنا ﴿وَقَدْ هَدَبْنَا سُبُلَنَا﴾؛ أي: والحال أنه تعالى أرشد كلا منا سبيله ومنهاجه الذي شرع له وأوجب عليه سلوكه في الدين، وهو موجب للتوكل عليه ومستدع له. وقرأ الجمهور: ﴿سُبُلَنَا﴾ بضم السين والباء وقرأ أبو عمرو بسكون الباء.

والمعنى: أي وكيف لا نتوكل على الله وقد هدانا إلى سبيل المعرفة، وأوجب علينا سلوك طريقها، وأرشدنا إلى طريق النجاة، ومن أنعم الله عليه بنعمة فليشكره عليها بالعمل بها.

ولمَّا كانت أذية الكفار مما يوجب الاضطراب القادح في التوكل.. قالوا على سبيل التوكيد القسمي مظهرين لكمال العزيمة ﴿وَلَصَّبِرَنَّ﴾؛ أي: ونقسم لكم بالله تعالى لنصبرن ﴿عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا﴾ في أبداننا وأعراضنا، أو بالتكذيب، ورد الدعوة والإعراض عن الله والعناد واقتراح الآيات وغير ذلك مما لا خير فيه،

(٣) الشوكاني.

(١) الخازن.

(٢) المراغي.

وهو جواب قسم محذوف. والمعنى: أي: ولنصبرن على إيدائكم بالعناد واقتراح الآيات ونحو ذلك مما لا خير فيه، وندعوكم لعبادة الله وحده؛ ليكون ذلك منا شكراً على نعمة الهداية. ثم ختموا كلامهم بمدح التوكل، وبيان أن إيدائهم لا يشنيهم عن تبليغ رسالة ربهم، فقالوا: ﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾؛ أي: والتوكل على الله والاعتماد عليه، لا على غيره ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾؛ أي: فليثبت المتوكلون وليدوموا على التوكل عليه، وليحتملوا كل أذى في جهادهم، ولا يبالوا بما يصيبهم من أذى، ولا بما يلاقون من صعاب وعقبات. قال ابن الجوزي: وإنما نص هذا وأمثاله على نبينا ﷺ، ليقتدي بمن قبله في الصبر، وليعلم ما جرى لهم. اهـ. ومن عنده<sup>(١)</sup> مال أو علم فلينتفع به الناس، وليكن كالنهر يسقي الزرع، والشمس تضيء العباد، وليصبر على أذى الناس كما صبر الأنبياء وأوذوا، فالهداة ما خلقوا إلا ليعملوا، فهم هداة بطباعهم، ولذاتهم في قلوبهم، ومنهم تنتقل إلى الناس.

فإن قلت<sup>(٢)</sup>: كيف كرر الأمر بالتوكل، وهل من فرق بين التوكلين؟

قلت: نعم، التوكل الأول فيه إشارة إلى استحداث التوكل، والتوكل الثاني فيه إشارة إلى السعي في الثبوت على ما استحدثوا من توكلهم وإبقائه وإدامته، فحصل الفرق بين التوكلين.

والمعنى<sup>(٣)</sup>: فليثبت المتوكلون على ما أحدثوه من التوكل المسبب عن الإيمان، فالأول لإحداث التوكل، والثاني للثبات عليه، فلا تكرار. وقيل معنى الأول: إن الذين يطلبون المعجزات يجب عليهم أن يتوكلوا في حصولها على الله سبحانه لا علينا، فإن شاء سبحانه أظهرها، وإن شاء لم يظهرها، ومعنى الثاني: إبداء التوكل على الله في دفع شر الكفار وسفاهتهم. اهـ. «شوكاني».

والتوكل تفويض الأمر إلى من يملك الأمور كلها، وقالوا: المتوكل من إن

(٣) روح البيان.

(١) المراغي.

(٢) الخازن.

دهمه أمر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية، فعلى هذا إذا وقع الإنسان من شدة، ثم سأل غيره خلاصه لم يخرج عن حدّ التوكل؛ لأنه لم يحاول دفع ما نزل به عن نفسه بمعصية الله تعالى.

فائدة: ومن لطائف هذه الآية الكريمة<sup>(١)</sup>: ما روى المستغفري عن أبي ذر رفعه «إذا أذاك البرغوث فخذ قدحاً من ماء، واقرأ عليه سبع مرات: ﴿وَمَا لَنَا إِلَّا نَوَكُّ عَلَىٰ آلِهَةِ...﴾ الآية، ثم قل: إن كنتم مؤمنين فكفوا شركم وأذاكم عنا سبع مرات على الماء، ثم رشه حول فراشك، فإنك تبيت آمناً من شرهم». وقال بعضهم: إن مما أخذ الله على الكلب إذا قرىء عليه: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَسِيطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَيْدِ﴾ لم يؤذ، ومما أخذ الله على العقرب أنه إذا قرىء عليها: ﴿سَلَّمَ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ لم تؤذ، وكذلك الحية.

## الإعراب

﴿الرَّ كِتَبٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾.

﴿الرَّ﴾: على القول بأنه اسم للسورة: إما مبتدأ خبره محذوف تقديره: الر هذا محله، أو خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هذا الر، أو مفعول لفعل محذوف تقديره: إقرأ الر، أو مفعول لاسم فعل محذوف تقديره: هاك الر؛ لأنه من قبيل أسماء التراجم، وإن قلنا: إنه من قبيل الأعداد المسرودة فلا محل له من الإعراب. ﴿كِتَبٌ﴾: خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هذا القرآن الذي أنزل عليك يا محمد كتاب أنزلناه إليك، والجملة مستأنفة. ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول. ﴿إِلَيْكَ﴾: متعلق به، والجملة في محل الرفع صفة لـ ﴿كِتَبٌ﴾. ﴿لِتُخْرِجَ﴾: (اللام): حرف جر وتعليل. ﴿تُخْرِجَ النَّاسَ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة الفعلية في تأويل مصدر مجرور باللام تقديره:

(١) روح البيان.



لإخراجك الناس به، الجار والمجرور متعلق بـ ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾. ﴿مِنْ الظُّلُمَاتِ﴾: متعلق بـ ﴿تَخْرُجُ﴾، وكذا قوله: ﴿إِلَى التُّورِ﴾: متعلق به ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾: جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَخْرُجُ﴾ أيضاً، أو متعلق بمحذوف حال من فاعل ﴿تَخْرُجُ﴾ تقديره: حالة كونك مأذوناً لك من ربهم. ﴿إِنِّي صَرِطُ الْعَزِيزِ﴾: جار ومجرور بدل من الجار والمجرور في قوله: ﴿إِلَى التُّورِ﴾. ﴿الْحَمِيدِ﴾: نعت لـ ﴿الْعَزِيزِ﴾.

﴿اللَّهُ الَّذِي لَمْ يَأْتِ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ شَدِيدٍ﴾ (٢).

﴿اللَّهُ﴾: بالجر: بدل من ﴿الْعَزِيزِ﴾ بدل كل من كل على القاعدة<sup>(١)</sup>: إن نعت المعرفة إذا تقدم على المنعوت يعرب بحسب العوامل، ويعرب المنعوت بدلاً، أو عطف بيان، والأصل: إلى صراط الله العزيز الحميد.. الخ، فالصفات ثلاثة تقدم منها ثنتان، وبقيت الثالثة مؤخره. اهـ. شيخنا. ﴿الَّذِي﴾: اسم موصول في محل الجر صفة للجلالة. ﴿لَمْ﴾: جار ومجرور خبر مقدم. ﴿مَا﴾: موصولة، أو موصوفة في محل الرفع مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية صلة الموصول. ﴿فِي السَّمَوَاتِ﴾: جار ومجرور صلة لـ ﴿مَا﴾، أو صفة لها. ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: معطوف على ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾. ﴿وَوَيْلٌ﴾: مبتدأ سوغ الابتداء به قصد الدعاء. ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾: خبره. ﴿مِنْ عَذَابِ شَدِيدٍ﴾: في موضع رفع صفة لـ ﴿وَيْلٌ﴾ بعد الخبر، وهو جائز، ولا يجوز<sup>(٢)</sup> أن يتعلق بـ ﴿وَيْلٌ﴾ من أجل الفصل بينهما بالخبر. وقال أبو السعود: ﴿مِنْ عَذَابِ شَدِيدٍ﴾ متعلق بـ ﴿وَيْلٌ﴾ على معنى يولون ويضجون منه قائلين: يا ويلاه كقوله: ﴿دَعَا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾. اهـ. كما مر، والجملة الاسمية جملة دعائية لا محل لها من الإعراب.

﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (٢).

(١) الفترحات.

(٢) العكبري.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول للجمع المذكور في محل<sup>(١)</sup> الجر صفة ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾، أو في محل نصب بإضمار أعني، أو في موضع رفع بإضمارهم. وفي «الفتوحات» قوله: أو في محل جر صفة، هذا الإعراب معترض<sup>(٢)</sup>، لما فيه من الفصل بين النعت والمنعوت بأجنبي، وهو قوله: ﴿مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ الذي هو بيان للمبتدأ الأجنبي من الخبر، وعلى هذا الإعراب يكون قوله: ﴿أُولَئِكَ...﴾ إلخ: مستأنفاً، والأولى أن يعرب ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ﴾ إلخ مبتدأ ويكون قوله: ﴿أُولَئِكَ...﴾ إلخ: خبره. اهـ. شيخنا. ﴿يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ﴾: فعل وفاعل ومفعول صلة الموصول. ﴿الَّذِينَ﴾: صفة لـ ﴿الْحَيَاةَ﴾. ﴿عَلَى الْآخِرَةِ﴾: متعلق بـ ﴿يَسْتَحِبُّونَ﴾. ﴿وَيَصُدُّونَ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿يَسْتَحِبُّونَ﴾. ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: متعلق به. ﴿وَبَغْوَتَهَا﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿يصدون﴾. ﴿عِوَجًا﴾: حال من ضمير المفعول، كما في «أبي البقاء». ﴿أُولَئِكَ﴾: مبتدأ. ﴿فِي ضَلَالٍ﴾: خبره. ﴿بِعِيدٍ﴾: صفة لـ ﴿ضَلَالٍ﴾، والجملة الاسمية مستأنفة.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ إِيضَاتٍ لَهُمْ﴾.

﴿وَمَا﴾: (الواو): استئنافية. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ﴾: فعل وفاعل ومفعول، و﴿مِنْ﴾: زائدة، والجملة مستأنفة. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه حال من ﴿رَّسُولٍ﴾؛ أي: إلا حالة كونه متكلماً بلغة قومه. ﴿إِيضَاتٍ﴾: (اللام): حرف جر وتعليل. ﴿يبيين﴾: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة. ﴿لَهُمْ﴾: متعلق به، وفاعله ضمير يعود على ﴿رَّسُولٍ﴾، والجملة الفعلية في تأويل مصدر مجرور باللام، والجار والمجرور متعلق بـ ﴿أَرْسَلْنَا﴾؛ أي: لتبيينه لهم.

﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

(١) أبو البقاء.

(٢) الفتوحات.

﴿فِيضِلُّ﴾ (الفاء): استثنائية. ﴿يُضِلُّ اللهُ مِنْ﴾: فعل وفاعل ومفعول،  
والجملة مستأنفة. ﴿يَشَاءُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿الله﴾،  
والجملة الفعلية صلة الموصول، والعائد محذوف تقديره: فيضل الله من يشاء  
إضلاله. وفي «الجمل» قوله: ﴿فِيضِلُّ اللهُ﴾ بالرفع هو استئناف<sup>(١)</sup> إخبار، ولا  
يجوز نصبه عطفاً على ﴿إِيْبَاتٍ﴾؛ لأن المعطوف كالمعطوف عليه في المعنى،  
والرسل أرسلت للبيان لا للإضلال. قال الزجاج: لو قرئ بنصبه على أن اللام  
لام العاقبة.. جاز. اهـ. «سمين». وجملة قوله: ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ معطوفة على  
جملة قوله: ﴿فِيضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ﴾. ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة  
مستأنفة. ﴿الْحَكِيمُ﴾: خبر ثان، أو صفة لـ ﴿الْعَزِيزِ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ  
وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ﴾: (الواو): استثنائية. (اللام): موطنه للقسم. ﴿قد﴾: حرف  
تحقيق. ﴿أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ﴾: فعل وفاعل ومفعول. ﴿بِآيَاتِنَا﴾: جار ومجرور حال  
من ﴿مُوسَىٰ﴾: أي حالة كونه متلبساً بآياتنا، والجملة الفعلية جواب للقسم  
المحذوف، وجملة القسم مستأنفة. ﴿أَنْ﴾ مصدرية. ﴿أَخْرِجْ﴾: فعل أمر في  
محل نصب بـ ﴿أَنْ﴾ المصدرية مبني على السكون، وفاعله ضمير يعود على  
﴿مُوسَىٰ﴾. ﴿قَوْمَكَ﴾: مفعول به. ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾: جاران ومجروران  
متعلقان بـ ﴿أَخْرِجْ﴾، والجملة الفعلية في تأويل مصدر مجرور بحرف جر  
محذوف تقديره: ولقد أرسلنا موسى بآياتنا بإخراج قومك من الظلمات، الجار  
والمجرور متعلق بـ ﴿أَرْسَلْنَا﴾، وهذه المقدرة للتعدية، والباء في بآياتنا للحال، فلا  
اتحاد في المعنى، ويجوز أن تكون ﴿أَنْ﴾ مفسرة؛ لأن الضابط موجود، وهو  
أن يتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه، و﴿أَرْسَلْنَا﴾ فيه معنى قلنا.  
﴿وَذَكِّرْهُمْ﴾: فعل ومفعول معطوف على ﴿أَخْرِجْ﴾، وفاعله ضمير يعود على  
﴿مُوسَىٰ﴾. ﴿بِآيَاتِنَا اللهُ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ ﴿ذكر﴾. ﴿إِنَّ﴾:

(١) الفتوحات.

حرف نصب وتوكيد. ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور خبرها مقدم على اسمها.  
 ﴿لَا يَنْتِ﴾: (اللام): حرف ابتداء. ﴿آيَاتِ﴾: اسمها مؤخر. ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾:  
 جار ومجرور ومضاف إليه صفة لـ ﴿آيَاتِ﴾. ﴿شُكْرٍ﴾: صفة ﴿صَبَّارٍ﴾: وجملة  
 ﴿أَنْتِ﴾: مستأنفة.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ مَالِ  
 فِرْعَوْنَ﴾.

﴿وَإِذْ﴾: (الواو) استثنافية. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان متعلق  
 بمحذوف تقديره: واذكر يا محمد لقومك قصة إذ قال موسى لقومه، والجملة  
 المحذوفة مستأنفة. ﴿قَالَ مُوسَىٰ﴾: فعل وفاعل. ﴿لِقَوْمِهِ﴾: متعلق به، والجملة  
 الفعلية في محل الجبر مضاف إليه لـ ﴿إِذْ﴾. ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ إلى  
 آخر الآية: مقول محكي لـ ﴿قَالَ﴾، وإن شئت قلت: ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾: فعل  
 وفاعل ومفعول. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: متعلق بـ ﴿نِعْمَةَ اللَّهِ﴾؛ لأنه بمعنى إنعام الله عليكم،  
 والجملة في محل النصب مقول القول. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى متعلق بـ ﴿نِعْمَةَ  
 اللَّهِ﴾ بالمعنى المذكور، أو بدل اشتغال منها كذلك اهـ «بيضاوي». ﴿أَنْجَاكُمْ﴾:  
 فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على ﴿اللَّهِ﴾، والجملة في محل الجبر مضاف  
 إليه لـ ﴿إِذْ﴾. ﴿مِنْ مَالِ فِرْعَوْنَ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ ﴿أَنْجَاكُمْ﴾.

﴿يَسْأَلُونَكَ سَوْءَ الْمَثَلِ يُدَيِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ  
 رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول أول. ﴿سَوْءَ الْمَثَلِ﴾: مفعول ثان،  
 والجملة الفعلية في محل النصب حال من ﴿مَالِ فِرْعَوْنَ﴾، أو حال من ضمير  
 المخاطبين. ﴿وَيُدَيِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول في محل النصب معطوف  
 على ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾: وكذا ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف أيضاً  
 على ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾. ﴿وَفِي ذَٰلِكُمْ﴾: جار ومجرور خبر مقدم. ﴿بَلَاءٌ﴾: مبتدأ  
 مؤخر. ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾: صفة أولى لـ ﴿بَلَاءٌ﴾. ﴿عَظِيمٌ﴾: صفة ثانية، والجملة  
 الاسمية مستأنفة.

﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رِبِّكُمْ لَمِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾

﴿٧﴾

﴿وَإِذْ﴾: (الواو): عاطفة. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان معطوف على ﴿بِعَمَلِ اللَّهِ﴾، والتقدير: واذكر إذ قال موسى لقومه: اذكروا نعمة الله عليكم، واذكروا إذ تأذن ربكم، أو معطوف على ﴿إِذْ أُنحِنَّاكُمْ﴾، تقديره: اذكروا نعمة الله عليكم حين أنجاكم وحين تأذن ربكم. ﴿تَأَذَّتْ رِبِّكُمْ﴾: فعل وفاعل في محل الجر مضاف إليه لـ ﴿إِذْ﴾. ﴿لَمِنْ﴾: (اللام): موطئة للقسم. ﴿لَئِنْ﴾: حرف شرط. ﴿شَكَرْتُمْ﴾: فعل وفاعل في محل الجزم بـ ﴿إِنْ﴾ الشرطية على كونها فعل شرط لها. ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾: (اللام): موطئة للقسم مؤكدة للأولى. ﴿أزيدنكم﴾: فعل مضارع ومفعول في محل الرفع؛ لتجرده عن الناصب والجازم مبني على الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة الفعلية جواب القسم لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم مع جوابه في محل النصب مقول لِقَوْلٍ مَحذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ، وَقَالَ: لَمَنْ شَكَرْتُمْ.. الخ، وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب القسم تقديره: إن شكرتم أزدكم، وجملة الشرط معترضة لاعتراضها بين القسم وجوابه لا محل لها من الإعراب. ﴿وَلَئِنْ﴾: (الواو): عاطفة. (اللام): موطئة للقسم. ﴿إِنْ﴾: حرف شرط. ﴿كَفَرْتُمْ﴾: فعل وفاعل في محل الجزم بـ ﴿إِنْ﴾ الشرطية على كونها فعل شرط لها، وجواب القسم محذوف دل عليه ما بعده تقديره: لأعذبنكم، وجملة القسم معطوفة على جملة القسم الأول على كونها مقولاً لِقَوْلٍ مَحذُوفٍ، وجواب الشرط محذوف أيضاً تقديره: إن كفرتم أعذبكم، وجملة الشرط معترضة أيضاً. ﴿إِنَّ عَذَابِي﴾: ناصب واسمه. ﴿لَشَدِيدٌ﴾: خبره، واللام: حرف ابتداء، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل الجواب المحذوف.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ حَمِيدٌ﴾ ﴿٨﴾  
﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿إِنَّ تَكْفُرًا﴾: إلى الآخر: مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿إِنَّ تَكْفُرًا﴾: جازم وفعل وفاعل. ﴿أَنْتُمْ﴾: تأكيد لضمير الفاعل؛ ليعطف عليه ما بعده. ﴿وَمَنْ﴾: اسم موصول في محل

الرفع معطوف على فاعل ﴿تَكْفُرُوا﴾. ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: جار ومجرور صلة الموصول. ﴿جَمِيعًا﴾: حال مؤكدة لكل من المعطوف والمعطوف عليه. ﴿فَإِن﴾: (الفاء): رابطة لجواب ﴿إِن﴾ الشرطية، ﴿إِن الله﴾: ناصب واسمه. ﴿لَعَنَ﴾: (اللام): حرف ابتداء، ﴿غني﴾: خبره. ﴿حَمِيدٌ﴾: صفة ﴿غني﴾، أو خبر بعد خبر، وجملة ﴿إِن﴾ في محل الجزم بـ﴿إِن﴾ الشرطية على كونها جواباً لها، وجملة ﴿إِن﴾ الشرطية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ ثُوْجٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿١﴾﴾.

﴿أَلَمْ﴾: (الهمزة): للاستفهام التقريري. ﴿لم﴾: حرف جزم. ﴿يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ﴾: فعل ومفعول وفاعل ومضاف إليه مجزوم بـ﴿لم﴾، والجملة جملة إنشائية لا محل لها من الإعراب. ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه صلة الموصول. ﴿قَوْمِ ثُوْجٍ﴾: بدل من الموصول بدل تفصيل من مجمل. ﴿وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾: معطوفان على ﴿قَوْمِ ثُوْجٍ﴾. ﴿وَالَّذِينَ﴾: معطوف أيضاً على ﴿قَوْمِ ثُوْجٍ﴾. ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: جار ومجرور صلته. ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ﴾: فعل ومفعول. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿اللَّهُ﴾: فاعل، والجملة الفعلية في محل النصب حال من ﴿الَّذِينَ﴾، أو من الضمير المستكن في ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾؛ لوقوعه صلة. ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ﴾: فعل ومفعول وفاعل. ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾: حال من ﴿رُسُلُهُمْ﴾، والجملة الفعلية مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر كأنه قيل: وما خبرهم؟ أي: ما قصتهم وما شأنهم؟ فقيل: جاءتهم رسلهم.. إلخ، وهذه الجملة في المعنى تفسير لـ﴿نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾. ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿جَاءَتْهُمْ﴾. ﴿فِي أَعْيُنِهِمْ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿ردوا﴾. ﴿وَقَالُوا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿ردوا﴾. ﴿إِنَّا كَفَرْنَا﴾ إلى آخر الآية: مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿إِنَّا﴾: ناصب واسمه. ﴿كَفَرْنَا﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل الرفع خبر ﴿إِن﴾، وجملة ﴿إِن﴾: في محل النصب مقول قال. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿كَفَرْنَا﴾. ﴿أُرْسِلْتُمْ﴾: فعل ونائب فاعل.

﴿يَدِي﴾: متعلق به، والجملة صلة ل﴿مَا﴾، أو صفة لها. ﴿وَرَأَى﴾: ناصب واسمه.  
 ﴿لَفِي شَكِّ﴾: (اللام): حرف ابتداء. ﴿فِي شَكِّ﴾: جار ومجرور خبر ﴿إِنْ﴾،  
 وجملة ﴿إِنْ﴾: في محل النصب معطوفة على جملة ﴿إِنْ﴾ الأولى. ﴿يَمَّا﴾: جار  
 ومجرور متعلق ب﴿شَكِّ﴾. ﴿تَدْعُونَنَا﴾: فعل وفاعل ومفعول. ﴿إِلَيْهِ﴾: متعلق به،  
 والجملة صلة ل﴿مَا﴾، أو صفة لها. ﴿مُرِيبٌ﴾: صفة ل﴿شَكِّ﴾.

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَلَا لِلَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً كأنه قيل: فماذا  
 قالت لهم رسلهم؟ فأجيب بأنهم: قالوا.. الخ. ﴿أَلَا لِلَّهِ﴾: (الهمزة): للاستفهام  
 الإنكاري. ﴿فِي اللَّهِ﴾: جار ومجرور خبر مقدم. ﴿شَكٌّ﴾: مبتدأ مؤخر،  
 والجملة في محل النصب مقول قال. وفي «السمين»: يجوز في ﴿شَكٌّ﴾ وجهان:  
 أظهرهما: أنه فاعل بالجار قبله، وجاز ذلك لاعتماده على الاستفهام.

والثاني: أنه مبتدأ وخبره الجار والمجرور قبله، والأول أولى؛ لأنه يلزم  
 على الثاني الفصل بين الصفة والموصوف بأجنبي، وهو المبتدأ بخلاف الأول،  
 فإن الفاصل ليس أجنبياً؛ إذ هو فاعل، والفاعل كالجاء من رافعه. ﴿فَاطِرِ  
 السَّمَوَاتِ﴾: صفة للجلالة. ﴿وَالْأَرْضِ﴾: معطوف على ﴿السَّمَوَاتِ﴾.

﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِكُمُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ  
 إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَاتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿يَدْعُوكُمْ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة في محل  
 النصب حال من الجلالة. ﴿لِيَغْفِرَ﴾: (اللام): حرف جر وتعليل. ﴿يَغْفِرُ﴾: فعل  
 مضارع منصوب بأن مضمرة، وفاعله ضمير يعود على الله. ﴿لَكُمْ﴾: متعلق  
 به. ﴿مِنْ﴾: زائدة. ﴿ذُنُوبِكُمْ﴾: مفعول به، والجملة في تأويل مصدر مجرور  
 بلام التعليل تقديره: لغفرانه لكم ذنوبكم. ﴿وَيُخْرِكُمُ﴾: فعل ومفعول معطوف  
 على ﴿يَغْفِرَ لَكُمْ﴾، وفاعله ضمير يعود على الله. ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: متعلق  
 ب﴿يُخْرِكُمُ﴾. ﴿مُسَمًّى﴾: صفة ل﴿أَجَلٍ﴾. ﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة  
 مستأنفة. ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ إلى آخر الآية: مقول محكي، وإن شئت قلت:

﴿إِنْ﴾ : نافية. ﴿أَنْتُمْ﴾ : مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾ : أداة استثناء مفرغ. ﴿بَشْرٌ﴾ : خبر المبتدأ. ﴿مِثْلَنَا﴾ : صفة لـ ﴿بَشْرٌ﴾؛ لأنه بمعنى مماثل لنا، والإضافة فيه لا تفيد التعريف؛ لأنه من الأسماء المتوغلة، والجملة في محل نصب مقول لـ ﴿قَالُوا﴾. ﴿تُرِيدُونَ﴾ : فعل وفاعل والجملة صفة ثانية لـ ﴿بَشْرٌ﴾، أو مستأنفة. ﴿أَنْ﴾ : حرف نصب ومصدر. ﴿تَصُدُّوْنَ﴾ : فعل وفاعل ومفعول به منصوب بـ ﴿أَنْ﴾، وعلامة نصبه حذف النون: والجملة في تأويل مصدر منصوب على المفعولية تقديره: تريدون صدنا. ﴿عَمَّا﴾ : جار ومجرور متعلق بـ ﴿تصدون﴾. ﴿كَأَنَّ﴾ : زائدة. ﴿يَعْبُدُ آبَاءَهُمْ﴾ : فعل وفاعل والجملة صلة لـ ﴿مَا﴾ أو صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف تقديره: عما كان يعبده آباؤنا ﴿فَأَتُونَا﴾ : الفاء: رابطة لجواب شرط محذوف تقديره: إن كنتم رسلاً من عند الله كما تدعون. ﴿أَتُونَا﴾ : فعل وفاعل ومفعول في محل الجزم بيان الشرطية على كونها جواباً لها. ﴿سُلْطَنِينَ﴾ : متعلق به. ﴿مُيَبِّينَ﴾ : صفة لـ ﴿سلطان﴾، وجملة الشرط المحذوف في محل نصب مقول ﴿قَالُوا﴾.

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾.

﴿قَالَتْ﴾ : فعل ماضٍ. ﴿لَهُمْ﴾ : متعلق به. ﴿رُسُلُهُمْ﴾ : فاعل، والجملة مستأنفة. ﴿إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ إلى قوله ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ : مقول محكي لـ ﴿قَالَتْ﴾ : وإن شئت قلت: ﴿إِنْ﴾ : نافية. ﴿نَحْنُ﴾ : مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾ : أداة استثناء مفرغ. ﴿بَشْرٌ﴾ : خبر المبتدأ. ﴿مِثْلُكُمْ﴾ : صفة لـ ﴿بَشْرٌ﴾، والجملة الاسمية في محل نصب مقول ﴿قَالَتْ﴾. ﴿وَلَا يَكْفُرُ اللَّهُ﴾ (الواو): عاطفة. ﴿لَكِنْ﴾ : حرف نصب واستدراك. ﴿اللَّهُ﴾ : اسمها. ﴿يَمُنُّ﴾ : فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿اللَّهُ﴾. ﴿عَلَىٰ مَنْ﴾ : جار ومجرور متعلق به، وجملة ﴿يَمُنُّ﴾ : في محل الرفع خبر ﴿لَكِنْ﴾ وجملة ﴿لَكِنْ﴾ : في محل نصب معطوفة على الجملة التي قبلها على كونها مقول ﴿قَالَتْ﴾. ﴿يَشَاءُ﴾ : فعل مضارع، وفاعله ضمير على يعود على ﴿اللَّهُ﴾، والجملة صلة الموصول، والعائد محذوف تقديره: على من يشاء. ﴿وَمِنْ عِبَادِهِ﴾ : جار ومجرور حال من الضمير المحذوف.



﴿وَمَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ .

﴿وَمَا﴾ : (الواو) : عاطفة . ﴿مَا﴾ : نافية . ﴿كَانَتْ﴾ : فعل ماض ناقص .  
﴿لَنَا﴾ : جار ومجرور خبر ﴿كَانَتْ﴾ مقدم على اسمها . ﴿أَنْ نَأْتِيَكُمْ﴾ : ناصب وفعل ومفعول ، وفاعله ضمير يعود على الرسل . ﴿بِسُلْطَانٍ﴾ : متعلق به ، والجملة في تأويل مصدر مرفوع على كونه اسم ﴿كَانَتْ﴾ تقديره : وما كان الإتيان إياكم بسلطان كائناً لنا ، وجملة ﴿كَانَتْ﴾ معطوفة على ما قبلها على كونها مقول ﴿قَالَتْ﴾ . ﴿إِلَّا﴾ : أداة استثناء مفرغ . ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ : جار ومجرور ومضاف إليه حال من فاعل ﴿نَأْتِيَكُمْ﴾ تقديره : وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا حالة كوننا ملتبسين بإذن الله . ﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾ : جار ومجرور متعلق بما بعده . ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ﴾ (الفاء) : زائدة ، أو فاء الفصيحة ؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره : إذا عرفتم ما قلنا لكم ، وأردتم بيان ما هو الأصلح لكم . فنقول لكم ﴿لِيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ، (اللام) : لام الأمر . ﴿يَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ : فعل وفاعل مجزوم بلام الأمر ، والجملة الفعلية في محل النصب مقول لجواب إذا المقدر ، وجملة إذا المقدر في محل النصب مقول ﴿قَالَتْ﴾ .

﴿وَمَا لَنَا إِلَّا نَنُوكِلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ .

﴿وَمَا﴾ : (الواو) : عاطفة . ﴿مَا﴾ : استفهامية للاستفهام الإنكاري في محل الرفع مبتدأ . ﴿لَنَا﴾ : جار ومجرور خبره ، والجملة معطوفة على الجمل التي قبلها على كونها مقول ﴿قَالَتْ﴾ . ﴿إِلَّا﴾ : حرف نصب ومصدر . ﴿لَا﴾ : نافية . ﴿نَنُوكِلَ﴾ : فعل مضارع منصوب بـ ﴿أَنْ﴾ ، وفاعله ضمير يعود على الرسل . ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ : متعلق به ، والجملة الفعلية في تأويل مصدر مجرور بحرف جر محذوف تقديره : في عدم توكلنا على الله ، الجار والمجرور متعلق بالاستقرار الذي تعلق به الخبر . ﴿وَقَدْ﴾ : (الواو) : حالية . ﴿قَدْ﴾ : حرف تحقيق . ﴿هَدَانَا سُبُلَنَا﴾ : فعل ومفعولان ، وفاعله ضمير يعود على ﴿اللَّهِ﴾ ، والجملة في محل النصب حال من الجلالة ؛ أي : حالة كونه هادياً إيانا سبلنا . ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ﴾ : (الواو) : عاطفة . (اللام) : موثقة للقسم . ﴿نصبرن﴾ : فعل مضارع مبني على

الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وفاعله ضمير يعود على الرسل، والجمله الفعلية جواب القسم، وجمله القسم معطوفة على ما قبلها على كونها مقول ﴿قَالَتْ﴾. ﴿عَلَى﴾: حرف جر. ﴿مَا﴾: مصدرية. ﴿ءَأَذِيْتُمُونَا﴾: فعل وفاعل ومفعول والجمله الفعلية مع ﴿مَا﴾ المصدرية في تأويل مصدر مجرور بـ﴿عَلَى﴾ تقديره: على إيدائكم إيانا، الجار والمجرور متعلق بـ﴿نصبرن﴾. ﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾: جار ومجرور متعلق بما بعده. ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾: فعل وفاعل، و(الفاء): زائدة، و(اللام): لام الأمر، أو (الفاء): فاء الفصيحة، والجمله في محل نصب مقول ﴿قَالَتْ﴾.

### التصريف ومفردات اللغة

﴿أُظْلِمْتِ﴾ الضلالات، والنور: الهدى، فعبّر عن الجهل والكفر والضللال بالظلمات: وهي صيغة جمع، وعبّر عن الإيمان والهدى بالنور: وهو لفظ مفرد، وذلك يدل على أن طرق الكفر والجهل كثيرة، وأما طرق العلم والإيمان فليس إلا واحداً. ا هـ. «خازن».

﴿يَأْذِنُ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: بتيسيره وتوفيقه.

﴿الْعَزِيزِ﴾ الغالب الذي لا يغالب. ﴿الْحَمِيدِ﴾ المحمود المثنى عليه بحمده لنفسه أزلاً، وبحمد عباده له أبداً.

﴿وَوَيْلٌ﴾؛ أي: هلاك ودمار، والويل: نقيض الوأل؛ وهو؛ أي: الوأل: النجاة. ا هـ. «أبو السعود». وقوله: وهو نقيض الوأل بالهمز، وفي «المختار: الموثل الملجأ، وقد وأل إليه إذا لجأ، وبابه وعد، ووؤلاً بوزن وجود. ا هـ. ثم قال: والويل واد في جهنم، لو أرسلت فيه الجبال.. لا نعامت من حره. ا هـ. وقيل: الويل هنا بمعنى التأوه.

﴿يَسْتَحِجُّونَ﴾: من الاستحباب: وهو استفعال من المحبة، والمعنى: يختارون الحياة الدنيا.

﴿سَبِيلَ اللَّهِ﴾: دينه الذي ارتضاه لعباده. ﴿وَبِعَوْنِهَا عَوْجاً﴾؛ أي: يطلبون لها عوجاً؛ أي: زيغاً واعوجاجاً، والعوج.. بكسر العين في المعاني، ويفتحها في الأعيان.

﴿وَذَكَّرَهُمْ بِآيَاتِنَا﴾ وفي «القاموس»: وأيام الله نعمه، ويوم أيوم شديد وآخر يوم في الشهر. ا هـ. وفي «المختار»: وربما عبروا عن الشدة باليوم. ا هـ. ويقال: أيام الله وقائعه في الأمم السابقة، ويقال: فلان عالم بأيام العرب؛ أي: بحروبها وملاحمها.

﴿يَسُؤُونَكُمْ﴾؛ أي: يذيقونكم ويكلفونكم. وفي «بحر العلوم»: ﴿يَسُؤُونَكُمْ سَوْءَ الْعَذَابِ﴾ من سام السلعة إذا طلبها، والمعنى: يذيقونكم أو يبيغونكم شدة العذاب، ويريدونكم عليه، والسوء مصدر ساء يسوء: وهو اسم جامع للآفات كما في «التيان»، والمراد: جنس العذاب السيء، أو استعبادهم واستعمالهم في الأعمال الشاقة، والاستهانة بهم وغير ذلك مما لا يحصر.

﴿بَلَاءٌ﴾؛ أي: ابتلاء واختبار.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾؛ أي: آذن وأعلم، وتأذن بمعنى آذن، كوعد بمعنى أوعد، غير أنه أبلغ؛ لما في الفعل من التكلف والمبالغة. ا هـ. «بيضاوي».

﴿إِنَّا كَفَرْنَا﴾ إن مخففة من الثقيلة، وأدغمت نونها في نون نا الذي هو اسمها، ويصح أن تكون المشددة، فلما اتصلت بنون الضمير اجتمع ثلاثة أمثال، فحذفت واحدة منهن لتوالي الأمثال، والمحذوف إما الثانية من نوني إن المشددة، وإما نون الضمير، وكذا يقال في قوله: ﴿وَإِنَّا لَنِي سَلَى﴾.

﴿مِمَّا تَدْعُونَنَا﴾ فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو فاعل، فهو مسند لواو الجماعة، ونا مفعول به، وهذا بخلاف ما في سورة هود من قوله: ﴿مِمَّا تَدْعُونَا﴾ فإن ذلك مسند لمفرد: وهو ضمير صالح عليه السلام، فهو مرفوع بضممة مقدرة على الواو، منع من ظهورها الثقل، والفاعل ضمير يعود على صالح تقديره: أنت، ونا: مفعول به. ا هـ. شيخنا.

﴿مُرِيْبٍ﴾؛ أي: موقع في الريبة، وهي اضطراب النفس وعدم اطمئنانها بالأمر، يقال: أربته إذا فعلت أمراً أوجب ريباً وشكاً.

## البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات أنواعاً من البلاغة، وضروباً من الفصاحة والبيان  
والبديع:

فمنها: الاستعارة التصريحية في قوله: ﴿لِنُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾  
حيث استعار الظلمات للكفر والضلال بجامع عدم الاهتداء إلى المقصود،  
واستعار النور للهدى والإيمان بجامع الاهتداء إلى المقصود. وفي قوله: ﴿عَنْ  
سَبِيلِ اللَّهِ﴾ حيث استعار السبيل الذي هو محل المرور لدين الله بجامع الاهتداء  
إلى المقصود.

ومنها: المجاز في قوله: ﴿فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ حيث وصف الضلال بالبعد  
للمبالغة؛ لأن البعد من صفات الضال، فهو نظير قولهم جد جده، وداهية دهاية،  
ويجوز أن يكون المعنى: في ضلال ذي بعد، أو فيه بعد، فإن الضال قد يضل  
عن الطريق مكاناً قريباً، وقد يضل بعيداً، وفي جعل الضلال محيطاً بهم إحاطة  
الظرف بما فيه ما لا يخفى من المبالغة.

ومنها: جناس الاشتقاق في قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ﴾، وفي قوله:  
﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

ومنها: الطباق بين ﴿يضل﴾ و﴿يهدي﴾، وبين ﴿شَكَرْتَهُ﴾ و﴿كَفَرْتُمْ﴾.

ومنها: الالتفات في قوله: ﴿فِيضُلُّ اللَّهُ﴾؛ لأن فيه التفاتاً عن التكلم إلى  
الغيبة، فكان حق العبارة: فضل من نشاء.

ومنها: المجاز المرسل في قوله: ﴿وَذَكِّرْتُمْ بِآيَاتِنَا﴾؛ لأن المراد بأيام  
الله نعمه، ووجهه أن العرب تتجاوز بنسبة الحدث إلى الزمان مجازاً، فتضيفه إليه  
كقولهم: نهاره صائم، وليله قائم، ومكر الليل.

ومنها: الإضافة للتشريف في قوله: ﴿صِرَاطَ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾؛ لأن إضافة  
الصراط إلى العزيز؛ وهو الله على سبيل التعظيم له، والمراد به دين الإسلام، فإنه  
طريق موصل إلى الجنة والقربة والوصلة.

ومنها: المبالغة في قوله: ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾.

﴿وَمِنْهَا﴾: التخصيص بعد التعميم في قوله: ﴿وَيَذِيحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾؛ لأنه داخل في سوء العذاب.

ومنها: الاستعارة التصريحية التبعية؛ لأنه شبه ترك قتلهم بالإحياء بجامع الإبقاء في كل.

ومنها: الكناية في قوله: ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾؛ لأنها كناية عن تعذيبهم.

ومنها: استعمال اللفظ العام في المعنى الخاص في قوله: ﴿يَلِسَانَ قَوْمِهِ﴾؛ لأن لفظ اللسان يستعمل بمعنى العضو، وبمعنى اللغة، والمراد هنا هو المعنى الثاني؛ أي: بلغة قومه الذين هو منهم وبعث فيهم.

ومنها: الاستفهام التقريري في قوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾.

ومنها: الاستفهام الإنكاري في قوله: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾.

ومنها: الإظهار في مقام الإضمار في قوله: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ﴾؛ لأن مقتضى السياق أن يقال: قالوا لهم.

ومنها: الالتفات في قوله: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ﴾ عن الغيبة إلى التكلم كما في «الفتوحات».

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

\*\*\*

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَنَعُوذَنَّ فِي مَلِئْنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهَلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَن خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَاسْتَمْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيفُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِحِسَابٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الصَّلْدُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّىٰ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الصُّعْفَتَانِ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَدْنَا اللَّهَ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ سَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْمَعَقِ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلِمُوا أَنفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنْ كَفَرْتُمْ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأَدْخِلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ فِي حَيْثُ هُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾﴾ .

### المناسبة

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه لما ذكر<sup>(١)</sup> ما دار من الحوار والجدل بين

(١) المراغي.

الرسول وأقوامهم، وذكر الحجج التي أدلى بها الرسول، وقد كان فيها المقنع لمن أراد الله له الهداية والتوفيق، ومن كان له قلب يعي به الحكمة وفصل الخطاب.. ذكر هنا أنهم بعد أن أفحموا لم يجدوا وسيلة إلا استعمال القوة مع أنبيائهم كما هو دأب المحجوج المغلوب في الخصومة، فخيروا رسلهم بين أحد أمرين: إما الخروج من الديار، وإما العودة إلى الملة التي عليها الآباء والأجداد، فأوحى الله تعالى إلى أنبيائه أن العقاب لكم، وستدور عليهم الدائرة، وستحلون في ديارهم، وسيعذبون في الآخرة بنار جهنم، ويرون ألواناً من العذاب لا قبل لهم بها.

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ﴾... ﴿الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر<sup>(١)</sup> ما سيلاقيه الكافرون في هذا اليوم العصيب من سائر أنواع العذاب التي سلف وصفها.. بين هنا أن ما عملوه في الدنيا من صالح الأعمال لا يجديهم فتيلاً ولا قطميراً، فما أشبهه إذ ذاك برماد أطارته الريح في يوم عاصفٍ، فذهبت به في كل ناحية، فهم لا يجدون من أعمالهم فيه شيئاً، ثم بين أن ذلك اليوم أت لا ريب فيه، فإن من أنشأ السموات والأرض بلا معين ولا ظهير قادر على أن يفنيهم ويأتي بخلق سواهم، وليس ذلك بعزيز ولا بممتنع عليه.

قوله تعالى: ﴿وَيَرَوْا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر ما يلقاه الأشقياء في ذلك اليوم من العذاب، وذكر أن أعمالهم الطيبة التي كانت في الدنيا أحببت فلم تغن عنهم شيئاً.. ذكر هنا محاورةً بين الأتباع المستضعفين والرؤساء المتبوعين، وما يحدث في ذلك الوقت من الخجل لهم، ثم أردفها مناظرة وقعت بين الشيطان وأتباعه من الإنس، وبعد أن ذكر أحوال الأشقياء وبالغ في بيانها وتفصيلها شرح أحوال السعداء وما أعد لهم من الثواب العظيم والأجر الجزيل.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ...﴾ الآيات، مناسبة<sup>(٢)</sup> هذه الآية

(٢) البحر المحيط.

(١) المراغي.

لما قبلها: أنه لما ذكر محاوراة الأتباع لرؤسائهم الكفرة.. ذكر محاوراة الشيطان وأتباعه من الإنس، وذلك لاشتراك الرؤساء والشياطين في التلبس بالإضلال.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: لما<sup>(١)</sup> بين الله سبحانه وتعالى حال الأشقياء ومآل أمرهم، وما يلاقونه من الشدائد والأهوال في نار جهنم التي لا يجدون عنها محيصاً، وذكر أحوال السعداء وما ينالون من الفوز عند ربهم.. ضرب لذلك مثلاً يبين حال الفريقين، ويوضح الفرق بين الفئتين، وبه ألبس المعنويات لباس الحسيات؛ ليكون أوقع في النفس وأتم لدى العقل، والأمثال عند العرب هي المهيح السلوك والطريق المتبع لإيضاح المعاني إذا أريد تشبيتها لدى السامعين، والقرآن الكريم مليء بها، والسنة النبوية جرت على منهاجه، فكثيراً ما تتبع المسائل الهامة بضرب الأمثال لها؛ لتستقر في النفوس وتنقش في الصدور.

### التفسير وأوجه القراءة

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ أي: الغالون في الكفر ﴿رُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا﴾؛ أي: من مدينتنا وديارنا ﴿أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ عاد هنا بمعنى<sup>(٢)</sup>: صار، والظرف خبره؛ أي: لتصيرن داخلين في ملتنا، فإن الرسل لم يكونوا في ملتهم قط إلا أنهم لما لم يظهروا المخالفة لهم قبل الاصطفاء.. اعتقدوا أنهم على ملتهم، فقالوا ما قالوا على سبيل التوهم، أو بمعنى رجع، والظرف صلة، والخطاب لكل رسول ومن آمن به، فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد؛ أي: لتدخلن في ديننا وترجعن إلى ملتنا.

وفي «الخازن»: فإن قلت: هذا<sup>(٣)</sup> يوهم بظاهره أنهم كانوا على ملتهم في أول الأمر حتى يعودوا فيها؟

قلت: معاذ الله، ولكن العود هنا بمعنى الصيرورة، وهو كثير في كلام

(٣) الخازن.

(١) المراغي.

(٢) روح البيان.



العرب، وفيه وجه آخر: وهو أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل الرسالة لم يظهروا خلاف أممهم، فلما أرسلوا إليهم أظهروا مخالفتهم ودعواهم إلى الله، فقالوا لهم: لتعودن في ملتنا ظناً منهم أنهم كانوا على ملتهم، ثم خالفوهم، وإجماع الأمة على أن الرسل من أول الأمر إنما نشؤوا على التوحيد لا يعرفون غيره.

وهذا كله تسلية للنبي ﷺ؛ ليصبر على أذى المشركين كما صبر من قبله من الرسل عليهم الصلاة والسلام. والمعنى: أي<sup>(١)</sup>: وقال الذين كفروا بالله لرسولهم حين دعواهم إلى توحيدهم تعالى وترك عبادة الأصنام والأوثان: لنخرجنكم من بلادنا مطرودين منها إلا أن تعودوا في ديننا الذي نحن عليه من الآية، كما قال قوم شعيب له ولمن آمن به: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ بِشُعَيْبٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيِنًا﴾. . . الآية، وكما قال قوم لوط: ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ﴾. . . الآية. وقال إخباراً عن مشركي قريش: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٧٦).

وخلاصة هذا: ليكون أحد الأمرين لا محالة: إما إخراجكم، وإما صيرورتكم في ملتنا ملة الآباء والأجداد، وهي عبادة الآلهة والأوثان، وقد مكن لهم في ذلك أنهم كانوا كثرة، وكان أهل الحق قلة كما جرت بذلك العادة في كل زمان ومكان، فإن الظلمة يكونون متعاونين متعاضدين، ومن ثم استطاعوا أن يبرموا هذا الحكم بلا هوادة ولا رفق، كما هو شأن المعتز بقوته الذي لا يخشى اعتراضاً ولا خلافاً.

والأنبياء صلوات الله عليهم لم يكونوا في ملتهم، ولم يعبدوا الأصنام طيلة حياتهم، لكنهم لما نشؤوا بين ظهرانيهم، وكانوا من أهل تلك البلاد، ولم يظهروا في أول أمرهم مخالفة لهم. . . ظنوا أنهم كانوا على دينهم، أو يكون<sup>(٢)</sup> المعنى في عودهم إلى ملتهم: سكوتهم عنهم وكونهم أغفلاً عنهم لا يطالبونهم بالإيمان بالله وما جاءت به الرسل.

(٢) البحر المحيط.

(١) المراغي.

ولما تمادت الأمم في الكفر وتوعدوا الرسل بأخذهم بالشدة والإيقاع بهم.. أوحى الله إليهم بإهلاك من كفر بهم، ووعدهم بالنصر والغلب على أعدائهم، كما أشار إلى ذلك بقوله: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ﴾؛ أي: إلى الرسل ﴿رَبِّيهِمْ﴾؛ أي: مالك أمرهم عند تناهي كفر الكفرة بحيث انقطع الرجاء عن إيمانهم، وقال: ﴿لَتُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾؛ أي: المشركين، فإن الشرك لظلم عظيم فلا تخافوهم ﴿وَلَنَسْكَنَنَّكُمْ الْأَرْضَ﴾؛ أي: أرض الظالمين وديارهم ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾؛ أي: من<sup>(١)</sup> بعد إهلاكهم عقوبة لهم على قولهم: ﴿لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا﴾، وفي الحديث: «من آذى جاره ورثه الله داره». وقرأ أبو حيوه<sup>(٢)</sup>: ﴿لِيَهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ وَلِيَسْكَنَنَّكُمْ﴾ بياء الغيبة اعتباراً بقوله: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبَّهُمْ﴾ إذ لفظ لفظ الغائب، وجاء في قوله: ﴿وَلَنَسْكَنَنَّكُمْ﴾ بضمير الخطاب تشريراً لهم بالخطاب، ولم يأت بضمير الغيبة كما في قوله: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبَّهُمْ﴾ ولما أقسموا بهم على إخراج الرسل، والعودة في ملتهم.. أقسم تعالى على إهلاكهم، وأيُّ إخراج أعظم من الإهلاك بحيث لا يكون لهم عودة إليها أبداً، وأقسم أيضاً على إسكان الرسل ومن آمن بهم وذرياتهم أرض أولئك المقسمين على إخراج الرسل.

والمعنى<sup>(٣)</sup>: أي فأوحى الله تعالى إلى رسله قائلاً لهم: لنهلكن من تناهى في الظلم من المشركين، ولنسكننكم أرضهم وديارهم بعد إهلاكهم عقوبة لهم على قولهم: ﴿لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا﴾. وفي ذلك وعيد وتهديد للمشركين من قريش على كفرهم وجرائمهم على نبيه، وتثبيت وأمر له بالصبر على ما يلقي من المكروه، كما صبر من كان قبله من الرسل، وبيان بأن عاقبة من كفر به الهلاك، وعاقبته النصر عليهم، كما قال: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾، وقال: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَاتُنَا لِإِبَادِنَا الْمُتَرَسِّلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَلَئِنْ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾، وقال: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾.

﴿ذَلِكَ﴾ الإسكان ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾؛ أي<sup>(٤)</sup>: خاف مقامي بين يدي يوم

(٣) المراغي.

(١) روح البيان.

(٤) الخازن.

(٢) البحر المحيط.

القيامة، فأضاف قيام العبد إلى نفسه؛ لأن العرب قد تضيف أفعالها إلى أنفسها كقولهم: ندمت على ضربي إياك، وندمت على ضربك مثله. والخوف<sup>(١)</sup>: غم يلحق لتوقع المكروه؛ أي: ذلك المذكور من إهلاك الظالمين وإسكان المؤمنين ديارهم ثابت لمن خاف مقامي وموقفي، وهو موقف الحساب؛ لأنه موقف الله الذي يقف فيه عباده يوم القيامة ﴿وَخَافَ وَعَبِدَ﴾ بحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة؛ أي: وخاف وعيدي بالعذاب، وعقابي وعذابي الموعود للكفار على أن يكون الوعيد بمعنى الموعود، والمعنى: أن ذلك ثابت وحق لمن جمع بين الخوفين؛ أي: حق للمتقين كقوله: ﴿وَالْعَبِيدَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ وهذه الآية تدل على أن الخوف من الله غير الخوف من وعيده؛ لأن العطف يقتضي التباين. ا هـ. «كرخي».

والمعنى: أي<sup>(٢)</sup> هكذا أفعل بمن خاف مقامي بين يدي يوم القيامة، وخاف وعيدي، فأتقاني بطاعتي وتجنب سخطي، أنصره على من أراد سوءاً وبقي به مكروهاً من أعدائي، وأورثه أرضه ودياره، وأثبت الياء<sup>(٣)</sup> هنا وفي «ق» في موضعين: ﴿كُلُّ كَذَّبَ الرُّسُلَ حَقَّ وَعَبِدَ﴾، ﴿فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعَبِدَ﴾ وصلأ، وحذفها وقفاً ورش عن نافع، وحذفها الباقون وصلأ ووقفاً. ا هـ. «سمين».

ثم بين أن كلاً من الفريقين - الأمم والرسل - طلبوا المعونة والتأييد من ربهم، وإلى ذلك أشار بقوله: ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا﴾؛ أي: واستفتحت الرسل على أممها؛ أي: استنصرت الله عليها واستفتحت الأمم على أنفسها، كما قالوا: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا جِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اقْتِنَا بِعَذَابِ آيِسِرٍ﴾ فهو معطوف<sup>(٤)</sup> على ﴿فَأَوْحَى﴾. والضمير: إما للرسل؛ أي: استنصروا الله وسألوه الفتح والنصرة على أعدائهم، أو للكفار وذلك أنهم<sup>(٥)</sup> لما أيسوا من إيمان قومهم استنصروا الله ودعوا عليهم بالعذاب. ا هـ. «خازن». والعامه على أن يكون ﴿استفتحوا﴾ فعلاً ماضياً، وفي ضميره أقوال:

(٤) روح البيان.

(٥) الفتوحات.

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

(٣) الفتوحات.

أحدها: أنه عائد على الرسل الكرام، ومعنى الاستفتاح: الاستنصار، كقوله تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَفِيحُوا فَفَدِّجَاءُ كُمْ أَلْفَتْحٌ﴾ وقيل: طلب الحكم من الفناحة؛ أي: الحكم بين الخصمين.

الثاني: أن يعود على الكفار؛ أي: استفتح أمم الرسل عليهم، كقوله: ﴿فَأَمْطَرَ عَلَيْنَا حِجَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾. وقيل: عائد على الفريقين؛ لأن كلاً طلب النصر على صاحبه. وقيل: يعود على قریش؛ لأنهم في سني الجذب استمطروا فلم يمتطروا، وهو على هذا مستأنف، وأما على غيره من الأقوال، فهو عطف على قوله: ﴿فَأَرْحَىٰ إِلَيْهِمْ رُؤْيُهُمْ﴾. وقرأ ابن عباس ومجاهد وابن محيصن: ﴿واستفتحوا﴾ بكسر التاء الثانية على لفظ الأمر أمراً للرسل بطلب النصرة، وهي مقوية لعوده في المشهور على الرسل، والتقدير: قال لهم لنهلكن، وقال لهم استفتحوا. اهـ. «سمين».

ثم ذكر مآل المشركين وبين أن النصر للمتقين، فقال: ﴿وَوَخَّابَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾؛ أي: وهلك كل متكبر بجانب للحق منحرف عنه، فهو معطوف<sup>(١)</sup> على محذوف تقديره: واستفتحوا فنصروا عند استفتاحهم، وظفروا بما سألوا، وأفلحوا وخاب وخسر وهلك عند نزول العذاب قومهم الجبارون المعاندون، والجبار: المتكبر الذي لا يرى لأحد عليه حقاً، والعنيد: المعاند للحق والمجانب له.

وإنما قيل: ﴿وَوَخَّابَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ ذمّاً لهم وتسجيلاً عليهم بالتجبر والعناد، لا أن بعضهم ليسوا كذلك، وأنه لم تصبهم الخيبة. وقوله: ﴿مِنَ وَّرَائِهِمْ جَهَنَّمَ﴾ جملة في محل جر صفة لـ ﴿جَبَّارٍ﴾، ويجوز أن تكون الصفة وحدها الجار، و﴿جَهَنَّمَ﴾ فاعل به؛ أي: من وراء<sup>(٢)</sup> ذلك الجبار العنيد؛ أي: قدامه وأمامه جهنم؛ أي: هي له بالمرصاد تنتظره ليسكنها مخلداً فيها أبداً، ويعرض عليها في الدنيا غداً وعشياً إلى يوم التناد، وهذا<sup>(٣)</sup> وصف حال كل جبار عنيد،

(٣) روح البيان.

(١) روح البيان.

(٢) المراعي.

وهو في الدنيا؛ أي: بين يديه وقدامه جهنم، فإنه معد لجهنم واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث إليها في الآخرة، أو من وراء حياته وهو ما بعد الموت، فيكون وراء بمعنى خلف، كما قال الكاشفي. ثم بين شرابه فيها، فقال: ﴿وَسَقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَكِيدٍ﴾؛ أي: ليس له في النار شراب إلا ماء يخرج من جوفه، وقد خالطه القيح والدم، وخص بالذكر؛ لأنه ألم أنواع العذاب، فهو معطوف على مقدر جواباً عن سؤال سائل، كأنه قيل: فماذا يكون إذن؟ فقيل: يلقي فيها ويسقى ﴿مِنْ مَّاءٍ﴾ مخصوص لا كالمياه المعهودة. ﴿صَكِيدٍ﴾: هو القيح المختلط بالدم، أو ما يسيل من أجساد أهل النار وفروج الزناة، وهو عطف بيان لماء، أبهم أولاً ثم بين بالصديد تعظيماً وتهويلاً لأمره، وتخصيصه بالذكر من بين عذابها يدل على أنه من أشد أنواعه، أو صفة عند من لا يجيز عطف البيان في النكرات وهم البصريون، فإطلاق الماء عليه لكونه بدله في جهنم. وقيل<sup>(١)</sup>: صديد بمعنى مصدود عنه؛ أي: لكراهته يصد عنه، فيكون مأخوذاً من الصد بمعنى الإعراض.

ثم ذكر ألمه من ذلك الشراب، فقال: ﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾ استئناف بياني، كأنه قيل: فماذا يفعل به؟ فقيل: يتجرعه؛ أي: يتحساه ويشربه مرة بعد مرة لا بمرة واحدة، بل جرعة بعد جرعة لمرارته وحرارته وكراهته ونتنه ﴿وَلَا يَكَاذُ يُسِغُهُ﴾؛ أي: لا يقارب أن يسيغه ويبتلعه فضلاً عن الإساعة، بل يغص به ولا يقدر على ابتلاعه من شدة كراهته ورداءة طعمه ولونه وريحه وحرارته، كما قال: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾، وقال: ﴿وَلِإِنْ يَسْتَفِشُوا يَغَاثُوا يَمَاءً كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾.

وعن أبي أمامة<sup>(٢)</sup> - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَسَقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَكِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ﴾ قال: «يقرب إلى فيه فيكرهه، فإذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه، فإذا شربه قطع أمعاءه حتى تخرج من دبره،

(١) البحر المحيط.

(٢) الخازن.

قال: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾، وقال: ﴿وَإِنْ يَسْتَفِيضُوا يُقَاتُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهُ بِسُكِّ الشَّرَابِ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ أخرجه الترمذي، وقال: حديث غريب. قوله: «وقعت فروة رأسه»؛ أي: جلدة رأسه، وإنما شبهها بالفروة للشعر الذي عليها.

﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾؛ أي: وتأتيه<sup>(١)</sup> أسباب الموت من كل جهة من الجهات، أو من كل موضع من مواضع بدنه حتى من أصول شعره، وإبهام رجله. وقال الأخفش: المراد بالموت هنا البلايا التي تصيب الكافر في النار، سماها موتاً لشدها. ﴿وَمَا هُوَ بِحَيِّتٍ﴾؛ أي: والحال أنه ليس بميت حقيقة فيستريح. وقيل: تعلق نفسه في حنجرتة، فلا تخرج من فيه فيموت، ولا ترجع إلى مكانها من جوفه فيحيا، ومثله قوله تعالى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾.

والمعنى: أي وتحيط<sup>(٢)</sup> به أسبابه من الشدائد وأنواع العذاب من كل جهة من الجهات، من قدامه ومن خلفه، ومن فوقه ومن تحته، وعن يمينه وعن شماله في نار جهنم ليس منها نوع إلا يأتيه الموت منه لو كان يموت لكنه لا يموت كما قال تعالى: ﴿لَا يُفْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾.

ثم أكد شدائدتها وعظيم أهوالها فقال: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِ﴾؛ أي: ومن وراء ذلك الصديد؛ أي: من أمامه أو من بعده ﴿عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾؛ أي: عذاب شديد؛ أي: وله من بعد هذه الحال عذاب آخر غليظ؛ أي: مؤلم أغلظ من الذي قبله، وأمر لا يعرف كنهه؛ أي: يستقبل كل وقت عذاباً أشد وأشق مما كان قبله، كما قال تعالى: ﴿وَأَحْسَبُ الشِّمَالِ مَا أَحْسَبُ الشِّمَالِ ۖ فِي سَمُورٍ وَجَمِيرٍ ۖ وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُورٍ ۖ لَّا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ ۖ﴾ ففي قوله: ﴿عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ رفع ما يتوهم من الخفة بحسب الاعتياد، كما في عذاب الدنيا. وقيل: الضمير يعود إلى ﴿كُلِّ جَبَّارٍ﴾.

والمعنى<sup>(٣)</sup>: أي ومن بعد ذلك العذاب عذاب شديد أشد مما هو عليه لا

(٣) المراح.

(١) الشوكاني.

(٢) المراغي.

ينقطع ولا يخف بسبب الاعتیاد، كما في عذاب الدنيا .

﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ أي: صفتهم وحالهم العجيبة الشأن التي هي كالمثل في الغرابة، وهو مبتدأ خبره قوله تعالى: ﴿أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ﴾ كقولك صفة زيد ماله منهوب، أو خبره محذوف؛ أي: فيما يتلى عليكم مثلهم. وقوله: ﴿أَعْمَلُهُمْ﴾ جملة مستأنفة مبنية على سؤال من يقول: كيف مثلهم؟ ف قيل: أعمالهم كرماد؛ أي: صفة أعمالهم الصالحة كصدقة وصله رحم وإعتاق رقاب وفداء أسير وقرى ضيف وبر والد وإغاثة ملهوف ﴿كَرَمَادٍ أَشْتَدَّتْ﴾؛ أي: ذرت ﴿بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ ريحه؛ أي: شديد الريح، فحذف الريح ووصف اليوم بالعصوف مجازاً، كقولك: يوم ماطر وليلة ساكنة، وإنما السكون لريحها. وقرأ نافع وأبو جعفر: ﴿الرياح﴾ بالجمع، والجمهور بالإفراد. وقرأ ابن أبي إسحاق وإبراهيم بن أبي بكر عن الحسن شذوذاً: ﴿في يومٍ عاصِفٍ﴾ على إضافة يوم لعاصف، وهو على حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه، تقديره: في يوم ريح عاصف ذكره في «البحر».

والمعنى<sup>(١)</sup>: أي ما مثل أعمال الكافرين التي كانوا يعملونها في الدنيا ويزعمون أنها تنفعهم يوم الجزاء إلا كمثل رماد حملته الريح وأسرعت الذهاب به في يوم عاصف، فنسفته ولم تبق له أثراً، فهم يوم القيامة لا يجدون شيئاً ينفعهم عند الله تعالى فينجيهم من عذابه؛ إذ لم يكونوا يعملونها لله خالصة، بل كانوا يشركون فيها الأصنام والأوثان.

ثم أكد نفي فائدتها لهم إذ ذاك، فقال: ﴿لَا يَفْقِدُونَ﴾ يوم القيامة ﴿يَمًا كَسَبُوا﴾ وعملوا في الدنيا من أعمال الخير ﴿عَلَى شَيْءٍ﴾ ما؛ أي<sup>(٢)</sup>: لا يجدون يوم القيامة أثراً مما عملوا في الدنيا من ثواب، أو تخفيف عذاب، كما لا يوجد من الرماد شيء إذا ذرته الريح، وذلك لفقد شرط الأعمال وهو الإيمان. ونحو الآية: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾<sup>(٣)</sup>، وقال: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي

(٢) المراح.

(١) المراغي.

هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرَكَ فَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَمَلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ .

﴿ذَلِكَ﴾ المذكور الذي <sup>(١)</sup> دلّ عليه التمثيل دلالة واضحة من ضلالهم؛ أي: كفرهم وأعمالهم المبنية عليه، وعلى التفاخر والرياء مع حسابهم محسنين، وهو جهل مركب وداء عضال، حيث زين لهم سوء أعمالهم، فلا يستغفرون منها ولا يتوبون بخلاف عصاة المؤمنين، ولذا قال: ﴿هُوَ أَضَلُّلُ الْبَعِيدِ﴾ صاحبه عن طريق الحق والصواب بمراحل، أو نيل الثواب، فأسند البعد الذي هو من أحوال الضال إلى الضلال الذي هو فعله مجازاً مبالغة؛ أي: ذلك <sup>(٢)</sup> السعي والعمل على غير أساس ولا استقامة حتى فقدوا ثوابهم منه أحوج ما كانوا إليه هو الضلال البعيد عن طريق الحق والصواب.

والمعنى: ذلك المذكور من عملهم هو الضياع البعيد عن نيل الثواب والخسران الكبير.

شبه الله سبحانه وتعالى صنائع الكفار <sup>(٣)</sup> - من الصدقة وصلة الرحم وعتق الرقاب وفك الأسير، وإغاثة الملهوفين وإطعام الجائع وعقر الإبل للأضياف ونحو ذلك مما هو من باب المكارم - في حيوطها وذهابها هباءً منثوراً، لبنائها على غير أساس من معرفة الله والإيمان وكونها لوجهه، برماد طيرته الريح العاصف، فكما لا ينتفع بذلك الرماد المطير، كذلك لا ينتفع بالأعمال المقرونة بالكفر والشرك، ففيه رد أعمال الكفار وأعمال أهل الأهواء والبدع؛ لاعتقادهم السوء، فدل على أنّ الأعمال مبنية على الإيمان، وهو على الإخلاص، وورد في الصحيح عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: يا رسول الله إن ابن جدعان كان في الجاهلية يصل ويطعم المسكين، هل ذلك نافعه؟ قال: «لا ينفعه؛ لأنه لم يقل: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين».

(٣) روح البيان.

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.



ثم ذكر دليل وحدانيته، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾؛ أي: ألم تعلم يا محمد ﴿أَنَّ اللَّهَ﴾ سبحانه وتعالى ﴿خَلَقَ﴾ وأنشأ وأبدع ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ﴾؛ أي<sup>(١)</sup>: متلبساً بالحكمة البالغة وعلى الوجه الصحيح الذي ينبغي أن يخلقا عليه، لا باطلاً ولا عبثاً، والخطاب فيه لرسول الله ﷺ، والمراد: أمته بدليل قوله: ﴿يُدْهِبِكُمْ﴾ والأمة أمة الدعوة، والرؤية رؤية القلب. ﴿إِنْ يَشَأْ﴾ الله سبحانه وتعالى إعدامكم أيها الناس ﴿يُدْهِبِكُمْ﴾؛ أي: يعدمكم بالكلية ﴿وَيَأْتِي بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾؛ أي: يخلق بديلكم خلقاً آخر من جنسكم آدميين، أو من غيره خيراً منكم وأطوع لله ﴿وَمَا ذَلِكَ﴾؛ أي: إذهابكم والإتيان بخلق جديد مكانكم ﴿عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾؛ أي: بمتعذر أو متعسر، بل هو هين عليه يسير، فإنه قادر لذاته على جميع الممكنات، لا اختصاص له بمقدور دون مقدور، إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون. ومن هذا شأنه حقيق أن يؤمن به ويعبد ويرجى ثوابه ويخشى عقابه، والآية تدل على كمال قدرته تعالى وصبوريته، حيث لا يؤاخذ العصاة على العجلة.

وفي «الصحيحين»: «لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله! إنه يشرك به ويجعل له الولد ثم يعافهم ويرزقهم». ثم إن<sup>(٢)</sup> تأخير العقوبة يتضمن حكماً، منها رجوع التائب وانقطاع حجة المصّر، فعلى العاقل أن يخشى الله تعالى على كل حال، فإنه ذو القهر والكبرياء والجلال.

والمعنى: ألم<sup>(٣)</sup> تعلم أيها الرسول الكريم أن الله سبحانه وتعالى أنشأ السماوات والأرض بالحكمة البالغة وعلى الوجه الصحيح الذي يحق أن يخلقا عليه، ولم يخلقهما عبثاً ولا باطلاً، ومن قدر على خلقهما على أتم نظام وأحكم وضع بلا معين ولا ظهير. . فهو قادر على أن يفنيكم ويأتي بخلق جديد سواكم، وما ذلك بممتنع ولا متعذر عليه. ومثل الآية قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَتَّخِذْ لَهُنَّ بَقَدِيرٍ عَلَّمَ أَنْ يُخَيِّقَ الْمَوْتَ بَلَاءَ إِنَّهُ عَلَّمَ كُلَّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿٣٣﴾

(٣) المراغي.

(١) روح البيان.

(٢) روح البيان.

وخلاصة ذلك: أنهم بعدوا في الضلال وأمعنوا في الكفر بالله مع وضوح الآيات الدالة على قدرته الباهرة وحكمته البالغة، وأنه هو الحقيق بأن يرجى ثوابه ويخشى عقابه. وقرأ السلمي شاذاً<sup>(١)</sup>: ﴿ألم تر﴾ - بسكون الراء - ووجهه أنه أجري الوصل مجرى الوقف، وفيه توجيه آخر؛ وهو أن (ترى) حذفت العرب ألفها في قولهم: قام القوم ولو تر ما زيد، كما حذفت ياء (لا أبالي) في (لا أبال)، فلما دخل الجازم تخيل أن الراء هي آخر الكلمة، فسكنت للجازم، كما قالوا في لا أبالي: «لم أبل» تخيلوا اللام آخر الكلمة. وقرأ الأخوان حمزة والكسائي وخلف العاشر: ﴿خالق﴾ اسم فاعل ﴿والأرض﴾ بالخفض. وقرأ باقي العشرة: ﴿خلق﴾ فعلاً ماضياً و﴿الأرض﴾ بالفتح. ﴿وَبُرُزُوا﴾؛ أي: برزت الخلائق كلها برها وفاجرها ﴿لِلَّهِ﴾ الواحد القهار حالة كونهم ﴿جَمِيعًا﴾؛ أي: مجتمعين في براز من الأرض وصعيد واحد، وهو المكان الذي ليس فيه شيء يستر أحداً؛ أي: خرج الموتى من قبورهم يوم القيامة واجتمعوا في أرض المحشر للقاء الله ومحاسبته على أعمالهم عند النفخة الثانية حين تنتهي مدة لبثهم في بطن الأرض. وقرأ زيد بن علي في الشاذ<sup>(٢)</sup>: ﴿وَبُرُزُوا﴾ - مبنياً للمفعول وبتشديد الراء - من برز المضعف.

﴿فَقَالَ الضَّعِيفُونَ﴾ في الرأي وهم السفلة ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ عن عبادة الله وهم أكابرهم ﴿إِنَّا كُنَّا﴾ في الدنيا ﴿لَكُمْ تَبَعًا﴾ في تكذيب الرسل والإعراض عن نصيحتهم؛ أي: فقال الأتباع لقاداتهم وساداتهم الذين استكبروا عن عبادة الله تعالى وحده وعن اتباع الرسل، وصدوا عنهما: إنا كنا تابعين لكم في الدنيا تأمرونا فنأتمر وتنهوننا فننتهي ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُّقْنُونَ عَلْنَا﴾؛ أي: دافعون عنا في هذا اليوم ﴿مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ نَحْوِ﴾؛ أي: بعض شيء من عذاب الله، ف﴿مِنْ﴾<sup>(٣)</sup> الأولى للبيان واقعة موقع الحال قدمت على صاحبها؛ لكونه نكرة، والثانية

(١) البحر المحيط.

(٢) البحر المحيط.

(٣) الخازن.

للتبعيض واقعة موقع المفعول؛ أي: بعض الشيء الذي هو عذاب الله تعالى. ويجوز أن تكونا للتبعيض؛ أي: بعض شيء هو بعض عذاب الله تعالى، والإعراب ما سبق. ويحتمل أن تكون الأولى مفعولاً والثانية مصدر؛ أي: فهل أنتم مغنون بعض العذاب بعض الإغناء، والفاء للدلالة على سببية الإتيان للإغناء. والاستفهام فيه<sup>(١)</sup> للتوبيخ لهم والعتاب على استغوائهم؛ لأنهم علموا أنهم لا يقدرّون على الإغناء عنهم؛ أي: فهل تدفعون عنا اليوم شيئاً من ذلك العذاب كما كنتم تعدوننا وتمنوننا في الدنيا. وقد حكى الله تعالى رد أولئك السادة عليهم بقوله: ﴿قَالُوا﴾؛ أي: المستكبرون جواباً عن معاتبه الأتباع، واعتذاراً عما فعلوا بهم: يا قوم ﴿لَوْ هَدَيْنَا اللَّهَ﴾ إلى الإيمان ووفقنا له ﴿لَهَدَيْنَاكُمْ﴾ إلى طريق الرشاد، ولكن ضللنا فأضللناكم؛ أي: اخترنا لكم ما اخترناه لأنفسنا؛ أي<sup>(٢)</sup>: لو أرشدنا الله تعالى وأضاء لنا أنوار بصائرنا وأفاض علينا من توفيقه ومعونته لأرشدناكم إلى سبيل الهدى، ووجهنا أنظاركم إلى طريق الخير والفلاح، ولكنه لم يهدنا فضلنا السبيل فأضللناكم.

والخلاصة: أي لو خلصنا الله من العقاب، وهدانا إلى طريق الجنة لهديناكم طريق النجاة، ودفعنا عنكم بعض العذاب، ولكن سد الله عنا طريق الخلاص. ولما كان هذا القول منهم أمارة الجزع قالوا: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا﴾ العذاب ﴿أَجْزَعًا﴾؛ أي: أصحنا وتضرعنا مما لقينا ﴿أَمْ صَبْرًا﴾ على ذلك؛ أي: الصياح، فالتضرع والصبر مستويان علينا في عدم الإنجاء؛ أي: سواء<sup>(٣)</sup> علينا أجزعنا في طلب النجاة من ورطة الهلاك والعذاب، والجزع عدم الصبر على البلاء، أم صبرنا على ما لقينا انتظاراً للرحمة؛ أي: مستو علينا الجزع والصبر في عدم الإنجاء، ففيه إقناط الضعفاء، والهمزة وأم لتأكيد التسوية ونحوه: ﴿فَأَصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا﴾.

(٣) روح البیان.

(١) السنفي.

(٢) المراغي.

ولما كان عتاب الأتباع من باب الجزع ذيلوا جوابهم ببيان أن لا جدوى في ذلك، فقالوا: ﴿مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾؛ أي: من منجأ، ومهرب؛ أي: ليس لنا مهرب ولا خلاص مما نحن فيه إن صبرنا أو جزعنا.

وخلاصة ذلك<sup>(١)</sup>: سيان الجزع والصبر، فلا نجاة لنا من عذاب الله، ومثل هذه الآية قوله: ﴿وَإِذْ يَتَحَاوَرُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضَّعَفَتُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّكَ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾، وقوله: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَعْطَيْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَاتَنَا فَأُصَلِّوْنَا السَّيْلَارَبْتَنَا ءَاتِيهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَتُمْ لَنَا كَبِيرًا ﴿٤٩﴾﴾.

ولما ذكر سبحانه وتعالى المناظرة التي ستكون بين الأتباع والرؤساء.. أرفدها بالمناظرة التي ستكون بين الشيطان وأتباعه، فقال: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ﴾ الذي أضل الضعفاء والمستكبرين؛ أي: يقول إبليس رئيس الشياطين خطيباً في محفل الأشقياء من الثقلين ﴿لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾؛ أي: حين أحكم وفرغ من أمر الخلائق بالحساب والمجازاة بأن استقر أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، وقد قالوا له: اشفع لنا، فإنك أضللتنا؛ أي: قال: إبليس مخاطباً أتباعه من الإنس بعد أن حكم الله بين عباده، فأدخل المؤمنين فراديس الجنات، وأسكن الكافرين سحق الدركات: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى ﴿وَعَدَّكُمْ﴾ على السنة رسله ﴿وَعَدَّ الْحَقِّ﴾ والصدق بالبعث وجزاء كل عامل على عمله إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، ووعدته حق وخبره صدق، فصدق في وعده إياكم، فوفى لكم بما وعدكم به ﴿وَوَعَدْتُكُمْ﴾ وعد الباطل بأن لا بعث ولا جزاء ولا جنة ولا نار، ولئن كانا فالأصنام شفعاءكم، ولم يصرح ببطلانه لما دل عليه قوله: ﴿فَأَخْلَفْتَكُمْ﴾ موعدي، فحذف المفعول الثاني؛ أي: نقضته، والإخلاف<sup>(٢)</sup> حقيقة هو عدم إنجاز من يقدر على إنجاز وعده، وليس الشيطان كذلك، فقوله: ﴿أخلفتكم﴾ يكون مجازاً جعل

(١) المراعي.

(٢) روح البيان.

تبين خلف وعده كالإخلاف منه، كأنه كان قادراً على إنجازهِ وأنى له ذلك؛ أي: كذبت عليكم وتبين خلف وعدي إذ لم أقل إلا بهرجاً من القول وباطلاً منه، فاتبعتموني وتركتم وعد ربكم، وهو وليكم ومالك أمركم، ونحو الآية قوله: ﴿يَعِدُّهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾.

﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكَ مِنْ سُلْطَانٍ﴾؛ أي: تسلط وقهر فألجئكم إلى الكفر والمعاصي، وأجبركم عليهما؛ أي: وما كان لي قوة وتسلط تجعلني ألجئكم إلى متابعتي على الكفر والمعاصي ﴿إِلَّا أَنْ دَعَوْتَكُمْ﴾؛ أي: إلا دعائي إياكم إلى الضلالة بوسوستي ﴿فَأَسْتَجِبْتُمْ لِي﴾؛ أي: أجبتُموني؛ أي<sup>(١)</sup>: ولكن بمجرد أن دعوتكم إلى الضلالة بوسوستي وتزييني أسرعتم إلى إجابتي واتبعتم شهوات النفوس وأطعتم الهوى، وخضتم في مسالك الردى. قال في<sup>(٢)</sup> «بحر العلوم»: لقائل أن يقول: قول الشيطان هذا مخالف؛ أي: معارض لقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾، فما حكم قول الشيطان أحق هو أم باطل على أنه لا طائل تحته في النطق بالباطل في ذلك المقام انتهى. يقول الفقير: جوابه بأنه يجمع بينهما بأن نفي السلطان بمعنى القهر والغلبة لا ينافي إثباته بمعنى الدعوة والتزيين، فالشيطان ليس له سلطان بالمعنى الأول على المؤمنين والكافرين جميعاً، وله سلطان بالمعنى الثاني على الكفار فقط كما دل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾ وأما المؤمنون وهم أولياء الله، فيتولون الله بالطاعة، فهم خارجون عن دائرة الإتياع بوسوسته.

والخلاصة: أن السلطان المنفي هنا هو بمعنى القهر والغلبة، والمثبت هو السلطان بمعنى الوسوسة والتزيين. ﴿فَلَا تَلُومُونِي﴾؛ أي: ولا تعاتبوني فيما وعدتكم بالباطل حيث لم يكن ذلك على طريقة القسر والقهر؛ لأنني خلقت لهذا، ولأنني عدو مبين لكم، وقد حذركم الله عداوتي حيث قال: ﴿لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾

(١) المراغي.

(٢) روح البيان.

﴿لَا يَفْنَىٰكُمْ الشَّيْطَانُ﴾ ومن تجرد للعداوة لا يُلام إذا دعا إلى أمر قبيح ﴿وَلَوْ مُؤْمَأً أَنفُسَكُمْ﴾ حيث أجبتموني باختياركم حيث دعوتكم بلا دليل، فما كان مني إلا الدعاء وإلقاء الوسوسة، وقد سمعتم دلائل الله وحججه، وجاءتكم الرسل فصدقتموني فيما كذبتكم، وكذبتم الله فيما صدقكم، وكان من الواجب عليكم أن لا تغتروا بقولي الباطل، فلما رجحتم قولي على الدلائل الظاهرة كان اللوم عليكم لا علي في هذا الباب ﴿مَا أَنَا بِمُضْرِحِكُمْ﴾؛ أي: بمغيثكم مما أنتم فيه من العذاب، فأزيل صراخكم ﴿وَمَا أَنشدُ بِمُضْرِحِكُمْ﴾؛ أي: بمغيثي مما أنا فيه من العذاب والنكال، يعني: لا ينجي بعضنا بعضاً من عذاب الله. والإصراخ<sup>(١)</sup>: الإغاثة، وإنما تعرض لذلك مع أنه لم يكن في حيز الاحتمال مبالغة في بيان عدم إصراخه إياهم وإيداناً بأنه أيضاً مبتلى بمثل ما ابتلوا به، ومحتاج إلى الإصراخ، فكيف من إصراخ الغير. وقرأ الجمهور: ﴿بِمُضْرِحِكُمْ﴾ بفتح الياء وتشديدها. وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش وحمزة<sup>(٢)</sup>: ﴿بِمُصْرَحِي﴾ بكسر الياء. وطعن كثير من النحاة في هذه القراءة. قال الفراء: لعلها من وهم القراء؛ فإنه قل من سلم منهم من الوهم. وقال أبو عبيد: نراهم غلطوا، وقد نقل جماعة من أهل اللغة أنها لغة، لكنه قل استعمالها، ونص قطرب على أنها لغة في بني يربوع.

﴿إِنِّي كَفَرْتُ﴾ اليوم ﴿بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ﴾؛ أي: بإشراككم إياي مع الله في الطاعة ﴿مِن قَبْلُ﴾؛ أي: من قبل هذا اليوم؛ أي: في الدنيا بمعنى: تبرأت منه واستنكرته؛ أي: إني جحدت اليوم أن أكون شريكاً لله فيما أشركتموني فيه من قبل هذا اليوم؛ أي: في الدنيا، وهذا كقوله: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾. قال في «الإرشاد»<sup>(٣)</sup>: يعني إن إشراككم لي بالله هو الذي يطمعكم في نصرتي لكم بأن كان لكم علي حق حيث جعلتموني معبوداً، وكنت أود ذلك وأرغب فيه، فاليوم كفرت بذلك ولم أحمده ولم أقبله منكم، بل تبرأت منه ومنكم، فلم يبق بيني وبينكم علاقة. وقوله: ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ من تمام<sup>(٤)</sup> كلام إبليس

(١) روح البيان.

(٢) البحر المحيط.

(٣) روح البيان.

(٤) المراح والمراغي.

قطعاً لأطماع أولئك الكفار عن الإغاثة والنجاة من النار، فالوقوف على ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ حسن، أو ابتداء كلام من حضرة الله تعالى إيقاظاً للسامعين وخصالهم على النظر في عاقبة أمرهم والاستعداد لذلك اليوم الذي يقول فيه الشيطان ما يقول، فيتوبوا إلى رشدهم ويرجعوا عن غيهم، ويتذكروا هول ذلك الموقف ورهيبته، فالوقوف على ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ تام كما هو عند أبي عمرو. والظالمون هم الشيطان ومتبعوه من الإنس؛ لأن الشيطان وضع الدعوة إلى الباطل في غير موضعها، وإنهم وضعوا الإتياع في غير موضعه.

ولما جمع سبحانه فريقى السعداء والأشقياء في قوله: ﴿وَيَرْزُقُوا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ وبالغ في وصف حال الأشقياء من وجوه كثيرة. ذكر حال السعداء وما أعد لهم من نعيم مقيم في ذلك اليوم، فقال: ﴿وَأَدْخِلْ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾؛ أي: صدقوا الله ورسوله، فأقروا بوحدانيته تعالى ورسالة رسله ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾؛ أي: عملوا بطاعته، فانتهوا إلى أمره ونهيه، والمدخلون هم الملائكة؛ أي: وأدخلت الملائكة الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح ﴿جَنَّتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾؛ أي: بساتين تسيل من تحت أشجارها وقصورها الأنهار الأربعة ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾؛ أي: ماكثين فيها أبداً لا يتحولون عنها ولا يزولون منها ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ متعلق بـ ﴿أَدْخِلْ﴾؛ أي: ادخلوها بإذن ربهم؛ أي: أدخلتهم الملائكة بأمر ربهم وإذنه وتوفيقه ولطفه وهدايته، هذا على قراءة الجمهور؛ لأنهم قرؤوا: ﴿وَأَدْخِلْ﴾ على البناء للمفعول. وقرأ الحسن شاذاً: ﴿وَأَدْخِلْ﴾ على صيغة المتكلم والبناء للفاعل؛ أي: وأنا أدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وعلى هذه القراءة فقوله: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ متعلق بـ ﴿تَحْيِيَّتِهِمْ﴾؛ أي: تحييتهم الملائكة بالسلام بإذن ربهم تعظيماً لشأنهم وعناية بأمرهم.

﴿تَحْيِيَّتِهِمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ التحية<sup>(١)</sup>: دعاء بالتعمير، وإضافتها إلى الضمير من إضافة المصدر إلى المفعول؛ أي: تحييتهم الملائكة في الجنات بالسلام من

(١) روح البیان.

الآفات، أو يحيي المؤمنون بعضهم بعضاً بالسلام، والسلام تحية المؤمنين في الدنيا أيضاً، وأصله صدر من أيينا آدم عليه السلام لما روى وهب بن منبه أن آدم لما رأى ضياء نور نبينا محمد ﷺ سأل الله عنه، فقال: هو نور النبي العربي محمد من أولادك، فالأنبياء كلهم تحت لوائه، فاشتاق آدم إلى رؤيته، فظهر نور النبي عليه السلام في أنملة مسبحة آدم، فسلم عليه، فرد الله سلامه من قبل النبي عليه السلام، فمن هنا بقي السلام سنة لصدوره عن آدم، وبقي رده فريضة، لكونه عن الله تعالى.

ولما شرح الله سبحانه وتعالى أحوال الأشقياء وأحوال السعداء<sup>(١)</sup> . . ضرب مثلاً فيه حكم هذين القسمين، فقال جلّ وعلا: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يا محمد وتنظر بعين قلبك، فتعلم<sup>(٢)</sup> علم يقين بإعلامي إياك، فعلى هذا يحتمل أن يكون الخطاب فيه للنبي ﷺ، ويدخل معه غيره، ويحتمل أن يكون الخطاب لكل فرد من الناس، فيكون المعنى: ألم تر أيها الإنسان ﴿كَيْفَ صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾؛ أي: كيف جعل الله تعالى كلمة طيبة - وهي لا إله إلا الله - مثلاً.

وقيل<sup>(٣)</sup>: هي كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة إلى الله قاله الزمخشري. وضرب هنا بمعنى جعل وصير، فهو متعد إلى اثنين ﴿كَلِمَةً﴾ المفعول الأول، وأخرت عن المفعول الثاني، وهو ﴿مَثَلًا﴾ لثلاث بعد عن صفتها، و﴿مَثَلًا﴾ المفعول الثاني بمعنى جعلها مثلاً، وعلى هذا ﴿كَشَجَرَةٍ﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هي كشجرة طيبة كما قاله ابن عطية، وأجازه الزمخشري، و﴿كَيْفَ﴾ منصوب على الحال من المفعول الثاني الذي هو ﴿مَثَلًا﴾، والتقدير: ألم تر ضرب الله مثلاً حالة كونه كيف؛ أي: حال كونه مسؤولاً عن حاله من غرابته. والاستفهام في ﴿كَيْفَ﴾ للتعجب، وفي ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ للتقرير. والمثل عبارة عن قولٍ في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة

(٣) الفتوحات.

(١) الخازن.

(٢) الخازن.



لتبيين أحدهما من الآخر وتصويره، وقيل هو على قول سائر المفسرين تشبيه شيء بشيء آخر. ا هـ. «خازن». وهذا المعنى هو المراد هنا.

والمعنى: ألم تعلم يا محمد كيف جعل الله سبحانه وتعالى وصير كلمة طيبة مثلاً؛ أي: شبيهاً لشيء آخر، وهي؛ أي: الكلمة الطيبة ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ في الإثمار وهي النخلة. وقرئ شاذاً: ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ بالرفع قال أبو البقاء على الابتداء و﴿كَشَجَرَةٍ﴾ خبره. انتهى، ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف والتقدير: هو؛ أي: المثل كلمة طيبة، وكشجرة نعت لكلمة ذكره في «البحر». وجملة قوله: ﴿أَصْلُهَا نَابِتٌ﴾ مع ما عطف عليها صفة لـ﴿شَجَرَةٍ﴾؛ أي: أسفلها ذاهب بعروقه في الأرض متمكن فيها. ﴿وَفَرْعُهَا﴾؛ أي: أعلاها ورأسها طالع نابت ﴿فِي السَّمَاءِ﴾؛ أي: في الهواء ﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا﴾؛ أي: تعطي هذه الشجرة ثمرها ﴿كُلَّ حِينٍ﴾؛ أي: كل وقت<sup>(١)</sup> وقته الله تعالى لإثمارها، وهي السنة الكاملة؛ لأن النخلة تثمر في كل سنة مرة، ومدة إطلاعها إلى وقت صرامها ستة أشهر.

وقيل المعنى<sup>(٢)</sup>: تؤتي أكلها كل وقت وكل ساعة ليلاً أو نهاراً شتاء أو صيفاً، فيؤكل منها الجمار والطلع والبلح والخلال والبسر والنصف والرطب، وبعد ذلك يؤكل التمر اليابس إلى حين الطري الرطب، فأكلها دائم كل وقت ﴿يَأْذِنُ رَيْبَهَا﴾؛ أي: بإرادة خالقها وتيسيره وتكوينه، فكذلك كلمة التوحيد ثابتة في قلب المؤمن بالبرهان، وعمل المؤمن المخلص يرفع إلى السماء وفي كل وقت وحين يعمل خيراً بأمر ربه.

وحكمة تمثيل كلمة التوحيد بالشجرة أن الشجرة تكون ثلاثة أشياء: عرق راسخ، وأصل قائم، وفرع عال، كذلك التوحيد يكون ثلاثة أشياء: تصديق بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالأبدان.

والحاصل: أن الله سبحانه وتعالى شبه<sup>(٣)</sup> الكلمة الطيبة: وهي الإيمان

(٣) المراغي.

(١) روح البيان.

(٢) المراح.

الثابت في قلب المؤمن الذي يرفع به عمله إلى السماء، وتنال بركته وثوابه في كل وقت وحين بالشجرة الطيبة المثمرة الجميلة المنظر الشذية الرائحة التي لها أصل راسخ في الأرض به يؤمن قلعها وزوالها، وفروعها متصاعدة في الهواء، فيكون ذلك دليلاً على ثبات الأصل ورسوخ العروق، على بعدها عن عفونات الأرض وقاذورات الأبنية، فتأتي الثمرة نقية خالية من جميع الشوائب، وتثمر في كل حين بأمر ربها، وإذنه، وإذا اجتمع لهذه الشجرة كل هذه المميزات كثر رغبة الناس فيها.

وخلاصة ذلك: أنه تعالى شبه كلمة الإيمان بشجرة ثبتت عروقتها في الأرض وعلت أغصانها إلى السماء، وهي ذات ثمر في كل حين ذاك أن الهداية إذا حلت قلباً فاضت منه على غيره وملأت قلوباً كثيرة، فكأنها شجرة أثمرت كل حين؛ لأن ثمراتها دائمة لا مقطوعة ولا ممنوعة، وكل قلب يتلقى عما يشاكله ويأخذ منه بسرعة أشد من سرعة إيقاد النار في الهشيم، أو سريان الكهرباء في المعادن، أو الضوء في الأثير. وقد روي عن ابن عباس أن الكلمة الطيبة هي قول: لا إله إلا الله، وأن الشجرة الطيبة هي: النخلة. وعن ابن عمر قال: (كنا عند رسول الله ﷺ، فقال: «أخبروني عن شجرة تشبه الرجل المسلم لا يتحات ورقها لا صيفاً ولا شتاء، وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها» قال ابن عمر فوقع في نفسي أنها النخلة، ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان، فكرهت أن أتكلم، فلما لم يقولوا شيئاً قال رسول الله ﷺ: «النخلة»، فلما قمنا قلت لعمر: يا أبتاه والله لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة، قال: ما منعك أن تتكلم، قلت: لم أركم تتكلمون، فكرهت أن أتكلم، أو أقول شيئاً، قال: لأن تكون قلتها أحب إلي من كذا وكذا). رواه البخاري. ثم نبه سبحانه إلى عظم هذا المثل ليكون ذلك داعية تدبره ومعرفة المراد منه، فقال: ﴿وَيَقْرِبُ إِلَهُهُ﴾ سبحانه وتعالى ﴿الْأَمْثَالَ﴾ والأشباه وبيئتها ﴿لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: يتفكرون في أحوال المبدأ والمعاد، وبدائع صنعه سبحانه الدالة على وجوده ووحديته، ويتعظون؛ لأن في ضربها زيادة إفهام وتذكير، فإنه تصوير للمعاني بصور المحسوسات وتقريب لها من الحسن؛ لأن أنس النفوس بها أكثر، فهي تخرج المعنى من خفي إلى جلي ومما يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع، وبها يطبق المعقول على المحسوس، فيحصل العلم التام

بالشيء الممثل له، فتكون عبرة لمن اعتبر وعظة لمن اتعظ.

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾؛ أي: صفة كلمة قبيحة وهي كلمة الكفر بأنواعه، ويدخل<sup>(١)</sup> فيها كل كلمة قبيحة من الدعاء إلى الكفر وتكذيب الحق ونحوهما ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾؛ أي: كمثل شجرة رديئة؛ أي: صفتها كصفتها، ويدخل فيها كل ما لا يطيب أكلها ولا ينتفع بها. قيل: هي شجرة الحنظلة، وقيل: الكمأة، وقيل: الطحلبة، وقيل: هي الكشوث - بالضم - وآخره مثلثة، وهي شجرة<sup>(٢)</sup> لا ورق لها ولا عروق في الأرض، أو هي نبت<sup>(٣)</sup> يتعلق بأغصان الشجر من غير أن يضرب بعرق في الأرض. وقرئ<sup>(٤)</sup>: ﴿ومثلاً كلمة﴾ بالنصب عطفًا على ﴿كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ﴾.

﴿اجْتَنَّتْ﴾؛ أي: اقتلعت واستؤصلت ﴿مِنَ فَوْقِ الْأَرْضِ﴾ لكون عروقها في وجه الأرض؛ أي: ليس<sup>(٥)</sup> لها أصل ولا عرق يغوص في الأرض، فتسميتها شجرة للمشاكله، فكذلك الشرك بالله ليس له حجة ولا قوة ﴿مَا لَهَا﴾؛ أي: لهذه الشجرة ﴿مِنَ قَرَارٍ﴾؛ أي: من<sup>(٦)</sup> ثبات على الأرض؛ لأنها ليس لها أصل ثابت في الأرض ولا فرع صاعد إلى السماء، كذلك الكافر ليس فيه خير، ولا يصعد له قول طيب ولا عمل صالح، ولا لاعتقاده أصل ثابت، فهذا وجه تمثيل الكافر بهذه الشجرة الخبيثة؛ أي: ومثل<sup>(٧)</sup> كلمة الكفر وما شاكلها مثل شجرة خبيثة كالحنظل ونحو مما ليس له أصل ثابت في الأرض، بل عروقها لا تتجاوز سطحها، وقد اقتلعت من فوق الأرض؛ لأن عروقها قريبة منه ولا عروق لها في الأرض، فكما أن هذه لا ثبات لها ولا دوام، فكذلك الباطل لا يدوم ولا يثبت، بل هو زائل ذاهب وثمره مر كربه كالحنظل، وفي الحقيقة تسميتها شجرة مجاز، لأن الشجرة ما له ساق، والنجم ما لا ساق له، وهي من النجم، فتسميتها شجرة

(٥) المراح.

(٦) الخازن.

(٧) المراغي.

(١) روح البيان.

(٢) الشوكاني.

(٣) المراح.

(٤) الشوكاني.

للمشاكلة، وما أقوى الحق وأثبتته وأكثر نفعه للناس، فهو ثابت الدعائم متين الأركان.

**والخلاصة:** أن أرباب النفوس العالية، وكبار المفكرين هم أصحاب الكلمة الطيبة، وعلومهم تعطي أممهم نعماً ورزقاً في الدنيا، وهي مستقرة في نفوسهم، وفروعها ممتدة إلى العوالم العلوية والسفلية، وتثمر كل حين لأبناء أممهم ولغيرهم، فيهتدي بها المؤمنون، وما أشبههم بالنخلة التي لها أصل مستقر وفروع عالية وثمر دائم، ويأكل الناس منها صيفاً وشتاء، وأرباب الشهوات والنفوس الضعيفة والمقلدون في العلم هم أصحاب الكلمة الخبيثة التي لا ثبات لها كالحنظل.

وبعد أن وصف الله سبحانه وتعالى الكلمة الطيبة بما سلف.. أخبر بفوز أصحابها ببغيتهم في الدنيا والآخرة، فقال: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بالله وصدقوا بوحدانيته وبما جاءت به رسله على دينهم، وهذا راجع للمثل الأول، وقوله: ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ﴾.. إلخ. راجع للمثل الثاني. ﴿بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ الذي ثبت عندهم بالحجة، وتمكن في قلوبهم، وهو قول: لا إله إلا الله. ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾؛ أي: قبل<sup>(١)</sup> موتهم، فإذا ابتلوا وافتتنوا في الحياة الدنيا.. ثبتوا عليه، ولم يرجعوا عنه، ولو عذبوا أنواع العذاب كمن تقدمنا من الأنبياء والصالحين مثل زكريا ويحيى، والذين قتلهم أصحاب الأعداء، والذين مشطت لحومهم بأمشاط الحديد، وكما جرى لبلال وغيره من أصحاب رسول الله ﷺ ﴿و﴾ يثبتهم على دينهم الحق ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾؛ أي: في القبر عند سؤال منكر ونكير، وفي سائر المواطن وقت المسألة يوم القيامة، والقبر من الآخرة، فإنه أول منزل من منازل الآخرة. وقيل: ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يعني<sup>(٢)</sup>: في القبر عند السؤال ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ يعني: يوم القيامة عند البعث والحساب، وهذا القول واضح.

(١) روح البيان.

(٢) الخازن.

والمعنى: أي يشتهم بالكلمة الطيبة التي ذكرت صفاتها العجيبة فيما سلف من مدة حياتهم إذا وجد من يفتنهم عن دينهم ويحاول زلزلهم، كما جرى لبلال وغيره من أصحاب النبي ﷺ، وبعد الموت في القبر الذي هو أول منزل من منازل الآخرة حين يقال له: من ربك وما دينك ومن نبيك؟ فيقول: ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد ﷺ، وفي مواقف القيامة فلا يضطربون إذا سئلوا عن معتقدتهم، ولا تدهشهم الأهوال.

أخرج ابن أبي شيبة عن البراء بن عازب أنه قال في الآية: التثبيت في الحياة الدنيا إذا جاء الملكان إلى الرجل في القبر، فقالا له: من ربك؟ قال: ربي الله، وقالوا: وما دينك؟ قال: ديني الإسلام، وقالوا: وما نبيك؟ قال: نبيي محمد ﷺ.

وعن عثمان بن عفان قال: كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه، وقال: «استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت، فإنه الآن يُسأل». أخرجه أبو داود. وقد وردت أحاديث كثيرة في سؤال الملائكة للميت في قبره وفي جوابه لهم وفي عذاب القبر وفتنته، وليس هذا موضعها نسأل الله التثبيت في القبر وحسن الجواب بمنه وكرمه إنه على ما يشاء قدير.

وعلى هذا<sup>(١)</sup>: فالمراد بالحياة الدنيا مدة الحياة قبل الموت، وبالآخرة ما بعد الموت من القبر ويوم القيامة والعرض للحساب. وبعد أن وصف الكلمة الخبيثة في الآية المتقدمة بين حال أصحابها بقوله: ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾؛ أي: يضلهم<sup>(٢)</sup> عن حجتهم التي هي القول الثابت، فلا يقدرّون على التكلم بها في قبورهم ولا عند الحساب، كما أضلهم عن اتباع الحق في الدنيا. والمراد بالظالمين هنا الكفرة؛ لأنهم ظلموا أنفسهم بتبديلهم فطرة الله التي فطر الناس عليها، وعدم اهتدائهم إلى القول الثابت. وقيل: كل من ظلم نفسه ولو بمجرد الإعراض عن البيّنات الواضحة، فإنه لا يثبت في مواقف الفتن، ولا يهتدي إلى الحق. وقيل معنى: ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾؛ أي: يخلق<sup>(٣)</sup> الله في الكفرة

(٣) روح البيان.

(١) المراغي.

(٢) الشوكاتي.

والمشركين الضلال، فلا يهديهم إلى الجواب بالصواب، كما ضلوا في الدنيا، ثم ذكر سبحانه أنه يفعل ما يشاء من التثبيت والخذلان، لا راد لحكمه ولا يسأل عما يفعل، فقال: ﴿وَفَعَلَ اللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى في عباده ﴿مَا يَشَاءُ﴾ ويريد من تثبيت وإضلال؛ أي: خلق ثبات في بعض، وخلق ضلال في آخرين من غير اعتراض عليه. وأخرج<sup>(١)</sup> ابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي عن ابن عباس - رضي الله عنهما -: أن الكافر إذا حضره الموت تنزل عليه الملائكة عليهم السلام يضربون وجهه ودبره، فإذا دخل قبره أقعد، فقيل له: من ربك؟ لم يرجع إليهم شيئاً، وأنساه الله تعالى ذكر ذلك، وإذا قيل له: من الرسول الذي بعث إليك؟ لم يهتد له، ولم يرجع إليهم شيئاً، فذلك قوله تعالى: ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَفَعَلَ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾؛ أي: ويده تعالى الهداية والإضلال بحسب ما تقتضيه سننه العامة التي سنها في عباده بحسب استعداد النفوس وقبولها لكل منهما، فلا تنكروا قدرته على اهتداء من كان ضالاً وإضلال من كان منكم مهتدياً، فإن بيده تعالى تصريف خلقه وتديبرهم وتقليب قلوبهم، يفعل فيهم ما يشاء من إرشاد وإضلال، لا يسئل عما يفعل وهم يسألون، فسبحانه من حكيم عليم.

## الإعراب

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَتُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿كَفَرُوا﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿لِرُسُلِهِمْ﴾: جار ومجرور متعلق بقالوا. ﴿لَنُخْرِجَنَّكُمْ﴾: إلى قوله: ﴿فَأَوْحَىٰ﴾: مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿لَنُخْرِجَنَّكُمْ﴾: (اللام): موطئة للقسم. ﴿نُخْرِجَنَّكُمْ﴾: فعل مضارع ومفعول به في محل الرفع؛ لتجرده عن الناصب والجازم مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة. ﴿مِنْ أَرْضِنَا﴾: متعلق به، وفاعله ضمير يعود على الكفار، والجملة الفعلية جواب لقسم محذوف، وجملة

(١) المراغي.

القسم في محل النصب مقول قالوا: ﴿أَوْ﴾: حرف عطف وتخيير. ﴿لَتَعُوذَنَّ﴾: (اللام): موثقة للقسم. ﴿تَعُوذَنَّ﴾: فعل مضارع ناقص؛ لأنه من أخوات صار مرفوع لتجرده عن الناصب والجازم، وعلامة رفعه ثبات النون المحذوفة لتوالي الأمثال، وواو الجماعة المحذوفة للتخلص من التقاء الساكنين في محل الرفع اسمها، والنون المشددة حرف تأكيد. ﴿فِي مَلَّتَنَا﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر عاد تقديره: أو لتعودن داخلين في ملتنا، والجملة الفعلية جواب القسم، وجملة القسم في محل النصب معطوفة على جملة القسم الأول على كونها مقولاً لقالوا. ﴿فَأَوْحَى﴾: (الفاء): حرف عطف وتفريع. ﴿أَوْحَى﴾: فعل ماضٍ. ﴿إِلَيْهِمْ﴾: متعلق به. ﴿رَبِّهِمْ﴾: فاعل، والجملة معطوفة مفرغة على جملة قالوا. ﴿لَتُهْلِكَنَّ﴾: (اللام): موثقة للقسم. ﴿نَهْلِكَنَّ﴾: فعل مضارع مبني على الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد، وفاعله ضمير يعود على الله. ﴿الظَّالِمِينَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية جواب لقسم محذوف، وجملة القسم في محل النصب مقول لقول محذوف تقديره: وقال لنهلكن الظالمين.

﴿وَلَنَسْكَنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ (٤٤).

﴿وَلَنَسْكَنَنَّكُمْ﴾ (الواو): عاطفة. (اللام): موثقة للقسم. ﴿نَسْكَنَنَّكُمْ﴾: فعل مضارع، ومفعول به مبني على الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وفاعله ضمير يعود على الله. ﴿الْأَرْضَ﴾: منصوب على الظرفية متعلق به. ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: جار ومجرور متعلق به أيضاً، والجملة الفعلية جواب القسم، وجملة القسم في محل النصب معطوفة على جملة قوله: ﴿لَتُهْلِكَنَّ﴾ على كونها مقولاً لقول محذوف. ﴿ذَلِكَ﴾: مبتدأ. ﴿لِمَنْ﴾: جار ومجرور خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب مقول لقول محذوف. ﴿خَافَ مَقَامِي﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَنْ﴾، والجملة صلة الموصول، ﴿وَخَافَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَنْ﴾، والجملة معطوفة على جملة ﴿خَافَ﴾ الأول. ﴿وَعِيدِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة اجتراءً عنها بالكسرة الممنوعة بسكون الوقف.

﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِن رَّأْيِهِ جَهَنَّمَ رُسُوفًا مِّن مَّاءٍ صٰكِيٰلٍ ﴿١٦﴾﴾ .

﴿وَأَسْتَفْتَحُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ﴾: فعل وفاعل. ﴿عَنِيدٍ﴾: صفة لـ﴿جَبَّارٍ﴾، والجملة معطوفة على جملة محذوفة تقديره: واستفتحووا فنصروا وسعدوا وربحوا، وخاب كل جبار عنيد. ﴿مِن رَّأْيِهِ﴾: جار ومجرور خبر مقدم. ﴿جَهَنَّمَ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل الجر صفة ثانية لـ﴿جَبَّارٍ﴾، ويجوز أن تكون الصفة وحدها الجار، و﴿جَهَنَّمَ﴾: فاعل به. ﴿رُسُوفًا﴾: فعل مضارع مغير الصيغة، ونائب فاعله ضمير يعود على ﴿جَبَّارٍ﴾. ﴿مِّن مَّاءٍ﴾: متعلق به. ﴿صٰكِيٰلٍ﴾: عطف بيان، أو بدل من ﴿مَّاءٍ﴾، والجملة في محل الجر معطوفة على الجملة التي قبلها على كونها صفة لـ﴿جَبَّارٍ﴾، عطف جملة فعلية على جملة فعلية.

﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِسَمِيَّتٍ وَمِن رَّأْيِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ .

﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾: فعل ومفعول، وفاعل ضمير يعود على ﴿جَبَّارٍ﴾، والجملة في محل الجر صفة لـ﴿مَّاءٍ﴾، أو مستأنفة. ﴿وَلَا يَكَادُ﴾: فعل مضارع ناقص، واسمه ضمير يعود على ﴿الجبار﴾. ﴿يُسِيغُهُ﴾: فعل مضارع ومفعول به، وفاعل ضمير يعود على ﴿الجبار﴾، والجملة الفعلية في محل النصب خبر كاد، وجملة كاد في محل النصب حال من فاعل ﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾، أو من مفعوله، أو منهما جميعاً، وقيل: كاد هنا صلة لا عمل لها. ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ﴾: فعل ومفعول وفاعل. ﴿مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بيا تي، والجملة معطوفة على جملة ﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾. ﴿وَمَا﴾ (الواو): حالية. ﴿مَا﴾: حجازية، أو تميمية. ﴿هُوَ﴾: في محل الرفع اسمها، أو مبتدأ. ﴿بِسَمِيَّتٍ﴾: خبرها، أو خبره، والباء زائدة، والجملة في محل النصب حال من ضمير ﴿يَأْتِيهِ﴾. ﴿وَمِن رَّأْيِهِ﴾: جار ومجرور خبر مقدم. ﴿عَذَابٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿غَلِيظٌ﴾: صفة لـ﴿عَذَابٌ﴾، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ﴾، أو مستأنفة.



﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الصَّلْوَلُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾ .

﴿مَثَلُ الَّذِينَ﴾ : مبتدأ ومضاف إليه . ﴿كَفَرُوا﴾ : فعل وفاعل صلة الموصول . ﴿بِرَبِّهِمْ﴾ : متعلق به ، وخبر المبتدأ محذوف تقديره : مثل الذين كفروا بربهم كائن فيما يتلى ، والجملة الاسمية مستأنفة . ﴿أَعْمَلُهُمْ﴾ : مبتدأ . ﴿كَرَمَادٍ﴾ : جار ومجرور خبر المبتدأ ، والجملة الاسمية مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر تقديره : وما ذلك المثل ، فقال : مثل أعمالهم كرماد .

وفي «السمين» قوله : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ...﴾ إِنْخ فيه أوجه :

أحدها : وهو مذهب سيبويه أنه مبتدأ محذوف الخبر تقديره : فيما يتلى عليكم مثل الذين كفروا ، وتكون الجملة في قوله : ﴿أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ﴾ مستأنفة جواباً لسؤال مقدر ، كأنه قيل : كيف مثلهم ؟ فقيل : كيت وكيت .

والثاني : أن يكون ﴿مثل﴾ : مبتدأ أول ، و﴿أَعْمَلُهُمْ﴾ : مبتدأ ثان ، و﴿كَرَمَادٍ﴾ : خبر الثاني ، والثاني وخبره خبر الأول .

والثالث : أن يكون ﴿مثل﴾ مبتدأ ، و﴿أَعْمَلُهُمْ﴾ : بدل منه بدل اشتمال ، و﴿كَرَمَادٍ﴾ الخبر اهـ . ﴿اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ﴾ : فعل وفاعل . ﴿بِهِ﴾ : متعلق به ، والجملة في محل الجر صفة ل﴿كرماد﴾ . ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ : جار ومجرور وصفة متعلق بـ﴿اشْتَدَّتْ﴾ . ﴿لَا يَقْدِرُونَ﴾ : فعل وفاعل ، والجملة مستأنفة كما ذكره أبو البقاء . ﴿مِمَّا﴾ : جار ومجرور حال من شيء ؛ لأنه صفة نكرة قدمت عليها . ﴿كَسَبُوا﴾ : فعل وفاعل ، والجملة صلة ل﴿مما﴾ ، أو صفة لها ، والعائد أو الرابط محذوف تقديره : مما كسبوه . ﴿عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ : جار ومجرور متعلق بـ﴿يَقْدِرُونَ﴾ . ﴿ذَلِكَ﴾ : مبتدأ . ﴿هُوَ﴾ : ضمير فصل . ﴿الصَّلْوَلُ﴾ : خبر . ﴿الْبَعِيدُ﴾ : صفة لـ﴿الصَّلْوَلُ﴾ ، والجملة الاسمية مستأنفة .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾ .

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة: للاستفهام التقريري. ﴿لَمْ﴾: حرف نفي وجزم. ﴿تَرَ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ﴿لَمْ﴾، وعلامة جزمه حذف حرف العلة، وفاعله ضمير يعود على محمد، أو على أي مخاطب، والجملة مستأنفة. ﴿أَنَّ اللَّهَ﴾: ناصب واسمه. ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ﴾: فعل ومفعول به. ﴿وَالْأَرْضِ﴾: معطوف على ﴿السَّمَوَاتِ﴾ وفاعله ضمير يعود على ﴿اللَّهِ﴾. ﴿بِالْحَقِّ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿خَلَقَ﴾، أو حال من فاعل ﴿خَلَقَ﴾، أو من المفعول؛ أي: حال كونه متلبساً بالحق، وجملة ﴿خلق﴾: في محل الرفع خبر ﴿أَنَّ﴾، وجملة ﴿أَنَّ﴾ في تأويل مصدر ساد مسد مفعولي رأى. ﴿إِنْ يَشَأْ﴾: جازم وفعل مجزوم على كونه فعل شرط لـ﴿أَنَّ﴾ الشرطية، وفاعله ضمير يعود على ﴿اللَّهِ﴾. ﴿يَذُوبِكُمْ﴾: فعل ومفعول مجزوم على كونه جواب الشرط، وفاعله ضمير يعود على ﴿اللَّهِ﴾، وجملة ﴿إِنْ﴾ الشرطية: مستأنفة. ﴿وَيَأْتِ﴾: فعل مضارع معطوف على ﴿يَذُوبِكُمْ﴾، وفاعله ضمير يعود على ﴿اللَّهِ﴾. ﴿يَخْلُقِ﴾: متعلق بـ﴿يَأْتِ﴾. ﴿جَدِيدٍ﴾: صفة ﴿خَلَقَ﴾. ﴿وَمَا﴾ الواو عاطفة ﴿مَا﴾: حجازية، أو تميمية. ﴿ذَلِكَ﴾: اسمها، أو مبتدأ. ﴿عَلَى اللَّهِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿عزير﴾. ﴿بِعزير﴾: خبرها، أو خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة.

﴿وَبَرُّوْا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَتَتْكُمْ مُنُونٌ عَلْنَا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهَدَيْتُكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ سَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ﴿١١﴾﴾.

﴿وَبَرُّوْا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلق به. ﴿جَمِيعًا﴾: حال من فاعل ﴿برروا﴾. ﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ﴾: فعل وفاعل، و(الفاء): حرف عطف وترتيب، والجملة معطوفة على جملة ﴿برروا﴾. ﴿لِلَّذِينَ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿قال﴾. ﴿اسْتَكْبَرُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول. ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾: إلى قوله: ﴿قَالُوا﴾: مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿إِنَّا﴾: ناصب واسمه. ﴿كُنَّا﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور متعلق بما بعده. ﴿تَبَعًا﴾: خبر كان، وجملة كان في محل الرفع خبر ﴿إِنْ﴾، وجملة ﴿إِنْ﴾: في محل نصب مقول ﴿قال﴾. ﴿فَهَلْ﴾: (الفاء): حرف عطف وتفریع.

وفي «روح البيان»، و(الفاء): للدلالة على سببية الإتيان للاعتناء. اهـ. ﴿هَلْ﴾: حرف للاستفهام التوبيخي. ﴿أَنْتُمْ مُتَّعُونَ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية في محل نصب معطوفة على الجملة التي قبلها على كونها مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿عَنَّا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿مُتَّعُونَ﴾. ﴿مِنْ عَدَابِ اللَّهِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بمحذوف حال من ﴿شَيْءٍ﴾؛ لأنه صفة نكرة قدمت عليها. ﴿مِنْ﴾: زائدة. ﴿شَيْءٍ﴾: مفعول ﴿مُتَّعُونَ﴾؛ لأنه اسم فاعل يعمل عمل الفصحح الصحيح. ﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ﴾ إلى آخر الآية: مقول محكي لـ﴿قَالُوا﴾، وإن شئت قلت ﴿لَوْ﴾: حرف شرط غير جازم. ﴿هَدَّيْنَا اللَّهُ﴾: فعل ومفعول وفاعل، والجملة فعل شرط لـ﴿لَوْ﴾. ﴿لَهَدَيْنَكُمُ﴾: (اللام): رابطة لجواب ﴿لَوْ﴾. ﴿هَدَيْنَاكُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة الفعلية جواب ﴿لَوْ﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿لَوْ﴾ الشرطية: في محل نصب مقول ﴿قَالُوا﴾. ﴿سَوَاءٌ﴾: خبر مقدم لمبتدأ متصيد من الجملة التي بعدها. ﴿عَلَيْنَا﴾: جار ومجرور متعلق به؛ لأنه بمعنى مستو. ﴿أَجْرَعْنَا﴾: (الهمزة): لتأكيد التسوية. ﴿جَزَعْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿أَمْ﴾: متصلة عاطفة. ﴿صَبْرَنَا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿جَزَعْنَا﴾، وجملة ﴿جَزَعْنَا﴾ مع ما عطف عليه: في تأويل مصدر مرفوع على كونه مبتدأ مؤخرًا لـ﴿سَوَاءٌ﴾، والتقدير: جزعنا وصبرنا مستو علينا، والجملة في محل نصب مقول ﴿قَالُوا﴾. ﴿مَا﴾: حجازية، أو تميمية. ﴿لَنَا﴾: جار ومجرور خبر مقدم لـ﴿مَا﴾، أو للمبتدأ. ﴿مِنْ﴾: زائدة. ﴿مَحِيصٍ﴾: اسم ﴿مَا﴾ مؤخر، أو مبتدأ مؤخر، والتقدير: ما محيص كائنًا لنا، أو كائن لنا.

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لِمَا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَّكُمْ وَعَدَّ الْحَقَّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تُلْهُمُونِي وَلَوْمُوا أَنْفُسَكُمْ﴾.

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿لَمَّا﴾: حينية في محل نصب على الظرفية. ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ﴾: فعل ونائب فاعل، والجملة في محل الجر مضاف إليه، والظرف متعلق بـ﴿قَالَ﴾. ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَّكُمْ﴾ إلى آخر الآية: مقول محكي لـ﴿قَالَ﴾، وإن شئت قلت: ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: ناصب واسمه.

﴿وَعَلَّكُمْ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على ﴿الله﴾. ﴿وَعَدَ الْحَقِّي﴾: منصوب على المفعولية المطلقة، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾: في محل نصب مقول ﴿قال﴾. و﴿وَوَعَدْتُكُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل نصب معطوفة على جملة ﴿إِنَّ﴾ على كونها مقول ﴿قال﴾. ﴿فَأَخْلَفْتُمْ﴾: (الفاء): عاطفة. ﴿أخلفتكم﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة معطوفة على جملة ﴿وَوَعَدْتُكُمْ﴾. ﴿وَمَا﴾: (الواو): عاطفة. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿لِي﴾: جار ومجرور خبر مقدم لـ ﴿كَانَ﴾. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: متعلق بـ ﴿سُلْطَنٍ﴾؛ لأنه بمعنى تسلط. ﴿مِنْ سُلْطَنٍ﴾: اسم ﴿كَانَ﴾ مؤخر، و﴿مِنْ﴾: زائدة، والتقدير: وما كان سلطان عليكم كائناً لي، والجملة في محل نصب معطوفة على جملة ﴿أخلفتكم﴾ على كونها مقول ﴿قال﴾. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء منقطع. ﴿أَنَّ﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿دَعَوْتُكُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول في محل نصب بـ ﴿أَنَّ﴾ المصدرية، والجملة الفعلية في تأويل مصدر منصوب على الاستثناء، والتقدير: وما كان لي عليكم من سلطان إلا دعوتي إياكم، فالاستثناء منقطع؛ لأن دعوته إياهم ليست من جنس السلطان حتى تستثنى منه؛ أي: لكن دعوتكم فاستجبتم لي. ﴿فَأَسْتَجِبْتُمْ﴾: (الفاء): عاطفة. ﴿استجبتم﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿دَعَوْتُكُمْ﴾. ﴿لِي﴾: جار ومجرور متعلق به. ﴿فَلَا﴾: (الفاء): حرف عطف وتفریع. ﴿لَا﴾: ناهية جازمة. ﴿تَلَوْتُمُونِي﴾: فعل وفاعل ومفعول ونون وقاية مجزوم بـ ﴿لَا﴾ الناهية، وعلامة جزمه حذف النون، والجملة في محل نصب معطوفة على جملة ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَنٍ﴾. ﴿وَلَوْ مَوْأً أَنْفُسَكُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف على قوله: ﴿فَلَا تَلَوْتُمُونِي﴾.

﴿مَا أَنَا بِمُصْرِحِكُمْ وَمَا أَنتَ بِمُصْرِحِي﴾.

﴿مَا﴾: نافية، أو حجازية. ﴿أَنَا﴾: مبتدأ، أو اسم ﴿مَا﴾. ﴿بِمُصْرِحِكُمْ﴾: خبر المبتدأ، أو خبر ﴿مَا﴾، والباء: زائدة، والجملة في محل نصب مقول ﴿قال﴾. ﴿وَمَا﴾: (الواو): عاطفة. ﴿مَا﴾: حجازية، أو تميمية. ﴿أَنْتُمْ﴾: اسم ﴿مَا﴾، أو مبتدأ. ﴿بِمُصْرِحِي﴾: (الباء): زائدة. ﴿مُصْرِحِي﴾: خبر ﴿مَا﴾.

الحجازية منصوب، وعلامة نصبه الياء الممنوعة لاشتغال المحل بالياء المجلوبة  
 لحرف جر زائد، وياء المتكلم في محل الجر مضاف إليه، لأن أصله ما أنتم  
 بمصرخين لي كما سيأتي في مباحث الصرف، والجملة في محل النصب معطوفة  
 على الجملة التي قبلها.

﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿إِنِّي﴾: ناصب واسمه. ﴿كَفَرْتُ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية في  
 محل الرفع خبر ﴿إِن﴾، وجملة ﴿إِن﴾: في محل النصب مقول ﴿قال﴾.  
 ﴿بِمَا﴾: (الباء): حرف جر. ﴿مَا﴾: مصدرية. ﴿أَشْرَكْتُمُونِ﴾: فعل ماض مبني  
 على السكون؛ لاتصاله بضمير رفع متحرك، التاء ضمير لجماعة المخاطبين في  
 محل الرفع فاعل، الميم: حرف دال على الجمع، الواو: حرف زائد لإشباع  
 حركة الميم، والنون: نون الوقاية، وياء المتكلم المحذوفة اجتزاء عنها بكسرة  
 نون الوقاية في محل النصب مفعول به. ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: جار ومجرور متعلق  
 بـ﴿أَشْرَكْتُمُونِ﴾، والجملة الفعلية صلة ﴿مَا﴾ المصدرية، ﴿مَا﴾ مع صلتها: في  
 تأويل مصدر مجرور بالباء، الجار والمجرور متعلق بـ﴿كَفَرْتُ﴾، والتقدير: إني  
 كفرت بإشراككم إياي بالله من قبل. ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾: ناصب واسمه. ﴿لَهُمْ﴾:  
 خبر مقدم. ﴿عَذَابٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿أَلِيمٌ﴾: صفة له وجملة الابتداء في محل  
 الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾: في محل النصب مقول ﴿قال﴾ إن قلنا: إنه من  
 تمام كلام إبليس اللعين، أو مستأنفة إن قلنا: إنه من كلام الله.

﴿وَأَدْخِلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ  
 فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ يُحْبَبُونَ﴾ (٣٣).

﴿وَأَدْخِلَ الَّذِينَ﴾: فعل ونائب فاعل، والجملة مستأنفة. ﴿ءَامَنُوا﴾: فعل  
 وفاعل صلة الموصول. ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف على  
 ﴿ءَامَنُوا﴾. ﴿جَنَّاتٍ﴾: منصوب على الظرفية المكانية متعلق بـ﴿أَدْخِلَ﴾. ﴿تَجْرِي﴾:  
 فعل مضارع. ﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾: متعلق به. ﴿الْأَنْهَارُ﴾: فاعل، والجملة الفعلية في  
 محل النصب صفة لـ﴿جَنَّاتٍ﴾، ولكنها سببية. ﴿خَالِدِينَ﴾: حال من اسم

الموصول الواقع نائب فاعل لـ ﴿أَدْخَلَ﴾ . ﴿فِيهَا﴾ : متعلق بـ ﴿خَلِيدِينَ﴾ . ﴿يَأْذِنُ رَبَّهُمْ﴾ : جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ ﴿أَدْخَلَ﴾ . ﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾ : مبتدأ . ﴿فِيهَا﴾ : جار ومجرور حال من ضمير الغائبين . ﴿سَلَّمَ﴾ : خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، أو حال من مرفوع ﴿أَدْخَلَ﴾ .

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ (٧٤) .

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ : (الهمزة): للاستفهام التقريري . ﴿لم تر﴾ : جازم ومجزوم، وفاعله ضمير يعود على محمد، أو على أي مخاطب، والجملة مستأنفة . ﴿كَيْفَ﴾ : اسم استفهام تعجبي في محل نصب على الحال من المفعول الثاني الذي هو ﴿مَثَلًا﴾ . ﴿ضَرَبَ اللَّهُ﴾ : فعل وفاعل بمعنى: صير يتعدى إلى مفعولين . ﴿مَثَلًا﴾ : مفعول ثان . ﴿كَلِمَةً﴾ : مفعول أول، وأخرت عن المفعول الثاني، وهو ﴿مَثَلًا﴾ ، لثلا تبعد عن صفتها . ﴿طَيِّبَةً﴾ : صفة لـ ﴿كَلِمَةً﴾ ، والتقدير: ألم تر كيف صير كلمة طيبة مثلاً حالة كون ذلك المثل كيف؛ أي: حالة كونه مسؤولاً عن حاله من غرابته وإحكامه وتوضيحه، وجملة ﴿ضَرَبَ﴾ : في محل نصب سادة مسد مفعولي رأى . ﴿كَشَجَرَةٍ﴾ : جار ومجرور خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هي؛ أي: الكلمة الطيبة كائنة كشجرة طيبة، والجملة الاسمية جملة مفسرة للمثل، لا محل لها من الإعراب . ﴿طَيِّبَةً﴾ مضاف إليه ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ : مبتدأ وخبر، والجملة في محل الجر صفة ثانية لـ ﴿شَجَرَةٍ﴾ . ﴿وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ : مبتدأ وخبر، والجملة معطوفة على الجملة التي قبلها على كونها صفة لـ ﴿شَجَرَةٍ﴾ .

﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ يَأْذِنُ رَبُّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ .  
 ﴿تُؤْتِي﴾ : فعل مضارع بمعنى تعطي، وفاعله ضمير يعود على ﴿شَجَرَةٍ﴾ .  
 ﴿أَكْلَهَا﴾ : مفعول ثان لآتى، والأول محذوف تقديره تؤتي أصحابها أكلها .  
 ﴿كُلَّ حِينٍ﴾ : منصوب على الظرفية متعلق بـ ﴿تُؤْتِي﴾ ، وجملة ﴿تُؤْتِي﴾ : في محل الجر صفة لـ ﴿شَجَرَةٍ﴾ . ﴿يَأْذِنُ رَبُّهَا﴾ : جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ ﴿تُؤْتِي﴾ . ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ : فعل وفاعل ومفعول، والجملة مستأنفة .

﴿لِلنَّاسِ﴾: متعلق به. ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: ناصب واسمه. وجملة ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾: خبره، وجملة ﴿لعل﴾: مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَيِّثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَيْثَةٍ أَجْتَنَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾.

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ﴾: مبتدأ ومضاف إليه. ﴿خَيْثَةٍ﴾: صفة لـ ﴿كَلِمَةٍ﴾.

﴿كَشَجَرَةٍ﴾: جار ومجرور خبر مبتدأ، والجملة مستأنفة. ﴿خَيْثَةٍ﴾: صفة أولى لـ ﴿شجرة﴾. ﴿أَجْتَنَّتْ﴾: فعل ماضٍ مغير الصيغة، ونائب فاعله ضمير يعود على ﴿شجرة﴾. ﴿مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ﴾: جار ومجرور متعلق به، والجملة الفعلية في محل الجر صفة ثانية لـ ﴿شجرة﴾. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿لَهَا﴾: جار ومجرور خبر مقدم. ﴿مِنْ قَرَارٍ﴾: مبتدأ مؤخر، و﴿مِنْ﴾: زائدة، والجملة الاسمية في محل الجر صفة لـ ﴿شجرة﴾، أو في محل النصب حال من الضمير في ﴿أَجْتَنَّتْ﴾، وهذه الجملة بمنزلة التعليل.

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾.

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة مستأنفة. ﴿ءَامَنُوا﴾:

فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿بِالْقَوْلِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ ﴿يُثَبِّتُ﴾.

﴿الثَّابِتِ﴾: صفة لـ ﴿القول﴾. ﴿فِي الْحَيَاةِ﴾: متعلق بـ ﴿يُثَبِّتُ﴾ أيضاً. ﴿الدُّنْيَا﴾:

صفة لـ ﴿الْحَيَاةِ﴾. ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾: جار ومجرور معطوف على الجار والمجرور

قبله. ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿يُثَبِّتُ﴾.

﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿يُثَبِّتُ﴾. ﴿يَشَاءُ﴾: فعل

مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿اللَّهُ﴾، والجملة صلة لـ ﴿مَا﴾، أو صفة لها،

والعائد أو الرابط محذوف تقديره: ما يشاء، والله أعلم.

### التصريف ومفردات اللغة

﴿أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ من عاد بمعنى صار؛ أي: لتصيرن داخلين في ملتنا،

أصله لتعودونن، حذفت نون علامة الرفع لتوالي الأمثال وواو الجماعة لالتقاء

الساكنين، فصار لتعودن، والملة: الدين والشريعة.

﴿مَقَامِي﴾ والمقام: موقف الحساب. وفي «السمين»: وفي ﴿مَقَامِي﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه مقحم، وهو بعيد، إذ الأسماء لا تقحم.

الثاني: أنه مصدر مضاف للفاعل، قال الفراء: مقامي مصدر مضاف لفاعله؛ أي: قيامي عليه بالحفظ.

الثالث: أنه اسم مكان، قال الزجاج: مكان وقوفه بين يدي للحساب، كقوله: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾، والمقام - بفتح الميم -: مكان الإقامة، وبالضم فعل الإقامة.

﴿وَحَافٍ وَعِيدٍ﴾؛ أي: وعيدي بالعذاب، أو عذابي الموعود للكفار على أن يكون الوعيد بمعنى الموعود. والخوف: غم يلحق لتوقع المكروه، والوعيد: الاسم من الوعد.

﴿وَأَسْتَفْتَحُوا﴾؛ أي: استنصروا الله تعالى ودعوا عليهم بالعذاب، من الاستفتاح استفعال من الفتح. وفي «القاموس»: والفتح كالفتاحة - بضم الفاء وكسرهما -: الحكم بين الخصمين. ا هـ. أي: طلبوا الفتح بالنصرة على الأعداء.

﴿وَحَابٍ﴾؛ أي: هلك، وقيل: خسر. ﴿كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾، والجبار: العاتي المتكبر عن طاعة الله، والعنيد: المعاند للحق المخالف له، وقيل: الجبار في صفة الإنسان، يقال لمن تجبر بنفسه بادعاء منزلة عالية لا يستحقها، وهو صفة ذم في حق الإنسان. وقيل: الجبار الذي لا يرى فوقه أحداً. وقيل: الجبار المتعظم في نفسه المتكبر على أقرانه. وقيل: العنيد هو المعرض عن الحق. وقيل: هو المعجب بما عنده، وهو فعيل بمعنى مفاعل؛ أي: بمعنى معاند، كالخليط بمعنى المخالط. ا هـ. «كرخي». وقال الزجاج: العنيد الذي يعدل عن القصد، وبمثله قال الهروي، وقال أبو عبيد: هو الذي عند وبغى.

﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ﴾؛ أي<sup>(١)</sup>: من بعده جهنم، والمراد بعد هلاكه، على أن

(١) الشوكاني.



وراء هنا بمعنى بعد، ومنه قول النابغة:

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رَيْبَةً      وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِمَرْءٍ مَذْهَبُ

أي: ليس بعد الله، ومثله قوله: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾؛ أي: ومن بعده كذا، قال الفراء: وقيل: ﴿مِنْ وَرَائِهِ﴾؛ أي: من أمامه. قال أبو عبيد هو من أسماء الأضداد، ومنه قول الشاعر:

وَمِنْ وَرَائِكَ يَوْمٌ أَنْتَ بَالِغُهُ      لَا حَاضِرٌ مُعْجِزٌ عَنْهُ وَلَا بَادِي

وقال ثعلب: هو اسم لما توارى عنك، سواء كان خلفك أو قدامك. اهـ.

﴿صَكِيدِرٌ﴾: هو ما يسيل من جوف أهل النار مختلطاً بالقيح والدم. وقال

محمد بن كعب القرظي: هو ما يسيل من فروج الزناة يسقاه الكافر.

﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾؛ أي: يكلف<sup>(١)</sup> على جرعه وبلعه مرة بعد مرة، وتجرع من

باب تفعل الخماسي، وفيه احتمالات:

أحدها: أنه مطاوع جرعه بالتشديد، نحو علمته فتعلم.

والثاني: أن يكون للتكلف نحو تحلم؛ أي: يتكلف جرعه، ولم يذكر

الزمخشري غيره. ومعنى التكلف أن الفاعل يتعافى ذلك الفعل ليحصل بمعاناته، كتشجع، إذ معناه: استعمل الشجاعة وكلف نفسه إياها لتحصل. ذكره في «روح البيان».

والثالث: أنه دال على المهلة نحو تفهمته؛ أي: يتناوله شيئاً فشيئاً بالجرع،

كما يفهم شيئاً فشيئاً بالتفهم.

والرابع: أنه بمعنى جرعه المجرد نحو: عدوت الشيء وتعديته. اهـ.

«سمين».

﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾؛ أي: ولا يقارب أن يسيفه فضلاً عن الإساعة، بل

يغض به، والسواغ انحذار الشراب في الخلق بسهولة وقبول نفس، يقال: ساغ

(١) الفتوحات.

الشراب إذا جاز الخلق بسهولة، وقال بعض المفسرين: إن كاد هنا صلة، والمعنى: يتجرعه ولا يسيغه. ا هـ.

﴿كِرْمَادٍ﴾ والرماد معروف، وهو ما سحقته النار من الأجرام، وجمعه في الكثرة رمد، وفي القلة على أرمد. ا هـ. «سمين». وقال ابن عيسى<sup>(١)</sup>: الرماد هو جسم يسحقه الإحراق سحق الغبار، ويجمع على رمد في الكثرة، وأرمدة في القلة، وشذ جمعه على أفعلاء، قالوا: أرمداء ورماد رمدد إذا صار هباء أرق ما يكون.

﴿أَشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ ومعنى اشتدت به الريح، حملته بشدة وسرعة، والعصف: شدة الريح، وصف به زمانها مبالغة، كما يقال: يوم حار ويوم بارد، والحر والبرد فيهما لا منهما.

﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ﴾: جمع<sup>(٢)</sup>: ضعيف، والضعف خلاف القوة، وقد يكون في النفس، وفي البدن، وفي الحال، وفي الرأي، والمناسب للمقام هو الأخير، فإنه لو كان في رأيهم قوة لما اتبعوهم في تكذيب الرسل والإعراض عن نصائحهم.

﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾: جمع تابع، كخدم جمع خادم، وحرس جمع حارس، ورصد جمع راصد، وهو المستن بآثار من يتبعه؛ أي: تابعين لكم في تكذيب الرسل والإعراض عن نصائحهم مطيعين لكم فيما أمرتمونا به. ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَوِنُونَ عَنَّا﴾؛ أي: دافعون عنا، يقال: أغنى عنه إذا دفع عنه الأذى، وأغناه إذا أوصل إليه النفع.

﴿أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾ الجزع<sup>(٣)</sup>: عدم احتمال الشدة، وعدم الصبر على البلاء، وهو نقيض الصبر. قال الشاعر:

جَزِعْتُ وَلَمْ أَجْزَعْ مِنَ الْبَيْنِ مَجْزَعًا وَعَذَّبْتُ قَلْبًا بِالْكَوَاكِبِ مُوَلَعًا

(٣) البحر المحيط.

(١) البحر المحيط.

(٢) روح البيان.

وفي «المصباح»: وجزع الرجل جزعاً - من باب تعب - فهو جزع وجزوع مبالغة إذا ضعف من حمل ما نزل به، ولم يجد صبراً وأجزعث غيره.

﴿مِنْ مَّحِيصٍ﴾؛ أي: من منجأ<sup>(١)</sup> ولا مهرب من عذاب الله، يقال: حاص فلان عن كذا؛ أي: فر وزاغ يحيص حيصاً وحيوصاً وحيصاناً، والمعنى: ما لنا وجه نتباعد به عن النار. وفي «المختار»: حاص عنه إذا عدل وحاد، وبابه باع وحيوصاً ومحيصاً ومحاصاً وحيصاً بفتح الياء، يقال: ما عنه محيص؛ أي: محيد ومهرب، والانحياص مثله. اهـ. وهو يحتمل أن يكون مكاناً كالبيت، ومصدراً كالمغيب.

﴿وَعَدَ الْحَقُّ﴾؛ أي: وعداً من حقه أن ينجز، أو وعداً أنجزه. اهـ. «بيضاوي». وفي «السمين»: يجوز أن يكون من إضافة الموصوف لصفته؛ أي: الوعد الحق، وأن يراد بالحق صفة الباري تعالى؛ أي: وعدكم الله تعالى وعده، وأن يراد بالحق البعث والجزاء على الأعمال، فتكون إضافة صريحة. اهـ.

﴿فَأَسْتَجِبْتُمْ لِي﴾؛ أي: أجبتُموني، فالسين والتاء زائدتان ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾ المصرخ<sup>(٢)</sup>: المغيث. قال الشاعر:

فَلَا تَجْزَعُوا إِنِّي لَكُمْ غَيْرَ مُصْرِخٍ      وَلَيْسَ لَكُمْ عَنِّي عَنَاءٌ وَلَا نَضْرُ  
والصارخ المستغيث، يقال: صرخ يصرخ صرخاً وصراخاً وصرخة. قال سلامة بن جندل:

كُنَّا إِذَا مَا أَتَانَا صَارِخٌ فَنَزَعُ      كَانَ الصُّرَاخُ لَهُ قَرَعُ الظَّنَابِيْبِ  
واصطرخ بمعنى صرخ وتصرخ إذا تكلف الصراخ، واستصرخ استغاث، فقال: استصرخني فأصرخته، والصريخ مصدر كالصهيل، ويوصف به المغيث والمستغيث من الأضداد. وفي «المصباح»: صرخ يصرخ - من باب قتل - صراخاً فهو صارخ، وصريخ إذا صاح وصرخ، فهو صارخ إذا استغاث، واستصرخته، استغثت به فأغاثني فهو صريخ؛ أي: مغيث ومصرخ على القياس.

(١) الشوكاني.

(٢) البحر المحيط.

﴿وَمَا أَنْتَ بِمُفْرِحٍ﴾ أصله بمصرخين<sup>(١)</sup> لي جمع مصرخ، كمسلمين جمع مسلم، فياء الجمع ساكنة وياء الإضافة كذلك، فحذفت اللام للتخفيف والنون للإضافة، فالتقى ساكنان وهما الياءان، فأدغمت ياء الجمع في ياء الإضافة، ثم حركت ياء الإضافة بالفتح على القراءة المشهورة طلباً للخفة وتخلصاً من توالي ثلاث كسرات، وكسرت على غير المشهورة على أصل التخلص من التقاء الساكنين، أو اتباعاً لكسرة الخاء.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ المثل<sup>(٢)</sup>: قول في شيء يشبه بقول في شيء آخر لما بينهما من المشابهة، ويوضح الأول بالثاني ليمت انكشاف حاله به.

﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾؛ أي: ضارب بعروقه في الأرض ﴿وَفَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾؛ أي: في جهة العلو، والفرع: الغصن من الشجرة، ويطلق على ما يولد من الشيء، والفرع أيضاً: الشعر، يقال: رجل أفرع وامرأة فرعاء لمن كثر شعره. وقال امرؤ القيس بن حجر:

وَفَرَعٌ يُعَشِّي أَلْمَتْنَ أَسْوَدُ فَاجِمٌ

﴿تَوَقَّى أَكْلَهَا﴾؛ أي: تعطي ثمرها. ﴿كُلَّ حِينٍ﴾؛ أي: كل وقت، والحين في اللغة<sup>(٣)</sup>: الوقت يطلق على القليل والكثير واختلفوا في مقداره هنا، فقال مجاهد وعكرمة: الحين هنا: سنة كاملة؛ لأن النخلة تثمر في كل سنة مرة. وقال سعيد بن جبير وقتادة والحسن: ستة أشهر يعني: من وقت طلوعها إلى حين صرامها، وروي ذلك عن ابن عباس أيضاً. وقال علي بن أبي طالب: ثمانية أشهر يعني: أن مدة حملها باطناً وظاهراً ثمانية أشهر. وقيل: أربعة أشهر من حين ظهور حملها إلى إدراكها. وقال سعيد بن المسيب: شهران يعني: من وقت أن يؤكل منها إلى صرامها. وقال الربيع بن أمس: ﴿كُلَّ حِينٍ﴾ يعني: كل غدوة وعشية؛ لأن ثمرة النخلة تؤكل أبداً ليلاً ونهاراً صيفاً وشتاءً، فيؤكل منها الجمار

(١) الفتوحات.

(٢) المراغي.

(٣) الخازن.

والطلع والبلح والبسر والمنصف والرطب، وبعد ذلك يؤكل التمر اليابس إلى الطري الرطب، فأكلها دائم في كل وقت. ا هـ. «خازن».

﴿يَاذِنِ رَبِّهَا﴾؛ أي: بإرادة خالقها.

﴿أَجْتَنَّتْ﴾؛ أي: استؤصلت وأخذت جثتها من الجث؛ وهو القطع باستئصال، فهو صفة لشجرة، ومعنى اجتثت، قلعت جثتها؛ أي: شخصها وذاتها من فوق الأرض، والجثة: شخص الإنسان قاعداً وقائماً. وقال لقيط الإياري:

هو الجلاء الذي يجتث أصلكم فمن رأى مثل ذا آتٍ ومن سمعا  
ويقال<sup>(١)</sup>: اجتثت الشيء إذا قلعت، فهو افتعال من لفظ الجثة، وجثت  
الشيء قلعت، والمعنى: على التشبيه؛ أي: كأنها اجتثت، وكأنها غير ثابتة  
بالكلية، وكأنها ملقاة على وجه الأرض.

﴿مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾؛ أي: استقرار عليها يقال: قر الشيء قراراً نحو ثبت  
ثباتاً.

## البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضرباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان  
والبدیع:

فمنها: الإظهار في مقام الإضمار في قوله: ﴿لَتُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ تسجيلاً  
عليهم باسم الظلم، فإن الشرك لظلم عظيم.

ومنها: اللم في قوله: ﴿وَنَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ تسجيلاً<sup>(٢)</sup> عليهم باسم  
التجبر والعناد، لا أنهم بعضهم ليسوا كذلك، وأنه لم تصبهم الخيبة.

(١) الفتوحات.

(٢) روح البيان.

ومنها: الإبهام ثم البيان في قوله: ﴿مِن مَّاءٍ صَكِيدٍ﴾ أبهم الماء أولاً، ثم بين بالصدید تعظيماً وتهويلاً لأمره، وتخصيصه بالذكر من بين عذابها يدل على أنه من أشد أنواعه.

ومنها: المبالغة في قوله: ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾؛ أي: لا يقارب أن يسيفه وبيتلعه فضلاً عن الإساعة، بل يغص به.

ومنها: المجاز المرسل في قوله: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ﴾؛ لأنه مجاز عن أسبابه، ففيه إطلاق المسبب وإرادة السبب.

ومنها: جناس الاشتقاق في قوله: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ﴾، ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾.

ومنها: التشبيه التمثيلي في قوله: ﴿أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ أَسْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ﴾؛ لأن وجه الشبه منتزع من متعدد، شبه<sup>(١)</sup> الله سبحانه وتعالى صنائع الكفار - جمع صنيعه - من الصدقة وصلة الرحم وعتق الرقاب وفك الأسير وإغاثة الملهوف ونحو ذلك من مكارمهم في حبوطها وذهابها هباءً منثوراً لبنائها على غير أساس من معرفة الله تعالى وتوحيده، وكونها لوجهه برماد طيرته الريح العاصف، ووجه الشبه أن الريح العاصف تطير الرماد، وتفرق أجزائه بحيث لا يبقى له أثر، فكذلك كفرهم أبطل أعمالهم وأحبطها بحيث لا يبقى لها أثر، وقد بين مقصوده ومحصله بقوله: ﴿لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ﴾.

ومنها: الإسناد المجازي في قوله: ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾؛ لأن العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم: نهاره صائم وليله قائم.

ومنها: فذلکة التمثيل والتشبيه في قوله: ﴿لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ﴾.

ومنها: الإسناد المجازي في قوله: ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾؛ لأن العصف اشتداد الريح ووصف به زمانه للمبالغة كقولهم: نهاره صائم وليله قائم.

(١) البيضاوي وزاده.

ومنها: فذلكة التمثيل والتشبيه في قوله: ﴿لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَيَّ﴾.

ومنها: الإسناد المجازي في قوله: ﴿ذَلِكَ هُوَ الصَّلَافُ الْبَعِيدُ﴾ فأسند البعد الذي هو من أحوال الضلال إلى الضلال الذي هو فعله مجازاً مبالغة.

ومنها: الطباق في قوله: ﴿يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.

ومنها: إيثار<sup>(١)</sup> صيغة الماضي في قوله: ﴿وَيَرْزُقُوا اللَّهَ جَمِيعًا﴾ وإن كان معناه الاستقبال؛ للدلالة على تحقق وقوعه؛ لأن كل<sup>(٢)</sup> ما أخبر الله عنه فهو حق وصدق كائن لا محالة، فصار كأنه قد حصل ودخل في الوجود، وكذا في قوله: ﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ﴾ دلالة على أن وقوعه محقق.

ومنها: الطباق بين ﴿الضُّعَفَاءُ﴾ و﴿الذين استكبروا﴾.

ومنها: الاستفهام التويخي في قوله: ﴿فَهَلْ أَنْتَ مُغْنُونَ﴾.

ومنها: الطباق في ﴿جزعنا﴾ و﴿صَبْرَنَا﴾.

ومنها: إيثار صيغة الماضي في قوله: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ﴾ وإن كان معناه مستقبلاً.

ومنها: جناس الاشتقاق في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ﴾.

ومنها: التجوز في قوله: ﴿فَأَخْلَفْتُمْ﴾؛ لأن الإخلاف<sup>(٣)</sup> حقيقة هو عدم إنجاز من يقدر على إنجاز وعده، وليس الشيطان كذلك، فقوله: ﴿أخلفتكم﴾، يكون مجازاً جعل تبين خلف وعده كالإخلاف منه، كأنه كان قادراً على إنجازهِ، وأنى له ذلك.

ومنها: الاستعارة في قوله: ﴿يَمَّا أَشْرَكْتُمْ﴾ شبه طاعته باتباعه فيما زينه

(٣) روح البيان.

(١) روح البيان.

(٢) الخازن.

لهم بإشراكه مع الله بجامع الاتباع في كل على طريقة الاستعارة التصريحية التبعية كما في «الشهاب».

ومنها: طباق السلب في قوله: ﴿فَلَا تُلْمُوايَ وَي وَلُوْمُوا أَنفُسَكُمْ﴾.

ومنها: الاستفهام التعجبي في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾.

ومنها: التشبيه المرسل المجمل في قوله: ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ وقوله: ﴿ومثل كلمة كشجرة خبيثة﴾.

ومنها: الطباق في قوله: ﴿أَصْلُهَا﴾، ﴿وَفَرْعُهَا﴾، وفي ﴿طَيِّبَةً﴾، ﴿خَبِيثَةً﴾.

ومنها تغيير<sup>(١)</sup> الأسلوب في قوله: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾.. الخ. حيث لم يقل: وضرب الله مثلاً كلمة خبيثة.. الخ للإيذان بأن ذلك غير مقصود بالضرب والبيان. اهـ. «أبو السعود».

ومنها: الاستعارة التصريحية الأصلية في قوله: ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ حيث شبه النجم؛ وهو ما لا ساق له بالشجر، وهو ما له ساق بجامع أن كلا منهما نبات، فاستعار له اسم الشجر، وقيل: تسميتها شجرة للمشكلة.

ومنها: الإسناد المجازي في قوله: ﴿تَوَوَّأُ أَكْلَهَا﴾.

ومنها: الإظهار<sup>(٢)</sup> في مقام الإضمار في قوله: ﴿يُضِلُّ اللَّهُ﴾ وفي قوله: ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ﴾ لثرية المهابة.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

\*\*\*

(١) الفتوحات.

(٢) الشوكاني.



قال الله سبحانه جلّ وعلا:

﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ لِلَّهِ كُفْرًا وَأَقْبَلُوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا  
وَيَسُكُّونَ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِن مَّصِيرِكُمْ إِلَى النَّارِ  
﴿٣٠﴾ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَهُمْ يُؤْتُونَ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ  
يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا يَخْتَلَى ﴿٣١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً  
فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ  
الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَاكُمْ مِن  
كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَطَالُمُ كَفَارًا ﴿٣٤﴾  
وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ  
أَشْجَلَنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن يَعْصِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَبَّنَا إِنِّي  
أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُرُودًا غَيْرَ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ  
النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعَلِّنُ  
وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ  
إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعٌ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا  
وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾

### المناسبة

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ لِلَّهِ كُفْرًا وَأَقْبَلُوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ﴾  
﴿٢٨﴾... ﴿٢٩﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما  
ذكر<sup>(١)</sup> حال المؤمنين وهداهم، وحال الكافرين وإضلالهم... ذكر السبب في  
إضلالهم.

وعبارة «المراغي» هنا: مناسبة لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما  
ذكر<sup>(٢)</sup> الأمثال بياناً لحالي الفريقين، وذكر ما يليه من التوفيق في الدارين

(١) البحر المحيط.

(٢) المراغي.

للسعداء، وما ينال الأشقياء من الخذلان والإضلال جزاء ما كسبت أيديهم من تدسيتهم لأنفسهم باجتراحهم للشرور والآثام، وبين أن كل ذلك يفعله على حسب ما يرى من الحكمة والمصلحة. . ذكر<sup>(١)</sup> هنا الأسباب التي أوصلتهم إلى سوء العاقبة معجباً برسوله ﷺ مما صنعوا من الأباطيل التي لا تكاد تصدر ممن له حظ من الفكر والنظر، ولم تكن هذه الطامة خاصة بهم، بل كانت فتنة شعواء عمتهم جميعاً ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾.

ذاك أنهم بدلوا النعمة كفرأً، والشكر جحداً، وإنكاراً، وليت البلية كانت واحدة، بل أضافوا إليها أخرى، فاتخذوا لله الأنداد والشركاء، ثم تلبثوا بإضلال غيرهم، فكانوا دعاة الكفر وأعوان الفتنة:

فَلَوْ كَانَ هَمٌّ وَاحِدٌ لَأَخْتَمَلْتُهُ وَلَكِنَّهُ هَمٌّ وَثَانٍ وَثَالِثٌ  
ومن ثم كانت عاقبتهم التي لا مرد لها العذاب الأليم في جهنم وبئس المصير، ثم بين لرسوله ﷺ أن مثل هؤلاء لا تجدي فيه العظة، فذرههم يتمتعوا في هذه الحياة حتى حين، ثم لا بد لهم من النصيب المحتوم.

قوله تعالى: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها<sup>(٢)</sup>: أنه سبحانه وتعالى لما ذكر حال الكفار وكفرهم نعمته، وجعلهم له أنداداً، وهددهم. . أمر المؤمنين بلزوم الطاعة والתיقظ لأنفسهم، والزام عمودي الإسلام: الصلاة والزكاة قبل مجيء يوم القيامة.

وعبارة المراغي هنا<sup>(٣)</sup>: بعد أن أمر الله سبحانه وتعالى الكافرين على سبيل الوعيد والتهديد بالتمتع بنعيم الدنيا. . أمر عباده المؤمنين بعدم المغالاة في التمتع بها، والجد في مجاهدة النفس والهوى ببذل النفس والمال في كل ما يرفع شأنهم ويقربهم من ربهم، وينيلهم الفوز لديه في يوم لا تنفع فيه فدية ولا صداقة ولا خلة ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ ءَاتَى اللَّهَ يَنْفَعُ سَلِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾.

(٣) المراغي.

(١) المراغي.

(٢) البحر المحيط.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر أحوال الكافرين لنعمه حين بدلوا الشكر بالكفر، واتخذوا لله أنداداً، فكان جزاؤهم جهنم وبئس المهاد، ثم أمر المؤمنين بإقامة شعائر الدين من صلاة وزكاة شكراً لربهم على ما أوتوا من النعم، وحثاً لهم على الجهاد في سبيل كمالهم ورفقيهم، ببذل النفس والنفيس، وهو المال لتكامل لهم السعادة في الدارين. . . شرع بذكر الأدلة المنصوبة في الآفاق والأنفس التي توجب على عباده المثابرة على شكره ودوام الطاعة له، ويذكر النعم الجسم التي يتقبلون في أعطافها آناء الليل وأطراف النهار؛ ليكون في ذلك حث لهم على التدبر فيما يأتون وفيما يذرون، وفيه عظيم الدلالة على وجوب شكر الصانع لها، كما فيه أشد التقريع للكافرين الذين أعرضوا عن النظر والتفكر في تلك النعم، فكان هذا داعية كفرها وجحودها وغمطها وكنودها.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: لما ذكر<sup>(١)</sup> سبحانه وتعالى الأدلة على أن لا معبود سواه، وأنه لا يجوز بحال أن يعبد غيره، وطلب إلى رسوله أن يعجب من حال قومه إذ بدلوا نعمة الله كفراً وعبدوا الأوثان والأصنام. . . ذكر هنا أن الأنبياء جميعاً حثوا على ترك عبادة الأصنام، فإبراهيم صلوات الله عليه وسلامه؛ وهو أبوهم نعى على قومه عبادتها، وطلب إلى الله أن يجنبه وبنيه ذلك، فإنها كانت سبباً في ضلال كثير من الناس، وشكر الله على أن وهب له على كبره ولديه إسماعيل وإسحاق، ثم ختم مقاله بأن يغفر له ولوالديه وللمؤمنين ذنوبهم عند العرض والحساب.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا...﴾ الآيات، قال أبو حيان: مناسبة هذه الآيات لما قبلها<sup>(٢)</sup>: أنه تعالى لما ذكر التعجيب من الذين بدلوا نعمة الله كفراً وجعلوا لله أنداداً؛ وهم قريش ومن تابعهم من العرب الذين

(١) المراغي.

(٢) البحر المحيط.

اتخذوا آلهة من دون الله، وكان من نعم الله عليهم، وإسكانه إياهم حرمه... أردف ذلك بذكر أصلهم إبراهيم، وأنه صلوات الله عليه دعا الله تعالى أن يجعل مكة آمنة، ودعا بأن يجنب بنيه عبادة الأصنام، وأنه أسكنه وذريته في بيته ليعبدوه وحده بالعبادة التي هي أشرف العبادة، وهي الصلاة لينظروا في دين أبيهم، وأنه مخالف لما ارتكبه من عبادة الأصنام، فيزدجروا ويرجعوا عنها.

## أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ...﴾ الآية، سبب نزولها: ما أخرجه ابن جرير عن عطاء بن يسار قال<sup>(١)</sup>: نزلت هذه الآية في الذين قتلوا يوم بدر قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ...﴾ الآية.

وقد ذهب<sup>(٢)</sup> جمهور المفسرين إلى أن الآية نزلت في كفار مكة، وقيل: نزلت في الذين قاتلوا رسول الله ﷺ يوم بدر، وقيل: نزلت في بطنين من بطون قريش بني مخزوم وبني أمية، وقيل: إنها عامة في جميع المشركين، وقيل غير ذلك.

## التفسير وأوجه القراءة

والاستفهام في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ استفهام تعجيب لرسول الله ﷺ، أو لكل مخاطب، والخطاب فيه لرسول الله ﷺ، أو لكل من يصلح له؛ أي: هل رأيت يا محمد عجباً مثل عجب هؤلاء المذكورين؛ أي: ألم تنظر يا محمد ﴿إِلَى﴾ حال الكفار ﴿الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾؛ أي: جعلوا بدل شكر نعمة الله التي هي إرسال محمد ﷺ إليهم ﴿كُفْرًا﴾؛ أي: جحداً وتكذيباً له، وشكرها الإيمان به ﷺ في جميع ما جاء به، وهم أهل مكة حيث أسكنهم الله حرمه الآمن، ووسع عليهم أبواب رزقه، وشرفهم بمحمد ﷺ، فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين، فقتلوا وأسروا يوم بدر؛ لأن<sup>(٣)</sup> شكرها الذي وجب عليهم وضعوا مكانه كفراً، فكانهم غيروا الشكر إلى الكفر، وبدلوه تبديلاً ﴿وَأَحْلَوْا قَوْمَهُمْ﴾ الذين تابعوهم على الكفر

(٣) النسفي.

(١) لباب القول.

(٢) الشوكاني.

وأنزلوهم ﴿دَارَ الْبُورِ﴾؛ أي: دار الهلاك جهنم: عطف بيان ﴿يَصَلُّونَهَا﴾؛ أي: يقاسون حرها؛ أي: حالة كونهم يدخلونها يوم القيامة مقاسين لحرها؛ أي: أنزل<sup>(١)</sup> بعض قريش المظمعون يوم بدر - وهم بنو أمية وبنو المغيرة - أتباعهم، وهم بقية قريش بسبب إضلالهم إياهم وإرشادهم إلى طريقة الشرك دار الهلاك التي هي جهنم يوم القيامة حالة كون كلهم من الأتباع والمتبوعين يدخلون جهنم مقاسين لحرها كفاء ضلالهم وإضلالهم، وعدم<sup>(٢)</sup> التعرض لحلولهم لدلالة الإحلال عليه، إذ هو فرعه ﴿وَيَسَّرَ الْفَرَارَ﴾؛ أي: وقبح المستقر والمنزل لهم يوم القيامة، والمخصوص بالذم جهنم داراً لهم.

والمعنى: أي ألم<sup>(٣)</sup> تعلم وتعجب من قوم بدلوا شكر النعمة غمطاً لها، وجحوداً بها كأهل مكة الذين أسكنهم الله حرماً آمناً يجبي إليه ثمرات كل شيء، وجعلهم قوام بيته، وشرفهم بإرسال رسوله محمد ﷺ من بينهم، فكفروا بتلك النعمة، فأصابهم الجذب والقحط سبع سنين دأباً، وأسروا يوم بدر وصدفوا في السلاسل والأغلال، وقتل منهم العدد العديد من صناديدهم ورجالاتهم ممن كانوا يضمنون بهم ويحفظون بمواضيعهم ليوم كريمة وسداد ثغر.

﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ﴾؛ أي: وأحلوا من شايعهم على الكفر دار الهلاك الذي لا هلاك بعده. ثم بين هذه الدار، فقال: ﴿جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَيَسَّرَ الْفَرَارَ﴾<sup>(٤)</sup>؛ أي: هذه الدار هي جهنم دار العذاب التي يقاسون حر نارها ويسر المستقر هي لمن أراد الله به النكال والوبال، وقوله: ﴿وَجَعَلُوا﴾ عطف على ﴿أحل﴾ داخل معه في حكم التعجب؛ أي: جعلوا في اعتقادهم الباطل وزعمهم الفاسد ﴿لِلَّهِ﴾ الفرد الأحد الذي لا شريك له في الأرض ولا في السماء ﴿أنداداً﴾؛ أي: أشباهاً في التسمية حيث سمو الأصنام آلهة، أو في العبادة، أو في الربوبية ﴿يُصَلُّوا﴾ قومهم الذين يشايعونهم حسبما ضلوا ﴿عَن سَبِيلِهِ﴾ القويم الذي هو التوحيد، ويوقعوهم في ورطة الكفر والضلال، وليس الإضلال<sup>(٤)</sup> غرضاً

(٣) المراغي.  
(٤) روح البيان.

(١) المراح.  
(٢) روح البيان.

حقيقياً لهم من اتخاذ الأنداد، ولكن لما كان نتيجة له كما كان الإكرام في قولك: جئتكم لتكرمني نتيجة المجيء شبه بالغرض، وأدخل اللام عليه بطريقة الاستعارة التبعية، ونسب الإضلال الذي هو فعل الله تعالى إليهم؛ لأنهم سبب الضلالة حيث يأمرهم بها ويدعون إليها. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو<sup>(١)</sup>: ﴿لِيُضِلُّوا﴾ هنا، و﴿لِيُضِلُّوا﴾ في الحج ولقمان والروم بفتح الياء؛ أي: ليضلوا بأنفسهم عن سبيل الله، وتكون اللام للعاقبة؛ أي: ليتعقب جعلهم الله أنداداً ضلالهم؛ لأن العاقل لا يريد ضلال نفسه. وقرأ باقي السبعة بضمها؛ أي: ليقعوا قومهم في الضلال عن سبيل الله، فهذا هو الغرض من جعلهم الله أنداداً.

والمعنى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾؛ أي<sup>(٢)</sup>: واتخذوا لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي ليس له كفواً أحد أنداداً وشركاء من الأصنام والأوثان أشركوهم به في العبادة، كما قالوا في الحج: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك. ﴿لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾؛ أي: لتكون عاقبة أمر الذين شايعوهم على ضلالهم الصد والإعراض عن سبيله القويم ودينه الحنيف، والوقوع في حماة الكفر والضلال.

ولما حكى الله سبحانه وتعالى عنهم هذه الهنات الثلاث تبديل النعمة واتخاذ الأنداد والأمثال وإضلال قومهم، أمر نبيه ﷺ أن يقول لهم على سبيل التهديد والوعيد: سيروا على ما أنتم عليه، فإنه لا فائدة في نصحكم وإرشادكم وعاقبتكم النار بقوله: ﴿قُلْ﴾ يا محمد تهديداً لهؤلاء الضالين المضلين ﴿تَمَتَّعُوا﴾؛ أي<sup>(٣)</sup>: انتفعوا والتذوا بما أنتم عليه من الشهوات التي من جملتها كفران النعم العظام، وعبادة الأوثان والأصنام، والسعي في إضلال الناس والصد عن سبيله. ثم بين جزاءهم المحتوم، فقال: ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ﴾ يوم القيامة؛ أي: إن مرجعكم وموئلكم فيه ﴿إِلَى النَّارِ﴾ المؤبدة ليس إلا، فلا بد لكم من تعاطي ما يوجب ذلك، أو يقتضيه من أحوالكم، كما قال تعالى: ﴿نَمِئْتُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضَّطْرْتُمْ إِلَىٰ

(٣) روح البيان.

(١) البحر المحيط.

(٢) المراغي.

وسمى الله تعالى ذلك تمتعاً<sup>(١)</sup>؛ لأنهم تَلذذوا به، وأحسوا بغبطة وسرور، كما يتلذذون بالمشتريات من النعم، وهذا الأسلوب التهكمي يستعمل في التخاطب كثيراً، فترى الطبيب يأمر مريضه بالاحتماء من بعض ما يضره ويؤذيه، ثم لا يرى منه إلا تمادياً في الإعراض عن أوامره واتباعاً لشهواته، فيقول له: كل ما تريد، فإن مصيرك إلى الموت، وما مراده من ذلك إلا التهديد ليرتدع ويقبل ما يقول، وكما يقال لمن سعى في مخالفة السلطان، إصنع ما شئت، فإن مصيرك إلى السيف.

ودلت الآيتان على أمور:

**الأول:** أنَّ الكفران سبب لزوال النعمة بالكلية، كما أن الشكر سبب لزيادتها.

**والثاني:** أنَّ القرين السوء يجر المرء إلى النار، ويحله دار البوار، فينبغي للمؤمن المخلص السني أن يجتنب عن صحبة أهل الكفر والنفاق والبدعة حتى لا يسرق طبعه اعتقادهم السوء وعملهم السيء. ولهم كثرة في هذا الزمان.

**والثالث:** أن جهنم دار القرار للأشرار، وشدة حرها مما لا يوصف.

وبعد أن هدد الكفار على انغماسهم في اللذات أمر نبيه ﷺ أن يأمر خُلص عباده بإقامة العبادات البدنية، وأداء الفرائض المالية، فقال: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿لِعِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله ورسوله ﴿يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾؛ أي: أقيموا<sup>(٢)</sup> الصلاة الواجبة على وجهها وأدوها كما طلب ربكم، وداوموا عليها، فهي عماد الدين وهي التي تنهى عن الفحشاء والمنكر، وهي المصباح للمؤمن يستضيء به للقرب من ربه. و﴿عبادي﴾ يقرأ بثبوت الياء مفتوحة وبحذفها لفظاً لا خطأ، والقراءتان

(١) المراغي.

(٢) المراغي.

سبعيتان، ويجريان في خمس مواضع من القرآن هذا، وقوله في سورة «الأنبياء»: ﴿أَنْتَ الْأَرْضُ بِرِثْمَا عَبَادِي الصَّالِحِينَ﴾ وقوله في «العنكبوت»: ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعِبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾، وقوله في «سبأ»: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ وقوله في سورة «الزمر»: ﴿قُلْ يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾. ا هـ. «شيخنا».

﴿وَيُفْقَرُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾؛ أي: وتصدقوا بعض ما أعطيناكم من الرزق والعتاء، وأدوا الزكاة الواجبة شكراً له على نعمه الجزيلة، ورأفة بعباده الفقراء، وسداً لخلتهم، وإيجاداً للتضامن والتعاون بين الأخوة في الدين ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾. ﴿سِرًّا﴾؛ أي: خفية ﴿وَعَلَانِيَةً﴾؛ أي: جهراً؛ أي: أنفقوها إنفاق سر وخفية في صدقة التطوع، وإنفاق جهر وعلانية في صدقة الواجب. قيل: أراد<sup>(١)</sup> بهذا الإنفاق إخراج الزكاة الواجبة، وقيل: أراد به جميع الإنفاق في جميع وجوه الخير والبر، وحمله على العموم أولى؛ ليدخل فيه إخراج الزكاة والإنفاق في جميع وجوه البر، والمراد: حث المؤمنين على الشكر لنعم الله تعالى بالعبادة البدنية والمالية، وعلى ترك التمتع بمتاع الدنيا، كما هو صنيع الكفرة، وإنما خصهم<sup>(٢)</sup> بالإضافة تنويهاً لهم وتنبهاً على أنهم المقيمون لحقوق العبودية. وهذان الفعلان<sup>(٣)</sup>: إما مجزومان في جواب أمر محذوف؛ أي: قل لهم أقيموا الصلاة، فإن قلت لهم ذلك.. يقيموا الصلاة، أو مجزومان بلام أمرٍ مقدر؛ أي: ليقموا الصلاة؛ أي: الواجبة.

قوله: ﴿مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ﴾ قال في «الإرشاد»: الظاهر أن ﴿مِن﴾ متعلقة بـ﴿أنفقوا﴾ ﴿يَوْمٍ﴾ هو يوم القيامة ﴿لَا بَيْعٌ فِيهِ﴾ فيبتاع المقصر ما يتلافى تقصيره به، وتخصيص<sup>(٤)</sup> البيع بالذكر؛ لاستلزام نفيه نفي الشراء ﴿وَلَا خِلَالٌ﴾ فيه؛ أي: ولا مخاللة وصدقة فيه، فيشفع له خليل، والمراد بالمخاللة المنفية: المخاللة بسبب

(١) الخازن.

(٢) البيضاوي.

(٣) المراح.

(٤) روح البيان.



ميل الطبع ورغبة النفس، فلا يعارض قوله تعالى: ﴿الْأَخْلَاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (٧)؛ لأن الواقع فيما بينهم المخالفة لله، أو من قبل أن يأتي يوم القيامة الذي لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالفة، وإنما ينتفع فيه بالطاعة التي من جملتها إقامة الصلاة والإنفاق لوجه الله تعالى وادخار المال، وترك إنفاقه إنما يقع غالباً للتجار والمهاداة، فحيث لا يمكن ذلك في الآخرة، فلا وجه لادخاره إلى وقت الموت.

والمعنى<sup>(١)</sup>: أن يوم القيامة لا بيع فيه حتى يفترق المقصر في العمل نفسه من عذاب الله بدفع عوض عن ذلك، وليس هناك مخالفة حتى يشفع الخليل لخليله، وينقذه من العذاب، فأمرهم سبحانه بالإنفاق في وجوه الخير مما رزقهم ما داموا في الحياة الدنيا قادرين على إنفاق أموالهم من قبل أن يأتي يوم القيامة، فإنهم لا يقدر على ذلك، بل لا مال لهم إذ ذاك، فالجملة أعني<sup>(٢)</sup>: ﴿مَنْ قَبِلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ لتأكيد مضمون الأمر بالإنفاق مما رزقهم الله تعالى، ويمكن أن يكون فيها أيضاً تأكيد لمضمون الأمر بإقامة الصلاة، وذلك لأن تركها كثيراً ما يكون بسبب الاشتغال بالبيع ورعاية حقوق الأخلاء.

والخلاصة<sup>(٣)</sup>: وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي اليوم الذي لا تنفع فيه فدية، ولا تجدي فيه صداقة، فلا يشفع خليل لخليل، ولا يصفح عن عقابه لمخالته لصديقه، بل هناك العدل والقسط، كما قال جل جلاله: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤَخِّدُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وقال أيضاً: ﴿أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَّةٌ وَلَا شَفِيعَةٌ﴾.

ولما<sup>(٤)</sup> أطال سبحانه وتعالى الكلام في وصف أحوال السعداء والأشقياء، كان حصول السعادة بمعرفة الله وصفاته، والشقاوة بالجهل بذلك.. ختم وصفه بالدلائل الدالة على وجود الصانع وكمال علمه وقدرته، فقال: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ

(١) الشوكاني.  
(٢) المرابي.  
(٣) الشوكاني.  
(٤) البحر المحيط.

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿١﴾ وذكر عشرة أنواع من الدلائل، فذكر أولاً إيداعه وإنشاءه السماوات والأرض، ثم أعقب بباقي الدلائل وأبرزها في جملة مستقلة، ليدل وينبه على أن كل جملة منها مستقلة في الدلالة، ولم يجعل متعلقاتها معطوفات عطف المفرد على المفرد. وفي «الفتوحات»<sup>(١)</sup>: ذكر لهذا الموصول سبع صلوات تشتمل على عشرة أدلة على وحدانية الله تعالى، ولفظ الجلالة مبتدأ، أو الموصول خبره.

والمعنى: الله الذي يستحق منكم العبادة هو الإله الذي أبدع واخترع وأوجد السماوات السبع على غير مثال سبق، وأوجد ما فيها من الأجرام العلوية، وخلق الأرض وما فيها من المخلوقات، وقدم السماوات على الأرض؛ لأنها بمنزلة الذكر من الأنثى، وبدأ بذكر خلق السماوات والأرض؛ لأنهما أعظم المخلوقات الشاهدة الدالة على وجود الصانع المختار القادر الحكيم. ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾؛ أي: من السحاب، فإن كل ما علاك سماء، أو من الفلك، فإن المطر منه يبتدىء إلى السحاب، ومنه إلى الأرض على ما دلت عليه ظواهر النصوص، وهذا القول أرجح عند بعضهم؛ لأن الله تعالى زاد بيان نعمه على عباده، فبين أولاً خلق السماوات والأرض، ثم أشار إلى ما فيها من كليات المنافع، لكنه قدم وأخر كتأخير تسخير الشمس والقمر؛ ليدل على أن كلا من هذه النعم نعمة على حدة، ولو أريد السحاب لم يوجد التقابل التام وأياً ما كان، ف﴿من﴾ ابتدائية ﴿مَاءٍ﴾؛ أي: نوعاً من أنواع الماء، وهو المطر، فتكثير الماء هنا للنوعية ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ﴾؛ أي: فأثبت بذلك الماء الذي أودع فيه القوة الفاعلية، كما أنه أودع في الأرض القوة القابلية ﴿مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ المتنوعة ﴿رِزْقاً لَكُمْ﴾ يا بني آدم تعيشون به، وهو بمعنى المرزوق شامل للمطعم والملبوس، وهو مفعول به لـ ﴿أَخْرَجَ﴾ و﴿من﴾ للتبيين حال منه، كقولك: أنفقت من الدراهم ألفاً؛ أي: رزقاً هو الثمرات، و﴿لَكُمْ﴾ صفة له. وقيل: للتبويض؛ لأن الثمرات منها ما هو رزق لبني آدم، ومنها ما ليس برزق لهم، وهو ما لا يأكلونه ولا ينتفعون به، كأنه قيل: أنزل من

(١) روح البيان.

السماء بعض الماء، فأخرج به بعض الثمرات؛ ليكون بعض رزقكم. والمعنى<sup>(١)</sup>: الله الذي خلق لكم السماوات والأرض هنا أكبر خلقاً منكم، وفيهما من المنافع لكم ما تعلمون وما لا تعلمون وتقدم تفصيل هذا في مواضع متعددة من كتابه الكريم، وأنزل من السماء غيثاً أحيا به الشجر والزرع، فأثمرت لكم رزقاً تأكلون منه وتعيشون به.

ولما ذكر<sup>(٢)</sup> الله سبحانه وتعالى إنعامه بإنزال المطر وإخراج الثمر، لأجل الرزق والانتفاع به من ذكر نعمته على عباده بتسخير السفن الجارية على الماء؛ لأجل الانتفاع بها في جلب ذلك الرزق الذي هو الثمرات وغيرها من بلد إلى بلد آخر فهي من تمام نعمة الله على عباده، فقال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ﴾؛ أي: وذلك لكم السفن - جمع فلك بمعنى سفينة - بأن أقدركم على صنعها واستعمالها بما ألهمكم كيفية ذلك ﴿لِتَجْرِيَ﴾؛ أي: تلك الفلك والسفن ﴿بِأَمْرٍ﴾؛ أي: بإرادته إلى حيث توجهتم وانطوى<sup>(٣)</sup> في تسخير الفلك تسخير البحار وتسخير الرياح. وفي «أنوار المشارق»: يجوز ركوب البحر للرجال والنساء عند غلبة السلامة، كذا قال الجمهور، وكره ركوبه للنساء؛ لأن الستر فيه لا يمكنهن غالباً ولا غض البصر عن المتصرفين فيه، ولا يؤمن من انكشاف عوراتهن في تصرفهن لا سيما فيما صغر من السفن مع ضرورتهن إلى قضاء الحاجة بحضرة الرجال.

والمعنى: أي وذلك لكم السفن بأن أقدركم على صنعها وجعلها طافية على وجه الماء تجري عليه بأمره تعالى، وسخر البحر لحملها ليقطع المسافرون بها المسافات الشاسعة من إقليم إلى إقليم؛ لجلب ما هناك إلى هنا ونقل ما هنا إلى هناك ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾؛ أي: المياه العظيمة الجارية في الأنهار العظام تشق الأرض شقاً من قطر إلى قطر، وتسخيرها: جعلها معدة لانتفاعكم بها حيث تشربون منها، وتتخذون منها جداول تسقون بها زروعكم وحدائقكم وما أشبه ذلك. ولما<sup>(٤)</sup> كان ماء البحر لا ينتفع به في سقي الزرع والثمرات ولا في الشراب أيضاً.. ذكر نعمته على عباده في تسخير الأنهار، وتفجير العيون؛ لأجل

(٣) روح البيان.

(٤) الخازن.

(١) المراغي.

(٢) الخازن.

هذه الحاجة، فهو من أعظم نعم الله على عباده. قال في «بحر العلوم»: اللام فيها للجنس أو للعهد أشير بها إلى خمسة أنهار: سيحون: نهر الهند، وجيحون: نهر بلخ، ودجلة والفرات: نهري العراق، والنيل: نهر مصر، أنزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة، فاستودعها الجبال، وأجراها في الأرض، وسخرها للناس، وجعل فيها منافع لهم في أصناف معاشهم، وسائر الأنهار تبع لها، وكأنها أصولها. انتهى.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ حالة كونهما ﴿دَائِبَيْنِ﴾؛ أي: دائمين في الحركة متصلين في سيرهما لا ينقطعان ولا يفتران؛ أي: لا يضعفان بسبب سيرهما في فلكهما ومقرهما: وهو السماء الرابعة للشمس، وسماء الدنيا للقمر إلى انقضاء عمر الدنيا وقيام الساعة، كما قال تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا آيِلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (٢١) وقال: ﴿يَغْشَى آيِلَ النَّهَارِ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

والمعنى: وسخر لكم الشمس والقمر حالة كونهما دائمين؛ أي<sup>(١)</sup>: مجدين في سيرهما وإنارتها ودرئها الظلمات، وإصلاحهما يصلحان الأرض والأبدان والنبات، لا يفتران أصلاً، ويفضل الشمس على القمر؛ لأن الشمس معدن الأنوار الفلكية من البدور والنجوم، وأصلها في النورانية، وأن أنوارهم مقتبسة من نور الشمس على قدر تقابلهم وصفوة أجرامهم.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ آيِلَ وَالنَّهَارَ﴾ يتعاقبان بالزيادة والنقصان، والإضاءة والإظلام، والحركة والسكون فيهما، فالنهار لسعيكم في أمور معاشكم وما تحتاجون إليه في أمور دنياكم، وإنضاج الثمار، والليل لتسكنوا فيه ولعقد الثمار، كما جاء في الآية الأخرى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ آيِلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾. فالشمس والقمر يتعاقبان، والليل والنهار يتعارضان، فتارة يأخذ هذا من

(١) روح البيان.

ذلك، فيطول، ثم يأخذ الآخر من هذا، فيقتصر، كما قال تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلِّ يَجْرِىَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

واختلفوا في الليل والنهار أيهما أفضل<sup>(١)</sup>. قال بعضهم: قدم الليل على النهار؛ لأن الليل لخدمة المولى، والنهار لخدمة الخلق، ومعارض الأنبياء عليهم السلام كانت بالليل، ولذا قال الإمام النيسابوري: الليل أفضل من النهار.

ولما ذكر<sup>(٢)</sup> الله سبحانه وتعالى النعم العظام التي أنعم الله بها على عباده وسخرها لهم.. بين بعد ذلك أنه تعالى لم يقتصر على تلك النعم، بل أعطى عباده من المنافع والمرادات ما لا يأتي على بعضها العد والحصر: حيث قال: ﴿وَمَا آتَاكُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأُولَٰئِكَ لِيهِ يُؤَدُّونَ أَلْمَافَةَ﴾؛ أي: بعض جميع ما سألتموه، فإن الموجود من كل صنف بعض ما قدره الله تعالى، ف﴿من﴾ للتبويض.

وقال الأخفش<sup>(٣)</sup>: أي أعطاكم من كل مسؤل سألتموه شيئاً، فحذف شيئاً، وقيل: المعنى: وآتاكم من كل ما سألتموه ومن كل ما لم تسألوه، فحذفت الجملة الأخرى. قاله ابن الأنباري، وقيل: ﴿من﴾ زائدة؛ أي: آتاكم كل ما سألتموه. وقيل: للتبويض؛ أي: آتاكم بعض كل ما سألتموه.

وقرأ ابن عباس والضحاك والحسن ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وعمرو بن فائد وقتادة وسلام ويعقوب ونافع في رواية<sup>(٤)</sup>: ﴿من كل﴾ - بالتنوين - وهي شاذة؛ أي: من كل هذه المخلوقات المذكورات، و﴿ما﴾ موصولة مفعول ثان؛ أي: ما شأنه أن يسأل بمعنى يطلب الانتفاع به؛ أي: آتاكم من كل شيء الذي سألتموه. ويجوز أن تكون ﴿ما﴾ نافية؛ أي: آتاكم من جميع ذلك حال كونكم غير سائلين له.

والمعنى: أي هيا لكم كل ما تحتاجون إليه في جميع أحوالكم من كل

(٣) الشوكاني.

(١) روح البيان.

(٤) البحر المحيط.

(٢) الخازن.

الذي هو حقيق أن تسألوه، سواء أسألتموه أم لم تسألوه؛ لأن هذه الدنيا قد وضع الله تعالى فيها منافع يجهلها الناس، وهي معدة لهم، فلم يسأل الله أحد في الأمم الماضية أن يعطيهم الطائرات والمغناطيس والكهرباء، بل خلقها وأعطاهم للناس بالتدريج، ولم يزل عجائب ستظهر لمن بعدها. ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ التي أنعم بها عليكم بسؤال وبغيره ﴿لَا تُحْصَوْهَا﴾؛ أي: لا تطبقوا حصرها<sup>(١)</sup> وعددها ولو إجمالاً لكثرتها وعدم نهايتها. وفيه دليل على أن المفرد يفيد الاستغراق بالإضافة. وأصل الإحصاء أن الحساب كان إذا بلغ عقداً معيناً من عقود الأعداد وضعت له حصة ليحفظ بها، ثم استؤنف العدد.

والمعنى: لا توجد له غاية فتوضع له حصة. والنعم على قسمين: نعمة المنافع؛ لصحة البدن والأمن والعافية، والتلذذ بالمطاعم والمشارب والملابس والمناحك والأموال والأولاد، ونعمة دفع المضار من الأمراض والشدائد، والفقير والبلاء، وأجل النعم استواء الخلقة، وإلهام المعرفة.

والمعنى: أي<sup>(٢)</sup> لا تطبقوا عد أنواعها فضلاً عن القيام بشكرها وفي «صحيح البخاري» أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهم لك الحمد غير مكفي، ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا». وأثر عن الشافعي أنه قال: الحمد لله الذي لا يؤدي شكر نعمة من نعمه إلا بنعمة حادثة توجب على مؤديها شكره بها. وقال شاعرهم:

لَوْ كَانَ جَارِحَةً مِنِّي لَهَا لُغَةٌ تُثْنِي عَلَيْكَ بِمَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ  
لَكَانَ مَا زَادَ شُكْرِي إِذْ شَكَرْتُ بِهِ إِلَيْكَ أَبْلَغَ فِي الْإِحْسَانِ وَالْمِنَّةِ  
﴿إِنَّكَ الْإِنْسَانُ﴾؛ أي: إن جنس الإنسان ﴿لَطَلُومٌ﴾؛ أي<sup>(٣)</sup>: لبليغ في  
الظلم يظلم النعمة بإغفال شكرها، أو بوضعها في غير موضعها، أو يظلم نفسه  
بتعريضها للحرمان. ﴿كَفَّارٌ﴾؛ أي: شديد الكفران لها، أو ظلوم في الشدة

(٣) روح البيان.

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع، واللام في الإنسان للجنس.

والمعنى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾؛ أي: إن الإنسان الذي بدل نعمة الله كفراً لشاكر غير من أنعم عليه، فهو بذلك واضع للشكر في غير موضعه ذاك أن الله هو الذي أنعم عليه بما أنعم واستحق إخلاص العبادة له، فعبد هو غيره، وجعل له أنداداً ليضل عن سبيله، وذلك هو ظلمه وهو جحود لنعمه التي أنعم بها عليه، لصرفه العبادة إلى غير من أنعم بها عليه، وتركه طاعة من أنعم عليه.

فإن قلت<sup>(١)</sup>: لم ختم الآية هنا بقوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ وختمها في سورة النحل بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فما الفرق بين الختمين؟ قلت: إن الله سبحانه وتعالى لما قدم هنا قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ وذكر بعده: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ فكان ذلك نصاً على ما فعلوا من القبائح من كفران النعمة والظلم الذي هو الشرك بجعل الأنداد له تعالى.. ناسب أن يختم الآية هنا بدم من وقع ذلك منه، فقال: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾. وأما في النحل، فلما ذكر عدة تفضلات وأطبب فيها، وقال بعد ذلك: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾؛ أي: أفمن أوجد هذه النعم السابق ذكرها كمن لا يقدر على الخلق، وعلى كل شيء منه.. ناسب أن يذكر هنا وهناك من تفضلاته اتصافه بالعذاب والرحمة تحريضاً على الرجوع إليه، وأن هاتين الصفتين هو متصف بهما، كما هو متصف بالخلق، ففي ذلك إطماع لمن آمن به، وانتقل من عبادة المخلوق إلى عبادة الخالق في أنه يغفر زلله السابق، ويرحمه. ذكره أبو حيان.

﴿و﴾ اذكر يا محمد لقومك مذكراً لهم بأيام الله قصة ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ الخليل عليه السلام في مناجاته لربه حين فرغ من بناء البيت ﴿رَبِّ﴾ أي المحسن إلي بإجابة دعائي ﴿أَجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ﴾ مكة المشرفة بلداً ﴿ءَامِنًا﴾؛ أي: ذا أمن

(١) البحر المحيط بتصرف.

يأمن فيه أهله بحيث لا يخاف فيه من المخاوف والمكاره، كالقتل والغارة والأمراض المنفرة من البرص والجذام ونحوهما، فإسناد الأمن إلى البلد مجاز؛ لوقوع الأمن فيه، وإنما الأمن في الحقيقة أهل البلد.

والغرض من سياق ما قاله إبراهيم عليه السلام في هذا الموضوع<sup>(١)</sup>: بيان كفر قريش بالنعم الخاصة بهم وهي إسكانهم مكة بعد ما بين كفرهم بالنعم العامة، وقيل: إن ذكر قصة إبراهيم هاهنا لمثال الكلمة الطيبة وقيل: لقصد الدعاء إلى التوحيد وإنكار عبادة الأصنام.

وقدم طلب الأمن على سائر المطالب المذكورة بعده؛ لأنه إذا انتفى الأمن لم يفرغ الإنسان لشيء آخر من أمور الدين والدنيا. فإن قلت<sup>(٢)</sup>: لم قال في سورة البقرة: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ بالتنكير وقال هنا: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ بالتعريف، فأى فرق بين الموضعين؟

قلت: الفرق بينهما أنه سأل في الأول أن يجعله من جملة البلاد التي يأمن فيها أهلها ولا يخافون، وذلك قبل بناء البيت حين وضع هاجر وإسماعيل في مكان البيت، وسأل في الثاني أن يخرج هذا البلد من صفة كان عليها من الخوف إلى ضدها من الأمن، كأنه قال: وهو بلد مخوف، فاجعله آمناً، وذلك بعد بناء البيت.

والحاصل: أن هذا الدعاء وقع مرتين<sup>(٣)</sup> مرة قبل بنائها ومرة بعده، ولذلك كتب الكرخي في سورة البقرة ما نصه: ونكر البلد هنا وعرفه في إبراهيم؛ لأن الدعوة هنا كانت قبل جعل المكان بلداً، فطلب من الله أن يُجعل ويُصير بلداً آمناً، وهناك كانت الدعوة بعد جعله بلداً.

والخلاصة: أن الفرق بين ما هنا وما هنالك أن المطلوب هنا مجرد الأمن للبلد، والمطلوب هنالك البلدية والأمن. وقد أجاب الله تعالى دعاءه، فجعله حرماً لا يسفك فيه دم، ولا يظلم فيه أحد، ولا يصاد صيده، ولا يختلى خلاه،

(٣) الفتوحات.

(١) الشوكاني.

(٢) الخازن.



كما قال: ﴿أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّا جَعَلْنَا حَكَمًا عَٰمِنَا وَيَخْطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾.

﴿وَأَجْنِبْنِي﴾ يا رب؛ أي: باعدي ﴿و﴾ باعد ﴿بني﴾ وذريتي عن ﴿أَنْ نَقْبَدَ الْأَصْنَامَ﴾ والأوثان؛ أي: ثبتنا على ما نحن عليه من التوحيد وملة الإسلام، والبعد عن الأصنام، وقد استجيب دعاؤه في بعض بنيه دون بعض ولا ضير في ذلك.

قيل: أراد<sup>(١)</sup> بنيه من صلبه، وكانوا ثمانية، وقيل: أراد من كان موجوداً حال دعوته من بنيه وبني بنيه، وقيل: أراد جميع ذريته ما تناسلوا، ويؤيد القول الأول ما قيل من أنه لم يعبد أحد من أولاد إبراهيم صنماً، والصنم: هو التمثال الذي كانت تصنعه أهل الجاهلية من الأحجار ونحوها فيعبدهونه؛ أي: واجعلنا في جانب بعيد من عبادتها؛ أي: ثبتنا على ما كنا عليه من التوحيد وملة الإسلام، والبعد عن عبادة الأصنام، وإلا فهو معصوم عن عبادتها، وكذا بعض بنيه معصومون كإسماعيل وإسحاق.

قال بعضهم<sup>(٢)</sup>: رأى إبراهيم قوماً يعبدون الأصنام، فخاف على بنيه فدعا والجمهور على أن العرب من عهد إبراهيم استمرت على دينه من رفض عبادة الأصنام إلى زمن عمرو بن لحي كبير خزاعة، فهو أول من غير دين إبراهيم، وشرع للعرب الضلالات، وهو أول من نصب الأوثان في الكعبة وعبدها، وأمر الناس بعبادتها، وقد كان أكثر الناس في الأرض المقدسة عبدة الأوثان، وكان إبراهيم يعرفه، فخاف سرايته إلى كل بلد فيه واحد من أولاده، فعصم أولاده الصلبية من ذلك، وهي المرادة من قوله: ﴿وَيَبِّئْ﴾ فإنه لم يعبد أحد منهم الصنم لا هو ولا أحفاده. وقرأ الجحدري وعيسى بن عمر الثقفى شذوذاً<sup>(٣)</sup>: ﴿وَأَجْنِبْنِي﴾ بقطع الهمزة على أنه من أجنب الرباعي.

وقوله: ﴿رَبِّ إِيَّاهُنَّ أَضَلَّلَنَّا كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ تعليل لقوله: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَيَبِّئْ﴾

(٣) البحر المحيط.

(١) الشوكاني.

(٢) روح البيان.

وأما إعادة النداء بقوله: ﴿رَبِّ إِهْنَنَّ...﴾ إلخ فلتأكيد النداء الأول، وكثرة الابتهاال والتضرع إليه، وأنث الأصنام؛ لأنه جمع ما لا يعقل يخبر عنه أخبار المؤنث؛ أي: وإنما سألت منك العصمة، واستعذت بك من إضلالهن؛ لأنهن؛ أي: لأن الأصنام أضلن كثيراً من الناس. أسند الإضلال إلى الأصنام مع كونها جمادات لا تعقل؛ لأنها سبب لضلالتهم، فكأنها أضلتهم؛ أي: يا رب إن الأصنام أزلن كثيراً من الناس عن طريق الهدى وسبيل الحق حتى عبدوهن، وكفروا بك ﴿فَمَنْ يَتَعَنِّي﴾ من الناس على ما أنا عليه من الإيمان بك، وإخلاص العبادة لك، والبعد عن عبادة الأوثان ﴿فَأَنَّهُ مَيِّ﴾؛ أي: من أهل ديني، ومستن بستي، وجارٍ على طريقي. جعل أهل ملته كنفسه مبالغة. ﴿وَمَنْ عَصَانِي﴾ وخالف أمري، فلم يتابعني، ولم يقبل مني ما دعوته إليه، وأشرك بك ﴿فَأَنَّاكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ له؛ أي: فإنك قادر على أن تغفر له وترحمه بالتوبة عليه، وهدايته إلى الصراط المستقيم. قيل: قال هذا<sup>(١)</sup> قبل أن يعلم أن الله لا يغفر أن يشرك به، كما وقع منه الاستغفار لأبيه وهو مشرك، كذا قال ابن الأنباري. وقيل: المراد هنا: عصيانه فيما دون الشرك. وقيل: إن هذه المغفرة مقيدة بالتوبة من الشرك.

## فصل

واعلم: أنه قد توجه على هذه الآية إشكالات، وهي من وجوه<sup>(٢)</sup>:

الأول: أن إبراهيم عليه السلام دعا ربه أن يجعل مكة آمنة، ثم إن جماعة من الجبابرة وغيرهم قد أغاروا عليها، وأخافوا أهلها.

الوجه الثاني: أن الأنبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام معصومون من عبادة الأصنام، وإذا كان كذلك، فما الفائدة في قوله: أجنبني عن عبادتها؟

(١) الشوكاني.

(٢) الخازن.

**الوجه الثالث:** أن إبراهيم عليه السلام سأل ربه أيضاً أن يُجنب بنيه عبادة الأصنام، وقد وجد كثير من بنيه عبد الأصنام مثل كفار قريش، وغيرهم ممن ينسب إلى إبراهيم عليه السلام.

وقد يجاب عنها بوجوه كثيرة، فالجواب عن الوجه الأول من وجهين:

**أحدهما:** أن إبراهيم عليه السلام لما فرغ من بناء الكعبة دعا بهذا الدعاء، والمراد منه جعل مكة آمنة من الخراب، وهذا موجود بحمد الله تعالى، ولم يقدر أحد على خراب مكة، وأورد على هذا ما ورد في «الصحیح» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة». أخرجاه في «الصحیحين». وأجيب عنه بأن قوله: ﴿أَجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾، يعني: إلى قرب القيامة وخراب الدنيا. وقيل: هو عام مخصوص بقصة ذي السويقتين، فلا تعارض بين النصين.

**الوجه الثاني:** أن يكون المراد: اجعل أهل هذا البلد آمينين، وعلى هذا الوجه أكثر العلماء من المفسرين وغيرهم، وعلى هذا فقد اختص أهل مكة بزيادة الأمن في بلدهم كما أخبر الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَيَنْخَطِفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ وأهل مكة آمنون من ذلك حتى إن من التجأ إلى مكة.. أمن على نفسه وماله من ذلك، وحتى أن الوحوش إذا كانت خارجة من الحرم استوحشت، فإذا دخلت الحرم.. أمنت واستأنست لعلمها أنه لا يهيجها أحد في الحرم، وهذا القدر من الأمن حاصل بحمد الله بمكة وحرماها.

وأما الجواب عن الوجه الثاني فمن وجوه أيضاً:

**الوجه الأول:** أن دعاء إبراهيم عليه السلام لنفسه لزيادة العصمة، والثبوت، فهو كقوله: ﴿وَأَجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ﴾.

**والوجه الثاني:** أن إبراهيم عليه السلام وإن كان يعلم أن الله سبحانه وتعالى يعصمه من عبادة الأصنام إلا أنه دعا بهذا الدعاء هضماً للنفس، وإظهاراً للعجز والحاجة والفاقة إلى فضل الله تعالى ورحمته، وأن أحداً لا يقدر على نفع نفسه

بشيء لم ينفعه الله به، فلهذا السبب دعا لنفسه بهذا الدعاء.

وأما دعاؤه لبنيه، وهو الوجه الثالث من الإشكالات، فالجواب عنه من

وجوه:

الأول: أن إبراهيم دعا لبنيه من صلبه، ولم يعبد منهم أحد صنماً قط.

الوجه الثاني: أنه أراد أولاده وأولاد أولاده الموجودين حالة الدعاء، ولا

شك أن إبراهيم عليه السلام قد أجيب فيهم.

الوجه الثالث: قال الواحدي دعا لمن أذن الله أن يدعو له، فكأنه قال:

وبني الذين أذنت لي في الدعاء لهم؛ لأن دعاء الأنبياء مستجاب، وقد كان من

بنيه من عبد الصنم، فعلى هذا الوجه يكون هذا الدعاء من العام المخصوص.

الوجه الرابع: أن هذا مختص بالمؤمنين من أولاده، والدليل عليه أنه قال

في آخر هذه الآية: ﴿فَمَنْ تَعَبَى فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ وذلك يفيد أن من لم يتبعه على دينه،

فليس منه، والله أعلم بمراده وأسرار كتابه اهـ من «الخازن».

ثم قال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ كسر النداء<sup>(١)</sup> رغبة في الإجابة

وإظهاراً للتذلل والالتجاء إلى الله تعالى، وأتى بضمير جماعة المتكلمين؛ لأنه

تقدم ذكره وذكر بنيه في قوله: ﴿وَأَجْبُنِي وَبَنِي﴾ و﴿مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ قال الفراء<sup>(٢)</sup>:

﴿من﴾ للتبعيض؛ أي: بعض ذريتي وهو إسماعيل ومن سيولد له، فإن إسكانه

متضمن إسكانهم. وقال ابن الأنباري: أنها زائدة؛ أي: أسكنت ذريتي. والأول

أولى؛ لأنه إنما أسكن إسماعيل، وهو بعض ولده. ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾؛ أي:

بواد ليس فيه زرع وهو وادي مكة؛ لأنه واد بين جبلين جبل أبي قبيس وجبل

أجياد، فإنها حجرية لا يوجد فيها زرع ولا ماء. وفي «بحر العلوم»: وأما في

زماننا فقد رزق الله أهله ماء جارياً، وإنما لم يقل غير ذي ماء؛ لأنه كان علم أن

الله لا يضيع هاجر وابنها في ذلك الوادي، وأنه يرزقها الماء، وعلم بالوحي أنه

سيكون فيها ماء كثير، والله أعلم. وقوله: ﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ ظرف لـ ﴿أَسْكَنْتُ﴾

(١) البحر المحيط.

(٢) الشوكاني.

والإضافة فيه للتشريف؛ أي: الذي يحرم فيه ما يستباح في غيره؛ لأنه عظيم الحرمه حرم الله التعرض له بسوء يوم خلق السماوات والأرض، وحرم فيه القتال والاصطياد، وأن يدخل فيه أحد بغير إحرام. وقيل غير ذلك. فإن قلت<sup>(١)</sup>: كيف قال عند بيتك المحرم، ولم يكن هناك بيت حينئذ، وإنما بناه إبراهيم بعد ذلك؟.. قلت: يحتمل أن الله عز وجل أوحى إليه وأعلمه أن له هناك بيتاً قد كان في سالف الزمان، وأنه سيعمر، فلذلك قال: عند بيتك المحرم. وقيل: يحتمل أن يكون المعنى: عند بيتك الذي كان، ثم رفع عند الطوفان. وقيل: يحتمل أن يكون المعنى عند بيتك الذي جرى في سابق علمك أنه سيحدث في هذا المكان.

والمعنى: أي يا رب إني أسكنت بعض ذريتي وهم أولاد إسماعيل بواد غير ذي زرع، وهو وادي مكة عند بيتك الذي حرمت التعرض له والتهاون به، وجعلت ما حوله حرماً لمكانه. ﴿رَبَّنَا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ كرر النداء<sup>(٢)</sup> لإظهار كمال العناية بما بعده، واللام فيه لام كي متعلقة بـ ﴿أَسْكَنْتَ﴾؛ أي: ما أسكنتهم بهذا الوادي البلقع الخالي من كل مرتفق ومرتق إلا لإقامة الصلاة عند بيتك المحرم متوجهين إليه متبركين به بدلالة قوله: ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ على أنه لا غرض له دنيوي في إسكانهم عند البيت المحرم، وتخصيص الصلاة بالذكر من بين سائر شعائر الدين لفضلها، ولأن بيت الله لا يسعه إلا الصلاة وما في معناها وهي الأصل في إصلاح النفس، وكان قريش يمتنعون عن ذلك لزيادة كبرهم.

﴿فَأَجْعَلْ آفِيَّةً مِنَ النَّاسِ﴾؛ أي: قلوب بعض الناس ﴿تَهْوَىٰ إِلَيْهِمْ﴾؛ أي: تسرع إلى ذريتي بنقل المعاشات إليهم بسبب التجارات، وتحن إليهم لطلب حج البيت لا لأعيانهم، وتطير نحوهم محبة، و﴿مِنَ النَّاسِ﴾ في قوله: ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ للتبويض. وقيل: زائدة، ولا<sup>(٣)</sup> يلزم منه أن يحج اليهود والنصارى بدخولهم تحت لفظ الناس؛ لأن المطلوب توجيه قلوب الناس إليهم للسكون معهم والجلب

(٣) الشوكاني.

(١) الخازن.

(٢) روح البيان.

إليهم، لا توجيهها إلى الحج، ولو كان هذا مراداً.. لقال: تهوي إليه، والأفئدة: جمع فؤاد؛ وهو القلب عبر به عن جميع البدن؛ لأنه أشرف عضو فيه. قال مجاهد: لو قال إبراهيم عليه السلام: أفئدة الناس لازدحمت على البيت فارس والروم. وقال ابن جبير: لَحَجَّتُهُ اليهود والنصارى.

وقرأ هشام في المتواتر بخلف عنه<sup>(١)</sup>: ﴿أَفئِدَةٌ﴾ بياء بعد الهمزة نص عليه الحلواني عنه، وخرج ذلك على الإشباع، ولما كان الإشباع لا يكون إلا في ضرورة الشعر.. حمل بعض العلماء هذه القراءة على أن هشاماً قرأ بتسهيل الهمزة كالياء، فعبر الراوي عنها بالياء، فظن من أخطأ فهمه أنها بياء بعد الهمزة، والمراد بياء عوضاً عن الهمزة، وقرىء: ﴿أَفدَةٌ﴾ على وزن فاعلة، فاحتمل أن يكون اسم فاعل من أفد؛ أي: دنا وقرب، وأن يكون جمع فؤاد، ويكون من باب القلب، وصار بالقلب أفدّة، فأبدلت الهمزة الساكنة ألفاً. وقرىء: ﴿أَفدَةٌ﴾ على وزن فعلة، فاحتمل أن يكون جمع فؤاد. وقراءة أم الهشيم: ﴿أَفودَةٌ﴾ بالواو المكسورة بدل الهمزة. وقرأ زيد بن علي: ﴿إفادَةٌ﴾ على وزن إشارة، وما عدا قراءة الجمهور وهشام شاذ.

وقرأ الجمهور<sup>(٢)</sup>: ﴿تَهَوَّى إِلَيْهِمْ﴾ - بكسر الواو من باب ضرب -؛ أي: تسرع إليهم وتطير نحوهم شوقاً. وقرأ مسلمة بن عبد الله شاذ: ﴿تهوي﴾ بضم التاء مبنياً للمفعول من أهوى المنقولة بهمزة التعدية من هوى اللّازم. وقرأ علي بن أبي طالب وزيد بن علي ومحمد بن علي وجعفر بن محمد ومجاهد شذوذاً أيضاً: ﴿تهوي﴾ - بفتح الواو مضارع هوى من باب فرح - بمعنى أحب وإلى زائدة، فيكون بمعنى، تحبهم.

﴿وَأَرْزُقُهُمْ﴾؛ أي: ذريتي الذين أسكنتهم هناك، أو هم ومن يساكنهم من الناس، وإنما لم يخص الدعاء بالمؤمنين كما في قوله: ﴿وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ

(١) البحر المحيط.

(٢) البحر المحيط.

ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴿﴾ اكتفاء بذكر إقامة الصلاة ﴿من﴾ أنواع الثمرات كما رزقت سكان القرى ذوات الماء والزروع، فيكون المراد عمارة قرى بقرب مكة لتحصل تلك الثمار. وقيل: يحتمل أن يكون المراد جلب الثمرات إلى مكة بطريق النقل والتجارة، فهو كقوله تعالى: ﴿يُجِئُكَ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وقد حصل<sup>(١)</sup> كلاهما حتى أنه يجتمع في مكة الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد. روى عن ابن عباس أن الطائف وهي على ثلاث مراحل، من مكة كانت من أرض فلسطين، فلما دعا إبراهيم عليه السلام بهذه الدعوة. . رفعها الله ووضعها رزقاً للحرم.

والمعنى: أي وارزق ذريتي الذين أسكنتهم في مكة من أنواع الثمار بأن تجبي إليهم ذلك من شاسع الأقطار، وقد استجاب الله ذلك كما قال: ﴿أَوْلَمْ نُكَيِّنْ لَهُمْ حَرَمًا حَرَامًا ءَامِنًا يُجِئُكَ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِّنْ لَّدُنَّا﴾.

﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ نعمك التي أنعمت بها عليهم؛ أي: رجاء أن يشكروا تلك النعم بإقامة الصلاة، وأداء واجبات العبودية. وفي هذا<sup>(٢)</sup> إيحاء إلى أن تحصيل منافع الدين إنما هو ليستعان بها على أداء العبادات وتحصيل الطاعات، وفي دعائه عليه السلام مراعاة للأدب والمحافظة على الضراعة، وعرض الحاجة واجتلاب الرأفة، ومن ثم من الله عليه بالقبول وإعطاء المسؤول، وقد أجاب دعائه، فألهم الناس الحج في آلاف السنين، وإلى ما شاء الله تعالى، لا في مدى حياته فحسب، ولا بدع في ذلك، فهو خليل الرحمن وأبو الأنبياء جميعاً.

والنداء المكرر في قوله: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمْ مَا نَخْفِي وَمَا نَعْلُنُ﴾؛ أي: أنت تعلم ما تخفي وتسر قلوبنا حين سؤالك ما نسأل، وما نعلن ونظهر من دعائنا فنجهر به<sup>(٣)</sup>، دليل التضرع واللجوء إلى الله تعالى، وقدم ما نخفي على ما نعلن؛ للدلالة على أنهما مستويان في علمه سبحانه. والمراد: ربنا إنك تعلم السر كما تعلم العلن، علماً لا تفاوت فيه.

(٣) النسفي.

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

والمعنى<sup>(١)</sup>: إنك تعلم أحوالنا وما يصلحنا وما يفسدنا، وأنت أرحم بنا منا، فلا حاجة بنا إلى الدعاء والطلب إنما ندعوك إظهاراً للعبودية لك، وتخشعاً لعظمتك، وتذلاً لعزتك، وافتقاراً إلى ما عندك. وقيل: معناه تعلم ما نخفي من الوجد بفرقة إسماعيل وأمه حيث أسكتتهما بواد غير ذي زرع، وما نعلن يعني: من البكاء. وقيل: ﴿مَا تُخْفِي﴾ يعني: من الحزن المتمكن في القلب: ﴿وَمَا تُعْلِنُ﴾ يعني: ما جرى بينه وبين هاجر عند الوداع حين قالت لإبراهيم عليه السلام: إلى من تكلنا؟ قال: إلى الله، قالت: إذاً لا يضيعنا.

﴿وَمَا يُخْفِي﴾ دائماً<sup>(٢)</sup>؛ إذ لا ماضي ولا مستقبل ولا حال بالنسبة إلى الله تعالى ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ علام الغيوب سبحانه وتعالى ﴿من﴾ للاستغراق ﴿شَيْءٍ﴾ ما ﴿في﴾ الأرض ولا في السماء؛ لأنه العالم بعلم ذاتي تستوي نسبته إلى كل معلوم لا عارض ولا كسبي، ليختص بمعلوم دون معلوم كعلم البشر والملك، تلخيصه لا يخفي عليك شيء ما في أي مكان، فافعل بنا ما هو مصلحتنا، فالظرف متعلق بـ﴿يُخْفِي﴾، أو شيء ما كائن فيهما على أنه صفة لـ﴿شَيْءٍ﴾، وهذا على القول بأنه من كلام إبراهيم عليه السلام، قاله تحقيقاً لقوله الأول وتعميماً بعد التخصيص، وقيل: هو من كلام الله تعالى قاله تصديقاً لإبراهيم عليه السلام، وهو اعتراض بين كلامي إبراهيم، فالوقف على ﴿تُعْلِنُ﴾ حسن كالوقف على ﴿فِي السَّمَاءِ﴾، والمعنى عليه: وما يخفي على الله شيء من الأشياء الموجودة كائناً ما كان، وإنما ذكر السماوات والأرض؛ لأنها المشاهدة للعباد، وإلا فعلمه سبحانه محيط بكل ما هو داخل في العالم، وكل ما هو خارج عنه لا تخفي عليه منه خافية.

ثم حمد الله تعالى على بعض نعمه الواصلة إليه، فقال: ﴿الْحَمْدُ﴾ والشكر ﴿لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ﴾؛ أي: مع كبر سني. فـ﴿عَلَى﴾ هنا<sup>(٣)</sup> بمعنى مع، وهو في موقع الحال؛ أي: وهب لي وأنا كبير آيس من الولد، قيد الهبة بحال الكبر استعظماً للنعمة وإظهاراً لشكرها؛ لأن زمان الكبر زمان العقم ﴿إِسْمَاعِيلُ﴾

(٣) روح البيان.

(١) الخازن.

(٢) روح البيان.



سُمي إسماعيل؛ لأن إبراهيم كان يدعو الله أن يرزقه ولدًا، ويقول: إسمع يا إيل، وإيل هو الله، فلما رزق به سماه به كما في «معالم التنزيل». وقال في «إنسان العيون»: معناه بالعبرانية: مطيع الله روي أنه ولد له إسماعيل، وهو ابن تسع وتسعين سنة. ﴿وَإِسْحَاقَ﴾ اسمه بالعبرانية: الضحاك كما في «إنسان العيون» روي أنه ولد له إسحاق، وهو ابن مئة وثني عشرة سنة، وإسماعيل يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة. ﴿إِنَّ رَبِّيَ﴾ ومالك أمري ﴿لَسَمِعُ الدُّعَاءِ﴾؛ أي: لمجيب الدعاء من قولهم سمع الملك كلامه إذا اعتد به وهو من إضافة الصفة المتضمنة للمبالغة إلى المفعول.

والمعنى: إنك لكثير إجابة الدعاء لمن يدعوك. وفيه بأنه دعاه ربه وسأل منه الولد، ما قال: ﴿رَبِّيَ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿١٣٥﴾ فأجابه ووهب له سؤله حين ما وقع اليأس منه، ليكون من أجل النعم وأجلاها، فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ...﴾ إلخ. والظاهر<sup>(١)</sup>: أن هذه الجمل التي تكلم بها إبراهيم عليه السلام لم تقع منه في زمان واحد، وإنما حكى الله عنه ما وقع منه في أزمان مختلفة، يدل على ذلك أن إسحاق لم يكن موجوداً حالة دعائه؛ إذ ترك هاجر والطفل بمكة، فالظاهر أن حمده الله تعالى على هبة ولديه له كان بعد وجود إسحاق.

فإن قلت: كيف<sup>(٢)</sup> جمع بين إسماعيل وإسحاق عليهما السلام في وقت واحد، وإنما بشر بإسحاق بعد إسماعيل بزمان طويل؟

قلت: يحتمل أن إبراهيم عليه السلام إنما أتى بهذا الدعاء عندما بشر بإسحاق، وذلك أنه لما عظمت المنة على قلبه بهبة ولدين عظيمين عند كبره قال عند ذلك: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ ولا يرد على هذا ما ورد في الحديث أنه دعا بما تقدم عند مفارقة إسماعيل وأمه؛ لأن الذي صح في الحديث أنه دعا بقوله: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ إذا ثبت هذا، فيكون قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ في وقت آخر. والله أعلم بحقيقة الحال.

(٢) الخازن.

(١) البحر المحيط.

ثم سأل الله سبحانه بأن يجعله مقيم الصلاة محافظاً عليها غير مهملاً لشيء منها حيث قال: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ﴾؛ أي: معدلاً<sup>(١)</sup> لها بأركانها وشروطها وآدابها، من أقيمت العود إذا قومته، أو مواظباً عليها، من قامت السوق إذا نفقت؛ أي: راجت أو مؤدياً لها محافظاً عليها في أوقاتها، والاستمرار يستفاد من العدول من الفعل إلى الاسم حيث لم يقل: اجعلني أقيم الصلاة. ﴿و﴾ اجعل ﴿مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ من يقيم الصلاة، وإنما أدخل لفظة ﴿مِنْ﴾ التي هي للتبعيض في قوله: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾؛ لأنه علم بإعلام الله تعالى إياه أنه قد يوجد من ذريته جمع من الكفار لا يقيمون الصلاة، فلماذا قال: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ وأراد بهم المؤمنين من ذريته.

والمعنى: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ﴾؛ أي<sup>(٢)</sup>: رب اجعلني مؤدياً ما ألزمتني من فريضتك التي فرضتها علي، واجعل أيضاً بعض ذريتي مقيمي الصلاة، وقد خص الصلاة من بين فرائض الدين؛ لأنها العنوان الذي يمتاز به المؤمن من غيره، ولما لها من المزية العظمى في تطهير القلوب بترك الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

ثم سأل الله سبحانه أن يتقبل دعاءه على العموم، ويدخل في ذلك دعاءه في هذا المقام دخولاً أولاً حيث قال: ﴿رَبَّنَا﴾ ويا مالك أمرنا، فاسمع ندائي ﴿وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾؛ أي<sup>(٣)</sup>: واستجب دعائي هذا المتعلق باجعلني، واجعل بعض ذريتي مقيمي الصلاة ثابتين على ذلك مجتنبين عن عبادة الأصنام، ولذلك جيء بضمير الجماعة في قوله: ﴿رَبَّنَا﴾. وقرأ<sup>(٤)</sup> ورش وأبو عمرو وحمزة وأبو جعفر: ﴿وتقبل دعائي﴾ بياء في الوصل. والبزي ويعقوب وصللاً ووقفاً، ويقف عليها بالهمزة الباقون. ﴿دُعَاءِ﴾ بغير ياء في الحاليين. قال أبو علي: الوقف والوصل بياء هو القياس، والإشمام جائز للدلالة الكسرة على الياء.

ثم طلب من الله سبحانه أن يغفر له ما وقع منه مما يستحق أن يغفره الله، وإن لم يكن كبيراً؛ لما هو معلوم من عصمة الأنبياء عن الكبائر، فقال: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي﴾؛ أي: ما فرط مني من ترك الأولى في باب الدين وغير ذلك مما لا

(٣) روح البيان.

(٤) زاد المسير.

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

يسلم منه البشر. ثم طلب من الله سبحانه أن يغفر لوالديه حيث قال: ﴿وَلَوْلَدَيْ﴾؛ أي: واغفر لوالدين لي ذنوبهما واهدهما إلى صراطك المستقيم. وقد قيل<sup>(١)</sup>: إنه دعا لهما بالمغفرة قبل أن يعلم أنهما عدوان لله سبحانه، كما في قوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَتْ أَسْتَفْغَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِتَاءَهُ فَلَئِمَّا بَيْنَ لَهٗ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾. وقيل: كانت أمه مسلمة. وقيل: أراد بوالديه آدم وحواء.

ثم استغفر للمؤمنين حيث قال: ﴿وَ﴾ اغفر للمؤمنين ﴿والمؤمنات﴾ والمؤمنات كلهم، وظاهره شمول كل مؤمن سواء كان من ذريته أو لم يكن منهم. وقيل: أراد المؤمنين من ذريته فقط، واكتفى بذكر<sup>(٢)</sup> مغفرة المؤمنين دون مغفرة المؤمنات؛ لأنهن تبع لهم في الأحكام، وللإيذان باشتراك الكل في الدعاء بالمغفرة، جيء بضمير الجماعة في قوله: ﴿رَبَّنَا﴾ وفي الحديث: «من عمم بدعائه المؤمنين والمؤمنات استجيب له». فمن السنة أن لا يخص نفسه بالدعاء قال في «الأسرار المحمدية»: اعلم أنه يكره للإمام تخصيص نفسه بالدعاء بأن يذكر على صيغة الأفراد، لا على صيغة الجمع. قال رسول الله ﷺ: «لا يؤم عبد قوماً، فيخص نفسه بالدعاء دونهم، فإن فعل فقد خانهم»، رواه ثوبان. بل الأولى أيضاً إن كان منفرداً أن يأتي بصيغة الجمع، فينوي نفسه وآباءه وأمهاته وأولاده وإخوانه وأصدقاءه المؤمنين الصالحين، فيعممهم بالدعاء، وينالهم بركة دعائه.

﴿يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾؛ أي: يوم<sup>(٣)</sup> يبدو ويظهر فيه محاسبة أعمال المكلفين. وقيل: يوم يقوم الناس فيه للمحاسبة والمجازاة على أعمالهم، فاكتفى بذلك؛ أي: بذكر الحساب عن ذكر الناس، لكونه مفهوماً عند السامع، والأولى وهذا دعاء المؤمنين بالمغفرة، والله سبحانه وتعالى لا يرد دعاء خليله إبراهيم عليه السلام، ففيه بشارة عظيمة لجميع المؤمنين بالمغفرة.

والمعنى<sup>(٤)</sup>: أي ربنا اغفر لي ما فرط مني من الذنوب ولأبوي. وقد روي عن الحسن أن أمه كانت مؤمنة، واستغفاره لأبيه عن موعده وعدّها إياه، فلما

(٣) الخازن.

(٤) المراغي.

(١) الشوكاني.

(٢) روح البيان.

تبين له أنه عدو لله تبرأ منه كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ آسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ﴾. .  
 الآية. وللمؤمنين بك ممن تبعني على الدين الذي أنا عليه، فأطاعك في أمرك  
 ونهيك يوم تحاسب عبادك، فتجازيهم بأعمالهم إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.  
 وقرأ<sup>(١)</sup> ابن مسعود والنخعي والزهري وابن يعمر: ﴿وَلَوْلَدِي﴾ - بغير ألف وبفتح  
 اللام - يعني: إسماعيل وإسحاق يدل عليه ذكرهما قبل ذلك، وأنكر عاصم  
 الجحدري هذه القراءة، وقال: إن في مصحف أبي بن كعب ﴿ولأبوي﴾. وقرأ  
 عاصم الجحدري: ﴿وَلَوْلَدِي﴾ - بضم الواو وسكون اللام - فاحتمل أن يكون  
 جمع ولد، كأسد في أسد، ويكون قد دعا لذريته، وأن يكون لغة في الولد، كما  
 قالوا: العدم والعُدْم. وقرأ مجاهد وابن جبير: ﴿ولوالدي﴾ - بإسكان الياء - على  
 إرادة الأب وحده، كقوله: ﴿وَأَغْفِرْ لِأَبِي﴾. وقرأ يحيى بن يعمر والجوني:  
 ﴿وَلَوْلَدِي﴾ بفتح الواو وكسر الدال على التوحيد، وما عدا قراءة الجمهور شاذ  
 وليس بمتواتر.

## الإعراب

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ  
 يَصَلُّونَهَا وَيَنَسُّوا الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾.

﴿أَلَمْ﴾ (الهمزة): للاستفهام التعجبي. ﴿لم﴾: حرف جزم. ﴿تَرَ﴾: فعل  
 مضارع مجزوم بـ﴿لم﴾، وهو من رؤية البصر، عداه بـ﴿إلى﴾ تضميناً له بمعنى  
 النظر، وفاعله ضمير يعود على محمد. ﴿إلى الَّذِينَ﴾: جار ومجرور متعلق به،  
 وهو في محل المفعول؛ أي: هل رأيت عجباً مثل هؤلاء الذين بدلوا نعمة الله  
 كُفْرًا. ﴿بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾: فعل وفاعل ومفعولان، والجملة صلة الموصول.  
 ﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة معطوفة على جملة ﴿بَدَّلُوا﴾.  
 ﴿دَارَ الْبَوَارِ﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بـ﴿أحلوا﴾. ﴿جَهَنَّمَ﴾: عطف بيان من  
 ﴿دَارَ الْبَوَارِ﴾. ﴿يَصَلُّونَهَا﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل نصب

(١) زاد المسير والبحر المحيط.

حال من ﴿قَوْمَهُمْ﴾، أو من ﴿جَهَنَّمَ﴾، أو من الـ ﴿دَارَ﴾. ﴿وَيْسَ الْفِرَاقُ﴾: فعل وفاعل، وهو لإنشاء الدم، والمخصوص محذوف وجوباً تقديره: هي؛ أي: ﴿جَهَنَّمَ﴾، والجملة إنشائية لا محل لها من الإعراب.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِن مَّصِيرِكُمْ إِلَى النَّارِ﴾.

﴿وَجَعَلُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿بَدَلُوا﴾ فهو من جملة الصلة المتعجب منها. ﴿لِلَّهِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ ﴿أُنْدَادًا﴾. ﴿أُنْدَادًا﴾: مفعول ثان لجعل، والأول محذوف تقديره: وجعلوا الأصنام أنداداً لله. ﴿لِيُضِلُّوا﴾: (اللام): حرف جر وتعليل. ﴿يضلوا﴾: فعل وفاعل منصوب بأن مضمرة. ﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾: متعلق بـ ﴿يضلوا﴾، والجملة في تأويل مصدر مجرور باللام، الجار والمجرور متعلق بـ ﴿جعلوا﴾، والتقدير: وجعلوا لله أنداداً لإضلالهم الناس عن سبيله. ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة. ﴿تَمَتَّعُوا...﴾ إلى آخر الآية: مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿تَمَتَّعُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل النصب مقول القول. ﴿فَإِنَّ﴾: (الفاء): تعليلية؛ لتعليلها القلة المفهومة من ﴿تَمَتَّعُوا﴾، ﴿إِنَّ﴾: حرف نصب. ﴿مَصِيرِكُمْ﴾: اسمها. ﴿إِلَى النَّارِ﴾: خبرها، وجملة ﴿إِنَّ﴾: في محل النصب مقول القول مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾.

﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة. ﴿لِعِبَادِيَ﴾: جار ومجرور متعلق بـ ﴿قُلْ﴾. ﴿الَّذِينَ﴾: صفة ﴿لِعِبَادِيَ﴾. ﴿ءَامَنُوا﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ إلى آخر الآية: مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: فعل وفاعل ومفعول مجزوم في جواب الطلب لفعل محذوف واقع مفعولاً لـ ﴿قُلْ﴾ تقديره: قل لعبادي أقيموا الصلاة.. يقيموا؛ أي: إن قلت لهم: أقيموا الصلاة.. يقيموا. ﴿وَيُنْفِقُوا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿يُقِيمُوا﴾، وفي «الفتوحات» قوله: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ...﴾ إلخ. مفعول ﴿قُلْ﴾

محذوف يدل عليه جوابه؛ أي: قل لهم أقيموا الصلاة وأنفقوا، وقوله: ﴿يُقِيمُوا﴾  
﴿وَيُنْفِقُوا﴾ مجزومان في جواب الأمر؛ أي: إن قلت لهم: أقيموا الصلاة  
وأنفقوا.. الخ: يقيموا وينفقوا. اهـ. شيخنا. وفي «البيضاوي»: ويجوز أن  
يقدر بلام الأمر؛ ليصح تعلق القول بهما. اهـ؛ أي: ليقموا الصلاة ولينفقوا.  
﴿يَمَّا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿ينفقوا﴾. ﴿رَزَقْنَاهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول أول،  
والمفعول الثاني محذوف تقديره: مما رزقناهم إياه، والجملة صلة لـ﴿ما﴾ أو  
صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف تقديره: إياه. ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾: منصوبان  
على المفعولية المطلقة؛ أي: إنفاق سر وعلانية، أو على الحالية من فاعل  
﴿ينفقوا﴾؛ أي: مسرين ومعلنين، أو على الظرفية؛ أي: وقتي سر وعلانية. ﴿مِنَ  
قَبْلِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿ينفقوا﴾. ﴿أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾: ناصب وفعل وفاعل،  
والجملة في تأويل مصدر مجرور بالإضافة، والتقدير: وينفقوا من قبل إتيان يوم.  
﴿لَا﴾: نافية تعمل عمل ليس. ﴿بِئْسَ﴾: اسمها مرفوع. ﴿فِيهِ﴾: جار ومجرور  
خبر لا؛ أي: لا يبيع موجوداً فيه. ﴿وَلَا خِلَافٌ﴾ معطوف على ﴿بِئْسَ﴾، وجملة  
﴿لَا﴾: في محل الرفع صفة لـ﴿يَوْمٍ﴾.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ  
الشَّجَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾.

﴿اللَّهُ الَّذِي﴾: مبتدأ وخبر، والجملة مستأنفة. ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾:  
فعل ومفعول ومعطوف، وفاعله ضمير يعود على ﴿اللَّهُ﴾، والجملة صلة  
الموصول. ﴿وَأَنْزَلَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعله ضمير يعود على ﴿اللَّهُ﴾، والجملة  
معطوفة على جملة ﴿خَلَقَ﴾. ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾: متعلق بـ﴿أنزل﴾. ﴿مَاءً﴾: مفعول  
به لـ﴿أنزل﴾. ﴿فَأَخْرَجَ﴾: (الفاء): عاطفة. ﴿أَخْرَجَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعله  
ضمير يعود على ﴿اللَّهُ﴾. والجملة معطوفة على ﴿أنزل﴾. ﴿بِهِ﴾: متعلق  
بـ﴿أخرج﴾. ﴿مِنَ الشَّجَرَاتِ﴾: جار ومجرور حال من ﴿رِزْقًا﴾؛ لأنه صفة نكرة  
قدمت عليها. ﴿رِزْقًا﴾: مفعولٌ ﴿أخرج﴾. ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور صفة  
لـ﴿رِزْقًا﴾.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ﴾ .

﴿وَسَخَّرَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿اللَّهِ﴾، والجملة معطوفة على جملة ﴿خَلَقَ﴾. ﴿لَكُمْ﴾: متعلق بـ﴿سَخَّرَ﴾. ﴿الْفَلَكَ﴾: مفعول ﴿سَخَّرَ﴾. ﴿لِتَجْرِيَ﴾: (اللام): لام كي، ﴿تَجْرِي﴾: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة، وفاعله ضمير يعود على ﴿الْفَلَكَ﴾. ﴿فِي الْبَحْرِ﴾: متعلق بـ﴿تَجْرِي﴾. ﴿بِأَمْرِهِ﴾: جار ومجرور حال من فاعل ﴿تَجْرِي﴾؛ أي: حالة كونها متلبسة بأمره، والجملة الفعلية في تأويل مصدر مجرور باللام تقديره: لجريانها في البحر بأمره، الجار والمجرور متعلق بـ﴿سَخَّرَ﴾. ﴿وَسَخَّرَ﴾: فعل ماض معطوف على ﴿خَلَقَ﴾، وفاعله ضمير يعود على ﴿اللَّهِ﴾. ﴿لَكُمْ﴾: متعلق به. ﴿الْأَنْهَارَ﴾: مفعول به.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ (٢٣).

﴿وَسَخَّرَ﴾: فعل ماض معطوف على ﴿خَلَقَ﴾، وفاعله ضمير يعود على ﴿اللَّهِ﴾. ﴿لَكُمْ﴾: متعلق به. ﴿الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾: مفعولان لـ﴿سَخَّرَ﴾. ﴿دَائِبِينَ﴾: حال من ﴿الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾. ﴿وَسَخَّرَ﴾: فعل ماض معطوف على ﴿خَلَقَ﴾، وفاعله ضمير يعود على ﴿اللَّهِ﴾. ﴿لَكُمْ﴾: متعلق به. ﴿الَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾: مفعولان لـ﴿سَخَّرَ﴾.

﴿وَمَا آتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَذَلِيلٌ كَفَّارٌ﴾ (١٢٢).

﴿وَمَا آتَاكُمْ﴾: فعل ومفعول أول معطوف على ﴿خَلَقَ﴾، وفاعله ضمير يعود على ﴿اللَّهِ﴾. ﴿مِنْ﴾: حرف جر وتبعية، أو زائد في المفعول الثاني. ﴿كُلِّ﴾: مجرور بـ﴿مِنْ﴾، الجار والمجرور متعلق بـ﴿آتَاكُمْ﴾، والمفعول الثاني محذوف تقديره: وآتاكم شيئاً من كل ما سألتموه. ﴿كُلِّ﴾: مضاف. ﴿مَا﴾: موصولة، أو موصوفة في محل الجر مضاف إليه، ويجوز أن تكون ﴿مَا﴾: مصدرية ﴿سَأَلْتُمُوهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول أول، والضمير فيه عائد إلى الله تعالى، والجملة صلة لـ﴿مَا﴾ أو صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف تقديره ما

سألتموه تعالى إياه، والمصدر المؤول من الفعل على كون ﴿مَا﴾ مصدرية هو المفعول الثاني لـ ﴿آتَاكُمْ﴾ تقديره: وآتاكم مسؤولكم. ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا﴾: جازم وفعل وفاعل. ﴿يَعْتَمَ اللَّهُ﴾: مفعول به. ﴿لَا تَحْضُوهَا﴾: فعل وفاعل ومفعول جواب الشرط، وجملة الشرط مستأنفة. ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾: ناصب واسمه. ﴿لَطَلُومٌ﴾: (اللام): حرف ابتداء، ﴿ظَلُومٌ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿كَفَّارٌ﴾: صفة، أو خبر ثان، وجملة ﴿إِنَّ﴾: مستأنفة.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿وَإِذْ﴾: (الواو): استثنافية. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان متعلق بمحذوف تقديره: واذكر يا محمد إذ قال؛ أي: قصة إذ قال إبراهيم. ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ ﴿إِذْ﴾. ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ﴾ إلى قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾: مقول محكي لـ ﴿قَالَ﴾، وإن شئت قلت: ﴿رَبِّ﴾: منادى مضاف حذف حرف النداء للتخفيف، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿اجْعَلْ هَذَا﴾: فعل دعاء، ومفعول أول. ﴿الْبَلَدَ﴾: بدل من إسم الإشارة، أو عطف بيان منه، وفاعله ضمير يعود على الله. ﴿آمِنًا﴾: مفعول ثان، والجملة الفعلية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها جواب للنداء. ﴿وَاجْنُبْنِي﴾: فعل ومفعول ونون وقاية، وفاعله ضمير يعود على الله. ﴿وَبَنِيَّ﴾: معطوف على ياء المتكلم، والجملة معطوفة على جملة ﴿اجْعَلْ﴾. ﴿أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾: ناصب وفعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على إبراهيم وذريته، والجملة الفعلية في تأويل مصدر مجرور بحرف جر محذوف تقديره: من عبادتنا الأصنام، الجار والمجرور متعلق بـ ﴿اجنبني﴾.

﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَنَنْبَغِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿رَبِّ﴾: منادى مضاف، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿إِنَّهُنَّ﴾: ناصب واسمه. ﴿أَضْلَلْنَ كَثِيرًا﴾: فعل وفاعل ومفعول. ﴿مِنَ النَّاسِ﴾: صفة لـ ﴿كَثِيرًا﴾، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها جواب النداء. ﴿فَنَنْبَغِي﴾: (الفاء): تفصيلية.



﴿من﴾: اسم شرط في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط، أو الجواب، أو هما. ﴿تَعْنِي﴾: فعل ومفعول ونون وقاية في محل الجزم بـ﴿من﴾ على كونها فعل شرط لها، وفاعله ضمير يعود على ﴿من﴾. ﴿فَإِنَّهُ﴾: (الفاء): رابطة لجواب ﴿من﴾ الشرطية وجوباً. ﴿إنه﴾: ناصب واسمه. ﴿مِنِّي﴾: جار ومجرور خبره، وجملة ﴿إن﴾: في محل الجزم بـ﴿من﴾ الشرطية على كونها جواباً لها، وجملة ﴿من﴾: الشرطية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَمَنْ﴾: (الواو): عاطفة. ﴿من﴾: اسم شرط في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الجواب. ﴿عَصَانِي﴾: فعل ومفعول ونون وقاية، وفاعله ضمير يعود على ﴿من﴾، والجملة في محل الجزم بـ﴿من﴾ على كونها فعل شرط لـ﴿من﴾، ﴿فَإِنَّكَ﴾: (الفاء): رابطة لجواب ﴿من﴾. ﴿إِنَّكَ﴾: ناصب واسمه. ﴿عَفُورٌ﴾: خبر أول له. ﴿رَجِيمٌ﴾: خبر ثان، أو صفة لـ﴿عَفُورٌ﴾، وجملة ﴿إن﴾: في محل الجزم بـ﴿من﴾ الشرطية على كونها جواباً لها، والرباط محذوف تقديره: رحيم له، وجملة ﴿من﴾: الشرطية في محل النصب معطوفة على جملة ﴿من﴾ الأولى.

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوَى إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿رَبَّنَا﴾: منادى مضاف، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿إِنِّي﴾: ناصب واسمه. ﴿أَسْكَنْتُ﴾: فعل وفاعل. ﴿مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾: جار ومجرور متعلق به، و﴿من﴾ تبعيضية، والمفعول محذوف، والتقدير: ذرية بعض ذريتي، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها جواب النداء. ﴿بِوَادٍ﴾: متعلق بـ﴿أَسْكَنْتُ﴾. ﴿غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾: صفة ومضاف إليه. ﴿عِنْدَ بَيْتِكَ﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بـ﴿أَسْكَنْتُ﴾. ﴿الْمُحَرَّمِ﴾: صفة للبيت. ﴿رَبَّنَا﴾: منادى مضاف مؤكد للنداء الأول. ﴿لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: فعل وفاعل ومفعول منصوب بأن مضمرة بعد لام كي، والجملة في تأويل مصدر مجرور باللام تقديره: لإقامتهم الصلاة، الجار والمجرور متعلق بـ﴿أَسْكَنْتُ﴾. ﴿فَاجْعَلْ﴾: (الفاء): عاطفة تفرعية. ﴿اجْعَلْ﴾: فعل دعاء، وفاعله ضمير يعود على الله. ﴿أَفْتِدَةً﴾: مفعول أول لجعل. ﴿مِنَ النَّاسِ﴾: صفة

لـ ﴿أَفِدَّةٌ﴾. ﴿تَهْوِي﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿أَفِدَّةٌ﴾. ﴿إِنِّي﴾: متعلق بـ ﴿تَهْوِي﴾: وجملة ﴿تَهْوِي﴾ في محل نصب مفعول ثان لـ ﴿أَجْعَلُ﴾، وجملة ﴿أَجْعَلُ﴾: في محل نصب معطوفة على جملة ﴿إِنْ﴾ في قوله: ﴿إِنِّي أَسْكَنْتُ﴾ على كونها مقول ﴿قَالَ﴾ مع كونها جواب النداء. ﴿وَأَرْزُقُهُمْ﴾: فعل ومفعول. ﴿مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾: متعلق به، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة في محل نصب معطوفة على جملة ﴿أَجْعَلُ﴾. ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: ناصب واسمه، وجملة ﴿يَشْكُرُونَ﴾: في محل الرفع خبر ﴿لعل﴾، وجملة ﴿لعل﴾: في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمْ مَا تُخْفِي وَمَا تُعَلِّمُ وَمَا يُخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ (٢٨).

﴿رَبَّنَا﴾: منادى مضاف. ﴿إِنَّكَ﴾: ناصب واسمه. ﴿تَعَلَّمْ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿إِنْ﴾، وجملة ﴿إِنْ﴾: في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها جواب النداء. ﴿مَا﴾: في محل نصب مفعول ﴿تَعَلَّمْ﴾؛ لأنه بمعنى عرف. ﴿تُخْفَى﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على إبراهيم وسائر العباد، والجملة الفعلية صلة لـ ﴿مَا﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف تقديره: ما نخفيه. ﴿وَمَا تُعَلِّمُ﴾: معطوف على ﴿مَا تُخْفَى﴾، ﴿وَمَا﴾: (الواو): اعتراضية، أو عاطفة. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿يُخْفَى﴾: فعل مضارع. ﴿عَلَى اللَّهِ﴾: متعلق به. ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾: فاعل ﴿يُخْفَى﴾، و﴿مِنْ﴾: زائدة. ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: صفة لـ ﴿شَيْءٍ﴾، أو متعلق بـ ﴿يُخْفَى﴾. ﴿وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾: معطوف على ﴿فِي الْأَرْضِ﴾، والجملة الفعلية جملة معترضة لا محل لها من الإعراب إن قلنا: إنها من كلام الله؛ لاعتراضها بين كلامي إبراهيم، أو في محل نصب معطوفة على ما قبلها على كونها مقول ﴿قَالَ﴾ إن قلنا: إنها من كلام إبراهيم.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (٣٦).

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول في محل الجر صفة للجلالة. ﴿وَهَبَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعله ضمير يعود على ﴿اللَّهُ﴾، والجملة صلة الموصول. ﴿لِي﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿وَهَبَ﴾. ﴿عَلَى الْكَبِيرِ﴾: جار ومجرور حال من ياء المتكلم، و﴿عَلَى﴾ بمعنى: مع، التقدير: وهب لي حالة كوني مصاحباً بالكبير. ﴿إِسْمَاعِيلَ﴾: مفعول ﴿وَهَبَ﴾. ﴿وَإِسْحَاقَ﴾: معطوف عليه. ﴿إِنَّ رَبِّي﴾: ناصب واسمه. ﴿لَسَيِّعُ الدُّعَاءِ﴾: خبره ومضاف إليه، واللام: حرف ابتداء، وجملة ﴿إِنَّ﴾: في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾.

﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ ﴿٤١﴾.

﴿رَبِّ﴾: منادى مضاف، وجملة النداء في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾: ﴿اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ﴾: فعل ومفعولان ونون وقاية، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة الفعلية في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها جواب النداء. ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾: جار ومجرور صفة لمحذوف معطوف على المفعول الأول لجعل، والتقدير: رب اجعلني وبعضاً من ذريتي مقيم الصلاة. ﴿رَبَّنَا﴾: منادى مضاف، وجملة النداء في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَتَقَبَّلْ﴾: فعل دعاء، وفاعله ضمير يعود على الله. ﴿دُعَاءِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة اجتزاء عنها بالكسرة، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة، والجملة الفعلية معطوفة على مقدر تقديره: ربنا فاسمع ندائي وتقبل دعائي، والجملة المحذوفة في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها جواب النداء.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ ﴿٤٢﴾.

﴿رَبَّنَا﴾: منادى مضاف، وجملة النداء في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿اغْفِرْ﴾: فعل دعاء، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها جواب النداء. ﴿لِي﴾: متعلق بـ﴿اغْفِرْ﴾. ﴿وَلِوَالِدَيَّ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه معطوف على ﴿لِي﴾. ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾: معطوف عليه أيضاً. ﴿يَوْمَ﴾: منصوب على الظرفية متعلق بـ﴿اغْفِرْ﴾. ﴿يَقُومُ الْحِسَابُ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ﴿يَوْمَ﴾.

## التصريف ومفردات اللغة

﴿دَارَ الْبَوَارِ﴾؛ أي: الهلاك، يقال: رجل بائر وقوم بور، كما قال:  
﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ ومنه قول الشاعر:

فَلَمْ أَرِ مِثْلَهُمْ أَبْطَالَ حَرْبٍ      غَدَاةَ الْحَرْبِ إِذْ خِيفَ الْبَوَارُ  
وفي «المصباح»: بار الشيء يبور بوراً - بالضم - هلك، وبار الشيء بواراً  
إذا كسد.

﴿يَصَلَوْنَهَا﴾؛ أي: يقاسون حرها، يقال: صلى النار صلياً قاسى حرها  
كتصلها، والمراد بصلونها: الدخول مع المقاساة لشدة حرها، وإلا فمطلق  
الدخول قد استفيد من قوله: ﴿وَأَحْلَوْا قَوْمَهُمْ﴾. وفي «المصباح»: صلى الله  
بالنار، وصلبها، صلى - من باب تعب -: وجد حرها، والصلاء - وزان كتاب -:  
حر النار، وصلبت اللحم أصلبه - من باب رمى - إذا شويته. اهـ.  
﴿أَنْدَادًا﴾ والأنداد: الشركاء جمع ند، وهو المثل الشبيه.

﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ﴾؛ أي: مرجعكم ومردكم، والمصير: مصدر<sup>(١)</sup> صار التامة  
بمعنى: رجع. ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ اسما مصدر لأسر وأعلن الرباعيين.  
﴿يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ﴾؛ أي: فدية. ﴿وَلَا خِلَالَ﴾ الخلال: المخالة والصدقة،  
وفي «القرطبي» الخلال<sup>(٢)</sup>: جمع خلة كقلة وقلال. قال الشاعر:

فَلَسْتُ بِمَقْلِيٍّ الْخِلَالَ وَلَا قَالِي

﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾ السماء: السحاب، وكل ما علا الإنسان فأظله فهو  
سما، مشتق من السمو؛ وهو الارتفاع، وسمي السحاب سماء لارتفاعه.

﴿مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾: جمع ثمر، والثمر: اسم يقع على ما يحصل من الشجر،  
وقد يقع على الزرع أيضاً بدليل قوله تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا  
حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾.

(٢) القرطبي.

(١) روح البيان.

﴿رَزَقًا﴾ والرزق: كل ما ينتفع به مأكولاً كان أو مشروباً أو غيرهما.  
﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ﴾ التسخير: التيسير والإعداد، والفلك: السفن.

﴿دَائِبِينَ﴾: الدأب: العادة المستمرة دائماً على حالة واحدة، ودأب في السير إذا داوم عليه، ودأب في العمل إذا سار فيه على عادة مطردة، كما قال: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾. وفي «المختار»: دأب في عمله جد وتعب، وبابه قطع وخضع فهو دائب بالألف لا غير، والدائبان: الليل والنهار، والدأب - بسكون الهمزة - العادة والشأن وقد يحرك. ا هـ. وفي «القاموس»: دأب في عمله - كمنع - دأباً، ويحرك ودؤوباً بالضم جد وتعب. ا هـ.

﴿وَأَتَانَكُمْ﴾: أعطاكم. ﴿لَا تُحْصَوْهَا﴾: لا تطبقوا إحصاءها وحصرها من أحصى الرباعي، والإحصاء: العد بالحصى، وكان العرب يعتمدونه في العد كاعتمادنا فيه على الأصابع.

﴿ظُلُوم﴾؛ أي: كثير الظلم لنفسه بإغفال شكر النعمة. ﴿كَفَّارًا﴾؛ أي: شديد الكفران والجحود لها.

﴿وَأَجْنِبِي وَبَيْ﴾ يقال: جنبته كنصرته وأجنبته وجنبته؛ أي: أبعدته، والمعنى: بعدني وإياهم. وفي «الفتوحات» يقال<sup>(١)</sup>: جنبه شراً وأجنبه إياه ثلاثياً ورباعياً: وهي لغة نجد، وجنبه إياه مشدداً: وهي لغة الحجاز وهو المنع، وأصله من الجانب، وأصل التجنب أن يكون الرجل في جانب غير ما عليه غيره، ثم استعمل في البعد مطلقاً. وقال الراغب: وقوله تعالى: ﴿وَأَجْنِبِي وَبَيْ﴾ من جنبته عن كذا؛ أي: أبعدته منه. وقيل: من جنبت الفرس كأنه سأله أن يبعدة عن جانب الشرك بالطاف منه وأسباب خفية، وأن نعبد على حذف حرف الجر؛ أي: عن أن نعبد. ا هـ. «سمين». وفي «القاموس»: والجنب: محركة أن يجنب فرساً إلى فرسه في السباق، فإذا فاز المركوب تحول إلى المجنوب. ا هـ.

وفي «المصباح»: وجنبت الرجل الشر جنوباً - من باب قعد - أبعدته عنه،

(١) الفتوحات.

وجنبته بالثقل مبالغة. ا هـ. وفي «المختار»: وجنبه الشيء - من باب نصر - وجنبه الشيء تجنياً بمعنى؛ أي: نحاه عنه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾. ا هـ. ﴿وَبَنِيَّ﴾ أصله: وبنين لي، حذفت النون للإضافة واللام للتخفيف، فأدغمت يا علامة الإعراب في ياء المتكلم.

﴿بَوَادٍ﴾؛ أي: في وادٍ، والوادي: المنخفض بين الجبلين. ﴿عَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾؛ أي: لا يصلح للإنبات؛ لأنه أرض حجرية لا تنبت شيئاً.

﴿أَفْوَدَةٌ مِنَ النَّاسِ﴾ الأفئدة<sup>(١)</sup>: جمع فؤاد، وهو القلب عبر به عن جميع البدن؛ لأنه أشرف عضو فيه، وقيل: هو جمع وفد، والأصل: أفودة فقدمت الفاء وقلبت الواو ياء، فكأنه قال: واجعل وفوداً من الناس تهوي إليهم.

﴿تَهَوَّىٰ إِلَيْهِمْ﴾؛ أي: تسرع شوقاً وحباً إليهم. قال الأصمعي: يقال<sup>(٢)</sup>: هوى يهوي - من باب رمى - هويماً إذا سقط من علٍ إلى سفلى. وقال الفراء: تهوي إليهم تريدهم، كما تقول: رأيت فلاناً يهوي نحوك، معناه يريدك. وقال أيضاً: تهوي: تسرع إليهم. وقال ابن الأنباري: معناه: تنحط إليهم وتنحدر وتنزل، هذا قول أهل اللغة في هذا الحرف. وأما أقوال المفسرين فيه، فقد تقدمت في مبحث التفسير.

﴿لَسَمِيعُ الدُّعَاةِ﴾؛ أي: إنك لكثير إجابة الدعاء لمن يدعوك، وإضافة<sup>(٣)</sup> السميع إلى الدعاء من إضافة الصفة إلى مفعولها، وأصله: لسميع الدعاء، وقد ذكر سيبويه فعلاً في جملة أبنية المبالغة العاملة عمل الفعل، كقولك: هذا رحيم أباه. وفي «البيضاوي»: وهو من أبنية المبالغة العاملة عمل الفعل أضيف إلى مفعوله، أو فاعله على إسناد السماع إلى دعاء الله تعالى على المجاز، وهذا الأخير بعيد جداً. قال أبو حيان: والظاهر<sup>(٤)</sup> إضافة سميع إلى المفعول، وهو من إضافة المثال الذي على وزن فعيل إلى المفعول، فيكون إضافة من نصب، ويكون

(١) الشوكاني.

(٢) النسفي.

(٢) الخازن.

(٤) البحر المحيط.

ذلك حجة على إعمال فعيل الذي للمبالغة في المفعول على ما ذهب إليه سيويه .  
وقد خالف في ذلك جمهور البصريين ، وخالف الكوفيون فيه ، وفي إعمال باقي  
الخمسة الأمثلة فعول وفعال ومفعال وفعل ، وهذا مذكور في علم النحو ، ويمكن  
أن يقال في هذا : ليس ذلك إضافة من نصب ، فيلزم جواز إعماله ، بل هي إضافة  
كإضافة اسم الفاعل في نحو : هذا ضارب زيد أمس .

## البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضرورياً من البلاغة ، وأنواعاً من الفصاحة والبيان  
والبديع :

ومنها : الاستفهام التعجبي في قوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا ﴾ فإنه تعجيب<sup>(١)</sup>  
لرسول الله ﷺ ولكل أحد مما صنع الكفرة من الأباطيل التي لا تكاد تصدر عن  
له أدنى إدراك .

ومنها : المجاز بالحذف في قوله : ﴿ نِعْمَةَ اللَّهِ ﴾ ؛ أي : شكر نعمة الله .

ومنها : المجاز العقلي في قوله : ﴿ وَأَحْلَوْا قَوْمَهُمْ ﴾ لما فيه من الإسناد إلى  
السبب ، لأنه أسند<sup>(٢)</sup> الإحلال وهو فعل الله إلى أكابره ؛ لأن سببه كفرهم  
وسبب كفرهم أمر أكابره إياهم بالكفر .

ومنها : الاستعارة التبعية في قوله : ﴿ لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ ؛ لأنه ليس  
الإضلال غرضاً حقيقياً لهم من اتخاذ الأنداد ، ولكن لما كان نتيجة له كما كان  
الإكرام في قولك : جئتك لتكرمني نتيجة المجيء ، شبه بالغرض وأدخل اللام عليه  
بطريق الاستعارة التبعية ، ونسب الإضلال الذي هو فعل الله تعالى إليهم ؛ لأنهم  
سبب الضلالة حيث يأمرون بها ويدعون إليها .

ومنها : التهديد والوعيد لأولئك الضالين المضلين في قوله : ﴿ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ  
مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴾ .

(٢) روح البيان .

(١) أبو السعود .

ومنها: الإضافة للتشريف في قوله: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾؛ لأن الله سبحانه وتعالى شرف عباده بهذه الياء، وهي خير لهم من الدنيا وما فيها؛ لأن فيها إضافة إلى نفسه، والإضافة تدل على العتق.

ومنها: الطباق في قوله: ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾.

ومنها: التكرار في قوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ﴾ في أربعة مواضع.

ومنها: الاستغراق المفاد من قوله: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾؛ لأن المفرد المضاف يفيد الاستغراق.

ومنها: المبالغة في قوله: ﴿إِنَّكَ الْإِنْسَانَ لَطَلُومٌ كَفَّارٌ﴾؛ لأن فعول وفعال من صيغ المبالغة.

ومنها: الإسناد المجازي في قوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾؛ أي: آمناً أهله؛ لأن إسناد الأمن إلى البلد مجاز لوقوع الأمن فيه، وإنما الأمن في الحقيقة أهل البلد.

ومنها: جمع الأصنام في قوله: ﴿أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ ليشتمل على كل صنم عبد من دون الله؛ لأن الجمع المعرف باللام يشمل كل واحد من الأفراد كالمفرد باتفاق جمهور أئمة التفسير والأصول والنحو.

ومنها: الإسناد المجازي في قوله: ﴿إِنَّهُمْ أَضَلُّونَ كَثِيرًا﴾؛ لأن<sup>(١)</sup> نسبة الإضلال إليها مجاز من باب نسبة الشيء إلى سببه. اهـ. «كرخي»؛ أي: فهذا مجاز؛ لأن الأصنام جمادات وحجارة لا تعقل شيئاً حتى تضل من عبدها إلا أنه لما حصل الضلال بعبادتها أضيف إليها، كما تقول: فتنتم الدنيا وغرتهم، وإنما فتنوا وغروا بسببها. اهـ. «خازن».

ومنها: الطباق في قوله: ﴿تَبِعَنِي﴾ و﴿عَصَانِي﴾. وفي ﴿خُفِّنِي﴾ و﴿تَمَلَّنِي﴾. وفي ﴿الْأَرْضِ﴾ و﴿السَّمَاءِ﴾.

(١) الفتوحات.



ومنها: التكرار في قوله: ﴿رَبَّنَا﴾ وفي قوله: ﴿رَبِّ﴾ لتأكيد الكلام.

ومنها: الإضافة للتشريف في قوله: ﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾.

ومنها: الاستعارة في قوله: ﴿فَأَجْعَلْ آفِئدةَ مِنَّا مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾. قال<sup>(١)</sup> الشريف الرضي: وهذه من محاسن الاستعارة، وحقيقة الهوي: النزول من علو إلى انخفاض كالهبوط، والمراد: تسرع إليهم شوقاً، وتطير إليهم حباً، ولو قال: تحن إليهم. لم يكن فيه من الفائدة ما في التعبير بـ﴿تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾؛ لأن الحنين قد يكون من المقيم بالمكان.

ومنها: الاستعارة التصريحية التبعية في قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾؛ أي: يوم<sup>(٢)</sup> يثبت حساب المكلفين في المحشر، استعير له لفظ ﴿يَوْمٌ﴾ الذي هو حقيقة في قيام الرجل، للدلالة على أنه في غاية الاستقامة، كما يقال: قامت الحرب على ساق.

ومنها: الإظهار في موضع الإضمار في قوله: ﴿وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ إن قلنا: إنه من كلام الله معترض بين كلامي إبراهيم؛ لأن حق العبارة حينئذ أن يقال: وما يخفى علي من شيء.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

\* \* \*

(١) تلخيص البيان.

(٢) الشوكاني.

قال الله سبحانه جلّ وعلا:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَا بَعْثُ الْعِزَابِ قَيْقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرَجْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ مِنْحِبِّ دَعْوَتِكَ وَتَشِيعِ الرَّسُلُ الَّذِينَ ظَلَمُوا نَكُورُوا أَفْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُم مِّنْ ذُرَائِلٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِينِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفاً وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِلُهُمْ مِّنْ فَطْرَانٍ وَتَعَنَّى وَجُوهُهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ، وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥١﴾﴾

### المناسبة

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر أن جزاء من بدلوا نعمة الله كفراً، وجعلوا له الأنداد جهنم يصلونها وبئس المهاد، وطلب إلى عباده المؤمنين مجاهدة النفس والهوى وإقامة فرائض الدين... ذكر هنا تسليية لرسوله وتهديداً للظالمين من أهل مكة أن تأخيرهم وتمتعهم بالحظوظ الدنيوية ليس بإهمال للعقوبة، ولا لغفلة عن حالهم، وإنما كان لحكمة اقتضت ذلك، وهم مرصدون ليوم شديد الهول له من الأوصاف ما بين بعد، وعليك أيها الرسول أن تنذر الناس بقرب حلوله، وأنهم في ذلك اليوم سيطلبون المرد إلى الدنيا ليجيبوا دعوة الداعي، وهيئات هيئات.

صَاحِ هَلْ رَيْتَ أَوْ سَمِعْتَ بِرَاعٍ رَدَّ فِي الضَّرْعِ مَا قَرَى فِي الْحِلَابِ  
وقد كان لكم معتبر في تلك المساكن التي تسكنونها، فإنها كانت لقوم أمثالكم كفروا بأنعم الله، فأخذهم أخذ عزيز مقتدر. ألا إن وعد الله لرسله لا

يخلف وهو ناصرهم وخاذل أعدائه، كما قال: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا﴾، وقال: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ ومحاسبهم في يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات، يوم يخرجون من قبورهم للحساب أمام الواحد القهار، وترى حال المجرمين يجل عن الوصف، وهذا الذي قصصته عليكم تبليغ وإنذار؛ ليتذكر به ذوو العقول الراجحة، وليعلموا أن الله واحد لا شريك له.

### التفسير وأوجه القراءة

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ﴾؛ أي: ولا تظنن الله سبحانه وتعالى يا محمد أو أيها المخاطب ﴿غَافِلًا﴾؛ أي: ساهياً ﴿عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ من ظلمهم، فلا ينتقم منهم، والظالمون أهل مكة وغيرهم من كل أهل شرك وظلم، وهو خطاب لرسول الله ﷺ، والمعنى: دم على ما كنت عليه من عدم حسبانه تعالى غافلاً عن أعمالهم، ولا تحزن بتأخير ما يستحقونه من العذاب الأليم. ﴿تَحْسَبَنَّ﴾ قرىء بفتح السين وكسرهما قراءتان سبعيتان، وكذا يقال: في قوله الآتي: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلَّفَ وَعَدُوِّهِ رُسُلَهُ﴾. ١ هـ. شيخنا. والغفلة<sup>(١)</sup>: معنى يمنع الإنسان من الوقوف على حقائق الأمور. وقيل: حقيقة الغفلة سهو يعتري الإنسان من قلة التحفظ والتيقظ، وهذا في حق الله محال، فلا بد من تأويل الآية، فالمقصود منها أنه سبحانه وتعالى ينتقم من الظالم للمظلوم، ففيه وعيد وتهديد للظالم، وإعلام له بأن لا يعامله معاملة الغافل عنه، بل ينتقم ولا يتركه مغفلاً. قال سفيان بن عيينة: فيه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم.

فإن قلت: تعالى الله عن السهو والغفلة، فكيف يحسبه رسول الله ﷺ غافلاً وهو أعلم الناس به أنه لم يكن غافلاً حتى قيل له: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾؟

قلت: إذا كان المخاطب به رسول الله ﷺ، ففيه وجهان:

أحدهما: التثبیت على ما كان عليه من أنه لا يحسب الله غافلاً، فهو

(١) الخازن.

كقوله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ وكقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ءَامِنُوا﴾؛ أي: اثبتوا على ما أنتم عليه من الإيمان.

**الوجه الثاني:** أن المراد بالنهي عن حسبانه غافلاً: الإعلام بأنه سبحانه وتعالى عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه شيء، وأنه ينتقم منهم فهو على سبيل الوعيد والتهديد لهم.

**والمعنى:** ولا تحسبته معاملهم معاملة الغافل عنهم، ولكن يعاملهم معاملة الرقيب الحفيظ عليهم، والمحاسب لهم على الصغير والكبير، والتقير والقطمير. وفي الآية وعيد عظيم للظالمين وتسلية للمظلومين، وإن كان المخاطب غير النبي ﷺ فلا إشكال فيه ولا سؤال؛ لأن أكثر الناس غير عارفين بصفات الله، فمن جوز أن يحسبه غافلاً فلجهله بصفاته.

**والخلاصة على الوجه الأول:** ولا تحسبن الله يا محمد غافلاً عما يعمل الظالمون؛ أي<sup>(١)</sup>: تاركاً عقوبة المشركين بما عملوا، والمراد تثبته ﷺ على ما كان عليه من أنه ﷺ لا يحسب الله غافلاً، والمقصود: تنبيهه على أنه تعالى لو لم ينتقم للمظلوم من الظالم.. للزم عليه تعالى أحد الأمور الثلاثة: إما أن يكون غافلاً عن ذلك الظالم، أو عاجزاً عن الانتقام، أو راضياً بذلك الظلم، وكل ذلك محال عليه تعالى، فامتنع أن لا ينتقم للمظلوم من الظالم.

ثم أوعدهم حلول يوم يحاسبون فيه على أعمالهم، وفيه من الهول ما يحير اللب واللييب، ويدهش العقل والعقيل، فقال: ﴿إِنَّمَا يُؤَخَّرُهُمْ﴾؛ أي: إنما يمهلهم بلا عذاب الاستئصال، ويمتعهم بكثير من لذات الحياة، ولا يعجل عقوبتهم ﴿لِيَوْمٍ﴾؛ أي: إلى يوم شديد الهول ﴿تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾؛ أي: ترتفع فيه أبصار أهل الموقف، وتبقى مفتوحة لا تطرف ولا تتحرك أجفانهم من الفزع والاضطراب والدهشة؛ أي: أعينهم مفتوحة لا تتحرك<sup>(٢)</sup> أجفانهم من هول ما يرونه، يعني أن تأخيره للتشديد والتغليظ، لا للغفلة عن أعمالهم ولا لإهمالهم،

(٢) روح البيان.

(١) المراح.

ومعنى شخوص البصر حدة النظر، وعدم استقراره في مكانه، واللام في قوله: ﴿لِيَوْمٍ﴾ تعليل للنهي؛ أي: لا يؤخر عذابهم إلا لأجل يوم هائل. وقيل: بمعنى إلى التي للغاية. وقرأ طلحة بن مصرف شذوذاً<sup>(١)</sup>: ﴿وَلَا تَحْسَبْ﴾ بغير نون التوكيد، وكذا: ﴿فَلَا تَحْسَبِ اللَّهُ مَخْلَفَ وَعْدِهِ رَسَلَهُ﴾. وقرأ عبد الرحمن السلمي والحسن والأعرج والمفضل عن عاصم وعباس بن الفضل وهارون العتكي ويونس بن حبيب عن أبي عمرو شذوذاً أيضاً: ﴿نُؤَخِّرُهُمْ﴾ بنون العظمة، والجمهور بالياء؛ أي: إنما يؤخرهم الله سبحانه وتعالى، واختار هذه القراءة أبو عبيد وأبو حاتم لقوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ﴾، وقوله: ﴿مُهْطِعِينَ﴾ حال مقدره من مفعول ﴿يُؤَخِّرُهُمْ﴾؛ أي: يؤخرهم إلى يوم شخص فيه الأبصار حالة كونهم مهطعين في ذلك اليوم؛ أي: مسرعين إلى الداعي وإجابته ومقبلين عليه بالخوف والذل والخضوع، كإسراع الأسير والخائف والداعي للخلائق هو إسرافيل حيث يدعو إلى الحشر. وعبارة المحلي في سورة ق: ﴿وَأَسْتَجِبْ﴾ يا مخاطب ﴿يَوْمَ يَأْتِي السَّمَاءُ﴾ وهو إسرافيل ﴿مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ من السماء، وهو صخرة بيت المقدس أقرب موضع من الأرض إلى السماء يقول: أيتها العظام البالية والأوصال المنقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة: إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء. ا هـ. وحالة كونهم ﴿مُنْعَبِي رُءُوسِهِمْ﴾؛ أي: رافعيها إلى السماء مع إدامة النظر إليها من غير التفات إلى شيء ولا ينظر أحد إلى أحد ﴿لَا يَزِيدُ الْيَهُودَ طَرَفُهُمْ﴾؛ أي: لا يرجع إليهم تحريك أجفانهم، كما كانوا يفعلون في الدنيا في كل لحظة، بل تبقى أعينهم مفتوحة لا تطرف؛ أي: لا تضم من شدة الفزع والخوف. وقال في «الكواشي»: أصل الطرف تحريك الجفون في النظر، ثم سميت العين طرفاً مجازاً.

والمعنى: أنهم لا يلتفتون ولا ينظرون مواقع أقدامهم لما بهم من الدهشة انتهى. ﴿وَأَنْتَدُّهُمْ﴾؛ أي: قلوبهم ﴿هَوَاءً﴾؛ أي: صفر خالية من العقل والفهم؛ لفرط الحيرة والدهش، كأنها نفس الهواء الخالي عن كل شاغل، والهواء<sup>(٢)</sup>: الخلاء الذي لم تشغله الأجرام، فوصف به، فقيل: قلب فلان هواء إذا كان جباناً

(١) البحر المحيط.

(٢) النسفي.

لا قوة في قلبه ولا جراءة. وقيل: جوف لا عقول لهم.

ومعنى الآية<sup>(١)</sup>: إن أفئدتهم خالية فارغة لا تعي شيئاً ولا تعقل من شدة الخوف. وفي «الكواشي»: تلخيصه: الأبصار شاخصة، والرؤوس مقنعة، والقلوب فارغة زائلة لهول ذلك اليوم، ثبتنا الله وإياكم فيه، والآية تسلية لرسول الله ﷺ، وتعزية للمظلوم، وتهديد للظالم، وحصول هذه الصفات الخمسة عند المحاسبة.

ثم ذكر مقاتلهم حين يرون هذا الهول وما فيه من العذاب، فقال: ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ﴾؛ أي: خوف الناس جميعاً يا محمد ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾؛ أي: خوفهم من عذاب يوم يأتيهم العذاب؛ أي: خوفهم هذا اليوم، وهو يوم القيامة؛ لأنه يوم إتيان العذاب، وإنما<sup>(٢)</sup> اقتصر على ذكر إتيان العذاب فيه مع كونه يوم إتيان الثواب؛ لأن المقام مقام تهديد. وقيل: المراد به يوم موتهم، فإنه أول أوقات إتيان العذاب حيث يعذبون بالسكرات. وقيل: المراد يوم هلاكهم بالعذاب العاجل، والأول أولى، وهذا الإنذار للكفرة أصالة، وللمؤمنين تبعية، وإن لم يكونوا معذبين، وانتصاب ﴿يَوْمٍ﴾ على أنه مفعول ثانٍ لـ ﴿وَأَنْذِرِ﴾. ﴿يَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ منهم بالشرك والتكذيب. قيل: المراد بـ ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ هنا هم الناس المذكورون؛ أي: فيقولون، والعدول من الإسمار إلى الإظهار للإشعار بأن الظلم هو العلة فيما نزل بهم، هذا إذا كان المراد بالناس هم الكفار، وعلى تقدير كون المراد بهم من يعم المسلمين، فالمعنى: فيقول الذين ظلموا منهم؛ وهم الكفار. ﴿زَيْنًا﴾ ويا مالك أمرنا ردنا إلى الدنيا و﴿أَخْرَانَا﴾؛ أي: أمهلنا ﴿إِلَّا أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾؛ أي: إلى أمد من الزمان معلوم غير بعيد. قال بعضهم: لعل في التركيب تضميناً كما أشرنا إليه، والتقدير: ردنا إلى ذي أجل قريب؛ أي: قليل وهو الدنيا مؤخراً عذابنا، أو المعنى: أخر آجالنا وأبقنا مقدار ما نؤمن بك ونجيب دعوتك. وقوله: ﴿حُجِّبْ دَعْوَتَكَ﴾ جواب الأمر؛ أي: إن أخرجتنا نجب دعوتك لعبادك على السنة رسلك إلى توحيدك وطاعتك. ﴿وَتَسَبِّحْ الرَّسُولَ﴾ المرسلين منك إلينا، فنعمل بما بلغوه إلينا من شرائعك، ونتدارك ما فرط منا من الإهمال، وإنما جمع الرسل؛

(٢) الشوكاني.

(١) الخازن.

لأن دعوتهم إلى التوحيد متفقة، فاتباع واحد منهم اتباع لجميعهم، وهذا منهم سؤال للرجوع إلى الدنيا لما ظهر لهم الحق في الآخرة: ﴿وَلَوْ رَدُّوْا لَعَادُوا لِمَا نُهُوْا عَنْهُ﴾.

ثم حكى سبحانه ما يجب به عنهم عندما قالوا هذه المقالة، فقال: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّن قَبْلُ﴾، فالهمزة فيه للاستفهام التقريري التوبيخي التبكيتي داخل على محذوف، والواو عاطفة على ذلك المحذوف، ويكون ذلك المحذوف على ما عطف عليه مقولاً لقول محذوف، والتقدير: يقال<sup>(١)</sup> لهم توبيخاً وتبكيتاً: ألم تؤخروا في الدنيا، ولم تكونوا أقسمتم من قبل؛ أي: من قبل هذا اليوم؛ أي: حلفتם إذ ذاك بألستكم تكبراً وغروراً ﴿مَا لَكُمْ مِّن زَوَالٍ﴾؛ أي: ما لكم انتقال من دار الدنيا وارتحال منها إلى دار أخرى للمجازاة إنكاراً للبعث والنشور، أو بالسنه حالكم حيث استغرقتم في الشهوات وأخلدتم إلى الحياة الدنيا، وأملتكم بعيداً ولم تحدثوا بأنفسكم بالانتقال عن هذه الحال، فكأنكم لا تموتون. وجواب القسم جملة قوله: ﴿مَا لَكُمْ مِّن زَوَالٍ﴾ وإنما<sup>(٢)</sup> جاء بلفظ الخطاب في قوله: ﴿مَا لَكُمْ مِّن زَوَالٍ﴾ لمراعاة ﴿أَقْسَمْتُمْ﴾، ولولا ذلك لقال: ما لنا من زوال. وقيل: قسمهم هذا هو ما حكاه الله عنهم في قوله: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾.

وجملة قوله: ﴿وَسَكَنْتُمْ...﴾ إلخ. معطوف على ﴿أَقْسَمْتُمْ﴾؛ أي: أولم تكونوا أقسمتم وسكنتم؛ أي: استقررتم ونزلتم ﴿فِي مَسَاجِدِ الَّذِينَ﴾؛ أي: منازل الذين ﴿ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بالشرك والمعاصي، كعاد وثمرود وغيرهما غير محدثين لأنفسكم بما لقوا من العذاب بسبب ما اكتسبوا من السيئات ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ﴾؛ أي: وظهر لكم بمشاهدة الآثار وتواتر الأخبار ﴿كَيْفَ فَكُنَّا بِهْتُمْ﴾ من الإهلاك والعقوبة بما فعلوا من الظلم والفساد. وفاعل ﴿تَبَيَّنَ﴾ ما دلت عليه الجملة

(١) روح البيان.

(٢) الشوكاني.

المذكورة بعده؛ أي: تبين لكم فعلنا العجيب بهم، وليست<sup>(١)</sup> جملة ﴿كَيْفَ فَعَلْنَا﴾ فاعلاً لـ ﴿تَبِينَ﴾؛ لأن الاستفهام له صدر الكلام، ولأن ﴿كَيْفَ﴾ لا يكون إلا ظرفاً أو خبراً أو حالاً، بل فاعله ما دلت هي عليه دلالة واضحة؛ أي: وظهر لكم فعلنا العجيب بهم من الإهلاك والعقوبة جزاء على شركهم وفسادهم. ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمْ﴾؛ أي: وبيننا لكم في القرآن العظيم ﴿الْأَمْثَالَ﴾؛ أي: صفات ما فعلوا وما فعل بهم من الأمور التي هي في الغرابة كالأمثال المضروبة لكل ظالم لتعتبروا بها، وتقيسوا أعمالكم على أعمالهم، ومآلكم على مآلهم، وتنتقلوا من حلول العذاب العاجل إلى حلول العذاب الآجل، فترتدعوا عما كنتم عليه من الكفر والمعاصي يعني: أنكم سمعتم هذا كله في الدنيا، فلم تعتبروا، فلو رجعتم بعد هذا اليوم.. لا ينفعكم الموعدة أيضاً.

والمعنى<sup>(٢)</sup>: وأقمتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم واطمأننتم فيها، وسرتم سيرة من قبلكم في الظلم والفساد، لم تفكروا فيما سمعتم من أخبار من سكنوها قبلكم، ولم تعتبروا بأيام الله فيهم، وأنه أهلكتهم بظلمهم، وأنكم إن سرتم سيرتهم حاق بكم مثل ما حاق بهم بعد أن تبين لكم ما فعلنا بهم من الإهلاك والعقوبة بمعاينة آثارهم وتواتر أخبارهم، ومثلنا لكم فيما كنتم مقيمين عليه من الشرك الأشباه والنظائر، فلم ترعوا ولم تتوبوا من كفركم.

الآن تسألون التأخير للتوبة حين نزل بكم من العذاب ما نزل، فهيهات هيهات قد فات ما فات، ولن يكون ذلك حتى يلج الجمل في سم الخياط. وقرأ الجمهور<sup>(٣)</sup>: ﴿وَبَيَّنَّا﴾ فعلاً ماضياً، وفاعله ضمير يعود على ما يفهم من الجملة الاستفهامية المذكورة بعده؛ أي: وتبين لكم فعلنا العجيب. وقرأ السلمي شذوذاً: ﴿وَبَيَّنُّ﴾ بضم النون ورفع النون الأخيرة مضارع بين، ويكون على إضمار ونحن نبين، والجملة حالية. وقال المهدوي عن السلمي أنه قرأ كذلك إلا أنه جزم النون عطفاً على ﴿أَرَلَمْ تَكُونُوا﴾؛ أي: ولم نبين فهو مشارك له في التقرير.

(٣) البحر المحيط.

(٢) المراغي.

(١) روح البيان.



فائدة: واعلم أنه ينبغي للمؤمن أن يذكر الموت، فإنه لا غنية للمؤمن  
عن ست خصال<sup>(١)</sup>:

أولها: علم يده على الآخرة.

والثانية: رفيق يعينه على طاعة الله، ويمنعه عن معصية الله.

والثالثة: معرفة عدوه والحذر منه.

والرابعة: عبرة يعتبر بها.

والخامسة: إنصاف الخلق؛ لكيلا تكون له يوم القيامة خصماء.

والسادسة: الاستعداد للموت قبل نزوله؛ لكيلا يكون مفتضحاً يوم القيامة.

ثم بين أن حالهم كحال من سبقهم حذو القذة بالقذة، فقال: ﴿وَقَدْ مَكْرُؤًا  
مَكْرَهُمْ﴾ الجملة في محل النصب على الحال؛ أي: فعلنا بالذين ظلموا ما  
فعلنا، والحال أنهم قد مكروا في إبطال الحق وتقرير الباطل مكرهم العظيم الذي  
استفرغوا في عمله المجهود وجاوزوا فيه كل حدّ محدود بحيث لا يقدر عليهم  
غيرهم، والمكر: الخديعة. ﴿وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾؛ أي: وعند<sup>(٢)</sup> الله جزاء مكرهم  
الذي فعلوه، أو: وعند الله مكتوب مكرهم، فهو مجازيهم، أو عند الله مكرهم  
الذين يمكرهم به على أن يكون المكر مضافاً إلى المفعول. قيل: المراد بهم قوم  
محمد ﷺ مكروا بالنبي ﷺ حين هموا بقتله أو نفيه. وقيل: والمراد ما وقع من  
النمرود حيث حاول الصعود إلى السماء، فاتخذ لنفسه تابوتاً، وربط قوائمه بأربعة  
نسور.

والخلاصة<sup>(٣)</sup>: عند الله جزاؤهم وما هو أعظم منه فرأيهم آفن؛ إذ هم  
سلكوا طريقاً كان ينبغي البعد عنها بعد أن استبان فسادها.

(٣) المراغي.

(١) روح البيان.

(٢) الشوكاني.

ثم ذكر أن عاقبة مكرهم الخسران والبوار، فقال: ﴿وَإِنْ كَانَتْ مَكْرَهُمْ﴾  
 ﴿إِنْ﴾: نافية ﴿لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ واللام: فيه مكسورة، والفعل بعدها منصوب بأن  
 مضمرة، وهي لام الجحود الواقعة بعد الكون المنفي على قراءة الجمهور. قال ابن  
 جرير: الاختيار قراءة الجمهور؛ أي: وما<sup>(١)</sup> كان مكرهم لتزول به آيات الله وشرائعه  
 ومعجزاته الظاهرة على أيدي الرسل التي هي كالجبال في الرسوخ والثبات.

والخلاصة: تحقير شأن مكرهم، وأنه ما كان لتزول منه الآيات والنبوات  
 الثابتة ثبوت الجبال، فليس بمزيل شيئاً منها مهما قوي، وكان غاية في المتانة  
 والعظم. وقيل: ﴿إِنْ﴾. ﴿إِنْ﴾ زائدة، واللام: لام الابتداء مفتوحة، والفعل  
 بعدها مرفوع.

والمعنى<sup>(٢)</sup>: وكان مكرهم في العظم والشدة لتزول وتتحرك منه الجبال  
 الظاهرة؛ أي: مسوى لإزالة الجبال عن مقارها معداً لذلك. قال في «الإرشاد»؛  
 أي: وإن كان مكرهم في غاية المتانة والشدة، وعبر عن ذلك بكونه مسوى ومعداً  
 لذلك؛ لكونه مثلاً في ذلك. وقرأ الجمهور<sup>(٣)</sup>: ﴿وَإِنْ كَانَتْ﴾ بالنون. وقرأ عمر  
 وعلي وعبد الله وأبي وأبو سلمة بن عبد الرحمن وأبو إسحاق السبيعي وزيد بن  
 علي شذوذاً: ﴿وَإِنْ كَادَ﴾ بالدال بدل النون ﴿لِتَزُولَ﴾ بفتح اللام الأولى ورفع  
 الثانية. وروي كذلك عن ابن عباس. وقرأ ابن عباس ومجاهد وابن وثاب  
 والكسائي كذلك إلا أنهم قرؤوا ﴿وَإِنْ كَانَتْ﴾ بالنون فعلى هاتين القرائتين تكون  
 إن هي المخففة من الثقيلة، و(اللام): هي الفارقة، وذلك على مذهب البصريين.  
 وأما على مذهب الكوفيين فـ﴿إِنْ﴾ نافية، واللام بمعنى إلا، فمن قرأ: ﴿كَادَ﴾ -  
 بالدال - فالمعنى أنه يقرب زوال الجبال بمكرهم ولا يقع الزوال. وعلى قراءة  
 ﴿كَانَتْ﴾ - بالنون - يكون زوال الجبال قد وقع، ويكون في ذلك تعظيم مكرهم  
 وشدته، وهو بحيث يزول منه الجبال وتتقطع عن أماكنها، ويحتمل أن يكون معنى  
 ﴿لِتَزُولَ﴾: ليقرب زوالها، فيصير المعنى، كمعنى قراءة كاد، ويؤيد هذا التأويل

(٣) البحر المحيط.

(١) المراعي.

(٢) روح البيان.

ما ذكره أبو حاتم من أن في قراءة أبي: ﴿ولولا كلمة الله لزال من مكروهم الجبال﴾. وينبغي أن تحمل هذه القراءة على التفسير لمخالفتها لسواد المصحف المجمع عليه. وقرأ الجمهور باقي السبعة: ﴿وإن كانت﴾ بالنون، ﴿مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ﴾ - بكسر اللام الأولى ونصب الأخيرة - . ورويت هذه القراءة عن علي أيضاً، وعلى هذه القراءة تكون ﴿إن﴾ نافية و(اللام): المكسورة؛ لتأكيد النفي، والمعنى: ومحال<sup>(١)</sup> أن تزول الجبال بمكروهم على أن الجبال مثل آيات الله وشرائعه الثابتة على حالها مدى الدهر. فالجملة على هذا المعنى حال من الضمير في ﴿مَكْرُهُمْ﴾ لا من قوله: ﴿وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾؛ أي: مكروا، والحال أن مكروهم لم يكن لتزول منه الجبال. وأما على<sup>(٢)</sup> قراءة الكسائي ومن معه: ﴿لتزول﴾ - بفتح اللام الفارقة ورفع الفعل - فالجملة حينئذ حال من قوله: ﴿وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾؛ أي: وعند الله المكر بهم، والحال أن مكروهم في غاية القوة بحيث تزول منه الجبال.

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ﴾ يا محمد ﴿مُخَلَّفَ وَعَدِيهِ رُسُلَهُ﴾ بتعذيب الظالمين ونصر المؤمنين؛ أي: ما وعدهم سبحانه بقوله: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا﴾ وقوله: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لِأَعْلَبِ بْنِ أَنَا وَرُسُلِي﴾. وأصله<sup>(٣)</sup>: مخلف رسله وعده، وقدم المفعول الثاني إعلماً بأن لا يخلف وعده أحداً، فكيف يخلف رسله الذين هم خيرته وصفوته من خلقه، والوعد: عبارة عن الإخبار بإيصال المنفعة قبل وقوعها، والمعنى: دم على ما كنت عليه من اليقين بعدم إخلافنا رسلنا وعدنا. وهذه الجملة تفرع<sup>(٤)</sup> على قوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ فكأنه قيل: وإذ قد وعدناك بعذاب الظالمين يوم القيامة وأخبرناك بما يلقونه من الشدائد وبما يسألونه من الرد إلى الدنيا، وبما أجنبناهم به وقرعناهم بعدم تأملهم في أحوال من سبقهم من الأمم الذين أهلكتناهم بظلمهم بعدما وعدنا رسلهم بإهلاكهم، فدم على ما كنت عليه من اليقين بعدم إخلافنا رسلنا وعدنا: ف﴿مُخَلَّفَ﴾: إما متعد لاثنين

(٣) روح البيان.

(١) الشوكاني.

(٤) المراح.

(٢) المراح.

مضاف لمفعوله الثاني؛ وإما متعد لواحد مضاف لمفعوله، و﴿رُسُلَهُ﴾ مفعول ل﴿وَعَدِهِ﴾.

وقرىء شاذاً<sup>(١)</sup>: ﴿مخلف وعده رسليه﴾ بجر رسله ونصب وعده. قال الزمخشري: وهذه القراءة في الضعف كقراءة من قرأ: ﴿قتل أولادهم شركائهم﴾ لما فيها من الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول، وتقدم الكلام عليها مشبعاً في سورة الأنعام. ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ سبحانه وتعالى ﴿عَزِيزٌ﴾؛ أي: غالب لا يماكر ولا يغالبه أحد ﴿ذُو أَنْتِقَامٍ﴾ ينتقم لأوليائه من أعدائه، وفي «القاموس»: انتقم منه إذا عاقبه، والجملة تعليل للنهي.

والمعنى<sup>(٢)</sup>: أن الله سبحانه وتعالى عزيز؛ أي: غالب على أمره لا يمتنع منه من أراد عقوبته قادر على كل من طلبه لا يفوته بالهرب منه، وهو ذو انتقام ممن كفر برسله وكذبهم وجحد بنبوتهم وأشرك به، واتخذ معه إلهاً غيره، ثم ذكر زمان الانتقام، فقال: ﴿يَوْمَ يُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾؛ أي: إنه تعالى ذو انتقام من أعدائه، يوم تبدل الأرض غير الأرض بأن تتطير هذه الأرض كالهباء وتصير كاللدخان المنتشر، ثم ترجع أرضاً أخرى بعد ذلك، وتبدل السماوات غير السماوات بانتشار كواكبها وانفطارها، وتكوير شمسها وخسوف قمرها، ﴿وَالسَّمَوَاتُ﴾ معطوف على ﴿الْأَرْضُ﴾، وإنما قدم تبديل الأرض لقربها هنا، ولكون تبديلها أعظم أثراً بالنسبة إلينا اهـ «كرخي». وقرىء شاذاً: ﴿نُبَدِّلُ﴾ بالنون، ﴿الْأَرْضُ﴾ بالنصب، ﴿وَالسَّمَوَاتُ﴾ معطوف على الأرض. وعلى هذا التفسير فالظرف متعلق بـ﴿أَنْتِقَامٍ﴾، ويحتمل أن يكون متعلقاً باذكر محذوفاً؛ أي: واذكر يا محمد ﷺ لأمتك قصة يوم تبدل هذه الأرض المعروفة أرضاً أخرى غير معروفة، وتبدل السماوات غير السماوات، ويكون الحشر وقت التبديل عند الظلمة دون الجسر، أو يكون الناس على صراط.

(١) الشوكاني.

(٢) المراغي.

روى مسلم عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله: «يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ» فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله؟ فقال: «على الصراط».

وروي عن ابن مسعود وأنس - رضي الله عنهما - من قولهما: يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطيء عليها أحد خطيئة، ولا بدع في أن تكون أرضاً جديدة لم يسكنها أحد، بل تخلق خلقاً جديداً.

وفي «الخازن»: ذكر المفسرون في معنى هذا التبديل قولين<sup>(١)</sup>:

أحدهما: أنه تبدل صفة الأرض والسماء، لا ذواتهما. فأما تبديل الأرض فبتغيير صفتها وهيئتها مع بقاء ذاتها: وهو أن تدكدك جبالها وتسوى وهادها وأوديتها، وتذهب أشجارها وجميع ما عليها من عمارة وغيرها لا يبقى على وجهها شيء إلا ذهب وتمد مد الأديم. وأما تبديل السماء فهو أن تنتشر كواكبها وتطمس شمسها وقمرها، ويكوران، وكونها تارة كالدهان وتارة كالمهل، وبهذا القول قال جماعة من العلماء، ويدل على صحة هذا القول ما روي عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس بها علم لأحد». أخرجاه في «الصحيحين». العفراء - بالعين المهملة - البيضاء إلى حمرة. ولهذا شبهها بقرصة النقي وهو الخبز الجيد البياض الفائق المائل إلى حمرة، كأن النار ميلت بياض وجهها إلى الحمرة. وقوله: ليس بها علم لأحد يعني: ليس فيها علامة لأحد بتبديل هيئتها وزوال جبالها وجميع بنائها، فلا يبقى فيها أثر يستدل به.

والقول الثاني: هو تبديل ذوات الأرض والسماء، وهذا قول جماعة من العلماء، ثم اختلفوا في معنى هذا التبديل. فقال ابن مسعود في معنى هذه الآية قال: تبدل الأرض بأرض كالفضة بيضاء نقية، لم يسفك بها دم، ولم يعمل عليها خطيئة. وقال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: الأرض من فضة والسماء من ذهب.

(١) الخازن.

وقال أبي بن كعب في معنى التبديل بأن تصير الأرض نيراناً والسماء جنانا .  
 وقال أبو هريرة وسعد بن جبير ومحمد بن كعب القرظي تبدل الأرض خبزة بيضاء  
 يأكل من تحت قدميه . وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال  
 رسول الله ﷺ : « تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار سبحانه  
 بيده ، كما يتكفؤ أحدكم خبزته في السفر نزلاً لأهل الجنة » . أخرجاه في  
 «الصحيحين» بزيادة فيه .

فإن قلت : إذا فسرت التبديل بما ذكرت ، فكيف يمكن الجمع بينه وبين قوله  
 تعالى : ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ ﴿١٠١﴾ وهو أن تحدث بكل ما عمل عليها؟

قلت : وجه الجمع بين الآيتين أن الأرض تبدل أولاً صفتها مع بقاء ذاتها ،  
 كما تقدم فيومئذ تحدث أخبارها ، ثم بعد ذلك تبدل تبديلاً ثانياً ، وهو أن تبدل  
 ذاتها بغيرها ، كما تقدم أيضاً ، ويدل على صحة هذا التأويل ما روي عن عائشة  
 قالت : سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى : ﴿يَوْمَ بُدِّلُ الْأَرْضُ عَيْرَ الْأَرْضِ  
 وَالسَّمَوَاتُ﴾ فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله؟ فقال : «على الصراط» . أخرجه  
 مسلم . وروى ثوبان أن حبراً من اليهود سأل رسول الله ﷺ : أين يكون الناس  
 يوم تبدل الأرض غير الأرض؟ قال : «هم في الظلمة دون الجسر» ذكره البغوي  
 بغير سند . ففي هذين الحديثين دليل على أن تبديل الأرض ثاني مرة يكون بعد  
 الحساب ، والله أعلم بمراده وأسرار كتابه انتهى .

وقوله : ﴿وَيَرْزُوا﴾ معطوف على ﴿بُدِّلُ﴾ ؛ أي : واذكر يا محمد لأمتك قصة  
 يوم برز الخلائق وخرجوا جميعاً من قبورهم ﴿لِلَّهِ﴾ ؛ أي : لحكم الله تعالى  
 وقضائه ، والوقوف بين يديه للحساب ؛ أي : خرجوا من قبورهم للقاء الله .  
 ﴿الْوَحِيدِ﴾ الذي لا ثاني له ولا شريك معه المنزه عن الشبه والضد والند .  
 ﴿الْقَهَّارِ﴾ ؛ أي : الغالب الذي يقهر عباده على ما يريد ويفعل ما يشاء ويحكم ما  
 يريد . وقرأ زيد بن علي شذوذاً : ﴿وَيَرْزُوا﴾ - بضم الباء وكسر الراء مشددة -  
 جعله مبنياً للمفعول على سبيل التكثير بالنسبة إلى العالم وكثرتهم لا بالنسبة إلى  
 تكرير الفعل . ذكره في «البحر» .

وعبر<sup>(١)</sup> عن المستقبل بلفظ الماضي للتنبية على تحقق وقوعه، كما في قوله: ﴿وَفُتِحَ فِي الصُّورِ﴾ وفي<sup>(٢)</sup> هذا من تهويل الخطب ما لا يخفى؛ لأنهم إذا وقفوا عند ملك عظيم قهار لا يشاركه سواه في سلطانه كانوا على خطر، إذ لا منازع له ولا مغيث سواه، وتوصيفه بالوصفين للدلالة على أن الأمر في غاية الصعوبة، كقوله: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ فإن الأمر إذا كان لواحد غلاب لا يغالب، فلا مستغاث لأحد إلى غيره ولا مستجار. وبعد أن وصف سبحانه نفسه بكونه قهاراً بين عجز المجرمين وذلتهم، فقال: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: وتبصر يا محمد ﷺ، أو أيها المخاطب الكافرين ﴿يَوْمَئِذٍ﴾؛ أي: يوم إذ برزوا لله الواحد القهار حالة كونهم ﴿مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾؛ أي: مشدودين في الأغلال والقيود؛ أي: حالة كون بعضهم يقرب مع بعض في الأصفاة بحسب مشاركتهم في العقائد الفاسدة، أو قرنوا مع الشياطين الذين أغوهم، أو قرنت أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالأغلال والأصفاة - جمع صفاة - القيود والأغلال، والجار والمجرور متعلق بـ ﴿مُقَرَّنِينَ﴾، أو حال من ضميره.

﴿سَرَابِيهُمُ﴾ جمع سربال؛ أي: قمصانهم ﴿مِنَ قَطْرَانَ﴾ تطلّى به جلودهم حتى يعود ذلك الطلاء كالسراويل، وخصّ القطران لسرعة اشتعال النار فيه مع نتن رائحته. والقطران<sup>(٣)</sup>: هو عصارة الأبهل والأرز ونحوهما. وقال بعضهم: هو ما يتحلب من الأبهل، فيطبخ فتهنأ به الإبل الجربى، فيحرق الجرب بحدته، وقد تصل حرارته إلى الجوف، وهو أسود متتن يسرع فيه اشتعال النار يطلّى به جلود أهل النار، يعود طلاؤه لهم كالسراويل، ليجتمع عليهم الألوان الأربعة من العذاب: لذع القطران وحرقته، وإسراع النار في جلودهم، واللون الموحش، ونتن الريح على أن التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ﴿وَتَفَشَّى وُجُوهُهُمْ النَّارُ﴾؛ أي: تعلق وجوههم وتضربها النار وتحيط بها، وخصّ الوجوه<sup>(٤)</sup> بالذكر مع أن ذلك يكون لسائر الجسم لأنها أشرف ما في البدن وفيها الحواس المدركة

(٣) روح البيان.

(١) الشوكاني.

(٤) روح البيان.

(٢) المراغي.

فهم لم يتوجهوا بها إلى الحق ولم يستعملوا في تدبره مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها لأجله كما تطلع على أفئدتهم لأنها فارغة عن المعرفة مملوءة بالجهالات والجملة في محل نصب على الحال أيضاً.

وقوله: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ﴾ متعلق بمحذوف تقديره: يفعل ذلك بهم ليجزي سبحانه وتعالى ﴿كُلَّ نَفْسٍ﴾ مجرمة جزاء ﴿مَا كَسَبَتْ﴾ من أنواع الكفر والمعاصي جزاء موافقاً لعملها ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ سبحانه وتعالى ﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ فيتمه في أعجل ما يكون من الزمان. قيل: يحاسب جميع الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك، فلا يشغله حساب عن حساب، فيوفى الجزاء بحسبه، ولا يظلمهم ولا يزيدهم على عقابهم الذي يستحقونه. وقرأ<sup>(١)</sup> علي وأبو هريرة وابن عباس وعكرمة وابن جبير وابن سيرين والحسن بخلاف عنه وسنان بن سلمة بن المخنف وزيد بن علي وقتادة وأبو صالح والكلبي وعيسى الهمذاني وعمرو بن فائد وعمرو بن عبيد ﴿مَنْ قَطِرٍ﴾ بفتح القاف وكسر الطاء وتنوين الراء ﴿أَنْ﴾ بوزن عان، وهي قراءة شاذة وليست متواترة، وجعلوا كلمتين، والقطر: النحاس، والآني: اسن فاعل من أنى يأنى؛ أي: تناهى في الحرارة كقوله: ﴿وَبَيْنَ حَمِيرٍ وَأَنْ﴾. وقرأ عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب: ﴿مَنْ قَطْرَانٍ﴾ - بفتح القاف وإسكان الطاء - بزنة سكران وهي قراءة شاذة أيضاً. وقرأ الجمهور: ﴿وَتَغْشَىٰ وَجُوهَهُمْ﴾ بالنصب وقرئ بالرفع، فالأول على نحو قوله تعالى: ﴿وَأَلَّيْ إِذَا يَتَشَّىٰ﴾ ﴿١﴾ فهو على حقيقة الغشيان، والثانية على التجوز جعل ورود الوجه على النار غشياناً. وقرئ: ﴿وتغشى وجوههم﴾ بمعنى تتغشى.

﴿هَذَا﴾ القرآن الذي أنزل إليك يا محمد ﷺ ﴿بَلِّغْ لِلنَّاسِ﴾؛ أي: مبلغ<sup>(٢)</sup> للناس إلى مراتب السعادة، وموصل لهم إليها، فهو مصدر بمعنى اسم الفاعل. وقيل: المعنى ﴿هَذَا﴾ القرآن الذي أنزل إليك يا محمد بما فيه من فنون العظات والقوارع ﴿بَلِّغْ لِلنَّاسِ﴾؛ أي: كفاية لهم في الموعظة والتذكير. قال في

(١) البحر المحيط.

(٢) الفتوحات.



«القاموس»: البلاغ: كسحاب الكفاية. وقوله: ﴿وَلِيُنذِرُوا بِهِ﴾: معطوف على محذوف مع متعلقه تقديره: أنزل إليك ليلبغهم إلى ما فيه صلاحهم ورشادهم، ولينذروا به؛ أي: وليخوفوا بالقرآن ومواعظه وزواجره عما فيه هلاكهم وشقاؤهم ﴿وَلِيَعْلَمُوا﴾ بما فيه من الحجج والبراهين ﴿إِنَّمَا هُوَ﴾؛ أي: الله سبحانه وتعالى ﴿إِلَهُ وَاحِدٌ﴾؛ أي: معبود منفرد في ذاته وصفاته وأفعاله لا شريك له، فيعبده ولا يعبدوا إلهاً غيره من الدنيا والهوى والشيطان وما يعبدون من دون الله؛ أي: وليعلموا بما فيه ويستدلوا على وحدانية الله تعالى ﴿وَلِيَذَكَّرُوا الْأَلْبَابَ﴾؛ أي: وليتعض بهذا القرآن وما فيه من المواعظ أصحاب العقول الكاملة، والأفهام الثاقبة، والعقائد الصحيحة، فهو عظة لمن اتعظ وعبرة لمن اعتبر. وقيل<sup>(١)</sup>: هذه اللامات متعلقة بـ﴿بَلَّغْ﴾؛ أي: هذا القرآن بلاغ للناس؛ أي: كفاية لهم في أن ينصحوا وينذروا ويعلموا بما أقام الله تعالى فيه من الحجج والبراهين ووحدانيته سبحانه وتعالى، وأنه لا شريك له، وليتعض به أصحاب العقول التي تعقل وتدرك، وأسند التذكر والاتعاظ إلى من له لب؛ لأنهم هم الذين يجدي فيهم التذكر.

واعلم: أنه<sup>(٢)</sup> سبحانه وتعالى ذكر لهذا البلاغ ثلاث فوائد هي: الغاية والحكمة في إنزال الكتب، وتكميل الرسل للناس واستكمالهم القوة النظرية التي منتهى كمالها التوحيد، واستصلاح القوة العملية الذي هو التدرع بلباس التقوى. وقرأ<sup>(٣)</sup> مجاهد وحميد شذوذاً: ﴿ولتندروا به﴾ بتاء مضمومة وكسر الذال كأن البلاغ لعموم المخاطبين. وقرأ يحيى بن عماره الذراع عن أبيه وأحمد بن يزيد بن أسيد السلمى: ﴿ولينذروا﴾ بفتح الياء والذال مضارع نذر بالشيء إذا علم به، فاستعد له قالوا: ولم يعرف لهذا الفعل مصدر، فهو مثل عسى وغيره مما استعمل من الأفعال، ولم يعرف له أصل.

وناسب مختتم هذه السورة مفتحتها<sup>(٤)</sup>، وكثيراً ما جاء في سور القرآن حتى إن بعضهم زعم أن قوله: ﴿وَلِيُنذِرُوا بِهِ﴾ معطوف على قوله: ﴿لِيُخْرِجَ النَّاسَ﴾.

(١) البحر المحيط.

(٢) البحر المحيط.

(٣) الشوكاني.

(٤) البيضاوي.

وجملة ما هذه السورة من الموضوعات ثمانية:

- ١ - هداية الناس إلى معرفة ربهم الخالق للسموات والأرض.
- ٢ - ذم الكافرين الذين يستحبون الحياة الدنيا، ويصدون عن الدين القويم.
- ٣ - بيان أن الرسل إنما يرسلون بلغات أقوامهم؛ ليسهل عليهم فهم الأوامر والنواهي.
- ٤ - التذكير بأيام الله تعالى ببيان ما حدث للرسل مع أقوامهم؛ ليكون في ذلك تسلية لرسوله وما هدد به الأمم رسلهم من الإخراج والنفي من الديار.
- ٥ - وعيد الكافرين على كفرهم، وذكر ما يلقونه من العذاب، وضرب الأمثلة لذلك.
- ٦ - وعد المؤمنين بجنت تجري من تحتها الأنهار، وضرب المثل لذلك.
- ٧ - دعوة إبراهيم ربه أن يجنبه وبنيه عبادة الأصنام التي أضلت كثيراً من الناس، ثم شكره على ما وهبه من الأولاد على كبر سنه، ثم طلبه المغفرة منه له ولوالديه وللمؤمنين يوم العرض والحساب.
- ٨ - بيان أن تأخير العذاب عن المجرمين ليوم معلوم إنما كان لحكمة اقتضت ذلك، وحيث يرون من الذلة والصغار وسوء العذاب ما يجعل عنه الوصف.

### الإعراب

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ  
الْأَبْصَارُ﴾ (٤٦).

﴿وَلَا﴾ (الواو): استثنائية. ﴿لَا﴾: ناهية جازمة. ﴿تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً﴾: فعل ومفعولان في مجل الجزم بـ﴿لَا﴾ الناهية مبني على الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة. ﴿عَمَّا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿غَفِيلاً﴾. ﴿يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة لـ﴿عَمَّا﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف تقديره: عما يعمل. ﴿إِنَّمَا﴾: أداة حصر ﴿يُؤَخِّرُهُمْ﴾: فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على الله، والجملة

مستأنفة لتعليل ما قبلها. ﴿لِيَوْمٍ﴾ متعلق بـ ﴿يُؤَخِّرُهُمْ﴾. ﴿تَشَخَّصُ فِيهِ الْأَبْصُرُ﴾: فعل وفاعل فيه متعلق بـ ﴿تَشَخَّصُ﴾، والجملة في محل الجر صفة لـ ﴿يومٍ﴾، ولكنها صفة سببية.

﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِي رُؤُسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْتَدْتَهُمْ هَوَاءً﴾ (٤٣).

﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِي رُؤُسِهِمْ﴾: حالان من المضاف المحذوف؛ إذ التقدير: أصحاب الأبصار، أو تكون<sup>(١)</sup> الأبصار دلت على أربابها، فجاءت الحال من المدلول عليه، ويجوز أن يكونا مفعولين لفعل محذوف تقديره: تراهم مهطعين مقني رؤوسهم، والإضافة في قوله: ﴿مُقْنِي رُؤُسِهِمْ﴾ غير محضة؛ لأنه مستقبل أو حال. ﴿لَا يَرْتَدُّ﴾: فعل مضارع. ﴿إِلَيْهِمْ﴾: متعلق به. ﴿طَرْفُهُمْ﴾ فاعل، والجملة الفعلية في محل نصب حال من الضمير في ﴿مُقْنِي﴾، أو بدل من ﴿مُقْنِي﴾، أو مستأنفة. ﴿وَأَفْتَدْتَهُمْ هَوَاءً﴾: مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية في محل نصب حال من ضمير ﴿إِلَيْهِمْ﴾، والعامل فيه<sup>(٢)</sup> إما ﴿يَرْتَدُّ﴾، وإما ما قبله من العوامل، وأفرد ﴿هَوَاءً﴾ وإن كان خبراً عن جمع؛ لأنه في معنى فارغة، ولو لم يقصد ذلك.. لقليل: أهوية؛ ليطابق الخبر مبتدأه. اهـ. «سمين». ومعنى الآية: أفندتهم خالية فارغة لا تعي شيئاً، ولا تعقل من شدة الخوف.

﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ مُّجِبَ دَعْوَتِكَ وَتَشِيعِ الرَّسُلُ﴾.

﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ﴾: فعل ومفعولان، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة مستأنفة. ﴿يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾: فعل ومفعول وفاعل، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ ﴿يَوْمَ﴾ فـ ﴿يَوْمَ﴾ مفعول ثانٍ لـ ﴿وَأَنْذِرِ﴾، ولكنه على حذف مضاف؛ أي: أهوال يوم وشدائده، فهو مفعول به لا مفعول فيه؛ إذ لا إنذار في ذلك اليوم وإنما الإنذار يقع في الدنيا اهـ شيخنا. ﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل الجر معطوفة على ﴿يَأْتِيهِمُ﴾. ﴿ظَلَمُوا﴾: فعل وفاعل صلة

(٢) الفتوحات.

(١) العكبري.

الموصول. ﴿رَبَّنَا أَخِرْنَا﴾ إلى قوله: ﴿أَوْلَمْ تَكُونُوا﴾ مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿رَبَّنَا﴾: منادى مضاف، وجملة النداء في محل نصب مقول القول على كونه جواب النداء. ﴿أَخِرْنَا﴾ فعل وفاعل ﴿إِنَّ أَجَلَ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أَخِرْنَا﴾. ﴿قَرِيبٍ﴾: صفة ﴿أَجَلَ﴾. ﴿مُحِبِّ دَعْوَتِكَ﴾: فعل ومفعول مجزوم بالطلب السابق، وفاعله ضمير يعود على الظالمين. ﴿وَتَشِيعَ الرُّسُلُ﴾: فعل ومفعول معطوف على ﴿مُحِبِّ﴾، وفاعله ضمير يعود على الظالمين.

﴿أَوْلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾.

﴿أَوْلَمْ﴾ (الهمزة): للاستفهام التقريري داخلة على محذوف، و(الواو): عاطفة على ذلك المحذوف، ويكون ذلك المحذوف مع ما عطف عليه مقولاً لقول محذوف، فيقال لهم: ألم تؤخروا في الدنيا ولم تكونوا أقسمتم؟ ﴿لم تكونوا﴾: فعل ناقص واسمه مجزوم بـ﴿لم﴾. ﴿أَقْسَمْتُمْ﴾: فعل وفاعل. ﴿مِنْ قَبْلِ﴾: متعلق به، والجمله الفعلية في محل نصب خبر ﴿تكون﴾، وجمله ﴿تكون﴾ في محل نصب معطوفة على ذلك المحذوف على كونها مقولاً للقول المحذوف، وجمله القول المحذوف مستأنفة لا محل لها من الإعراب. ﴿مَا﴾: نافية حجازية، أو تميمية. ﴿لَكُمْ﴾: خبرها، أو خبر المبتدأ مقدم. ﴿مِنْ﴾: زائدة. ﴿زَوَالٍ﴾: اسمها مؤخر، أو مبتدأ مؤخر، والجمله الاسمية جواب القسم لا محل لها من الإعراب.

﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْجِدِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ (٣٥).

﴿وَسَكَنْتُمْ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿أَقْسَمْتُمْ﴾. ﴿فِي مَسْجِدِ الَّذِينَ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿سكنتم﴾. ﴿ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول صلة الموصول. ﴿وَتَبَيَّنَ﴾: فعل ماض، وفاعله محذوف معلوم مما بعده تقديره: فعلنا بهم، والجمله معطوفة على جملة ﴿أَقْسَمْتُمْ﴾، ولا يصح<sup>(١)</sup>

(١) الفتوحات.

أن يكون ﴿كَيْفَ فَعَلْنَا﴾ فاعلاً لـ ﴿تَبِينَ﴾؛ لأن الاستفهام له الصدارة، وقال بعض الكوفيين: إن جملة ﴿كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ هو الفاعل وهم يجيزون أن تكون الجملة فاعلاً. ﴿لَكُمْ﴾ متعلقان به ﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام تعجيب في محل نصب على التشبيه بالمفعول به لـ ﴿فَعَلْنَا﴾ مبني على الفتح. ﴿فَعَلْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿بِهِمْ﴾: متعلق به، والجملة إنشائية لا محل لها من الإعراب. ﴿وَضَرَبْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿لَكُمْ﴾: متعلق به. ﴿الْأَمْثَالَ﴾: مفعول به، والجملة مستأنفة.

﴿وَقَدْ مَكْرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ ﴿٤٦﴾.

﴿وَقَدْ﴾ (الواو): استئنافية. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق. ﴿مَكْرُوا مَكْرَهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة مستأنفة. ﴿وَعِنْدَ اللَّهِ﴾: ظرف ومضاف إليه خبر مقدم. ﴿مَكْرَهُمْ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة في محل نصب حال من فاعل ﴿مَكْرُوا﴾. ﴿وَإِنْ﴾ (الواو): استئنافية. ﴿إِنْ﴾: نافية. ﴿كَانَ مَكْرَهُمْ﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿لِتَزُولَ﴾ (اللام): حرف جر وجحود. ﴿تَزُولَ﴾: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام الجحود. ﴿مِنْهُ﴾: جار ومجرور متعلق به. ﴿الْجِبَالُ﴾: فاعل مرفوع، والجملة الفعلية صلة أن المضمرة، أن مع صلتها في تأويل مصدر مجرور باللام تقديره: وإن كان مكرهم لزوال الجبال منه، والجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر ﴿كَانَ﴾ تقديره: وإن كان مكرهم صالحاً لزوال الجبال منه، وجملة ﴿كَانَ﴾ مستأنفة.

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ تَخَلَّفَ وَعَدُوهُ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ ﴿٤٧﴾.

﴿فَلَا﴾: (الفاء): تفرعية. ﴿لَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ﴾: فعل ومفعول أول، وفاعله ضمير يعود على محمد، والجملة معطوفة مفرعة على جملة قوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَفْعَلُ الظَّالِمُونَ﴾ وما بينهما جمل معترضة. ﴿تَخَلَّفَ وَعَدُوهُ﴾: مفعول ثان ومضاف إليه. ﴿رُسُلَهُ﴾: مفعول به لـ ﴿وَعَدُوهُ﴾؛ لأنه مصدر مضاف لفاعله. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: ناصب واسمه وخبره. ﴿ذُو انْتِقَامٍ﴾: صفة لـ ﴿عَزِيزٌ﴾. وجملة ﴿إِنْ﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ عَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ .

﴿يَوْمَ﴾: منصوب على الظرفية الزمانية متعلق بمحذوف تقديره: اذكر يا محمد لأمتك قصة يوم تبدل الأرض، والجملة المحذوفة مستأنفة. ﴿تَبْدُلُ الْأَرْضَ﴾: فعل ونائب فاعل، وهو المفعول الأول. ﴿عَيْرَ الْأَرْضِ﴾: مفعول ثان لـ ﴿تَبْدُلُ﴾، والجملة الفعلية في محل الجر مضاف إليه لـ ﴿يَوْمَ﴾. ﴿وَالسَّمَوَاتِ﴾: معطوف على ﴿الْأَرْضِ﴾. ﴿وَبَرَزُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل الجر معطوفة على ﴿تَبْدُلُ﴾. ﴿لِلَّهِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ ﴿برزوا﴾. ﴿الْوَحِيدِ﴾: صفة للجلالة. ﴿الْقَهَّارِ﴾: صفة ثانية للجلالة، أو صفة لـ ﴿الْوَحِيدِ﴾.

﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَّابِلُهُمْ مِّنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾﴾ .

﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ﴾: فعل ومفعول به؛ لأن ﴿ترى﴾ بصرية، وفاعله ضمير يعود على محمد، أو على أي مخاطب، والجملة مستأنفة. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بـ ﴿ترى﴾. ﴿مُّقْرَنِينَ﴾: حال من ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾. ﴿فِي الْأَصْفَادِ﴾: متعلق به. ﴿سَرَّابِلُهُمْ﴾: مبتدأ ومضاف إليه. ﴿مِّنْ قَطِرَانٍ﴾: جار ومجرور خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب حال من ضمير ﴿مُّقْرَنِينَ﴾، أو من ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾، أو من ﴿مُّقْرَنِينَ﴾. ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارُ﴾: فعل ومفعول وفاعل، والجملة معطوفة على الجملة التي قبلها.

﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾﴾ .

﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ﴾: فعل وفاعل ومفعول أول منصوب بأن مضمرة جوازاً بعد لام كي، الجار والمجرور متعلق بـ ﴿برزوا﴾، وما بينهما اعتراض، أو بمحذوف تقديره: فعلنا ذلك بهم للجزاء. ﴿مَّا﴾: موصولة، أو موصوفة في محل النصب مفعول ثان لـ ﴿يجزي﴾. ﴿كَسَبَتْ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿نَفْسٍ﴾، والجملة صلة لـ ﴿مَّا﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف تقديره: ما كسبته. ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾: ناصب واسمه وخبره، والجملة مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ، وَيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَيَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٥٦).

﴿ هَذَا بَلَّغٌ ﴾ : مبتدأ وخبر. ﴿ لِلنَّاسِ ﴾ : متعلق بـ ﴿ بَلَّغٌ ﴾ ، والجمله مستأنفة.  
﴿ وَيُنذِرُوا ﴾ : (الواو): عاطفة على محذوف تقديره: أنزل إليك هذا القرآن ليبلغهم إلى مراتب السعادة. و(اللام): حرف جر وتعليل. ﴿ يَنْذِرُوا ﴾ : فعل ونايب فاعل منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والجمله الفعلية في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل تقديره: أنزل إليك لتبلغهم إلى مراتب السعادة ولإنذارهم به، والجمله المحذوفة مستأنفة. ﴿ بِهِ ﴾ متعلقان به ﴿ وَيَعْلَمُوا ﴾ (الواو): عاطفة. ﴿ لِيَعْلَمُوا ﴾ : (اللام): حرف جر وتعليل. ﴿ يَعْلَمُوا ﴾ : فعل وفاعل منصوب بأن مضمرة بعد لام كي، والجمله في تأويل مصدر مجرور باللام تقديره: ولعلمهم، الجار والمجرور معطوف على الجار والمجرور قبله. ﴿ أَنَّمَا ﴾ ﴿ أَنْ ﴾ : حرف نصب ومصدر. ﴿ مَا ﴾ : كافة لكفها ما قبلها عن العمل فيما بعدها. ﴿ هُوَ إِلَهٌُ ﴾ : مبتدأ وخبر. ﴿ وَاحِدٌ ﴾ : صفة ﴿ إِلَهٌُ ﴾ ، والجمله الاسمية صلة أن المصدرية، أن مع صلتها في تأويل مصدر ساد مسد مفعولي علم تقديره: وليعلموا كون المعبود إلهاً واحداً لا شريك له، الجار والمجرور معطوف على الجار والمجرور قبله. ﴿ وَيَذَكَّرَ ﴾ (الواو): عاطفة. و(اللام): حرف جر وتعليل. ﴿ يَذَكَّرَ ﴾ : فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل ﴿ يَذَكَّرَ ﴾ . ﴿ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ : فعل وفاعل ومضاف إليه منصوب بأن مضمرة، والجمله الفعلية في تأويل مصدر مجرور باللام تقديره: ولتذكر أولي الألباب، الجار والمجرور معطوف على الجار والمجرور في قوله: ﴿ وَيُنذِرُوا بِهِ ﴾ .

### التصريف ومفردات اللغة

﴿ تَنَخَّصُ فِيهِ الْأَبْصُرُ ﴾ قال الفراء: يقال: شخص الرجل بصره، وشخص البصر نفسه إلى السماء من هول ما يرى يشخص - من باب ذهب - شخصاً إذا بقيت مفتوحة لا تتحرك من شدة الحيرة والدهشة.

﴿ مُهْطِعِينَ ﴾ ؛ أي: مسرعين إلى الداعي اسم فاعل<sup>(١)</sup> من أهطع الرباعي

(١) الشوكاني.

يهطع إهطاعاً إذا أسرع. وقيل: المهطع الذي ينظر في ذل وخشوع، ومنه قول الشاعر:

بِدَجَلَةٍ دَارُهُمْ وَلَقَدْ أَرَاهُمْ بِدَجَلَةٍ مُهْطِعِينَ إِلَى السَّمَاءِ  
وقيل: المهطع الذي يديم النظر. قال أبو عبيدة: قد يكون الوجهان جميعاً يعني الإسراع مع إدامة النظر، وقيل: المهطع الذي لا يرفع رأسه. وقال ثعلب: المهطع الذي ينظر في ذل وخشوع. وقيل: هو الساكت. قال النحاس: والمعروف في اللغة: أهطع إذا أسرع. وفي «المختار»: أهطع الرجل إذا مدّ عنقه وصبوب رأسه، وأهطع في عدوه إذا أسرع.

﴿مُقْنِي رُؤُوسِهِمْ﴾؛ أي: رافعيها مع الإقبال بأبصارهم إلى ما بين أيديهم من غير التفات إلى شيء وإقناع الرأس رفعه وأقنع صوته إذا رفعه، والمعنى: أنهم يومئذ رافعون رؤوسهم إلى السماء ينظرون إليها نظر فزع وذل ولا ينظر بعضهم إلى بعض. وقيل: إن إقناع الرأس نكسه. وقيل: يقال أقنع إذا رفع رأسه وأقنع إذا طأطأ ذلة وخضوعاً، والآية محتملة للوجهين. قال المبرد: والقول الأول أعرف في اللغة. قال الشاعر:

أَنْغَضَ نَحْوِي رَأْسَهُ وَأَقْنَعَا كَأَنَّمَا أَبْصَرَ شَيْئاً أَظْمَعَا  
وفي «السمين»<sup>(١)</sup>: والإقناع: رفع الرأس وإدامة النظر من غير التفات إلى غيره. قاله القتيبي. اهـ. وفي «القاموس»: وأقنعه: أرضاه ورأسه نصبه ورفعته أو لا يلتفت يميناً ولا شمالاً، وجعل طرفه موازياً.

﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾؛ أي: لا ترجع إليهم أبصارهم، وأصل الطرف تحريك الأجفان، وسميت العين طرفاً؛ لأنه يكون بها، ومن إطلاق الطرف على العين قول عنترة:

وَأَغْضُ طَرْفِي مَا بَدَتْ لِي جَارَتِي حَتَّى يُوَارِي جَارَتِي مَاوَاهَا  
وفي «السمين»: والطرف في الأصل مصدر، والطرف أيضاً: الجفن، يقال:

(١) الفتوحات.



ما طبق طرفه؛ أي: جفته على الآخر، والطرف أيضاً تحريك الجفن. ا هـ.

﴿وَأَقْدَمْتُمْ﴾؛ أي: قلوبهم جمع فؤاد. ﴿هَوَاءٌ﴾؛ أي: خالية<sup>(١)</sup> من العقل والفهم، لفرط الحيرة والدهشة، ويقال للجبان والأحمق: قلبه هواء؛ أي: لا قوة ولا رأي له، كما قال حسان يهجو أبا سفيان بن حرب:

أَلَا أَبْلِغُ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي فَأَنْتَ مُجَوِّفٌ نَخْبٌ هَوَاءٌ

وفي «المختار»: الهواء ممدوداً ما بين السماء والأرض، والجمع أهوية، وكل خال هواء. ا هـ. وإنما أفرد هواء مع كونه خبراً عن جمع؛ لأنه في معنى فارغة، ولو لم يقصد ذلك.. لقليل: أهوية، ليطابق الخبر مبتدأه. ا هـ. «سمين».

ومعنى الآية: أن القلوب يومئذ زائلة عن أماكنها، والأبصار شاخصة، والرؤوس مرفوعة إلى السماء من هول ذلك اليوم وشدته.

﴿مِن زَوَالٍ﴾؛ أي: من انتقال من دار الدنيا إلى دار أخرى للجزاء.

﴿وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾؛ أي: بينا لكم<sup>(٢)</sup> أنهم مثلكم في الكفر واستحقاق العذاب.

﴿وَيُرْزَأُوا﴾؛ أي: خرجوا من قبورهم.

﴿مُقَرَّبِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾؛ أي: مشدودين في القيود والأغلال جمع مقرون والمقرون من جمع في القرن، وهو الحبل الذي يربط به. وروي أن كل كافر يقرب مع شيطانه في سلسلة. والأصفاد جمع صَفَدَ - بفتحتين -: وهو القيد. والأغلال جمع غُل - بضم الغين -: وهو طوق من حديد، يقال: صفده يصفده صفداً - من باب ضرب - إذا قيده، والاسم الصفد، وصفده مشدداً للتكثير. ا هـ. «سمين».

﴿سَرَابِيلُهُمْ﴾: السرابيل: القمص، واحدها: سربال، ومنه قول كعب بن

مالك:

تَلَقَّاكُمْ عُصْبٌ حَوْلَ النَّبِيِّ لَهُمْ مِنْ نَسَجٍ دَاوُودَ فِي الْهَيْجَا سَرَابِيلُ

(٢) المراغي.

(١) المراغي.

يقال: سربلته إذا ألبسته السربال.

﴿مِنْ قَطْرَانٍ﴾ والقطران: دهن يتحلب من شجر الأبهل والعرعر والتوت، كالزفت تدهن به الإبل إذا جربت وهو الهنأ: يقال: هنأت البعير أهنؤه بالهنأ إذا طلبته بالهنأ؛ وهو أسود اللون متن الريح. وفي «السمين»: القطران: ما يستخرج من شجر فيطبخ ويطلّى به الإبل الجرب؛ ليذهب جربها لحدته، وفيه لغات ﴿قطران﴾ - بفتح القاف وكسر الطاء - وهي قراءة العامة المتواترة، ﴿قَطْرَانٌ﴾ بزنة سكران، وبها قرأ عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما. و﴿قَطْرَانٌ﴾ - بكسر القاف وسكون الطاء - بزنة سرحان، ولم يقرأ بها فيما علمت. وقرأ جماعة ﴿من قطر﴾ - بفتح القاف وكسر الطاء وتنوين الراء (آن) بوزن عان، وجعلوها كلمتين كما مر في مبحث القراءة وقد مر أيضاً أن هذه القراءات شاذة عدا قراءة الجمهور ﴿قَطْرَانٌ﴾.

﴿وَتَقَشَّىٰ وَجُوهَهُمُ النَّارُ﴾؛ أي: تعلقوها وتحيط بها.

﴿هَذَا بَلَّغٌ﴾ والبلاغ: اسم مصدر لبغ تليغاً، فهو بمعنى اسم الفاعل؛ أي: مبلغ للناس إلى مراتب السعادة.

## البلاغة

وقد تضمنت هذه الآية ضرورياً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: التهديد في قوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾.

ومنها: التشبيه البليغ في قوله: ﴿وَأَفْنَدْتَهُمْ هَوَاءً﴾ حذف منه أداة التشبيه ووجه الشبه، والأصل: وأفندتهم كالهواء، لفراغها من جميع الأشياء، فصار التشبيه بليغاً.

ومنها: الإيجاز بالحذف في قوله: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ﴾ حذف منه والسموات تبدل غير السماوات لدلالة ما سبق عليه.

ومنها: جناس الاشتقاق في قوله: ﴿مَكْرُؤًا مَكْرَهُمْ﴾.

ومنها: الاستعارة التصريحية الأصلية، حيث شبه شرائع الإسلام ومعجزات

الرسول ﷺ بالجبال بجامع الثبات والقرار في كل .

ومنها: الإظهار مقام الإضمار في قوله: ﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا آخِرْنَا﴾  
لتقدم المرجع في قوله: ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ﴾ .

ومنها: العدول عن المضارع إلى الماضي في قوله: ﴿وَبَرِّزُوا لِلَّهِ﴾ بدل:  
ويبرزون؛ للدلالة على تحقق الوقوع مثل: ﴿أتى أمر الله﴾ فكأنه حدث ووقع،  
فأخبر عنه بصيغة الماضي .

ومنها: رد العجز على الصدر في قوله: ﴿هَذَا بَلَّغٌ لِّلنَّاسِ﴾ فقد افتتحت هذه  
السورة بقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الذِّكْرُ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ أُمَّرَاتِ اللَّهِ وَالْحَقِّ وَالْحَقَّ كَرِهَتْ لِمَنِ كَتَبَتْ إِلَيْهِ السُّورَةَ﴾...  
الخ، فهو من المحسنات البديعية .

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع .

والله سبحانه وتعالى أعلم، وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد  
خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين آمين آمين<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

(١) وإلى هنا قد تم تفسير الجزء الثالث عشر من تفسير حقائق الروح والريحان منتصف اليوم  
الخامس والعشرين من شهر الله رجب الفرد من شهر سنة ألف وأربع مئة وإحدى عشرة سنة  
١٤١١/٧/٢٥ هـ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلوات وأزكى التحيات في مكة  
المكرمة في المسفلة حارة الرشد .

والحمد لله أولاً وآخراً وباطناً وظاهراً وسراً وجهرأ على إتمام تفسير هذا الجزء الثالث عشر، لقد  
بذلنا جهدنا وطاقتنا على حسب القوى البشرية في تلخيصه وتهذيبه وتنقيحه، فرحم الله امرأ نظر  
فيه بعين الإنصاف فسامح، ووقوف في التصحيح على خطأ فأصلح، وأعوذ بالله من حاسد إذا  
حسد وبغى، وأستغفره - جل اسمه - من قلم زلّ وسهى، أو حرف شيتاً عن موضعه وطغى،  
وهو حسبي ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، سبحان ربك رب العزة عما  
يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله  
وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

تمّ المجلد الرابع عشر من تفسير «حقائق الروح والريحان»، يليه المجلد الخامس عشر، وأوله  
سورة الحجر .

وما أحسن قول القائل:

أَلَعَفُو يُرْجَى مِنْ بَنِي آدَمِ فَكَيْفَ لَا يُرْجَى مِنَ الرَّبِّ  
فَإِنَّهُ أَرْأَفُ بِي مِنْهُمْ حَسْبِي بِهِ حَسْبِي بِهِ حَسْبِي

آخِرُ

سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا أَلْهَمْتَ لَنَا

آخِرُ

يَا مَنْ مَلَكَوْتُ كُلَّ شَيْءٍ بِيَدِهِ طُوبَى لِمَنْ أَرْتَضَاكَ دُخْرًا لِعَدِهِ

## الفهرس

٧	..... سورة يوسف الآيات من (٥٣) إلى (٦٨)
٧	..... - المناسبة
٩	..... - التفسير وأوجه القراءة
٣٢	..... - الإعراب
٤٢	..... - التصريف ومفردات اللغة
٤٥	..... - البلاغة
٤٧	..... سورة يوسف الآيات من (٦٩) إلى (٨٤)
٤٧	..... - التفسير وأوجه القراءة
٦٨	..... - الإعراب
٧٨	..... - التصريف ومفردات اللغة
٨٢	..... - البلاغة
٨٥	..... سورة يوسف الآيات من (٨٥) إلى (١٠٠)
٨٥	..... - التفسير وأوجه القراءة
١٠٣	..... نبذة في تحليل شم يعقوب رائحة يوسف
١٠٦	..... تأويل رؤيا يوسف من قبل
١١١	..... - الإعراب
١٢٠	..... - التصريف ومفردات اللغة
١٢٥	..... - البلاغة
١٢٧	..... سورة يوسف الآيات من (١٠١) إلى (١١١)
١٢٧	..... - التفسير وأوجه القراءة
١٤٤	..... - الإعراب
١٥٠	..... - التصريف ومفردات اللغة

١٥٢	..... البلاغة
١٥٤	..... موضوعات هذه السورة
١٥٦	..... سورة الرعد
١٥٨	..... سورة الرعد الآيات من (١) إلى (١١)
١٥٨	..... المناسبة
١٦٠	..... أسباب النزول
١٦٠	..... التفسير وأوجه القراءة
١٩١	..... الإعراب
١٩٨	..... التصريف ومفردات اللغة
٢٠١	..... البلاغة
٢٠٤	..... سورة الرعد الآيات من (١٢) إلى (١٩)
٢٠٤	..... المناسبة
٢٠٥	..... أسباب النزول
٢٠٦	..... التفسير وأوجه القراءة
٢٢٦	..... الإعراب
٢٣٣	..... التصريف ومفردات اللغة
٢٣٦	..... البلاغة
٢٤٠	..... سورة الرعد الآيات من (٢٠) إلى (٣١)
٢٤٠	..... المناسبة
٢٤٢	..... أسباب النزول
٢٤٢	..... التفسير وأوجه القراءة
٢٤٥	..... فصل في ذكر الأحاديث الواردة في صلة الرحم وقطيعتها
٢٦٥	..... الإعراب
٢٧٣	..... التصريف ومفردات اللغة
٢٧٧	..... البلاغة
٢٧٩	..... سورة الرعد الآيات من (٣٢) إلى (٤٣)

- ٢٧٩ ..... المناسبة -
- ٢٨١ ..... أسباب النزول -
- ٢٨١ ..... التفسير وأوجه القراءة -
- ٣٠١ ..... خلاصة ما في هذه السورة .....
- ٣٠٣ ..... الإعراب .....
- ٣١٠ ..... التصريف ومفردات اللغة .....
- ٣١٣ ..... البلاغة .....

### سورة إبراهيم عليه السلام

- ٣١٩ ..... سورة إبراهيم الآيات من (١) إلى (١٢) .....
- ٣١٩ ..... المناسبة .....
- ٣٢١ ..... أسباب النزول .....
- ٣٢١ ..... التفسير وأوجه القراءة .....
- ٣٤٤ ..... الإعراب .....
- ٣٥٤ ..... التصريف ومفردات اللغة .....
- ٣٥٦ ..... البلاغة .....
- ٣٥٨ ..... سورة إبراهيم الآيات من (١٣) إلى (٢٧) .....
- ٣٥٨ ..... المناسبة .....
- ٣٦٠ ..... التفسير وأوجه القراءة .....
- ٣٨٢ ..... الإعراب .....
- ٣٩١ ..... التصريف ومفردات اللغة .....
- ٣٩٧ ..... البلاغة .....
- ٤٠١ ..... سورة إبراهيم الآيات من (٢٨) إلى (٤١) .....
- ٤٠١ ..... المناسبة .....
- ٤٠٤ ..... أسباب النزول .....
- ٤٠٤ ..... التفسير وأوجه القراءة .....
- ٤٢٨ ..... الإعراب .....

٤٣٦	.....	- التصريف ومفردات اللغة
٤٣٩	.....	- البلاغة
٤٤٢	.....	سورة ابراهيم الآيات من (٤٢) إلى (٥٢)
٤٤٢	.....	- المناسبة
٤٤٣	.....	- التفسير وأوجه القراءة
٤٥٨	.....	- الإعراب
٤٦٣	.....	- التصريف ومفردات اللغة
٤٦٦	.....	- البلاغة